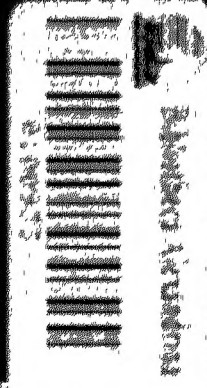


علي حسن طه

بحوث في

مَعَالِمِ الْكَمِّ وَالْإِيمَانِ
مِنَ السُّنَّةِ وَالْمُزَانِ

الدار الإسلامية
بيروت







بجوت في
معالم الكفر والاميان
من السنة والقرآن

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م



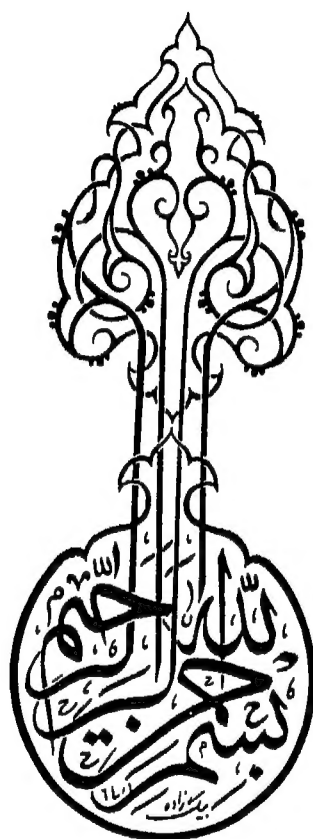
كورنيش المزرعة - بناية الحسن سنار - طباق ثاني - هاتف: ٨١٦٦٢٧
ص. ب. : ١٤ / ٥٦٨٠ - تلکس: ٢٣٢١٢ عندير
فرع ثاني: حارة حريك - شارع دكاش - هاتف: ٨٣٥٦٧٠ - ص. ب. : ٢٥, ٢٠٩

عَلِيٍّ حَسَنٍ طَهَّ

بُحُوثٌ فِي

مَعَالِمِ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ
مِنَ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ

الدارالاسلامية
بيروت



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

... إلى الباحثين عن المنهج القويم
إلى السائرين في النهج السليم
إلى التابعين للصراف المستقيم ... الذي ذكره الرب العليم في الذكر الحكيم
فقال عز وعلا : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرُقَ بَكُمْ
عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمِ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام / ١٥٣ .
... إلى الحائرين ... والضائعين في غمرة المبادئ والأحداث والطروحات
... إلى كل من ضل الطريق ... وهو يفتش عن كوة نور يغسل بها قلبه
ليهتدي .
أهدي هذه البحوث في معالم الكفر والإيمان . . الدالة بإذن الله على طريق
الأمان والإيمان والعزة والسلام .

علي طه

الهرمل - لبنان

٣ شوال ١٤١١ هـ

١٨ نيسان ١٩٩١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وآله الأخيار وأصحابه الأبرار .

إن الحديث عن الإسلام كعامل فعال في توجيه مجريات الأمور في العالم الثالث ، وكمؤثر أساسي في الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية في العالمين الأول والثاني ، قد بات ملفتاً للإنتباه في طبقات التحليلات السياسية ، والأبحاث الفكرية ، والثقافية ، وندوات الحوار وغير ذلك وعلى الصعيد الواقعي فإنه من الأسباب التي تخلق راحة الكبار من زعماء الشرق والغرب ، بعدما ظن هؤلاء أنهم استطاعوا تعطيل الفاعلية الكامنة في هذا العامل الحضاري والثقافي والذي يمكن أن ينسف بنيان حضارتهم ذات الوجه الواحد (الوجه المادي) ، ليؤسس عالماً يقوم على أساس المادة والروح معاً بشكل متوازن .

والواجب أن نقف أمام الكثير من الأفكار والإستنتاجات لبعض متغرينا ، أو بعض مستشرقهم (أي الغربيين) مناقشين ومصححين وفق ما ينسجم مع الفهم الصحيح والثوري لروح الإسلام كعامل تغيير جذري ، لا يساوم ولا يهادن ولا يخادع ، لأنه يبني علاقاته مع القوى السياسية والمنظمات الدولية ضمن إطار خطه المستقل وفعله ، محكماً المقاييس الإسلامية (الثورية) التي تتعدى المفهوم الجامد والمتخلف وتتجاوز مصالح الزعامات المحلية ، والحكام ذوي المزاج السياسي المتقلب . . .

ومما لا شك فيه أن اتفاق جميع الاستكباريين على محاربة خصمهم المشترك (الإسلام) ليس أمراً جديداً ، بل هو هدف أساسي في استراتيجية الاستكبار العالمي ، إلا أن هذه المحاربة ، تظهر أو تتعاضد وفي بعض الحالات تتقلص شيئاً ما ، حسب حجم التحرك الإسلامي نحو انطلاقة إسلامية فاعلة في العالم ، وإذا ما لاحظ هؤلاء ثمة تحرك إسلامي هادف أشار الغرب على دوائره بأن ترصد العمل الإسلامي ، لأنه يخشى من الإسلام الحقيقي ، كما أنه يوعز إلى عملائه من سياسيين ومحللين ، وكتاب وصحفيين ومستشرقين ، وشرقيين مستغربين . . . ان ارتاحوا قليلاً الآن ، ولتنصب جهودكم المؤذية للإسلام والمسلمين على تشويه المفاهيم الثورية الإسلامية وإبعاد صورة الإسلام الحقيقي من واجهة التحليل والدرس ، وليكن توجهكم لدراسة وتدريس الفنون (الإسلامية) والشعر الغزلي والأدب الماجن في العصور الإسلامية المختلفة . . . جربوا أن تقدموا للشعوب الإسلامية مادة فكرية أو أدبية أو علمية تلهيهم عن واقعهم المأساوي وتمنعهم - قدر الإمكان - عن التفكير بمستقبلهم الإسلامي المشرق . . .

ويبقى الإسلام خصماً مشتركاً لجميع القوى الكافرة في العالم ، لأن الكفر ملة واحدة ، يوحد عداؤه للإسلام ، وتفرقه مصالحه ، ويظهر أمر الاتفاق على محاصمة الإسلام عندما تبرز قوة الإسلام والمسلمين ، ويتفرق الكفر بسبب تضارب مصالح قواه عندما يشعر بضعف المسلمين ، فيعمل كل فريق منهم على ربط المسلمين بقوته لتقاسم خيرات العالم الإسلامي .

ويحاول البعض أن يدلل على أن السياسة الإسلامية هي الطابع الطاغوي على منطقة الشرق الأوسط وأن الدول التي ترفع اللواء الإسلامي في سياستها تشعر أنها أمام مأزق لأنها ساهمت جميعها في نشر حالة ذعر عند الاستكبار من الإسلام ، وبالإضافة إلى ذلك فإن القوى السياسية في المنطقة تعمل بلون إسلامي : اليساريون - والعروبيون - والإسلاميون ، كل هؤلاء حملة الإسلام يرفعون بيارق الجهاد . . .

والواقع أن النظرة السطحية إلى الأمور والتحليل المبني على المقدمات الخاطئة يؤدي بالتأكيد إلى الاستنتاجات الخاطئة ، إذ أن المؤتمرات (الإسلامية) عنواناً ، والمنظمات (الإسلامية) واجتماعات وزراء خارجية الدول

(الإسلامية) ، واتحادات الكتاب والسياسيين (المسلمين) وما إلى ذلك من تسميات وتجمعات وتنظيمات موجودة أو ستوجد في المستقبل . . كل ذلك لا يؤثر بحال على مسيرة الأحداث إن لم يكن مضمونه إسلامياً ، لا عنوانه ، عدا عن ذلك فإن الدعوة إلى هذه اللقاءات والمشاورات والاجتماعات ليست أمراً جديداً في ساحة العمل السياسي للدول المسماة بالدول الإسلامية ، فكلمها وجد هؤلاء ثمة منفعة لزعامتهم ، أو لهيمنة أسيادهم تداعوا للقاء باسم الإسلام والمسلمين ، وبإيعاز من أعداء الإسلام والمسلمين في كثير من الأوقات والحالات ، لذلك فإن الدول الكبرى وجابرتها ، وطغاتها لا يخافون عادة من المؤتمرات التي تعقد باسم الإسلام إلا نادراً . . أي عندما تكون هذه المؤتمرات إسلامية المضمون والتوجيه فضلاً عن الشعارات .

ولم يحصل الخوف الفعلي ، إلا أخيراً ، عندما أفلت الزمام من أيديهم ، وأعلن الإسلام الحقيقي عن نفسه بثورة الإسلام في العصر الحديث ، التي بدأت من إيران ، ثورة مستقلة ، عن كل قوة استعمارية ، شرقية أو غربية ، وذلك لأن الأسماء والألقاب تمنح في عصرنا مجاناً . . .

إن الخوف الواضح الجلي عند الاستكبار العالمي ، هو من راية إسلامية حقيقية ، رفعها الإمام الخميني (قده) ، والمؤمنون في إيران ، تحت شعار لا شرقية ولا غربية ، وهذا ما جعل الاستكبار يفكر بخطة لإسقاط هذه الواجهة .

. . . وكان أن نفذ الاستكباريون ما أرادوا من مؤامرات على الجمهورية الإسلامية في إيران . إلا أن إرادة الله أقوى في دحر المعتدين ورد كيدهم إلى نحورهم ، ونصر المؤمنين المضححين المخلصين على أعداء الحق والدين . . أما السبب في رغبتهم بمحاربة راية الإسلام الأصلية فهو يعود إلى أن هذه الواجهة أصيلة في كل شيء ، في المصدر والهدف والوسيلة . . . أصيلة في قباستها ، وخياطتها ، وما كتب عليها . . . أصيلة بحملتها ورافعيها والسائرين بها وخلفها . . .

وليس بخاف على أحد ، سذاجة من يعتقد أن المنطقة (الشرق الأوسط) ، هي مجموعة بيارق إسلامية ، فاليساريون والعروبيون والإسلاميون جميعهم حملة راية إسلامية ، إلا أن هذه النظرة السطحية لواقع الأمور لا تخيف

الإستعمار ، فهو أعلم بمن خلق ، من تنظييات وأحزاب ، وهو أدرى بما أنزل ووضع من ايدولوجيات ، وأفكار مطاطة ، وقوالب للأفكار ، ومقالب للمقولات . . . وهو الذي يوحى إلى عملائه ومنظماته وأحزابه : انّ بدّلوا أساليبكم ، خادعوا الناس شرط أن تصلوا إلى أهدافكم ، ارفعوا شعارات إسلامية إذا وجدتم ذلك مناسباً ، انشأوا تنظييات إسلامية العنوان والشعار ، كافرة المضمون والجوهر إذا كان لا بد من ذلك ، استغلوا الدين ، لا تعلنوا إلحادكم بين المتدينين ، حاربوا الدين ، اكتبوا عن الإسلام في صحفكم ونشراتكم ، أشيدوا بعلماء الدين ، صلّوا في المساجد ، تظاهروا بالمتدين . . .

ومعلوم أن تلامذة الإستعمار ينفذون تعاليم معلمهم بكل دقة ، فإذا علا صوت الإسلام سمعت أصواتاً فيها بحة ، تقول مع الألسن المؤمنة (الله أكبر) ، وإذا امتدت ستائر الظلمة امتدت أياديهم السوداء لتشوه وتمزق الإسلام ، إن استطاعت إلى ذلك سبيلاً .

إن الذي يزعم الإستكبار هو الإسلام الحقيقي ، الإسلام القرآني ، إسلام المستضعفين في الأرض والساعين لأن يكونوا أئمة وارثين ، إن هذا الإسلام النفطي لا يخيف ولا يزعج ، بل يفرح الإستعمار ويتهيج له قلبه وحضارته المادية وصناعاته . . . وإذا كان الإمام الخميني (قده) - كما قيل عنه - هو محطّة في تيار بدأ قبله بفترة بعيدة ، فإن ذلك لا يعني أن تيار الخميني (قده) الذي يمثل التيار الإسلامي الحقيقي ينسجم مع تلك التيارات الإسلامية الباهية ، التي تصب في مصب الأعداء ، فلا تشابه بين هؤلاء السابقين والإمام الخميني (رضوان الله عليه) ، من جهة عمق النظرة وبعد الأثر ووضوح الخطة وسلامة الخط واستقلالية العمل .

ونعود إلى القول بأنّ الإستكبار مصمّم - وبشكل مستمر - على حرب الإسلام الحقيقي . . . والإستعمار لا يغتر بالإسماء والأشكال المستعارة ، فأمسكنا تذكر أن الشاه طرد عن إيران ، حين طرد ، بإسم الإسلام ، ولكن الإسلام الحقيقي . . . والإتحاد السوفياتي - أبان الثورة - كان متضيقاً من تحرك علماء الدين ضد الشاه في إيران ، ووصف تحركهم ذاك بأنه للحفاظ على امتيازاتهم ، ولكن الواقع يؤكد أنهم يخشون من نور الإسلام وناره ، لذلك حاولوا إطفاء نور

بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . واتفق السوفييات مع الأميركيين على محاربة الإسلام - آنذاك - في إيران ، ووضعت « التقدمية » يدها في يد الرجعية (والإمبريالية) ، ضد الإسلام القرآني .

ولزيد من الوضوح نحدد مقياساً للتفريق - في هذا المضمار - بين الإسلام الحقيقي والإسلام المستغل - بفتح الغين - وهو الآتي : إذا كانت أميركا وروسيا متفتحتين على محاربة تيار إسلامي ، في بلد ما فاعلم أنه إسلام حقيقي ، وإذا كانت أحدهما تدافع أو تساند تياراً يسمى إسلامياً فاعلم أنه إسلام مزيف ، وهو إما أميركاني أو روسي أو صهيوني . . . وكمثال نأخذه من تاريخنا المعاصر ، هو ما فعله حاكم مصر - السادات المقبور - عندما طرد الخبراء السوفييات من مصر باسم دولة العلم والإيمان ، وهو الذي كان يسمى نفسه بالرئيس المؤمن ، وهذه الألقاب والتسميات كثيرة وشائعة عند حكامنا الطغاة الذين يستغلون الأسماء والصفات الإسلامية بغية محاربة الإسلام باسم الإسلام ، وعلى سبيل المثال فقد سمي طاغية العراق نفسه قبيل حرب الخليج ، وعند احتلاله للكويت ، عبد الله المؤمن وهذه الأسماء كلها أسماء للإستغلال والتزوير - ونرجع إلى مثالنا السابق ، إذ أن طرد السادات - في حينه - للخبراء الروس كان خدمة لآسياده في واشنطن ، وعمله ما كان يعبر إطلاقاً عن موقف إسلامي ثوري ، ولا انطلق من منطلق قرآني . . . بل طرد الخبراء الروس ليأتي بخبراء أميركيين وصهيانية .

. . . ونتوجه الآن بالحديث إلى من شوشت أفكاره ، فغدا لا يعرف كيف يميز بين الإسلام الأصيل والإسلام الأميركي المزيف . .

ونقول لمثل هذا الإنسان :

أنتعتقد أن الإسلام الذي يحالف الشرق أو يحالف الغرب ، ويأخذ تعاليمه منها هو إسلام أصيل ؟ أم الإسلام الحقيقي هو إسلام الثورة الإسلامية الحرة القائدة التي تعمل لإستيعاب طاقات جميع القوى الداعية للتغيير باتجاه الثورة الإسلامية الأصلية ؟ .

وأي إسلام ذاك الإسلام المحالف والمصالح لإسرائيل - الجرثومة السرطانية في جسم الأمة - إنه إسلام النفاق والخيانة لله ولرسوله وللسلالة والتاريخ .

إنّ في ذلك ، عملية تزوير للحقائق وإلباس الباطل ثوب الحق . .

ولكن ما رأيكم في قول من يقول ، إن الدول العربية كانت وما تزال تعيش خارج عصرها ، لأنها تحتج دائماً باسم الإسلام على أي حدث أو مشكلة تعترضها ، ولا تراعي خوف الدول الكبرى من الإسلام .

ونحن نقول مع من قال إن الدول العربية تعيش فعلاً خارج عصرها ، لا لأنها تحتج باسم الإسلام في بعض الحالات ، وتحاول أن تزعج الإستكبار ، وفي كثير من الحالات عن غير قصد ، أو لأنها لا تعلن لا إسلاميتها بتبرئها من أي ارتباط بالإسلام ، وأنه لن يصدر عنها أو منها أي عمل (إسلامي) يخيف الدول المستكبرة . . .

أجل ان هذه الدول تعيش خارج عصرها لأنها لا تملك الجرأة على أن تخلع ثوب الحياء لتظهر حقيقتها السياسية فهي تخشى دول الإستعمار فتسايرها على حساب المبادئ المخلصة للشعوب المستضعفة ، وتخشى من شعوبها فتسايرها على حساب حقيقتها ، ومصلحة شعوبها ، فلا هي تعلن عداها للإسلام بأن تسفر عن وجهها الحقيقي ؛ ولا هي تتبنى فعلاً الشرائع والمناهج الإسلامية فتكون بذلك دولاً إسلامية حقيقية .

والخيار الوحيد أمام العرب والمسلمين عامة ، ليس إلا سلوك طريق الثورة الإسلامية ورفع شعار (الله أكبر) كشعار سياسي فذ والإنطلاق نحو البناء الداخلي والجهاد في سبيل تحرير الإنسان والأرض من جبابرة العالم ، وتعميق خوف الجبارين من قوة الإسلام ، وإذا ما ثار الجبابرة في وجه الإسلام فسيحطمهم الإسلام بوحدة الكلمة وكلمة التوحيد .

إن القوة الكامنة في الإسلام لا تفعل فعلها في الأمة ، وضد الإستكبار إلا إذا نهض المسلمون وأخذوا بأسباب التقدم على أساس الإسلام ، وحاربوا أسباب التخلف والتفرّق وتوحدوا على كلمة التوحيد ، ولكن كيف يتم ذلك ؟ .

. . . من الواضح أن المسلمين ، يعيشون حالة التشّت والتمزق ، في جميع أمورهم وشؤونهم إجتماعياً وسياسياً ، وأهدافاً ومنطلقات وارتباطات ، لذلك

صار لزاماً على العاملين لخدمة هذه الأمة ، والساعين لنهضتها ، إن يسعوا لإخراجها مما هي فيه ، وذلك :

١ - بتحديد أسباب التشتت والضعف والتخلف .

٢ - وصف الدواء الشافي لأمراض الأمة .

٣ - إعطاء الدواء بالمقادير التي تؤدي إلى شفاء هذه الأمراض ، حسب إرشادات أطباء الأمة من قياداتها الواعية المؤمنة المخلصة .

٤ - الحمية والوقاية ، من كل ما يؤخر شفائها من عللها ، أو يعطل فاعلية الأدوية الموصوفة لها .

٥ - الحذر الدائم والانتباه الدقيق ، من أجل عدم الوقوع في أي خطأ قد يؤخر تقدم صحتها عقائدياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ، وأخلاقياً ، وفي جميع المجالات :

وهو ذا سؤال يطرح نفسه :

من هم أولئك الذين سيعملون عبء النهوض بالأمة ؟

- هل هم الذين فتنوا في الحضارات الغالبة والذين يفرحون بتفوق أسيادهم من المستعمرين ويصفقون لانتصاراتهم ، ويتبعون خطاهم ، ناسين وجودهم الذاتي ، ودورهم الحياتي ؟

- وهل هم العملاء الفكريون ، الذين يرددون شعارات الغرب ، بلا تمحيص ولا دراسة ، ولا تنبه لصلاحها أو فسادها ، ويقولون ، عقولهم وأفكارهم ، بقوالب مستعارة ، أو يصبغونها بأصباغ محلية ، أو قومية ، ويحسبون أنها « أصبحت بضاعة أصلية » ، وينسون أن الصباغ لا يغني عن اللون الأساسي وأنه من العار ، أن تفخر المرأة القرعاء بشعر ابنة خالتها ؟ .

- وهل هم العملاء السياسيون ، الذين باعوا أنفسهم لمخططات الأجانب المستعمرين ، ومشاريعهم الهادفة إلى استعباد الشعوب المستضعفة ، ونهب ثرواتها ، وتكبييل إرادتها الحرة ، وانطلاقتها نحو الرقي والتطور ، لكي يتمكنوا ، من تحقيق مصالحهم ، التي لا نهاية لها ولا قرار ؟ .

- وهل هم المتزمتون ، من الجاهلين بالإسلام ، الذين فهموه ، تفوقاً ، وهروباً من المجتمع ، وانزواءً ، وطقوساً ، وطققة سبحات ، وتمتعات ؟ . .

- وهل هم المتدينون على الطريقة الباريسية أو اللندنية ، من دعاة الديمقراطية الغربية ، والعلمنة الأميركية أو الألمانية ، التي تريد أن تحصر دور محمد بن عبد الله (ص) ، رسول الله إلى العالمين ، ضمن مسجده في المدينة ، وتقطع عليه الطريق إلى بدر ، لمحاربة الشرك ، والرجعية ، والإنحطاط وتريد أن تمنعه من إقامة دولته في المدينة المنورة ، لكي يبقى اليهود مسيطرين ، على يثرب يتحكمون بالناس ، وبحياتهم ومصائرهم !!

. . . والتي ترغب أيضاً في منع علي بن أبي طالب (ع) ، من مهاجمة أجداد الصهبانية في خيبر ، ليبقى العتل الزنيم « مرحب اليهودي » يتبختر على شرفات الحصن .

. . . والتي تريد أن تقول لأمر المؤمنين (ع) : لا يحق لك أن تحكم ، ولا يحق لك أن تكون إماماً وقائداً ، فالدين شيء والمجتمع شيء آخر ، ويشاؤون ، ويشاء الله ، وتسقط هذه المقولة إلى الأبد ، بانتصار ثورة الإسلام في إيران ، ويعود حفيد ابن أبي طالب (ع) ، ليعلنها دولة إسلامية ، على نهج دولة محمد (ص) وعلي (ع) ، والتي نرى ملاحظتها في نهج البلاغة ، في عهد الإمام علي (ع) إلى واليه على مصر ، مالك الأشر ، والواقع أن طلائع النهضة : وحمة الراية ، وقادة الأمة ، وثوارها بلا زيف ولا دجل ، هم أولئك الذين ثوروا وتنتفض دماؤهم في عروقهم ، أسفاً ، على ما وصلت إليه أمتهم من تخلف وانحطاط ، وأملاً في صناعة المجتمع المؤمن المتقدم ، أولئك الذين أضواء الوعي المخلص أذهانهم ، وملاً الإيمان الواعي قلوبهم ، وتحركت جوارحهم تسعى في سبيل الله ، منفذة أوامره ، مطيعة ، ذاعنة ، عابدة ، ساجدة ، راضية ، هادئة ، مطمئنة ، ساعية كادحة عاملة ، مجاهدة ، باذلة الأموال ، مضحية بالأنفس من المتاع ، والأنفس ، لا تريد علواً في الأرض ولا فساداً ، ولا مناصب ، ولا مكانة ، ولا مسؤوليات مزيفة ، ولا جاه ، ولا ديناراً ولا درهماً ، ولا دولاراً ، تعمل لله وتعيش من أجله ، وتطمح لرضاه ، وأولئك هم الفائزون . . .

والتشئت والتخلف ، الذي ابتليت به الأمة ، هو فردي وجماعي ،

والشكلاَن يؤثران على بعضهما ، تأثيراً مباشراً ، فتخلف الأفراد يؤدي إلى تخلف المجتمع ، وتخلف المجتمع ، سببه تخلف مجموع أفرادهِ ، كما أن تخلف المجتمع ، يضع العراقيل في سبيل تطور الأفراد الذين تقذف بهم الحياة ، داخل المجتمعات ، بحيث أنهم يولدون ولديهم الإمكانيات الفكرية والعملية ، إلا أن فساد الوضع الاجتماعي ، نجول دون نموهم وتطورهم وتأثيرهم . .

وكلامنا الان ، ليس عن التخلف الطبيعي ، التكويني ، وإنما عن التخلف الإرادي أو القسري ، الذي يفرض على الناس فرضاً ، من قبل قوة أو سلطة أو زعامة أو جماعة . . .

الشكل الأول : التخلف الفكري والثقافي :

١ - التشويش العقائدي : أن العقيدة العسقة ، هي الركيزة الأولى ، لبناء المجتمع المتناسك ، لأن العقيدة هي الكاشفة ، لحقيقة وجود الإنسان ، والراسمة له شوطه في الحياة والمحددة له الأهداف والقيم والمقاييس . . بحيث يتعرف على الكون والحياة ، تعرفاً يبنى على أساس الوعي والحرية ، وبقدر تكامل الوعي ، نعيش حقيقة الحرية الداخلية ، التي هي المنطلق الأول للحرية الخارجية (في المجتمع) ، والتي تتحقق ، بشكل عفوي ، ضمن إطار القيم والمناقبيات والأخلاق الإسلامية .

ومجتمعنا الإسلامي ، بشكل عام ، يعيش اليوم ، « كوكيتيل » عقائد وايدولوجيات ، وكل ذلك كان نتيجة لانبهار الناس ، بمظاهر الحضارة المادية الغربية ، وخدعها ، بحبث أنهم توهموا ، أن التقدم الصناعي والتقني ، كان بسبب ، اعتناقهم لمبادئ الحادية أو علمانية ، أو بسبب إبعادهم الدين عن مجالات الحياة الاجتماعية ، وظنوا ، والظن لا يغني عن الحق شيئاً ، ان أساس تخلفنا ، هو المسجد ، والعالم الديني ، والقران ، والصلاة ، وحشمة المرأة وحجابها الشرعي ، وكلمة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وكلمة السلام عليكم كتحية ، والتطهر من النجاسات ، وعدم شرب الخمر ، وعدم النظر المريب إلى النساء ، وعدم الاختلاط ، وأن الحل هو في التعري والزواج الجماعي ، والتحلل من الأخلاق ، وخلوة النساء بالرجال ، واستبدال شعار لا إله إلا الله بشعارات

الحادية ، وكلمة السلام عليكم ، (بيونجور وبون سوار) .

... وأن يمنع الدخول إلى المساجد ، إلّا لبعض كبار السن ، فإنه لا خطر منهم ، لأنهم راحلون عما قريب ، إلى تحت التراب ، أما من يفعل ذلك من الشباب ، فإنه يتعرض لحملات السخرية والتشهير والوصف بالجمود والرجعية ، وغاب عن هؤلاء أن المصانع التي رأوها في الغرب ، قد وضعت تخطيطاتها في مساجدنا ، على أيدي علماء المسلمين أمثال ابن حيان ، وابن الهيثم ، وابن سينا ، والخوارزمي ، وغيرهم وغيرهم .

وهكذا حصل الإرتداد العملي عن الإسلام ، والعودة إلى الجاهلية ، وضاعت المقاييس الواقعية ، وتبدلت النظرة إلى الدين ، وخلقوا هوة بينه وبين الحياة ، وعممت القاعدة الإستعمارية الغربية القائلة : من أراد الدين عليه أن يرفض الحياة ، ومن أراد الحضارة عليه أن يكفر بالله ، ويؤمن بالمادة ، أبدية أزلية ، لا تنفي ولا تزول . .

واختلطت المفاهيم ، وفقد ميزان الإيديولوجية الصحيحة ، وصار التدين رجعية ، والهرطقة ، والزندقة ، والإلحاد تقدمية ، وعصرنة . .

وسادت عقائد متناحرة ، متصارعة ، مع كونها مقنّعة ، لأنها قد شربت من ماء واحد ، وتغذت على مائدة الغرب والتغريب ، واستقرت على بساط العصر والعصرنة ، وما اختلاف بعضها عن البعض الآخر ، إلّا كاختلاف أنواع الخمور فيما بينها ، والمخدرات بتنوع أشكالها وطرق تصنيعها ومفعولها على الجمجمة البشرية ، والإحساس بالإنسانية .

والآن نعود لنعرف موقف المتدينين من التهم والحملات والدعايات التي تشن عليهم . الحقيقة ، ان هؤلاء قد وقفوا ثلاثة مواقف :

الأول : منهم من جرفه التيار ، وردد مع عملاء الإستعمار ، مقولة اللاإيمان ، نتيجة ضعف في إرادة الصمود عنده ، وسقوط في مستنقع الإغراءات المادية والشهوانية الملوثة ، التي سهّل له طريقها ، ومنح بطاقة الدخول البيضاء ، إلى مختلف الخلوات ، في البيوت والمؤسسات ، وطحن بحضارة الآلة الغربية ، وبدت آثار المسخ الإفرنجي ، على لباسه ، وأفكاره ، وسلوكه ، ودراسته ،

وليأقافته ، وحرّم على نفسه قول بسم الله الرحمن الرحيم ، واستعاض عن السلام القرآني ، بهز الرأس إلى الأمام ، أو برفع اليد ، أو التصفير أو التصفيق ، أو (مرسي كثير) .

الثاني : الموقف الثاني لقلة من المتدينين ، هو اختيارهم العيش في زوايا المساجد ، والتقوقع على الذوات ، وهجران المجتمع والحياة ، وذلك بسبب عدم قدرتهم على خوض الصراع الفكري والاجتماعي والحضاري . . . ووقعت المأساة ، والقلوب تحترق أسى وألماً على مصير العقيدة ، والأمة . . .

الثالث : الفئة الثالثة ، آمنت بوضع التشريعات الدينية في متحف التاريخ ، وردّوها - مشوهة - إلى الأنبياء ، واعتقدوا - عن جهالة ، أن الزمن قد تجاوزها ، والحياة قد تحطّطتها ، وعملوا على أن تصعد الأديان من الأرض إلى السماء ، بدل نزولها من السماء إلى الأرض ، وأصبح لدينا بدل الأديان السماوية ، أديان أرضية ، وأذاعوا على الملأ ، مقولة ، لطالما حاربها رسل الله ، وهي إبعاد الدين عن الحياة والمجتمع ، وقالوا ، بصريح العبارة ، وواضح الكلام : « . . . إن الحكم على أساس الدين كان يصلح ولا يزال حين كان الإنسان لا يزال في طور بربريته ، أو قريباً منها ، أما في عصرنا الثقافي فإنه لم يعد يصلح » وأتى هذا الكلام ، بمواجهة الآيات القرآنية القائلة :

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

فمن نصدق ، وبأي كلام نأخذ ، أبكلام الله ، أم بكلام البشر ؟ .

أنصدق القرآن ، أم نصدق آراء من أوله نطفة ، وآخره جيفة ، وهو بين ذلك وعاء قاذورات ، كما قال الإمام علي(ع) .

الشكل الثاني : التخلف التربوي والانحطاط النفسي

الدراسة النقدية لأوضاعنا النفسية والتربوية ، تظهر أن التعليم الحديث

اللاإيماني بمضامينه ، وغاياته ، قد جنى على جيلنا أكبر جناية ، كما يرى أحد الباحثين ، إذ اعتنى بتثقيف اللسان ، وحشو العقول بالمعلومات ، ولم يعتن بتغذيتها ، ولم يشعل العاطفة لتتعلق بالخير ، فنشأ جيل غير متوازن القوى ، وبعدت الهوة بين مختلف أبعاده العقلية والعاطفية ، والعلمية والعقيدية .

أما واقع الجيل الحاضر ، فإنه بأغلبه جيل رخو ، نايلوني ، قد نزعوا من قلبه العاطفة الإيمانية ، والخوف من الله ، حتى بات سهلاً عليه التحلل من الأخلاق ، والتفلت من أطر النظام الاجتماعي ، وغدا حاقداً على أهله لأنه يعتبرهم ، أدنى منه في المستوى ، وأقل ثقافة وعلماً ، وعُلم جيلنا أن يتعلم من أجل المال والراتب ، وفي بعض الحالات من أجل المباهاة ، لا من أجل اكتشاف الحقيقة ، والبحث عنها .

وأما مساوئ المناهج التربوية ، الغربية ، المعتمدة في مدارسنا ، وجامعاتنا فإنها :

١ - تحبب إلى الشباب البطالة ، وتغريهم بالراحة . . . في حالات كثيرة .

٢ - وترغبهم بالثراء ، والبدخ والترف .

٣ - وتحدث عندهم الفوضى الفكرية ، نتيجة التقليد للغرب ، واعتناق أفكاره التي لا تنسجم - بحال - مع تراثنا وعقائدنا ، ومفاهيمنا ، لذلك يحصل التشتت بين الجديد الوافد من الأفكار ، وبين الأصيل ، القائم في أعماق النفوس ، ويشور البعض ، ظاهراً على أصالته ، ويخسر أكثرهم شخصيته المستقلة ، وتفكيره الحر ، ليعيش على فتات الموائد الفكرية الغربية ، ويستمر في ترداد نظرية ما من النظريات الغربية المشهورة حتى يقوم عالم غربي ليقول بخطأ النظرية المعينة ، أو أن ينتقدها في بعض الجوانب ، عند ذلك نرى موجة من الإنحسار ، والتراجع تجتاح أوساط الشباب ، ويذمون ما مدحوا بالأمس ، ويمدحون ما ذموا البارحة .

٤ - الجمود على الأساليب والطرق الغربية واعتبارها الغاية ، وعندها يتحول الأسلوب إلى هدف فتفقد المرونة ، ويحدث الخلط بين الوسيلة ، التي يمكن أن تتبدل ، والغاية الثابتة .

٥ - تفرغ العقول من الحقائق الإلهية ، وزرع المفاهيم المتقلبة عن الحياة ،
أو التي ترى الحياة بعين واحدة .

٦ - ضعف الروح المعنوية في الشباب نتيجة لجميع ما ذكرنا من أسباب .

ويخاطب الدكتور محمد إقبال ذلك المثقف الغربي قائلاً : « ليس وجودك إلا
تجلي الإفرنج ، لأنك بناء قد بنوه . هذا الجسم العنصري فارغ من معرفة
النفس ، فأنت غمد محلى بغير سيف ، وجود الله غير ثابت في نظرك ، ووجودك
أنت غير ثابت في نظري » .

وضعف المعنويات ، أدى إلى إشاعة روح اليأس والتخاذل والإتكالية ،
فصار الوقوف بوجه الأزمات عند كثير من الشباب مستحيلاً - والإعتماد على
الذات مفقوداً ، وذلك يعود للممارسات غير المنطقية ، من قبل كثير من الجهات ،
وذلك بشراء الأشخاص للعمل في اتجاه سياسي معين ، حيث تدفع الرواتب
الكبيرة ، والمخصصات الوافرة ، والإغراءات بالسلاح والمناصب والمسؤوليات ،
وهذا يشبط عزائم الشباب ، ويعودهم على الكسل ، والتراخي في الواجبات ،
والتواني في تنفيذ المهمات ، ولهذا صاروا يفكرون أن العمل تعب وشقاء ، ما دام
المال يأتي بلا سعي ، وأن التوكل على الله خرافة ، وأن الإستسلام ، ومسح أجواخ
المستكبرين والظلمة والفاسقين والحاكمين والمستعمرين ، وخدمتهم والتعاون
معهم ، وظيفة يُسعى من أجلها ، وغاية سامية .

إنها هزيمة في داخل النفوس ، تتبعها هزائم إجتماعية . . . على مستوى
الحياة .

دور الإستعمار في الإنحطاط النفسي والتخلف التربوي

وواضح أن الإستعمار الأوروبي رصد الميزانيات الضخمة ، لغزو أمتنا ، في
جميع مرافقها ، وجوانب حياتها ، وذلك عن طريق التبشير باسم العلم ،
والإنسانية والمستشفيات والمدارس وقد قاموا بخطوات كثيرة نذكر منها :

أ - إثارة الشكوك العقائدية .

ب - تكريس المناهج الأوروبية في المعاهد ، وفق مخطط يقضي باستعمار

الأمة ثقافياً ، وهذا ما يسهل أمامهم الطريق لربط الأمة بكاملها بعجلة السياسية الإستعمارية ، لاستغلال الخبرات ، وتصريف المنتجات . . .

يقول القسيس صموئيل زويمر : « . . والتعليم المدرسي والتربية الأخلاقية الغربية ، قد أسفرا عن نتائج جمة ، وأثمرتا ثمرات نافعة في الأطفال والمراهقين على السواء . . . لقد استطعت أن أقنع التلاميذ ، وأن أضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة الأرضية ، ثم حولت عليها نوراً ، قوياً ، وأقنعتهم أن الأمر بصيام شهر رمضان ليس آتياً من عند الله » .

وجاء في مذكرات طه الهاشمي أن مس بل طالبت باستخدام الضباط المتقاعدين الذين خدموا في الجيش العثماني ليكونوا في الجيش العراقي ، فأجابها مسؤول بريطاني ، كان يعمل في السفارة البريطانية : كيف نستخدم هؤلاء الضباط في الجيش العراقي الجديد ، وهم من هم وطنية وأخلاصاً !! إنهم سينشؤون جيلاً وطنياً لا غبار عليه ، فابتسمت مس بل بخبت وقالت له : لا نخشى شيئاً : إن المستر « اكس » في المعارف هو المسؤول عن تربية الجيل الجديد .

الواقع أن نظام التعليم الغربي ، هو محاولة خبيثة خفية ، وعميقة تهدف للقضاء على عقيدتنا ، وديننا ولبلة نفوس أبنائنا . . ألا نشاهد هذا بين شبابنا الذين يستحون أن يقرأوا آية من القرآن الكريم ، أو لا يعرفون كيف تقرأ ، مع أن القرآن كتاب عربي اللغة ، مبين ، ألا يظهر هذا من السفور المتعمد ، من قبل الكثيرات من فتيات الجيل ، الذي تربى على أساس مناهج الإستعمار ، ألا نرى أن الدعوة إلى الخشمة والفضيلة أمر مستهجن ، وما المانع من الجلوس والمعاينة ، والرحلات المشتركة . إن هذا الفساد تعدى الصغار إلى الكبار ، والمراهقين إلى الكهول والشيب ، والمسؤول عنهم إلى المسؤولين . .

وقد عبّر عن سياسة المستعمر - هذه - الشاعر « أكبر » ، فقال : « أن أهل الشرق يقضون على العدو بشرخ رأسه ولكن الغربي يغير طبيعته وقلبه » .

التخلف الإجتماعي والسياسي

إن مجتمعنا يعاني من أزمات إجتماعية حادة ، إذ أن القلق بعم مختلف مرافق

الحياة الإجتماعية . . . وهذا من أوضح الواضحات . . والمطلوب معرفة السبيل إلى النهوض . . . والخطوة الأولى هي تشخيص الداء لوصف الدواء ، وعلى هذا فإن مظاهر التخلف الإجتماعي ، تتمثل في نقاط عديدة منها :

١ - التفرقة والتصنيف : معلوم أن مجتمعنا الإسلامي ، ليس مجتمعاً واحداً ، ودولة واحدة ، بل مجتمعات ودول تتجاذبه شعارات التفرقة ودعوات التقدمية ! ومرات دعوات بلا إسم أو شعار ، وتسود روح البغضاء ، والحسد ، والإشمئزاز وقد فقد المجتمع ، نتيجة لذلك ، تماسكه الداخلي ، وفتش أصحاب الغايات السافلة ، عن معايير رجعية ، ومقاييس جاهلية ، لتفكيك ما ارتبط من أواصر الأمة على أساس المذاهب والطائفيات والعصبية والعشائريات ونزعات التعصب للقوميات والأوطان ، وللحزبيات الضيقة ، التي تغذيها المصالح الشخصية مما جعل أدعياء الفكر وأصنام السياسة المنحرفة ، وزبانية الشورية المراوغة ، يتغلغلون بين جماهير الناس ، من العامة والخاصة ، عن طريق القيادة الفردية والعمل المنظم الذي يركز على أهداف إستغلالية ، ومصالحية وذلك بإسهم الشعب والمصلحة العامة ، للتخلص من التسلط وتطبيق العدالة الإجتماعية !! .

٢ - التقليد الأعمى : إن الفراغ العقائدي والثقافي ، ترفده عوامل الجهل بالتراث والدين والدعايات المضللة ، جعلت شبابتنا منفعلين ، غير فاعلين ، يقبلون أكثر ما يعرض عليهم بدون تدبر أو تمحيص .

ولقد أصبح لدى الكثيرين من شبابتنا ، كامل الرغبة والإستعداد للتقليد الأعمى ، فأخذوا القشور والتقليعات ، والمفاخرة بالمظاهر ، والمنافسة على الرذائل ، والتفرنج في أشكال الحياة ، ثم زعمنا أن جهلنا هذا ، وممارساتنا للتجهيل ، مقدمة للتحرر من الجهالة والجهلاء ، وتحقيقاً للعدالة وأية عدالة تلك التي نسعى إليها بالظلم والفساد !!

إن ما عملناه ، هو تمهيد لضرب أصالتنا الإسلامية ، وجذورنا القرآنية ، وإبعاد لنا عن مبدئنا الرباني ، وبعدما صرنا كورقة يابسة في مهب الريح ، أو كالميت بين أيدي المغسلين كما يقول المثل الشعبي .

فإذا أمطرت في باريس ، حملنا المظلات داخل بيوتنا . .
 وإذا أصيبت موسكو بالزكام عطسنا ، وبكيننا . . .
 وإذا تصارع رعاة البقر في أميركا ، عبسنا وملأت الكآبة حياتنا . . .
 وإذا لبست غانية أو سافلة ، في لندن ، ثوباً قصيراً ، خلعنا ثيابنا . . .
 وتعربنا .

وإذا قال ملحد من أقصى الأرض ، الدين أفيون الشعوب فتحنا أفواهنا
 وصرخنا بأعلى صوتنا ورددنا ما قال بلغة عربية فصيحة !!

٣ - العادات السيئة : إن عادتنا قد تأثرت بمظاهر الفساد والانحطاط ،
 وغدت بدون هدف أو غاية إلا هدف هدر الطاقات ، وصرف الأموال ،
 بالإنفاق والتبذير . . . فعاداتنا في الزواج والولادة والحياة والموت ، ذات أصول
 ومظاهر انحطاطية ، لأنها لم تبَنَ على الأسس الإسلامية بل على ما بثته قوى الشر
 فينا ، وما أرادته لنا الأجهزة التي تبغي القضاء على حضارتنا ، ورغم واقعنا
 السيء فإننا لا نفتش عن أخطائنا ، وعن أسبابها ونتائجها ، بل عن اللوم على
 المجهول « وعندما يدخل عنصر المجهول في أية أمة ، فإن ذاتية الأمة تغيب في عالم
 المجهول أيضاً » ، كما قال بعضهم .

٤ - الانحطاط الخلقي : إن الميوعة والانحطاط الخلقي ، الذي يكتسح
 مجتمعا ، هو الجرثومة الفتاكة التي تهددنا بسوء العاقبة وهذا من الأمور الواضحة
 لدى التقدمي والرجعي واليميني واليساري فضلاً عن المؤمن بالله ورسوله
 ورسالاته .

أما مظاهر التخلف السياسي ، فإنها تتجسد في أمور كثيرة .
 ويمكن أن نقول : ان تخلفنا السياسي يتمثل بالسطحية والأخذ بظواهر
 الأمور وابتعاد الأمة عن واقعها السياسي وتدبير شؤونها على أساس ربط الأبعاد
 الداخلية والخارجية ، وأن المنطلق لم يكن من تراثها وأصالتها في كل الحالات .
 كل ذلك يعود إلى فساد أنظمة الحكم المستندة إلى النظريات الوضعية .
 لذلك تميزت حياتنا السياسية بتزييف الحقائق وفساد الإدارة ، فانتشرت

الرشوة ، وعمت المحسوبيات والسرقات والظلم والعمالة للأجانب .
ثم أن عالمنا الإسلامي يفتقد الفهم السياسي الصحيح هذا بصورة عامة ،
على اعتبار أن السياسة هي فن رعاية أمور الناس وتديرها ، كما يفتقد عالمنا
الأهداف السياسية الصحيحة ، ويفتقد العمل السياسي الصحيح ، باستثناء
الفتح السياسي العظيم الذي حققته الثورة الإسلامية في إيران والحركات المتبينة
للإيديولوجية الإلهية الواقعية - الثورية .

من أسباب التخلف السياسي

١ - إختلاط المفاهيم والموازين : من الناس من يعتبر أن الإسلام رأسمالي ،
ومنهم من يقول إنَّ الإسلام اشتراكي ومنهم من يقول إنه تقدمي وآخرون يقولون
أنه رجعي الخ . . . ويبقى الإسلام هو الإسلام ليس إلّا .

٢ - عدم المبالاة بالقضايا العامة : وما يظهر من اهتمام البعض إنّما منشأه
يعود إلى الإهتمام بأحوالهم الخاصة ومستقبلهم السياسي ومناصبهم . . . في أغلب
الحالات .

٣ - التخبط في فهم وتفسير الأحداث السياسية :
نحن نرى أن السياسيين المتقدمين يتحدثون عن السياسة من خلال قوالب
جاهزة في الفكر الماركسي مثلاً « الطبقة والإقطاعية والرأسمالية والصراع . . »
وغير ذلك كثير . . . وآخرون يركزون على قوالب في الفكر الديمقراطي
الرأسمالي . . . ومنهم من يخلط بينها . . . فتضيع الحقائق والأهداف .

٤ - محاصرة العمل السياسي الصحيح وفتح أبواب التضليل السياسي في
عالمنا الإسلامي .

٥ - الإطلاع السطحي على الأمور والأحداث وأدوار السياسيين
ونشاطاتهم .

فموشي دايان أعلن في حرب ١٩٦٧ عن الخطة الحربية الإسرائيلية بشكل
ما فسأله الصحفيون عن ذلك فأجاب أنه لا يخشى من شيء لأن العرب لا
يقرأون .

- ٦ - النظرة السطحية للمستعمر . أمثلة على ذلك :
- الإنخداع بأساليب الإستعمار ، الذي يرفع شعارات الوطنية والقومية والتقدمية ليصل إلى مآربه .
- تأييدنا لإستعمار ضد استعمار . .
- الإنخداع ببعض أعمال الإستعمار الإنسانية ونسيان مخططاته الجهنمية .
- ٧ - عدم التخطيط للمستقبل وقصر النفس .
- ٨ - دور السياسة الصهيونية .

استطاعت السياسة الصهيونية ومن ورائها السياسة الإستكبارية العالمية ، المناصرة لها ضد قضية أمتنا أن تخطط لمجتمعنا ما شاءت من الخطط الخبيثة ، وقد كان للمزيدات الأثر الكبير في إبعاد إنساننا عن واقع قضيته ، وخفي عنا الكثير مما يراد لنا ويدرس وراء الكواليس وفي أروقة المحافل الدولية .
ولقد كان للسياسات المخدرة الموجهة بتوجيه الإستعمار ، التي تتبعها أنظمة الحكم لدينا ، دور أساسي في إبعادنا عن معرفة جذور المشكلة ، وإفقادنا الأمل في الوصول إلى الحلول الصحيحة والسياسة الإستكبارية توحى لنا بأنها سوف تكون إلى جانب أعدائنا (إسرائيل وعملائها) ولو اضطر الأمر لخوض حرب عالمية ثالثة ، وهذا يقصد منه إضعاف صمودنا النفسي .

والخلافات والمهاترات السياسية فيما بيننا لا تضعف حتى تشدد ، وصار من الصعب ظاهراً التمييز بين الخائن والمخلص ، وكل هذا لا يبتعد عن أصابع الإستعمار والصهيونية التي تتحرك بكل اتجاه بواسطة منظماتها المشبوهة وأحزابها العميلة ، ورموزها التي تحتل سدة الحكم في كثير من البلدان .
ويبدو التشابه الواضح بين أقوال زعماء الشيوعية ومفكرها ، وبنود بروتوكولات حكماء صهيون . . . (مع الأخذ بعين الإعتبار أفول نجم الشيوعية في العالم) .

يقول ماركس : « أمامكم العالم وعليكم أن تكسبوه » .
جاء في البروتوكولات : « إننا نقرأ في الشريعة أننا مختارون من الله لنحكم العالم » .

وفي البروتوكول الأول : « ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة في أعمال الرشوة والخذية والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غاياتنا » .

وفي البروتوكول الثالث : « إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال ، جئنا لنحررهم من هذا الظلم حينما ننصحهم أن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الإشتراكيين والفوضويين والشيوعيين ، ونحن على الدوام نتبنى الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية وهذا ما تبشر به الماسونية الإجتماعية » .

التخلف العقائدي - الإيماني

من أسباب التخلف الشامل الذي ابتليت به الأمة هو الفهم الخاطيء للإيمان والتدين ، الذي يقضي بأن التعامل مع الدين يكون على قاعدة أن الدين ينبغي أن لا يهتم إلاّ بالأمر التي يسمونها (روحية) ، وأنه لا بد من فصل الدين عن الدولة والسياسة والحياة والمجتمع .

ولقد كان ذلك سبباً مهماً وأساسياً لتخلفنا عن ركب الحضارة ، وعامل من عوامل الإنهزام أمام القوى الكافرة . . . وهذا كله يحتم علينا أن نتعرف إلى حقيقة الإيمان وماهيته ، فما هو يا ترى ؟ .

الإيمان نظرية وتطبيق ، هل هذا صحيح ؟

إنّ الإنسان ، منذ أن وجد ، وهو يسأل أن يتعرف إلى حقائق الحياة والأشياء ، من خلال التعرف إلى الوجود وه' فيه من كائنات وموجودات ، فيتساءل عن موجدتها ، وعن هدف وجودها ، وعن هدف وجوده هو والغاية منه .

إن النظرية التي يكونها الإنسان عن الكون والحياة والكائنات ، ومحاولة التعرف إلى بدايتها ووظيفتها والغاية من وجودها ، كل ذلك يجعل الإنسان يستنتج أفكاراً ، ويوقن بها ، محاولاً إثباتها وتقديم الأدلة عليها . . . باعتبارها نظريته في الحياة . . . وقد قيل : إن النظرية هي بناء تصوري يبنيه الفكر ليربط بين مبادئ ونتائج معينة . . .

وعلى المستوى العلمي ثمة فرق بين النظرية العلمية ، والقانون العلمي ، والنظرية العلمية تبقى مجرد فرضية حتى تثبت بالدليل والبرهان ، عند ذلك تتحول إلى قانون علمي ثابت .

وأما على مستوى الفكر والاجتماع والسياسة ، فإن النظريات ، عادةً ، منحوى بمرتكزة على أساس الواقع المعاش ، والظروف المحيطة ، وتكون عرضة للخطأ والصواب ، والنظرية - كما قيل - هي الافتراض الاختياري الذي خضع لرقابة العقل والنقد العلمي . . . ولا بد من تعديلها على ضوء ما يكتشف من وقائع وقوانين جديدة . ونحن ، عندما نستعمل مصطلح النظرية بالنسبة للإسلام كأن نقول : نظرية الإسلام السياسية أو النظرية الاقتصادية الإسلامية أو غير ذلك ، فإننا نستخدم هذا المصطلح من باب التجوُّز ، لا بالمعنى الذي جعلت له كلمة نظرية من الناحية العلمية ، بل بمعنى النظرة إلى المسألة الكدائية ، وذلك لأن الإسلام هو خط رسالي ، ومنهج كامل متكامل في أسسه وقواعده ومنطلقاته لبناء الحياة ، وهو عقيدة شاملة ، وفكر حي حركي ، وأدلتته منه وفيه ، وهو في نهاية الأمر ، مبدأ وليس نظرية بالمعنى الذي ذكرناه ، وهذا المبدأ يتصف بالمرونة ، والحيوية ، والشمولية وهو يحوي عقيدة مفسرة للكون والحياة ، ومحددة للغايات والبدائيات والنهايات ، وعلى قاعدة هذه العقيدة تتأسس التشريعات ، والتعاليم ، والمقاييس ، والقيم والأهداف ، لبناء المجتمع ، وصياغة الحياة .

وعلى هذا ، فإن الصحيح هو أن نستعمل بدل كلمة نظرية ، كلمة نظرة فنقول ، على سبيل المثال : النظرة الإسلامية إلى العلم ، أو إلى العمل أو الأسرة أو الاقتصاد . . .

ويرى بعض المفكرين أن النظرية إذا اعتبرت كاملة فإنها تصبح حينئذٍ مذهباً ، والواقع أن المذهب هو نظرية بالنسبة لمن لا يؤمن به ، والنظرية تتحول إلى مذهب إذا جعلت فوق النقد والاختبار . . .

ي . . . أما بخصوص المبدأ الإسلامي ، فإننا لا يمكن أن نطبق عليه هذه المقاييس بحثاً أفرها ، لأنه يختلف عن كل المذاهب والنظريات في طبيعته ومصدره وأطره وغاياته ، وإننا لا نجد فرقاً كبيراً بين ما يسمونه مذهباً أو نظرية ما دام مصدره .

بشرياً ، لكونه يخضع لسنة الخطأ والصواب والتطور والتبدل حسب ما يستجد من أمور وما يكتشف من قوانين . . . أما الإسلام ، في جميع جوانبه فإنه مبدأ كامل لأنه صادر عن الإله الكامل ، وهو مبدأ شامل لأنه من الرب الذي أحاط بكل شيء علماً ، وهو متطور وصالح لكل زمان ومكان ، لأنه يقوم على أساس الاجتهاد واستنباط الأحكام النازمة للمستجدات من الأحداث انطلاقاً من القواعد الكلية ، وهو مبدأ إنساني لأنه من رب الناس ، وإلههم ، والعالم بكل ما ينفعهم وما يضرهم .

والإسلام لا يفصل إطلاقاً بين القول والعمل أو كما يقال ، بين النظرية والتطبيق ، الذي يعني عملية تنفيذ الأحكام والتشريعات الإسلامية ، وأن أية عملية فصل بين التصورات والتطبيقات الإسلامية تهدف إلى فصل الإسلام عن الحياة ، وهي تشبه الفصل بين الروح والجسد .

قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [١] .

فالإسلام يرى أن لا قيمة لإيمان ظري لا يترجم على مستوى الواقع الحياتي ، والإيمان ، من وجهة النظر الإسلامية ، عمل كله ، والقول بعض ذلك العمل ، والإيمان والعمل - كما في الحديث - إخوان شريكان في قرن لا يقبل الله أحدهما إلاّ بصاحبه ، ولا يقبل إيمان إنسان بلا عمل ، ولا عمل إنسان بلا إيمان ، والإيمان يزيد وينقص ، ولو كان الإيمان مجرد كلام وشعارات لم ينزل فيه صوم ولا صلاة - كما يقول علي (ع) ولا حلال لا حرام . . .

الإيمان التبقيضي إيمان مزيف

لهذا كان لا بد من التوفر على فهم صحيح للإسلام ، لنطلق على أساس هذا الدين ، في رحاب الحياة فنحقق في الواقع فعل إيماننا في المجالات ، مصححين الفاسد من الأمور ، والإشتباهات فضلاً عن الشبهات ، وخصوصاً

[١] سورة الصف : الآية ٢

اتلك التي تصوّر الإسلام وشعائره طقوساً تؤدي لا شعائر تربوية ثورية تثويرية أو عبادات جامدة غير مفهومة ومفرغة من المضمون . . . بل كل شعيرة تبعث روحاً في الروح وحياة في الحياة يضاف إلى ذلك الفوائد الفردية والجماعية المتنوعة . . .

ولقد أصبح واضحاً أن قضية انفصال الإسلام عن الحياة خرافة ، وأن العمل على فصله عن المجتمع ، وحصره في المسجد ، وإبعاده عن قيادة الحياة مؤامرة ، وأن الذي يؤمن بفصل الدين عن الحياة يريد أن يفصل الخالق عن خلقه والرب عن مربويه ، وينسون أن الحاكمية لله تعالى في الكون والحياة وعالم الإنسان وكل العوالم ، وأنه هو المدبّر لشؤون الحياة والناس والمجتمعات ، لذلك فإنّ مبدأ فصل الدين عن الدولة مبدأ مشبوه ولا يقوم على أساس واقعي ، وفهم معتمّق لحقيقة الدين الإسلامي ، فضلاً أن مصدر هذه المقولة الفاسدة أوروبي ، استكباري ، علماني (من عالم وليس من العلم) ، له أسبابه وظروفه التاريخية وجذوره العقيدية والحياتية .

إنّ الإيمان التبقيضي بالإسلام إيمان نفاقي وقد قال تعالى : ﴿ أفؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾ [١] .

إن الخضوع الطوعي للمناهج السياسية والاجتماعية والتربوية . . . غير الإسلامية والقبول بها ، يعني الخضوع لغير الله ، وبالتالي فإن ذلك يعني الشرك بالله وقد قال تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [٢] .

والإيمان - باختصار - هو طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم على الناس ، لذلك كان الإيمان منهاج الحياة كلها ، الذي يقدّم باستمرار خرائط التغيير ، ويشكّل دافع الحركة الحياتية نحو التكامل ، وقد قال علي(ع) : « بالإيمان يستدل على الصالحات وبالصالحات يستدل على الإيمان » .

والخطوة الأولى لعيش الإسلام كما هو ، (مبادئ تصورية وتطبيقات

[١] سورة البقرة : الآية ٨٥ .

[٢] سورة يوسف : الآية ١٠٦ .

عملية) ، تبدأ مع الإنسان في تربية نفسه وتعليمها ، وتكوين القناعات التي تخلق المشاعر المتوهجة الرابطة للفكر بالعاطفة . قال تعالى : ﴿ أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [١] .

ويخاطب الرسول (ص) ابن مسعود قائلاً له : « يا ابن مسعود ، فلا تكن ممن يشدد على الناس ويخفف على نفسه ، يقول الله تعالى : ﴿ لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ [٢] .

إن هذا الإنسان يحدث الناس بما يجدون فيه الصعوبة والمشقة ، مشدداً ومؤكداً عليهم ، بينما تراه يعطي لنفسه الأعداء ، ويتخلى عن الواجبات ولا يحاسب نفسه ، يقول في الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراغبين . . . ينهى ولا ينتهي - كما يقول الإمام علي (ع) - فهو بالقول مدلل ومن العمل مقل . . . [٣] فهو ممن يهدي الناس إلى الخير ويأمرهم بالخير وهو غافل عنه ، كما في التوجيهات النبوية .

ويقول الباقر (ع) : « . . . ما أكثر الوصف وأقل الفعل ! إن أهل الفعل قليل ، إن أهل الفعل قليل ! ألا وإننا لنعرف الفعل والوصف معاً » [٤] .

والصادق (ع) يقول : « . . . ما جعل الله عز وجل بسط اللسان وكف اليد ولكن جعلهما يُسْطَآن معاً ويكفان معاً » .

إن اتخاذ المواقف الكلامية البهتة ، لا يجدي إن لم يترافق مع التطبيق لذلك يقول أمير المؤمنين علي (ع) : « لن يجدي القول حتى يتصل بالفعل » [٥] وقوله عليه السلام : (يتصل) يعني أنه أن لا يكون هناك أي انفصال بين القول والعمل ، والإنسان بحسن العمل - كما في الخبر - يجني ثمرة العلم لا بحسن القول .

[١] سورة البقرة . الآية ٤٤

[٢] مكارم الأخلاق ص ٢٨٦ .

[٣] نهج البلاغة ١٦٠ - عده - ٢ - ١٨١ .

[٤] الكافي ج ٨ ص ٢٧٧ .

[٥] غرر الحكم ص ١٤٧

المؤمن والمنافق

ونحن إذا أردنا أن نُميّز بين المؤمن والمنافق ، نُميّز بينهما من خلال العمل ، فالمؤمن قليل الكلام كثير العمل ، والمنافق كثير الكلام قليل العمل .

عن الفضل بن عمر قال : قلت لأبي عبد الله الصادق (ع) بم يُعرف الناجي ؟ فقال : من كان فعله لقوله موافقاً ، فهو ناجٍ ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإتّما ذلك مستودع^[١] .

ويروى عن الإمام الحسين (ع) أنه خطب قائلاً : «أيها الناس ، أنا أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني . . . وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينيه . . كان يفعل ما يقول ، ويفعل ما لا يقول . . »^[٢] .

الإيمان مسؤولية

إن الذي يفرّق بين القول والعمل في حياته الخاصة والعامة ، يصل إلى درجة ، أن الكثيرين من الناس يفقدون ثقتهم به ، ولا يقيمون له وزناً في كل الأمور ، وهذا ينسحب على كل أصحاب الأعمال والمسؤوليات سواء أكانوا أناساً عاديين أو من ذوي المسؤوليات والمهام الاجتماعية أو السياسية أو التربوية . . وأخطر هذه المسؤوليات ، المسؤوليات السياسية ، إذا أنه ينبغي على القيادة السياسية أن تكون صادقة مع الناس ، أمينة ، في المواقف ، والتصرّيات ، والتوجهات ، لا بل في كل كلمة تقال ، وفي كل وعد تعد به ، وذلك لأن المسؤولية السياسية ذات أهمية كبرى على مستوى المجتمع ، وهي الإطار الأوسع لكل المسؤوليات الأخرى ، لذلك فإنّ المسؤول السياسي هو من يمتلك الدقة في كل الأمور ، والأفق الواسع والوعي الكافي لفهم ما يجري ويدور في الساحة السياسية والاجتماعية بصورة عامة ، وإلا فإن الحسرة والندامة والويل كلّهُ لمن لم ينتفع بما أبصر ، كما يقول الصادق (ع) ، ومن لم يدر الأمر الذي هو عليه مقيم ،

[١] الوسائل ج ١١ ص ٤١٩ .

[٢] الكافي ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

أنفع هوله أم ضرر . فمن لم يحقق الإنسجام بين أقواله وأعماله ، سيحاسب على ذلك ، وسينال العقوبة الإلهية . . . يقول مالك بن دينار : « قرأت في بعض الكتب ، ما من خطيب إلّا وتعرض خطبته على عمله ، فإن كان صادقاً صدّق ، وإن كان كاذباً قرضت شفتاه بمقراض من نار ، كلما قرضتا نبتتا » .

وهكذا فإنّ كل متحدّث ومصرّح وقائد وواعد سوف تعرض أحاديثه وتصريحاته ووعوده على أعماله وممارساته ، فإن تطابقت نجاً وإلّا هلك ، وعذب بالآلة التي استخدمها وهي الشفتان واللسان .

. . . ونخلص إلى أن الإيمان هو مسؤولية ، والمسؤولية هي أخطر وأهم أمر من الأمور التي تتعلق بالإنسان كفرد ، وبالمجتمع وبالأمة كلها . . .

والمسؤولية الإيمانية هي الدور الذي ينبغي للإنسان أن يقوم به في الحياة منسجماً مع تعاليم الإسلام ، عاملاً من أجلها ، ساعياً لتحقيق أهداف دين الله ، وبلوغ رضا الله تعالى في كل قول وممارسة .

وفي إطار المسؤولية الإيمانية يحصل الإتصال والتناغم والتمازج وبالتالي التوحد بين القول الإلهي والفعل البشري ، أو بين القرار الرباني والتنفيذ الإنساني ، وبذلك تتسامى الإرادة البشرية لتعلو معانقة المشيئة الإلهية . . . وإذا كانت نظرية أنشتين تقول بتحول الطاقة إلى مادة والمادة إلى طاقة ، فإنّ كلمة « كن » الإلهية ، ضمن إطار التكوين ، تتحول إلى كون للكائنات ، وكذلك « كن » المولوية تتحول ضمن إطار التكليف والمسؤولية إلى كون وكيّنونات منفذة للإرادة الإلهية . . . والأمر التكويني . وبهذا تتلبس الإرادة الإلهية الإرادة البشرية ، والقول المرید ، أو الإرادة القائلة ، للقدرة المبدعة ، القول البشري فيتحوّل إلى فعل خلاق مكوّن . . . قال تعالى : ﴿ وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله ﴾ [١] .

مشكلتنا ماهي ؟

مشكلتنا أننا فهمنا الإيمان أقوالاً بلا أفعال . .

[١] سورة الإنسان : الآية ٣٠ .

مشكلتنا أننا زعمنا أن الإيمان هو (بالقلب) فقط ، فكانت قلوبنا مع الإسلام ، وسيوفنا عليه . . . فقتلناه في ساحة الفعل والتأثير ، وقتلنا أنفسنا بقتله . . ونحن نزعم حبه والتعلق به .

مشكلتنا أن الإيمان عندنا ، هو بالتحلي والتمني وليس ما وقر في الصدر وصدقه العمل .

مشكلتنا أننا لا نعرف من أين نبدأ . . أو لا نريد أن نعرف ، وإذا عرفنا فإننا لا نريد أن نبدأ ، وإذا بدأنا فإننا نتعامل مع النهاية على أساس أنها البداية ، ونبقى في البداية وتضيع الغاية . . .

مشكلتنا أن الإيمان عندنا شيء عظيم ، نحس - بسبب عظمتة - بالحاجة إلى الابتعاد عنه لأننا نشعر دوماً بالصغر والهبوط !! .

مشكلتنا ومشكلة الكثيرين من المتدينين أنهم تعلموا الإسلام وعملوا به ، ولكن دون أن يدخلوا من أبوابه ، بل دخلوا من النوافذ أو تسلقوا الجدران . . .

مشكلتنا ، ومشكلة الكثيرين أنهم لم يدركوا أن الإيمان من الناحية النظرية والتطبيقية لا يمكن أن يؤدي دوره إلا بمعرفة وتطبيق المقاييس الإسلامية على الأفراد والجماعات وعلى الأحداث والأشخاص .

ومن الأمور الجلية أن التخبط الذي يعيشه أكثر العاملين في الحقول الإسلامية ، وكذلك فشل محاولات التطبيق في حالات كثيرة ، وفشل بعض الذين يرفعون شعارات الإيمان والإسلام - عن صدق وإخلاص - يعود إلى فقدانهم للموازن الإسلامية ، وعدم التركيز عليها ، مع أن الكتاب والسنة مثقلان بهذه الموازين العملية والنظرية .

والكتاب الذي بين يديك - أخي القارئ - يتكفل باستخراج بعض هذه المقاييس الإسلامية ، وتبسيط الضوء عليها ، بحيث يبدو - بوضوح - أن الإيمان والكفر ليسا من الأمور النظرية البحتة ، بل الإيمان هو عملية التطبيق للإسلام في الحياة ، والكفر هو الانحراف العملي والنظري عن الإسلام لذلك حوى هذا الكتاب مجموعة بحوث حول معالم الكفر والإيمان ، بالإستناد إلى القرآن والسنة ،

كنهاذج توضيحية للمقاييس الإسلامية التي تزخر بها مصادر الإسلام .

والكتاب يتألف من قسمين وبابين وستة فصول :

القسم الأول : يشتمل على باب واحد وفصلين .

الباب الأول : في معالم الكفر .

الفصل الأول : ١ - البدعة .

٢ - الكفر .

٣ - الشرك .

٤ - النفاق .

٥ - الردة .

الفصل الثاني : ١ - الخيانة رأس الكفر .

٢ - الحسد أصل الكفر .

٣ - تتبع عثرات المؤمنين .

القسم الثاني : يشتمل على باب واحد وأربعة فصول .

الباب الثاني : في معالم الإيمان .

الفصل الأول : ١ - عبادة الله وحده .

٢ - تزكية النفس وزكاة المال .

٣ - الرخاء . . فتنة ، والبلاء . . . نعمة .

٤ - كظم الغيظ والغضب من كمال الإيمان .

الفصل الثاني : ١ - الكلمة المسؤولة .

٢ - النصيحة لأهل الإسلام .

٣ - ترك الكذب في الهزل والجد .

الفصل الثالث : تحرر المرأة : رؤية إسلامية واقعية .

الفصل الرابع : ١ - الأمة . . . والمقاومة الحضارية .

٢ - الجهاد والمقاومة والشهادة .

وفي ختام هذه المقدمة أود أن أتوجه إلى جميع ممن ساعد في إنجاز هذا الكتاب ، من قريب أو بعيد ، بالشكر والتقدير على ما بذلوه على مستوى تحضير بعض النصوص ، أو على مستوى المناقشات التي كانت تدور حول بعض أبحاث الكتاب . . . أو من ناحية الطباعة والإخراج . . . ويبقى عليّ أن أنوه بأنّ الكمال لا يكون لمخلوق ضعيف عاجز ، بل هو للخالق الباريء المصور الحكيم العليم ، الذي لا تخفى عليه خافية ، لذلك آمل من القارئ الكريم أن يغض الطرف إذا ما وقع على هفوة أو خطأ ربما يعود إلى سهو أو نسيان . . . أو المرور العابر على فكرة ما ، أو عدم إعطاء فكرة معينة حقها من التفصيل أو الشواهد . . .

وفي كل الحالات ، فإنّ الأسلوب الذي تُؤخى في الكتاب هو الأسلوب الذي يلتزم الإيجاز غير المخل ، ويتبعد عن التطويل الممل ، وذلك لأن خ . الكلام ما وفي بالغاية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهرمل ١٠ رمضان المبارك ١٤١١هـ

المؤلف



الفصل الأول

١. البدعة
٢. الكفر
٣. الشرك
٤. النفاق
٥. الردة

القسم الأول

الباب الأول في معالم الكفر





البدعة

أدنى ما يجعل العبد كافراً أن يبتدع شيئاً فيتولى عليه
ويبرأ ممن خالفه .

محتويات البحث

- ١ - آيات كريمات .
- ٢ - حديث شريف .
- ٣ - ماهية البدعة .
- ٤ - البدع تهدم الدين .
- ٥ - الكفر أقدم من الشرك .
- ٦ - آثار البدع .
- ٧ - الأثنية والبدعة .
- ٨ - البدعة مقصودة وغير مقصودة .
- ٩ - البدع وأعداء الإسلام الداخلين .
- ١٠ - البدع وأعداء الإسلام الخارجيين .
- ١١ - أنواع البدع :
 - (١) البدع الفكرية .
 - (٢) البدع العقائدية .
 - (٣) البدع التشريعية .
 - (٤) البدع الإجتماعية .
 - (٥) البدع السياسية .
- ١٢ - دور وعَظا السلاطين في نشر البدع .

١٣ - ما هو الموقف من المبتدعين ؟

١٤ - شخصية المبتدع .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا ، وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين أتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾ [١] .

* * *

سئل الصادق (ع) : ما أدنى ما يكرن به العبد كافراً ؟
قال : فأخذ حصاة من الأرض فقال (ع) : « أن يتدع شيئاً فيتولى عليه ويبرأ ممن خالفه » [٢] .

وسئل (ع) ما أدنى ما يصير به العبد كافراً ؟
قال : « فأخذ حصاة من الأرض ، فقال (ع) : أن يقول لهذه الحصاة أنها نواة ويبرأ ممن خالفه على ذلك » [٣] .

* * *

[١] سورة الحديد : الآية ٢٧ .

[٢، ٣] بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢٢٠ .

ماهية البدعة

إنَّ « البدعة في المذهب - كما يقول الراغب في المفردات - إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها بصاحب الشريعة وأمثالها المتقدمة ، وأصولها المتقنة » .

إنَّ الله تعالى هو خالق الخلق ، وبارئ النسمات ، وموجد الأشياء ومحصياها ، وقد وضع مناهج الحياة فمن خالفه قاصداً ، عُدَّ معانداً ، وإن تعصب لرأيه المخالف لأمر الله ، وهو يعلم كان مبتدعاً ، وأدنى ذلك أن يأخذ حصاة ، ويزعم أنها نواة ، ويصرّ على ذلك ، ويبرأ ممن خالف رأيه ، ومن كان كذلك فهو صاحب بدعة .

والبدعة مدعاة لنزول العقوبة الإلهية على صاحبها ، لأن أمرها ليس أمراً عرضياً في الحياة ، بل هي أمر أساسي ، لأنها تمسّ كيان الأصول العقيدية ، والاجتماعية والسياسية ، وغبر ذلك ، للمنهج الإسلامي .

إن بعض الناس يحزن المعارضة لمجرد المعارضة ، والتغير لمجرد التغير ، والانتقاد لمجرد الانتقاد ، وربما أدى بهم ذلك إلى الابتداع .

ومن كان يهوى إدخال الشبهات في الدين ، وهو مدرك لخطئه ، فإن عمله تشكيكي ، وحكمه حكم الكافر ، لأنه مبتدع .

والمبتدع هو الذي يتولى على شيء إبتدعه ويروّج له مصراً على ذلك معانداً لله ولرسوله ومنكراً لما أنزل الله .

وكل مبتدع ضال عن الصراط المستقيم ، سائر نحو جهنم ، لأن البدع هادمة لأسوار الدين ، وأسسها ، والله ورسوله والمؤمنون يتبرؤون من أصحاب الأهواء ، ولا يتوب الله عليهم ، لأنهم أصحاب بدع هدامة ، وآراء أهوائية ضالة إلا إذا تابوا توبة نصوحاً .

وعن علي (ع) أنه قال : « ما هدم الدين مثل البدع »^(١) .

ويقول الشهيد السعيد آية الله دستغيب : « البدعة في عرف الشرع ، ما حدث بعد الرسول (ص) ، ولم يرد فيه نص على الخصوص ، ولا يكون داخلاً في بعض العمومات ، أو ورد نهي عنه خصوصاً ، أو عموماً ، فلا تشمل البدعة ما

دخل في العمومات مثل بناء المدارس وأمثالها ، الداخلة في عمومات إيواء المؤمنين وإسكانهم وإعانتهم ، وكإنشاء (تأليف) بعض الكتب العلمية والتصانيف التي لها مدخل في المعلومات الشرعية ، كالألبيسة التي لم تكن في عهد الرسول (ص) والأطعمة المستحدثة فإنها داخلة في عمومات الحلية ، ولم يرد فيها نهي . وما يفعل منها على وجه العموم إذا قصد كونها مطلوبة على الخصوص كان بدعة ، كما أن الصلاة خير موضوع ويستحب في كل وقت .

كما إذا عين أحد سبعين تهليلة في وقت مخصوص على أنها مطلوبة للشارع ، في خصوص هذا الوقت بلا نص ورد فيها ، كانت بدعة .

وبالجملة لإحداث أمر في الشريعة لم يرد فيه نص ، بدعة . . . » (٢) .

وقال العلامة المجلسي بعد مقدمة ذكرها ، كما نقل عنه صاحب الذنوب الكبيرة : « البدعة هي أن يحلل ما حرّمه الله ، أو يعتبر مكروهاً ما لم يحكم الله بكراهيته ، أو يوجب ما لم يوجبه الله ، أو يجعل مستحباً ما لم يحكم الله باستحبابه ، ولو كان بلحاظ الخصوصية ، مثال ذلك ، أن الصلاة في كل وقت مستحبة فلو صلى الإنسان في وقت ما بعنوان أنه وقت من الأوقات فإنه يثاب على عمله ، وأما لو صلى ركعتين قبل الغروب بعنوان أن الصلاة في خصوص هذا الوقت مطلوبة فذلك بدعة حرام . .

وكذلك من صلى صلاة النافلة ثلاث ركعات بتسليم واحد ، حيث أن هذه الكيفية في الصلاة لم ترد في سنة رسول الله (ص) وكذلك من ركوعين في الركعة الواحدة فكل ذلك بدعة وحرام مثل ذلك كلمة « لا إله إلا الله » فإنها أفضل الذكر في كل وقت ولكن لو أن شخصاً ، قرّر أن يقولها ألفاً وخمسمائة مرة بعد صلاة الصبح ، بعنوان أن هذا العدد ، ويخصوص هذا الوقت مقرر من الشارع ، أو يقرره هو شخصياً ، ويعتبره عبادة من العبادات فجميع ذلك بدعة في الدين وأشدّ المعاصي . . »

والبدعة تعني تغيير الحكم الإلهي

وبناءً على ذلك فإن البدعة معناها تغيير شريعة الله بإضافة شيء أو إلغاء شيء منها حسب رأيه ، وعقله الناقص ، سواء أكان ذلك في الأصول أو الفروع .

قال الإمام الصادق (ع) : « حلال محمد (ص) حلال أبداً إلى يوم القيامة وحرامه حرام أبداً إلى يوم القيامة ، ولا يكون غيره ولا يجيء غيره » .
وسنقوم - بإذن الله تعالى - بتفصيل كل ذلك عند الكلام عن أنواع البدع ،
فانتظر .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « إن رسول الله (ص) سُئل عمّن أحدث حدثاً ، أو آوى محدثاً ما هو ؟ فقال : من ابتدع بدعة في الإسلام أو مثل بغير حدّ ، أو من انتهب بهبة يرفع المسلمون إليها أبصارهم ، أو يدفع عن صاحب الحدث أو ينصره أو يعينه^(٣) .

وقال (ص) في تفسير قوله تعالى : « إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً : هم أصحاب البدع وأصحاب الأهواء ليس لهم توبة ، أنا منهم بريء وهم براء »^(٤) .

ونحن في مجال تصنيف أهل الضلال والانحراف ، نجد أنّ الناس الضالين على أقسام أربعة : مبتدعون ، وكافرون ، ومشركون ، ومنافقون . وفي النهاية ، فالجميع ملّة واحدة ، ولزيد من التوضيح نقول ونؤكد : إنّ المبتدع هو كل من عمل برأيه الشخصي ، أو تعصّب لرأيه على المستوى الفكري ، أو العقيدي ، أو السياسي ، أو الاجتماعي ، أو غير ذلك دون الرجوع إلى حجة شرعية تبرأ ذمته ، وكذلك أصحاب الآراء العقائدية ، والسياسية ، الذين فرّقوا دينهم ، وكانوا شيعاً وأحزاباً ، لا يعودون فيما قالوا إلى نص ، أو حكم شرعي ، فهم أهل بدع ، أما الكافر في بعض حالاته ، فهو من يقدم على المعاصي بجحود ، وإنكار وتهاون ، واستخفاف ، في كل دقيق ، وخطير من الأمور .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ من يكفر بالله ، وملائكته ، ورسوله ، واليوم الآخر ، فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾^[١] .

أما المشرك فهو من قلّد الآباء والأجداد تقليداً أعمى ، أو ابتدع ديناً ومنهجاً ، غير دين أهل الإيمان ، فجعل لله شريكاً ، بأنّ أطاعه ، وخضع

[١] سورة النساء : الآية ١٣٦ .

لأوامره ، المخالفة للشرع ، فيكون بذلك قد عبده ، وأشرك بالله جلّ جلاله .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « معنى الكفر : كل معصية عُصي الله بها بجهة الجحد والإنكار والإستحفاف والنهائون في كل ما دقّ وجلّ وفاعله كافر . . . فإن كان هو الذي مال بهواه إلى وجه من وجوه المعصية ، لجهة الجحد والإستخفاف والتهائون فقد كفر - وإن هو مال بهواه إلى التدين لجهة التأويل والتقليد والتسليم والرضا بقول الآباء والأسلاف فقد أشرك »^(٥) .

الكفر أقدم من الشرك

« فعن الباقر (ع) أنه قال : والله أنّ الكفر لا أقدم من الشرك وأخبث وأعظم ، ثم ذكر كفر إبليس ، حين قال الله له : إسجد لأدم فأبى أن يسجد ، فالكفر أعظم من الشرك ، فمن اختال على الله عزّ وجلّ وأبى الطاعة - وأقام على الكبائر فهو كافر ، ومن نصب ديناً ، غير دين المؤمنين فهو مشرك »^(٦) .

آثار البدع

إنّ البدع هي التي فرّقت المسلمين ، وشتتتهم ، وأفسدت وحدتهم ، وذلك بسبب التفسيرات الخاطئة ، والأقاويل ، والأهواء ، التي تتلاعب بالأحكام ، والمفاهيم الإسلامية السليمة ، ولقد ظنّ هؤلاء أنهم قد وقعوا على الحقّ وتمسكوا بأهداب الحقيقة . . . ونسوا أنهم يجاربون الله ورسوله ببدعهم التي ابتدعوها وأن البدع هي سبيل الضلالة والفرقة ، لذلك فإنّ الأمانة الكبرى ، هي بذل الجهد الكافي ، مع استخدام الأدوات الموصلة ، لاستخراج المفاهيم والأحكام الشرعية ، من مصادرها والعمل على تعميمها حتى لا يفتح باب الضلال والإضلال . وعندما نرى الحديث يضرب الحصاة مثلاً ، نعلم أنّ البدع الكبيرة ، لا تختلف في طبيعتها ، عن البدع المتعلقة بأمور صغيرة أو جزئية ، بل ان البدعة هي البدعة ، وإن تباينت في تأثيرها ، وشكلها ومضمونها ، إذ أنّ العقلية المبتدعة واحدة ، ولا فرق بين من يزعم أنّ الحصاة نواة ، ويتعصب لقوله ، وبين من ينهج نهجاً سياسياً بدعياً ، أو يعتقد باعتقادات مخالفة للإسلام .

إنّ الإنسان يمكن أن يلتزم بالخط الصحيح ، إذا ما عرف هذا الخط ،

وخصائصه ، ومتطلباته ، وأصوله ، وتحلى بالإرادة الواعية ، والعزم على الالتزام بالحق ، وفي حال فقدان الرؤية الصحيحة يتم الانحراف ، ويقع الإنسان في مستنقع البدع .

وجاء في الخبر :

١ - عن علي (ع) : « لتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، والذي نفسي بيده أن الفرق كلها ضالة إلا من اتبعني وكان من شيعتي »^(٧) .

٢ - وعن رسول الله (ص) : « ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل . . . إن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة »^(٨) .

٣ - عن أبي عقيل عن علي (ع) : « قال اختلفت النصارى على كذا وكذا ، ولا أراكم أيتها الأمة إلا ستختلفون كما اختلفوا وتزيدون عليهم فرقة ، ألا وإن الفرق كلها ضالة إلا أنا ومن اتبعني »^(٩) .

٤ - عن رسول الله (ص) : « تفرق أمتي على ثلاث فرق : فرقة على الحق لا ينقص الباطل منه شيئاً يحبوني ويحبون أهل بيتي مثلهم كمثل الذهب الجيد ، كلما أدخلته النار فأوقدت عليه لم يزد إلا جودة ، وفرقة على الباطل لا ينقص الحق منه شيئاً . . . ، وفرقة سدهدهة على ملة السامري لا يقولون لا مساس لكنهم يقولون لا قتال . . . »^(١٠) .

إن هذه الشعب تفرقت بسبب البدع . أما الفرقة الناجية ، فهي الفرقة التي اعتصمت بحبل الله ، ولم تبعد عنه ، ولم تزد عليه ، أو تنقص ، لذلك فهي محقة ، مشمولة بالرحمة الإلهية ، والعفو الرباني .

وعليه فإن المبادئ المخالفة للإسلام ، التي يتعصب لها الأفراد ، أو الجماعات ، أو الطوائف أو الفئات السياسية والاجتماعية ، الهادفة إلى تنظيم أمور الحياة الاجتماعية ، أو تحقيق مصالح معينة هي بدع محرمة .

ويدخل ضمن هذا المفهوم ، تحريف الكلم عن مواضعه ، وحمله على غير محمله ، وتبني بعض الآراء الفاسدة ، مع العلم بذلك ، أو بعض التفسيرات

البعيدة عن الأصول المعروفة للدين والشرعة ، خدمة لمآرب ذاتية أو فتوية . . .

الأنانية والبدعة

إنّ هناك علاقة وثيقة بين البدعة ، والروح الأنانية ، فالأنانية تفرض على صاحبها في هذا المجال ، الإنفراد بأسلوب معين ، أو تفكير معين يحاول تعميمه على الآخرين ، لإثبات ذاته ، مستعلياً بذلك على الناس ، متعصباً لأفكاره أو أساليبه . . لا يحاور ، ولا يشاور ، بل يستبد برأيه ، ولا يشارك الرجال في عقولها . فالمشركون من قريش - بعد فتح مكة مثلاً - أسلموا ، تخليصاً لأنفسهم من أنّ ينزل بهم العقاب الإسلامي العادل ، وعفا عنهم رسول الله (ص) قائلاً لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » . . . وبعد انتقاله (ص) إلى الرفيق الأعلى ، برزت الأنانيات ، وحاول أعداء الإسلام ، من جديد أن يصلوا إلى مآربهم ، في تقويض البناء الإسلامي ، عن طريق الأفكار والمناهج التحريفية ، القائمة على أساس البدع ، والرأي المخترع . . . والروح الأنانية تبرز اليوم في كثير من التوجهات والاتجاهات المنحرفة المبتدعة ، التي تدّعي الإسلام ، وتحاول أن تضربه على الأقل ، بممارستها الخاطئة ، ومناهجها المبتدعة الضالة ، إن لم تعمل على ضربه والقضاء عليه . . . بصورة واضحة .

البدعة مقصودة وغير مقصودة

من البدع ما يكون عن سابق تصور وتصميم ، وسوء نية ، تجاه الرسالة والأمة ، ومنها ما يكون عن غير قصد ، إنما ينزلُ البعض إليها إنزلاقاً ، فيطلب الحق ، فيقع في الباطل ، وذلك ينتج عن تفسير آية أو آيات من كتاب الله تعالى ، بالرأي ، أو التمسك بحديث غير صحيح ، أو فهم غير عميق لمبدأ من مبادئ الدين ، أو أصل من أصوله ، أو فرع من فروعه فيقع في الإبتداع .

إلا أنّ هذين النوعين من البدع ، يؤديان ، في النتيجة ، إلى الإنحراف عن سبيل الله ، لذلك فإنّ على أصحاب الرأي السديد ، والأفهام العالية ، والعلماء الأعلام ، أن يظهرُوا علمهم ، لدحض البدع ، وتبيان الحقائق بالأسلوب الحسن الهادف .

البدع وأعداء الإسلام الداخلين

إنّ الأعداء الداخلين للإسلام ، من منافقين ، ويهود ، أو متهودين وأصحاب المبادئ العلمانية ، والطائفية ، والإلحادية ، الذين يلبسون لبوس الإسلام ، أو يحتمون ببعض المؤسسات الدينية ، أو الشخصيات الإسلامية ، يعمدون إلى تشويه الإسلام والثورة الإسلامية ببدع يطلقونها بين الحين والآخر ، بهدف هدم بنيان الإسلام ، وتفتيت قوة المسلمين من الداخل ، وذلك بإيجاد الاختلافات والصراعات فيما بينهم ، فتنشأ الفرق والتنظيمات العاملة ضدّ الفكر الإسلامي ، والسياسة الإسلامية ، المستندة إلى توجيهات الفقيه العادل الجامع للشرائط .

ومن الفرق الدينية المبتدعة ، الفرق التي تحاول ضرب الإسلام والإسلاميين ، وزرع بذور التفرقة بين المسلمين ، مستندة إلى دعم إسكتباري ، من شياطين الدول الكبرى .

إنّ صمام الأمان ، المانع من الانجرار وراء هذه التيارات البدعية ، هو نشر الوعي ، وتحكيم المقاييس الإسلامية ، للتمييز بين الحق والباطل ، وذلك بالعودة إلى الكتاب والسنة النبوية الشريفة .

البدع وأعداء الإسلام الخارجيين

إنّ الحركات السياسية ، والعقائدية ، القائمة على أساس مخالفة أسس الإسلام ، كالحركات القومية المتعصبة التي تزعم أنها مستندة إلى الإسلام ، أو الأفكار الاشتراكية ذات المنشأ المادي الإلحادي ، والتي تغلّفت بغلاف إسلامي على أساس أنها متممة للإسلام أو مستمدة منه . . . كل هذه الحركات أو الأفكار ذات طبيعة بدعية ، توهم مبتدعوها ، أو أرادوا أن يتوهم الناس أنهم يسرون على خطى الإسلام . . . والهدف التشويش على الحركات الإسلامية الأصيلة ، وعلى الخط الإسلامي الثوري ، المعادي للإستكبار العالمي ، ولكل مناهج الانحراف عن الكتاب والسنة ، وإن اتّسمت المناهج التحريفية بسمه إسلامية خارجية ، فإنّها ، في الحقيقة ، أفكار معادية ينبغي

العمل لإظهار حقيقتها للناس ، وفرزها عن الخط السليم .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « شرّ الأمور محدثاتها ، ألا كل بدعة ضلالة ، ألا وكلّ ضلالة في النار »^(١١) .

إنّ المسألة الأساسية في هذا الأمر هي الخروج من دائرة الإيمان ، ومعنى ذلك الكفر وهو ستر الحق في المعنى اللغوي فمن ستر حقاً أو عاند الحق فقد كفر ، كما سنوضح لاحقاً .

وعن علي (ع) أنه قال : « من أبدى صفحته للحقّ هلك »^(١٢) ، « من صارع الحق صرع »^(١٣) .

إنّ إبداء الصفحة للحق يعني المعاندة والمكابرة بغير حقّ ، ومصارعة الحقّ كفر ، وانحراف عن الطريق القويم ، وفي ذلك الهلاك والمصير الأسود .

وإذا كانت البدعة هي إنحراف عن الحقّ وستر له ، بأي شكل كان ، فإنّها ، كما سبق وقلنا ، تقوم على أساس مخالفة أمر الله ، وكتابه ، ورسوله ، والعمل وفق ما يملّيه الهوى والرأي الشخصي . لذلك فإنّها تدخل ضمن دائرة الكفر ، ومعاندة الحق . والله تبارك وتعالى جعل لكل شيء ، شرعة ومنهاجاً ، فقد جعل للحياة الإنسانية أنظمة وتشريعات ، حتى الخلد له ، في شريعة الإسلام حكم ، وعلى هذا فلا يجوز لأحد ، على الإطلاق ، أن يأتي من تلقاء نفسه بأحكام لا أساس لها في شرع الله ، وإلاّ كان مبتدعاً . . . إذ كل ما تحتاجه البشرية والحضارة يمكن على أساس الاجتهاد ، أن يستنبط له قانون ، وقاعدة ، فيتطور وينمو بالإستناد إليها ، من هنا كانت كل بدعة ضلالة ، سواء على المستوى التعبدي - بالمعنى الخاص أو على المستوى التشريعي ، أو السياسي أو غير ذلك ، كما تقدم .

والبدع تبدأ صغيرة ثم تكبر وتشعب لذلك عمل الإسلام للقضاء على الأساس البدعي ، بكل أشكاله فكان مثال الحصاة على لسان الصادق (ع) خير شاهد على ذلك .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « من أصغى إلى ناطق فقد عبده ، فإن كان

الناطق عن الله ، فقد عبد الله ، وإن كا الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس» (١٤) .

إن مجرد سماع ، وطاعة أو قبول كلام إنسان يعتبر عبادة . . . فإن كان كلامه يرضي الله ، فيكون السامع قد عبد الله ، وإلا فقد عبد إبليس .
فالإعجاب مثلاً بالموقف غير المرضي لله ، أو تبنييه شرك بالله ، إن حصل ذلك عن معرفة وعلم .

فعن الصادق (ع) أنه قال : « لو أن قوماً عبدوا الله - وحده لا شريك له - وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وحجّوا البيت ، وصاموا شهر رمضان ، ثم قالوا لشيء صنعه الله ، أو صنعه النبي (ص) ، ألا صنع خلاف الذي صنع ؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم ، لكانوا بذلك مشركين ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : فعليكم بالتسليم » (١٥) .

نستنتج من ذلك ، إن عبادة هؤلاء العابدين كانت ظاهرية ، لأنهم لا يقبلون إلا بما يوافق أهواءهم ، ومصالحهم ، فلا يجوز لمؤمن أو مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة في أمرهم ، والسبب في ذلك ، أن الإسلام كامل ، ومن يعتقد بنقص الإسلام والشرعة فهو كافر ، ساتر للحق ، مبتدع .

وعلى مستوى القضايا الحياتية ، فإن كل تعصب للنفس ، أو الأسرة ، أو الحي ، أو القرية ، أو الشعب ، أو الدين بغير حق ، فهو كفر وبدعة . والعصبية المرفوضة ، هي الاعتقاد بصحة موقفك وصوابيته ، وإنك على حق دائماً ، ورفض آراء الآخرين وتسفيهها ، لذلك ورد عن الرسول (ص) قوله : « ليس منا من دعا إلى عصبية » .

وقد روي أن عبد الملك بن مروان ، كان يقول : « من قال لنا اتقوا الله ضربنا عنقه » وما كان يقول ذلك إلا لاعتقاده بأنه على حق ، وهذا هو الكفر والابتداع . . .

أنواع البدع

البدع أنواع : ١ - بدع فكرية ٢ - بدع عقائدية ٣ - بدع إجتماعية ٤ - بدع سياسية ٥ - بدع تشريعية (فقهية) .

١ - البدع الفكرية

وهي تشمل جميع الأفكار المخالفة للإسلام والتي لَوْنَتْ بألوان إسلامية أو زعم لها ذلك ، سواء أكانت أفكار شرقية أم غربية ، كالأفكار المادية ، ومنها الماركسية ، والأفكار القومية التعصبية ، وعامة الأفكار الفلسفية الإلحادية .

٢ - البدع العقائدية

وهي جملة العقائد ذات الصبغة الإسلامية المزوّرة ، السائدة في العالم ، أو التي يمكن أن تنشأ مستقبلاً ، والتي هي غير متوافقة مع الأصول العقيدية الإسلامية (كالتوحيد ، والنبوة ، والمعاد يوم القيامة) . . .

ومن أقبح البدع ، بدعة الغلاة ، الذين أعطوا لبعض المخلوقين صفات الخالق ، كاعتبار ، المسيح (ع) رسول الله ، وعبد ، إبناً لله سبحانه ، وحاشا لله أن يتخذ من ولد ، أو اعتبار الإمام علي (ع) عند بعض الفرق المغالية ، رباً ، وقد عاقب علي (ع) ، من ادّعى له ذلك ، بالإحراق بالنار ، لأنه كفر صريح ، وبدعة قبيحة . . . ومن البدع الشنيعة ، في مجال العقيدة ، بدعة بغض أهل البيت (ع) وهي بدعة النواصب ، الذين نصبوا العداء لأهل بيت رسول الله (ص) ، فنقموا على السلالة الطاهرة ، وحقدوا عليهم ، وحاربوهم ، مع أن الله سبحانه وتعالى أمر بمحبتهم وطاعتهم ، حيث يقول جل وعلا : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ [١] .

وقال أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام : « هلك فيّ رجلان : محبّ غال ، ومبغض قال » [١٦] .

[١] سورة الشورى : الآية ٢٣

ولا ننسى بدعة المشبهة ، وهي الفرقة التي تشبه الخالق بالخلق ، فتجعل الله يبدأ ، وعيناً ، ورجلاً . . . وكل هذه البدع هي في النهاية دليل هبوط المستوى الفكري . . . والوعى العقائدي ، والأفكار الفجة ، أو المتأثرة بأفكار أهل الشرك والوثنية ، وقد صبّت جميع هذه النظريات والآراء في خدمة مآرب سياسية لحكام دنيويين ظلمة ، كما تصبّ البدع الحديثة ، في أيامنا هذه ، كالعلمانية ، والعقائد المادية ، كالماركسية ، والفلسفات المنحرفة كالوجودية ، في مصبّ الأهداف السياسية لأنظمة سياسية وحكام منحرفين . . . باعتبار أنهم يحاولون أن يعطوا لهذه المبادئ المنحرفة نكهة إسلامية .

٣ - البدع التشريعية

إنّ كل من زاد أو أنقص في الشريعة ، فقد ابتدع ، حتى ولو كان صحابياً أو من المتأخرين ، فليس كل الصحابة بعدول كما هو واضح ، إلّا من كان سلوكه متطابقاً ، أو منسجماً مع سلوك رسول الله (ص)، فهو العادل وإلا كان بعكس ذلك . فمن الصحابة من بقي ملتزماً بخط رسول الله (ص) ، ومنهم من باع دينه بدنياه ، ومنهم من خرج على إمام زمانه وقتله . . . ويكفي الإنسان أن يفكر قليلاً في هذه المسألة ، من الناحية العقيدية ، والاجتماعية والتاريخية ، ليقول بها . . .

ويمكن القول أن البدع التي تكون نتيجة لعملية الخروج على القواعد المعتمدة لاستنباط الأحكام الشرعية ، من مصادرها المقررة ، بتبني بعض الأحكام التشريعية غير المستخرجة من النصوص ، أو المعاكسة لها . . . تمثّل بدعة تشريعية ، مع العلم أنه لا اجتهاد مقابل النص ، فالاجتهاد في مقابل النص الواضح ، يعتبر مخالفاً للشريعة ، وبدعة محرّمة ، ينبغي محاربتها والوقوف بوجهها ، وتوعية الناس على ذلك .

وكثيراً ما اجتهد بعضهم لمصلحة رأيها هو ، وكان اجتهاده مقابل النص الوارد في الكتاب ، أو السنة ، وبعضهم كان يحلل ما حرّم الله ورسوله ، أو يحرم ما أحل الله ورسوله ، وهذه هي البدعة بعينها ، لا بل هو الضلال كل الضلال .

٤ - البدع الاجتماعية

وهي العادات والتقاليد المخالفة لأداب ومناقب الإسلام ، إن علم مخالفتها للشرع الحنيف ، وأصرّ المتمسكون بها على ممارستها ، واعتبروها أمراً مشروعاً ، أو حضارياً . . .

. . . أو قالوا أن آداب الإسلام ، غير متناسبة مع روح العصر ، أو أنها كانت تصلح لغير هذا الزمن ، وغدت غير صالحة ، وينبغي استبدالها بغيرها ، فمن توهم هذا التوهم ، أو اعتقد هذا الاعتقاد ، فهو من أهل البدع . وهذا ينسحب على كل التصرفات والممارسات الاجتماعية ، وموديلات اللباس والأعراس ، والأحزان ، والأفراح والأتراح .

٥ - البدع السياسية

وهي الآراء ، والمواقف والممارسات السياسية ، غير المتوافقة أو المتطابقة مع الخطوط العامة للسياسة الإسلامية المبينة من قبل الولي الفقيه .

ويأتي دور الأحزاب السياسية العلمانية والإلحادية ، أو الطائفية المستغلة للإسلام لجسد هذه البدع في مؤسسات ، ورموز وقيادات ، ويدخل ضمن هذا الإطار وعماظ السلاطين ، وماسحو أجواخهم والزعماء المستكبرون والطغاة ، إذ أنهم يستمعون إليهم ، وينفذون أوامرهم السلطانية والتسلطية ، ويرضون بقراراتهم ، أو مقرراتهم ، التي تأتيهم من الخارج ، وتفرض عليهم فرضاً ، وبذلك يعبدون السلطان ، ويتخذونه رباً .

يقول الله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ [١] .

وقد روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنها قالا : « أما والله ما صاموا ولا صلّوا ولكنهم أحلّوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً ، فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون » .

[١] سورة التوبة : الآية ٣١ .

وروى الثعلبي بإسناده عن عدي بن حاتم قال أتيت رسول الله (ص) وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال لي يا عدي : إطرح هذا الوثن من عنقك ، قال فطرحته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ من سورة البراءة هذه الآية : ﴿ اتخذوا أحياءهم ورهبانهم أرباباً ﴾ حتى فرغ منها ، فقلت له إنا لسنا نعبدكم فقال : يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ، قال : فقلت : على ماذا ؟ قال : فتلك عبادتهم^(١٧) .

دور وعَظا السلاطين في نشر البدع

إن لعَظا السلاطين في كل عصر ، الدور الأكبر ، في نشر البدع ، وهؤلاء الوعَظا ، هم الذين تشتريهم الحكومات الظالمة ، لدعم حكمها بالفتاوى ، التي تخدم السلطات الحاكمة ، وتبرر لها أعمالها وممارساتها ، ومراجعة عابرة للتاريخ تبين لنا بصورة جلية ، دور هؤلاء الوعَظا ، في عهد بني أمية ، وبني العباس ، ولا ننسى كذلك وعَظا السلاطين المحدثين ، ومنهم من أفق بضرورة الصلح مع إسرائيل ، وبرر لبعض الحكام العملاء ، معاهدات السلام مع العدو الإسرائيلي . (موقف شيخ الأزهر من السادات في معاهدة كمب ديفيد) .

وقديماً كان وعَظا السلاطين ، يخلقون الأحاديث الكاذبة ، وينسبونها إلى رسول الله (ص) ، وهو منها براء ، لأنه لم يقلها أصلاً . بل هدد من يكذب عليه متعمداً ، بتبؤا مقعده من النار ، وعلى سبيل المثال نذكر عدة شواهد على هذا النمط من الأحاديث الملققة :

في حديث (موضوع) أن النبي (ص) قال : « إن الله ائتمن على وحيه ثلاثاً : أنا ، وجبرائيل ، ومعاوية » .

وكان الله لم يكن يعلم ، ولم يعلم رسوله (ص) بشأن معاوية ، ومعدنه الخبيث ، وما تؤول إليه الأمور على يديه ، وواضح أن واضع الحديث هذا ، يريد أن يؤدي خدمة لمعاوية ، داعماً حكمه ، وسلطانه ، بأن يجعله أميناً للوحي . . .

وفي حديث آخر يمدح فيه معاوية ، أحد وعَظا السلاطين ، فيقول : أن رسول الله (ص) قال : (وهو لم يقل ذلك بالتأكيد) إلا القسم الأول من

الحديث ، أمّا القسم المتعلق بمعاوية فهو من وضع من وضعه .

« أنا مدينة العلم وعلي بابها ومعاوية حلقتها » ، فما هذه الحلقة العجيبة ، وما الهدف من ذكرها . . . إنها لدعم سلطان معاوية وبني أمية . . . فبش ما كسبت أيدي الكاذبين على رسول رب العالمين .

وهناك قسم من البدع يخلط بين الحقّ والباطل ، ويلبس بينهما ، كقول من قال ، إنّ الإشتراكية مثلاً ، هي من الإسلام ، وإن الإسلام دين إشتراكي أو رأسمالي ، واستندوا في ذلك إلى بعض الآيات والأحاديث بعد أن فصلوها عن سياقها ، أو فسروها كما يشتهون لإثبات آرائهم البدعية . . .

وهناك تقسيم آخر للبدع ، ينقله آية الله الشهيد لسعيد دستغيب ، عن الشهيد الأوّل وذلك في كتابه : « الذنوب الكبيرة » وفيه يقول الشهيد الأوّل : « ومحدثات الأمور بعد عهد النبي (ص) تنقسم أقساماً ، لا يطلق لاسم البدعة عندنا إلّا على ما هو محرم منها :

أولها : الواجب : كتدوين القرآن بالسنة إذا خيف عليها من التلف من الصدور ، فإنّ التبليغ للقرون الآتية واجب إجماعاً وللاية ، ولا يتم إلّا بالحفظ وهذا في زمان الغيبة واجب ، أمّا في زمان ظهور الإمام فلا ، لأنّه الحافظ لهما حفظاً لا يتطرق إليه خلل .

وثانيهما : المحرّم : وهو كل بدعة تولتها قواعد التحريم ، وأدلتها من الشريعة ، كتقديم غير الأئمة المعصومين (ع) ، وأخذهم مناصبهم واستشارهم ولادة الجور عليهم بالأموال ، ومنعها مستحقيها ، وقتال أهل الحقّ وتثريبهم وإبعادهم ، والقتل على الظنّة والإلزام ببيعة الفساق والمقام عليها وتحريم مخالفتها ، والبغي على الإمام . . . إلى غير ذلك من المحدثات المشهورات ، ومنها بالإجماع من الفريقين المكس تولية المناصب غير الصالح ببذل أو إرث وغير ذلك .

ثالثها : المستحب : وهو ما تناولته أدلة النذب ، ذنباء المدارس والربط وليس منه اتخاذ الملوك الأبهة ليعظموا في النفوس ، ألهم إلّا ما يكون مرهباً للعدو .

ورابعها : المكروه : وهو ما اشتملته أدلة الكراهية كالزيادة في تسييحة الزهراء (ع) ، وسائر الموظفين ، أو النقيصة منها ، والتنعم في الملابس ، والمآكل بحيث يبلغ الإسراف بالنسبة إلى الفاعل ، وربما أدى إلى التحريم إذا استضر به وعياله .

وخامسها : المباح : وهو الداخل تحت أدلة الإباحة كنخل الدقيق فقد ورد شيء اتخذته لناس بعد رسول الله (ص) اتخذ المناخل ، لأن لين العيش والرفاهية من المباحات ، فوسيلته مباحة « (١٨) » .

ما هو الموقف من المبتدعين ؟

لا حرمة لمبتدع :

عن الرسول (ص) أنه قال : « إذا رأيتم أهل الرب والبعد ، من بعدي فأظهروا البراءة منهم ، رأثروا من سبهم ، والقول فيهم والوقية وباهتوهم ، كيلا يطعموا في الفساد في الإسلام ، وتحذروهم الناس ، ولا يتعلموا من بدعهم ، يكتب لكم بذلك الحسنات وترفع لكم بها الدرجات في الآخرة » (١٩) .

وقال الباقر (ع) : « ثلاثة ليس لهم حرمة ، صاحب هوى مبتدع ، والإمام الجائر ، والفاسق العلن الفسق » (٢٠) .

وعن أبي عبد الله (ع) : « أهل البدع لا تجالسوهم ، فتصيروا عند الناس كواحد منهم » (٢١) .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « إذا ظهرت البدع في أمي ، فليظهر العالم علمه ، وإن لم يفعل فعليه لعنة الله » (٢٢) .

« أيها الناس ، لا نبي بعدي ، ولا سنة بعدي ، فمن ادعى ذلك فدعواه ضلالة ، وبدعة في النار ، فاقتلوه » (٢٣) .

إن واجب المؤمن البراءة من كل صاحب بدعة ، عقائدية أو سياسية أو غير ذلك ، فلا يجوز مسايرتهم وممالاتهم ، وإذا كان لا بد من موقف مرن ، فليكن بهدف الهداية والإرشاد ، ولكن بدون التنازل عن الحق قيد أنملة ، والمطلوب

البراءة وإظهار الأخطاء ، بالإعلام المضاد المركز ، فيجب تعريتهم وفضحهم أمام أعين الناس ، وتبيان أخطائهم ، بأن نباهتهم (باهتهم) وينبغي أن يفتش عن كل الوسائل الناجعة ، لمحاربتهم واتقاء شرورهم ، فهم الخطر الحقيقي على الدين ، والأمة ، فمحمد (ص) هو خاتم النبيين ، ودينه كامل شامل ، خالد ، متطور ، صالح لكل زمان ومكان ، لذلك فإن من أتى بمبادئ ، أو شرائع ، أو قوانين ، أو وضع أهدافاً ، أو مقاييس مخالفة لكتاب الله ، وسنة رسوله ، أو لم تكن مستمدة من هذه المصادر الشرعية ، الإلهية ، فهو مبتدع ، وجزاؤه ، في شريعة الإسلام أن يقتل ، لأنه من المفسدين ، كما في الحديث الأنف الذكر .

وقال العلامة المجلسي في شرح الحديث : إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا . . . » قال : « كأن المراد بأهل الريب الذين يشكون في الدين ، ويشككون الناس فيه بإلقاء الشبهات وقيل : المراد بهم الذين بناء دينهم على الظنون والأوهام الفاسدة ، ويحتمل أن يراد بهم الفساق والمتظاهرون بالفسوق فإن ذلك مما يريب الناس في دينهم وهو علامة ضعف يقينهم » (٢٤) .

وفي هذا الصدد يقول الفيض الكاشاني ، محدداً طرق التعاطي مع أهل البدع : « أما المبتدع الذي يدعو إلى بدعته ، فإن كانت البدعة ، بحيث يكفر فيها ، فأمره أشد ، وإن كان مما لا يكفر فيها ، فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة ، ولكن الأمر في الإنكار عليه ، أشد منه على الكافر ، ولأن شر الكافر غير متعد ، فإن المسلمين اعتقدوا لئنه فلا يلتفتون إلى قوله ، ولا يدعي لنفسه الإسلام ، واعتقاد الحق ، أما المبتدع الذي يدعو إلى البدعة ، ويزعم أن ما يدعو إليه حق فهو سبب لغواية الخلق ، فدوره متعد ، فالاستحباب في إظهار بغضه ومعاداته والإنقطاع عنه ، وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته ، وتنفير الناس عنه أشد . . . وكذلك الأولى كف الإحسان والإعانة عنه لا سيما فيما يظهر للخلق » .

قال (ع) : « من انتهر صاحب بدعة ، ملأ الله قلبه أمناً ، وإيماناً ، ومن أهان صاحب بدعة ، آمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن آلاى به ، وأكرمه أولقيه بيشر ، فقد استخف بما أنزل الله على محمد (ص) » .

« وأما المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ، ولا يخاف الإقتداء به

فأمره أهون فالأولى أن لا يفتح بالتغليظ والإهانة ، بل يتلطف به في النصح فإن قلوب العوام سريعة التقلب ، فإن لم ينفع النصح ، وكان في الإعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه ، تأكد الإستحباب في الإعراض وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه ، ورسوخ عقده في قلبه ، فالإعراض عنه أولى ، لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعمّ فسادها» (٢٥) .

شخصية المبتدع

إن المبتدع لحبثه وشدة نفاقه ، قد يتقمص شخصية التقى في بعض الحالات ، ليغش بها الناس :

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « من عمل في بدعة خللاه الشيطان ، والعبادة ، وألقى عليه الخشوع والبكاء » (٢٦) .

ومن هؤلاء الناس : من تحجب عنه حقيقة الدين ، فربما اعترف بوجود الله تعالى ، لكنه ضلّ عن الطريق الموصل إليه سبحانه ، فيقع في الإبتداع . وهناك صنف آخر ، تمنعه تربيته الفاسدة ، اللادينية ، من التمسك بالحق ، والسير في طريق الله ، فيحارب أحباء الله ، وأهل الإيمان ، ويعتق البدع الفاسدة ، والضلالات . . .

وقد جاء في صحيح البخاري في تفسير آية : فطرة الله . . .

« إن رسول الله (ص) قال : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، ثم أبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ثم قال (ص) : فطرة الله التي فطر الناس عليها » (٢٧) .

وقد تنشأ البدع ضمن الدين والمبدأ الواحد ، على أساس اختلاف المذاهب ، فكلّ منهم يزعم أنه يمثل الحق ، « وكل حزب بما لديهم فرحون » ، ولكن (لو كشف الله الحجب ، تجرّى ما حاربه البصر) .

ونقول بلغة أهل العرفان ، إن هذه الحجب هي حجب ظلمائية وإن ظنّت نورانية ، والحجب النورانية لا تكون إلا ضمن المذهب الواحد ، الذي لا

اختلاف فيه أو عليه ، فيرى المتبع للمذهب ما نفسه يسبح في حجاب خاص يظنه من نور ، لذلك لا يسمح له برؤية الآخرين ، الذين يسبحون أيضاً في حجب يظنونها نورانية خاصة بهم أيضاً ، وربما تكون هذه الأنوار من صنع أنفسهم وأوهامهم ، لذلك تعمى الأبصار عن نور الآخرين . . . فتتحول الحجب النورانية إلى حجب ظلمانية من جهة ، ونورانية من جهة أخرى . . . ويبقى الحق هو الحق يخضع لمقاييسه وموازنه الخاصة ، وهي التي يبينها الإسلام في كتاب الله ، والسنة الشريفة . . . وإذا كانت البدعة ستر للحق وكفر به ، فما هو الكفر وما هي حقيقته ومراتبه ؟ .

البحث الآتي يتكفل بتقديم الجواب على هذا السؤال .

* * *

مصادر ومراجع البحث

- (١) بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ٩٢ .
- (٢) الذنوب الكبيرة : ج ٢ ص ٣٢٥ .
- (٣) بحار الأنوار : ج ٢ ص ٢٩٩ .
- (٤) كنز العمال : خطبة ٢٩٨٦ .
- (٥) الوسائل : ج ١ ص ٢٤/٢٥ .
- (٦) الكافي : ج ٢ ص ٣٨٤ .
- (٧) آمالي المفيد : ص ١٢٤ .
- (٨) كنز العمال : ج ١ ص ١٨٣ .
- (٩) كتاب الغارات : ج ٢ ص ٥٨٥ .
- (١٠) آمالي المفيد : ص ١٨ .
- (١١) آمالي المفيد : ص ١١١ .
- راجع أيضاً بحار الأنوار : ج ٢ ص ٣٠١ .
- (١٢) بحار الأنوار : ج ٧٠ ص ١٠٧ .
- (١٣) بحار الأنوار : ج ٧٧ ص ٤٢٠ .
- (١٤) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢٦٤٤ .
- (١٥) الكافي : ج ٢ ص ٣٩٨ .
- (١٦) نهج البلاغة : حكم ١١٧ .
- (١٧) مجمع البيان : ج ٣ ص ٤٨/٤٩ .
- (١٨) الذنوب الكبيرة : ج ٢ ص ٣٢٥ .
- (١٩) تنبيه الخواطر : ص ٣٩٧ .

- راجع أيضاً الوسائل : ج ١١ ص ٥٠٩ .
- (٢٠) قرب الإسناد : ص ١٠٧ .
- (٢١) الكافي : ج ٢ ص ٦٤٢ .
- (٢٢) أصول الكافي : ج ١ ص ٥٤ .
- (٢٣) آمالي المفيد : ص ٣٣ .
- (٢٤) الذنوب الكبيرة : ج ٢ ص ٣٢٤ .
- (٢٥) المحجة البيضاء : ج ٣ ص ٣٠٦ و ٣٠٧ .
- (٢٦) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢١٦ .
- (٢٧) التاج الجامع للأصول . ج ٤ ص ١٨٠ .





الكفر والجحود

أدنى الكفر أن يتدين الإنسان بشيء مما نهى الله عنه ،
ويزعم أن ذلك يرضي الله .

محتويات البحث

- ١ - أدنى الكفر .
- ٢ - ماهية الكفر .
- ٣ - الكافر والكافر المبتدع .
- ٤ - أسباب الكفر وعلاجه .
- ٥ - أقيسة الكفار .
- ٦ - صفات الكفار .
- ٧ - دعائم الكفر .
- ٨ - أصول الكفر .
- ٩ - أركان الكفر .
- ١٠ - وجوه الكفر .
- ١١ - وقفة مع حديث وجوه الكفر :
 - أ - الجحود بالربوبية .
 - ب - الجحود على معرفة .
 - ج - كفر النعم .
 - د - الكفر بترك ما أمر الله به .
 - هـ - كفر البراءة .
- ١٢ - العلاقة مع الكفار .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ،
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب
عظيم ﴾ [١] .

﴿ إن شرّ الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ [٢] .

﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعلمهم كرماد اشتدت به الريح في يوم
عاصف لا يقدرّون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ﴾ [٣] .

* * *

١ - أدنى ما يكون به العبد كافراً

قال علي (ع) : « أدنى ما يكون به الرجل . . كافراً أن يتدين بشيء ،
فيزعم أن الله أمره به ، عما نهى الله عنه ثم ينصبه فيتبرأ ويتولى ، ويزعم أنه
يعبد الله الذي أمره به » (١) .

[١] سورة البقرة : الآية ٦ - ٧ .

[٢] سورة الأنفال : الآية ٥٥ .

[٣] سورة إبراهيم : الآية ١٨ .

وعن علي (ع) : « أدنى ما يكون به العبد كافراً ممن زعم أن شيئاً نهى الله عنه ، إن الله أمر به ، ونصبه ديناً يتولى عليه ، ويزعم أنه يعبد الله الذي أمره به ، وإنما يعبد الشيطان » (٢) .

٢ - أدنى الإلحاد

عن حبيب الحليم قال : سألت أبا عبد الله عن أدنى الإلحاد فقال : « الكبر منه » (٣) .

٣ - أدنى منازل الكفر

عن يزيد الصائغ : « قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : رجل على هذا الأمر ، إن حدث كذب وإن وعد أخلف وإن ائتمن خان ، ما منزلته ؟ قال : (ع) : هي أدنى المنازل من الكفر وليس بكافر » (٤) .

* * *

يظهر من بعض النصوص التي افترضنا بها البحث أن البدعة كفر ، فمن تولى على شيء ، وتبرأ ممن يخالفه ، ولو كان من أصغر الأشياء أو أحقرها ، كأن يأخذ حصاة ، ويدّعي أنها نواة ، ويبرأ ممن خالفه فهو مبتدع ، وعمله بدعة وكفر . وكذلك :

من زعم أن الله أمره بعمل ، وهو في الشرع مما نهى الله عنه ، وتبرأ ممن لا يقول قوله ، واعتقد أنه في ذلك يعبد الله ، فهو كافر ومبتدع ، وعابد للشيطان . والكفر كما يظهر من هذه النصوص ، عملي ونظري :

١ - الكفر العملي

وهذا يتجلى في عبارة الحديث أن الكبر من أدنى الإلحاد ، وأن أقرب المنازل إلى الكفر والبدعة :

أ - الحديث الكاذب .

ب - والخلف بالوعد .

ج - وخيانة الأمانة وقس على ذلك .

٢ - الكفر النظري

وهو ما يكون على مستوى العقيدة والفكر ، وسيأتيك تفصيل ذلك .

ماهية الكفر

والكفر في اللغة هو الستر^(٥) ، وبعبارة أخرى هو ستر الحق .

يقول الإمام الباقر (ع) : « كل شيء يجره الإقرار والتسليم فهو الإيمان ، وكل شيء يجره الإنكار والجحود فهو الكفر »^(٦) .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « لو أن العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا ، لم يكفروا »^(٧) .

ويقول الإمام الباقر والإمام الصادق (ع) : « في قول إبراهيم إذ رأى كوكباً » هذا ربي : إنما كان طالباً لربه ، ولم يبلغ كفراً ، وإنه من فكّر من الناس في مثل ذلك فإنه بمنزلته »^(٨) .

وأما في المصطلح الشرعي ، فإنّ الكفر يتحقق بما يلي :

١ - إنكار الألوهية أو الوحدانية أو الكمال الإلهي

عن محمد بن مسلم قال : « كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالساً عن يساره وزرارة عن يمينه ، فدخل عليه أبو بصير فقال : يا أبا عبد الله ما تقول فيمن شك في الله ؟ فقال كافر يا أبا محمد ، قال : فشكّ في رسول الله فقال كافر ، ثم قال : ثم التفت إلى زرارة فقال : إنما يكفر إذا جحد »^(٩) .

٢ - إنكار الربوبية

(والرب هو المربي ، والمُدبّر) وهذا دين الإنسان المنكر لربوبية الرب ، يؤمن بوجود الله ، ولكنه ينكر علاقة الله بتنظيم الحياة الاجتماعية ، ووضع المناهج الحياتية ، ويرى أن الناس أنفسهم ينبغي أن يتولوا هذه الأمور ، لذلك كان المشركون يعترفون بوجود الله ، ولكنهم كانوا يؤمنون بالأصنام التي تقرّبهم إلى الله زلفى حسب زعمهم ، وبعض أصحاب المذاهب الفلسفية ، يعتقدون بالخالق ،

وينكرون الربوبية ، والتدبير الإلهي للكون ، والحياة ، والقيومة الإلهية ، وهذا كفر وابتداع .

٣ - إنكار نبوة الأنبياء ، أو الإعتقاد بنبوة البعض ،

وإنكار نبوة البعض الآخر كفر

بعض المذاهب السياسية تنكر نبوة بعض الأنبياء وبعض زعماء العلمانيين أنكر نبوة موسى (ع) وأنكر قطع بني إسرائيل للبحر الأحمر ، تعصباً ، دون إثبات أو برهان ، لأنه في الأصل معاد لليهود ، فعادى حتى حقائق التاريخ^(١٠) . . . وكذب القرآن الذي ذكر ذلك ، وبعض اتباع الديانات الأخرى ، أنكروا نبوة محمد (ص) ، فستروا حقاً ، ذكرته كتبهم وبشّروهم الأنبياء به ، كموسى (ع) وعيسى (ع) الذي أخبر عنه القرآن ، أنه قال لهم ، أنه سيأتي بعده نبي اسمه أحمد ، فكفروا بذلك .

قال الإمام الصادق (ع) : «من شك في الله وفي رسوله صلى الله عليه وآله ، فهو كافر»^(١١) .

« عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : من شك في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : كافر ، قلت : فمن شك في كفر الشاك فهو كافر ؟ فأمسك عني فرددت عليه ثلاث مرّات فاستبنت في وجهه الغضب »^(١٢) .

إنكار ضروري من ضروريات الدين كفر ، فإنكار وجوب الصلاة كفر ، ولو فرضنا أن إنساناً صلى ، وهو يعتقد بعدم وجوب الصلاة عد كافراً .

وكذلك إنكار الحج ووجوبه كفر ، والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾^[١] .

وإنكار وجوب الحجاب أو إنكار وجوب الصوم كفر ، أما الإمتناع عن لبس الحجاب ، وعدم الإلتزام به فانحراف وفسق واستحلال الخمر من

[١] سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

الكبائر . . . وشارب الخمر مع اعترافه بحرمة يُعدّ فاسقاً أما إذا كان شاربه مستحلاً له فهو كافر ، كل هذا الذي ذكرنا يعتبر كفراً ، ان أدى إلى إنكار النبوة والرسالة .

يقول الإمام الصادق (ع) : « إن الله عزّ وجل فرض فرائض موجبات على العباد ، فمن ترك فريضة من الموجبات فلم يعمل بها وجعلها كان كافراً » (١٣) .

الكافر والكافر المبتدع

إن الكافر المبتدع ، هو الذي يعلم حقيقة أمر الدين ، ويعرف وجوب ما أوجب ولا يلتزم به . كل ذلك عن فهم ، ووعي ، وإدراك . . . يقول بدعاً ، ويفعل بدعاً ، ويتولى بدعة ، ويسنّ سنناً لم يأمر بها الله ورسوله .

- أما الكافر غير المبتدع فهو إما متول لغيره أو ضعيف العقل أو مرء أو خائف ، لذلك يجحد الحقّ وينكره . . .

أسباب الكفر وعلاجه

يقول المولى النراقي : إن من أسباب الكفر الإغترار بالحياة الدنيا ، وذلك بأن الدنيا في متناول اليد ، وتحت مدارك الناس ، بينها الآخرة ، بعيدة المنال ، وليس من السهل الوصول إليها .

ثم أنّ الملذات المتوفرة في الدنيا ، وما كثرتها ، يقينية بالنسبة للناس ، وإن بذل الإنسان بعض الجهد لتحصيلها . أمّا الدائد الآخرة ، فهي بالنسبة لغير المؤمنين ، مشكوك فيها - حسب زعمهم وهذه الإعتبارات كما هو معلوم لا يأخذ بها ، إلّا الكافرون ، واتباع الشيطان ، لأنها أقيسة مغلوطة ، واعتبارات غير صحيحة .

لم يقل إبليس ، كما في القرآن العظيم : ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار ، وخلقته من طين ﴾ [١] .

[١] سورة الأعراف : الآية ١٢ .

ولا خلاص من مرض الكفر ، إلا بالإعتقاد بواجب الوجود ، الإله الخالق ، الرب ، القادر ، وبأحقية بعثة الأنبياء ، والإيمان باليوم الآخر ، بالدليل والبرهان ، وإنّ هذه الدنيا هي دار ممر ، إلى دار مقرّ ، وإنّها تغر وتضرّ وتمرّ ، كما قال الإمام علي (ع) ، وإنّ الآخرة هي الحيوان ، كما قال تعالى : ﴿ ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ﴾ [١] .

﴿ والآخرة خير وأبقى ﴾ [٢] .

﴿ وما عند الله خير وأبقى ﴾ [٣] .

﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ [٤] .

﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ [٥] .

أقيسة الكفار

أين يكمن الغلط في أقيسة الكفار ؟ إن الغلط في أقيسة الكفار هو قولهم : إنّ الدنيا نقد ، والآخرة نسيئة والنقد خير من النسيئة ، وهذا الأمر يمكن أن يتعقّل لو كان المقدار واحداً .

أمّا إذا كانت النسيئة أضعاف النقد ، فإن الآية تنعكس ويصبح قياسهم مغلوطاً ، وما قولك بالمرضى الذي يمتنع عن كل طيب ولذيذ من الطعام والشراب ، نزولاً عند أوامر الطبيب ، وذلك طلباً للشفاء ، وتخلصاً من آلام المرض . إنّ الإمتناع عن الطعام نقد ، وطلب الشفاء ، والتخلص من الآلام نسيئة .

وما قولك بالتجار الذين يركبون الأهوال ، ويكابدون المصاعب ، في

[١] سورة النحل : الآية ٩٦ .

[٢] سورة الأعلى : الآية ١٧ .

[٣] سورة القصص : الآية ٦٠ .

[٤] سورة آل عمران : الآية ١٨٥ ، سورة الحديد : الآية ٢٠ .

[٥] سورة فاطر : الآية ٥ .

أسفارهم البعيدة ، طلباً للربح الزائد ، أليس تحمّلهم للمصاعب ، وتحشّمهم
للأهوال نقداً ، والربح الوفير نسيئة غير مضمونة . . ويمكن أن نذكر أمثلة
عديدة على ذلك وخوف الإطالة نكتفي بما ذكر .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، هل أدلكم على تجارة تنجيكم من
عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم
ذلك خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري
من تحتها الأنهار ، ومسكن طيبة في جنّات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ [١] .

أما القول إن الآخرة غير مضمونة لذائذها ، مشكوك في وجودها ، وإنها
غير يقينية ، خطأ كبير ، وغلط فادح ، ودليلنا على ذلك ، أن معظم عقلاء
الناس ، يقولون ذلك ، وإن الأنبياء والرسل جاءوا بهذه العقائد الصحيحة ، من
لدى خالق هذا الكون ، واعتنقوها ، وعملوا على نشرها بين الناس ، ولا يضير
هذا الإجماع قول طفل ، أو أحمق ، أو معتوه ، أو مدّع للمعرفة أو الفلسفة . . .

ومثال ذلك : إجماع الأطباء ، وأهل الخبرة في مجال الطب أن الدواء
الكذائي ينفع المريض الفلاني ، فعند ذلك نرى المريض يقتنع ، ويطمئن ولا
يناقش أبداً ، وإن الناس الآخرين لا يجدون على مخالفتهم ولا القول بعكس
قولهم .

وقد جاء في القرآن المجيد على لسان أحد المغرورين الجاحدين : ﴿ وما
أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ﴾ [٢] .

إن هذا القول الكافر ، لم يلقه في روع قائله ، إلا إبليس عدو الله الأكبر ،
وعدوّ خلق الله ، ولكنهم باتباعهم إبليس سيلاقون العذاب الأليم ، وسيلقون في
جهنم يصلونها ، وبئس المصير .

وكثيراً ما ينظر الكفار المترفون إلى المؤمنين الفقراء ، ويقولون: لو كان الله

[١] سورة الصف : الآية ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

[٢] سورة الكهف : الآية ٣٦ .

يحبّهم ، ويفضّلهم كما يزعمون لأعطاهم وما حرمهم وبما أنه أعطانا وحرّمهم
فنحن أفضل منهم . . .

وكما أننا مفضّلون في الدنيا ، فسنبفضّل عليهم في الآخرة ، كما قال
الشاعر :

كما أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقي
وكل هذه الأقيسة والإعتبارات باطلة وفاسدة ، لأنّ النعم الدنيوية ليست
دليل الحبّ والإكرام ، وقد يتناقض المترفون بأقوالهم ، ويتضاربون بأرائهم ،
وهذا ما صرح به القرآن الكريم ، فقال تعالى :

﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن ، وأما
إذا ما ابتلاه فقدّر عليه رزقه فيقول : ربي أهانن ﴾ [١].

والعلاج : هو الإعتقاد والتيقن من أن إقبال الدنيا على الإنسان مذلة له ،
وهوان في أحيان كثيرة ، وإنّ إدبارها عنه كرامة له ، وعزّة في أحوال عديدة .

قال تعالى : ﴿ أيحسبون إنّما نمدّهم به من مال وبنين ، نسارع لهم في
الخيرات بل لا يشعرون ﴾ [٢].

﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ [٣].

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما
أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾ [٤].

﴿ إنّما غمّي لهم ليزدادوا إثماً ﴾ [٥].

﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ [٦].

[١] سورة الفجر : الآية ١٥ ، ١٦ .

[٢] سورة المؤمنون : الآية ٥٥ ، ٥٦ .

[٣] سورة القلم : الآية ٤٤ .

[٤] سورة الأنعام : الآية ٤٤ .

[٥] سورة آل عمران : الآية ١٧٤ .

[٦] سورة الأعراف : الآية ٩٩ .

﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ [١].

صفات الكافر

ومن صفات الكافر :

- ١ - انه عتل زنيماً .
- ٢ - وأنه خبّ ، ضبّ ، جاف ، خائن .
- ٣ - وأنه لثيم ، خوّان ، مغرور بجهله .
- ٤ - وأنه مغبون ، فاجر ، جاهل .
- ٥ - همّة الدنيا ، وهي جنته .
- ٦ - وسعيه للعاجلة وهي همته .
- ٧ - وغايته شهوته .
- ٨ - والموت شقاوته .
- ٩ - والنار غايته (١٥) .

دعائم الكفر

وعن علي (ع) أنه قال : « إنّ الكفر على أربع دعائم : على التعمّق والتنازع والزيغ والشقاق .

- ١ - فمن تعمّق لم ينب إلى الحقّ .
- ٢ - ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحقّ .
- ٣ - ومن زاغ ساءت عنده الحسنة ، وحسنت عنده السيئة وسكر سكر ضلالة .
- ٤ - ومن شاقّ ، وعرت عليه طريقه ، وأعضل عليه أمره ، وضاق عليه مخرجه (١٦) .

وعن علي (ع) أنه قال : « إنّ دعائم الكفر هي على : الفسق ، والعتو

[١] سورة آل عمران : الآية ٥٤ .

(تجاوز الحدّ) والإستكبار ، والشكّ ، والشبهة «(١٧) .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « بني الكفر على أربع دعائم : على الجفاء والعمى والغفلة والشك » .

١ - من جفا فقد احتقر الحق ، وجهر بالباطل ، ومقت العلماء ، وأصرّ على الحنث العظيم .

٢ - ومن عمي ، نسي الذكر ، وأتبع الظنّ ، وطلب المغفرة ، بلا توبة ولا استكانة .

٣ - ومن غفل حاد عن الرشيد ، وغرّته الأمانى ، وأخذته الحسرة ، والندامة ، وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب .

٤ - ومن عتّى في أمر الله شكّ ، ومن شكّ بالله تعالى : أذّله بسلطانه ، وصغّره بحلاله كما فرط في أمره من اغترّ برّبّه الكريم «(١٨) .

أصول الكفر

عن الصادق (ع) أنه قال : « أصول الكفر ثلاثة : الحرص ، والإستكبار ، والحسد .

١ - فأما الحرص فإن آدم عليه السلام حين نهي عن الشجرة حمله الحرص على أن أكل منها .

٢ - وأما الإستكبار فإبليس حين أمر بالسجود لآدم استكبر .

٣ - وأما الحسد ، فابن آدم حيث قتل أحدهما صاحبه «(١٩) .

أركان الكفر

قال رسول الله (ص) : « أركان الكفر أربعة : ١ - الرغبة ٢ - والرغبة ٣ - والسخط ٤ - والغضب «(٢٠) .

وجوه الكفر

عن أبي عمر والزميري عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « قلت له : أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عز وجل قال : الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه .

فمنها كفر الجحود ، والجحود على وجهين ، والكفر بترك ما أمر الله ، وكفر البراءة ، وكفر النعم » (٢١) .

١ - فأما كفر الجحود فهو الجحود بالربوبية ، هو قول من يقول : لا رب ولا جنة ولا نار ، وهو قول صنفين من الزنادقة ، يقال لهم الدهرية ، وهم الذين يقولون : وما يهلكنا إلا الدهر ، وهودين وضعوه لأنفسهم ، بالإستحسان ، على غير تثبت منهم ، ولا تحقيق لشيء مما يقولون .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا يظنون ﴾ إِنَّ ذلك كما يقولون : وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١] . يعني بتوحيد الله ، فهذا أحد وجوه الكفر .

٢ - وأما الوجه الآخر هو الجحود على معرفة ، وهو أن يمحذ الجاحد ، وهو يعلم أنه حق ، وقد استقر وقد قال عز وجل : ﴿ وَجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ [٢] .

﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الدين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنة الله على الكافرين ﴾ [٣] . وهذا تفسير وجهي الجحود .

٣ - والوجه الثالث من الكفر ، هو كفر النعم ، وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان عليه السلام :

[١] سورة البقرة : الآية ٦ .

[٢] سورة النحل : الآية ١٤ .

[٣] سورة البقرة : الآية ٨٩ .

﴿ وهذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ [١] .

وقال : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ﴾ [٢] .

﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ [٣] .

٤ - الوجه الرابع من الكفر ، هو ترك ما أمر الله عزّ وجلّ به ، وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ﴾ [٤] .

﴿ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو حرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [٥] .

فكفّروهم بترك ما أمر الله عزّ وجلّ به ، ونسبهم إلى الإيمان ، ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده . فقال : ﴿ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [٦] .

٥ - الوجه الخامس من الكفر : هو كفر البراءة ، وذلك قوله عزّ وجلّ يحكي قول إبراهيم عليه السلام : ﴿ كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [٧] .

يعني تبرأنا منكم .

وقال يذكر إبليس وتبرأته من أوليائه من الأنس يوم القيامة .

[١] سورة النحل : الآية ٤٠ .

[٢] سورة إبراهيم : الآية ٧ .

[٣] سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

[٤] سورة البقرة : الآية ٨٤ .

[٥] سورة البقرة : الآية ٨٥ .

[٦] سورة البقرة : الآية ٨٥ .

[٧] سورة الممتحنة : الآية ٤ .

لاني كفرت بما أشركتُموني من قبل .

وقال : ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَمُنْ بِبَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ [١] .
يعني يتبرأ بعضكم من بعض .

وقفه مع حديث وجوه الكفر

أ - الجحود بالربوبية .

ب - والجحود على معرفة .

وهو إنكار الحق أو الحقائق الإيمانية الموضوعية ، البديهية ، أو المستنتجة لأسباب ذاتية أو معنوية ، أو مادية مصلحية ، فترى المنكرين للخالق ، يصرون على إنكارهم وهم يرون الخلق والآثار ، الدالة عليه ، وبعضهم يُنكر الآخرة ، وهو يرى الأولى ، كما قال علي (ع) : « عَجِبْتُ لِمَنْ يَنْكُرُ النُّشْأَةَ الْآخِرَى ، وَهُوَ يَرَى النُّشْأَةَ الْأُولَى » .

ومن الناس من يعلم أهمية الصلاة والصوم والزكاة والحج ، وغير ذلك من الشعائر ، ولكنه يتذرع بذرائع شتى ، ويتعلل بعلة مختلفة ، لينكر ضرورة تأدية ، ووجوب هذه العبادات .

ويمكن أن يكون الجحود على معرفة سببه مادياً ، إذ إن الجاحدين على معرفة ، قد يندفعون بدوافع غريزية ، أو أسباب مادية لجحد الحق ، وقد يكون السبب الخوف من الحق ، ومقاييسه ، وموازينه ، التي قد يؤدي تحكيمها إلى حرمان هؤلاء من مال يطمعون في الحصول عليه ، أو جاه ، أو منصب يرغبون في التسلق إليه . . . لذلك يجحدون الحق ، وهم يعلمون .

فالخمس واجب ، والزكاة واجبة كذلك ، ولكن البعض لا يدفع الحقوق الشرعية طمعاً في زيادة أمواله ، وخوفاً من نقصها فيمتنع عن أداء حقّ الفقير

[١] سورة العنكبوت : الآية ٢٥ .

والمسكين ، وينكره ويكفر هذا الحق على معرفة .

قال تعالى : ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضلّه الله على علم ﴾ [١] .

ج - كفر النعم

الكفر بالنعم ، هو جحود وإنكار ما أعطاه الله ، ومنحه للإنسان من قوى وخيرات معنوية ، وروحية ، وعقلية ، ونفسية ، ومادية ، كمن ستر هذه القوى ، ومنعها من أن تؤدي دورها ، أو انحرف بها عن دورها الإلهي المرسوم ، فمن أعطاه الله قوة عقلية وذكاء ، عليه أن يستعمل هذه القوة لخدمة الناس ، ومساندتهم على تسويق أوضاع حياتهم ، وفهمها ، والتعمق بها ، وبهذا يكون قد شكر الله على نعمة العقل ، وكذلك من وهبه الله جاهاً ومكانة ، عليه أن يستخدم هذا الجاه وما يترتب عليه من كلمة نافذة عند الناس ، في سبيل مساعدة الضعفاء والمستضعفين ، الذين لا يجدون لأنفسهم معيناً على مصائبهم وبلاياهم ، ومن أعطاه الله نعمة القوة الجسدية ، فليس أمامه إلا أن يجعل هذه النعمة العظمى - نعمة القوة والصحة - في إطار رعاية ومعاونة ومساعدة من يحتاج إلى غوث ومساعدة . وكذلك من منح نعمة الجمال في الصورة ، والتكوين ، فإن المطلوب منه أن لا يفتّر بجماله الجسدي ، لأنه معرض للتشويه والشيخوخة بل يشكر الربّ الإله ، على ما أعطاه ، ويفكر أكثر بالجمال الكوني ، وبالله الجميل (إنّ الله جميل يحبّ الجمال) ومن أنعم عليه بنعم مادية (مالية أو غير ذلك) فليكن لحق الله مؤدياً ، ولأمواله مطهراً ومزكياً ، يدفع ما يتوجب عليه من خمس وزكاة ، ويجعل في أمواله حقاً معلوماً ، للسائل والمحروم ، فيؤدي بذلك شكر الله ، ولا يكون من الذين كفروا بأنعم الله تعالى : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إنّ الإنسان لظلم كَفَّار ﴾ [٢] .

والشكر على النعم شكران : شكر قولي ، وشكر عملي ، والشكر الأساسي هو الشكر العملي ، إلى جانب الشكر اللفظي ، وذلك بالعمل ، والممارسة من

[١] سورة الجاثية : الآية ٢٣ .

[٢] سورة إبراهيم : الآية ٣٥ .

أجل إدخال السرور على المستضعفين ، وتنفيذ الأوامر الإلهية في شتى الحالات - أما بالنسبة للنعم ، فهي متنوعة فهناك : نعم إقتصادية ونعم أمنية ونعم سياسية ونعم إجتماعية الخ . . . ، وكل ذلك يعود إلى النظام المطبق على مستوى الأمة ، أو الدولة ، ففي حال فساد هذا النظام ، وفساد السلطة فإن هذه النعم ستقلب إلى نقم على الناس :

فالنعم الإقتصادية التي كانت تغدق على لبنان مثلاً ما قبل الحرب ، منعها سوء التوزيع ، والترف والبطر ، والانحرافات الخلقية ، التي استشرت ، فانقلبت هذه النعم إلى حرب مدمرة لم تبق ولم تذر ، وينسحب هذا على كل البلدان التي تركت نظام الله الإقتصادي ، لتنفيذ أنظمة إقتصادية وضعية ، كالرأسمالية أو الاشتراكية أو غير ذلك .

والنعم الأمنية : بكل ما تعنيه وتحويه ، من تعاون بين الناس ، ووجوه الترابط الإجتماعي ، وأعمال البر والخير ، كلها ، قد أصيبت بنكسات كبرى ، نتيجة كفران النعم الإجتماعية الإلهية ، والتنكر لأوامر الله ، في الأخوة والتعاون ، وخدمة المستضعفين .

أما النعم السياسية : فإن السبب في تحويل هذه النعم ، إلى نقم هو كفران النعم السياسية الإلهية ، بالإنحراف عن قيم العدل والمساواة ، وتطبيق النظم الظالمة ، من ديمقراطية غربية أو ديكتاتورية أو ملكية ، والسبب الرئيس في زوال الحكومات هو الظلم ، لأن الملك قد يبقى مع الكفر ، ولا يبقى مع الظلم ، كما ورد ، لذلك فالإيمان ليس شرطاً لإطالة أمد الحكم في دولة ما والظلم بقلب النعم إلى نقم كما قلنا ، وتأثيره السلبي أكبر من الانحرافات الخلقية والإجتماعية ، فالحاكم الكافر عندما يعدل في حكمه بين أفراد رعيته ، يكون قد مارس قيمة إلهية ، هي العدل وإن كان عمله عملاً دنيوياً ، ولكن هذه الممارسة تساعد على إطالة عمر حكمه .

وبذل العلم وتأمين الحرية للناس ، كلها قيم إلهية تجعل الحكومات تستمر لفترة زمنية ، ولكن يأتي يوم لزوال هذه الحكومات وأحكامها لأنها تفتقر إلى الأسس الإلهية الأخرى ، وأهمها الإيمان .

ومشكلتنا في لبنان هي مشكلة النظام السياسي . . . ولأنّ هذا النظام هو نظام فاسد ، ومجرم وظالم ، كما قال الإمام الخميني قدس سره ، بل هو في الحقيقة نظام الإمتيازات لفئة قليلة ، على حساب فئة كثيرة لذلك لم يدم هذا النظام طويلاً ، بأن نشبت حرب أهلية داخلية ، لم يسلم منها أحد ، حيث أنّ المشكلة اللبنانية ، باتت مشكلة مستعصية ، لا ترتق من جانب ، حتى تفتق من جانب آخر .

وللتدليل على أن العدل أساس الحكم ، نضرب ، كمثال ، هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة :

فقبل أن يصبح المسلمون أقوياء ، وقادرين على الوقوف ، أمام جبروت وظلم المشركين ، وبسبب ما لاقاه المسلمون ، من تعذيب وقتل وتشريد ، أمر الرسول (ص) أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة .

والسؤال الذي يطرح نفسه - لماذا إلى الحبشة وليس غيرها ؟ .

والجواب : هو ما ذكره رسول الله (ص) من أن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد . . . إذن صفة هذا الملك العدل ، وهي صفة وقيمة إلهية يحبها الله ورسوله ، والعاملون ، وبالعدل يدوم الملك ، وتزدهر البلاد ، ويعيش الناس بطمأنينة ورخاء . مع أن هذا الملك ليس بمؤمن ولا بمسلم .

ومثال آخر ، هو أن كسرى أنوشروان كان مجوسياً ، ولكنه كان عادلاً ، لذلك عاش الناس في عهده بأمن وأمان . وما ذلك إلاّ لعدله في الرعية ، والمساواة بين أفرادها ، ويفتخر رسول الله (ص) قائلاً : « ولدت في زمن الملك العادل » .

د - الكفر بترك ما أمر الله به

وهو الإيمان التبعضي الذي وصفه القرآن الكريم ، فقال تعالى : ﴿ أَفْتَوْنُون بِيَعُضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا

تعملون ﴿١١﴾ .

إنّ الإسلام ، كمنهج للحياة كامل ، متكامل ، أمّا أن يؤخذ كله ، وإمّا أن يترك كلّهُ ، والإيمان بجزء منه فقط ، كفر بالجميع لذلك ينبغي فهم هذه المسألة بشكل واضح ، ولأوّقوع الإنسان في الكفر ، والبعد عن طاعة الله تعالى ، ونال الخزي في الدنيا ، لأنّه ترك المناهج الإلهية ، إلى غيرها من المناهج الوضعية ، التي هي في الحقيقة تعبّر عن الإنكار لحاكمية الله تعالى في الحياة ، والتعدي على صفة الربوبية والتدبير الإلهي ، عدا عن أنّ هذه المناهج الأرضية ، هي مناهج انحرافية عن الفطرة ، ولا تؤمّن سعادة البشرية ، لنقص واضعيها ، لذلك يحلّ الشقاء والبلاء ، والخزي والذلّ ، بالمجتمعات التي تطبقها وكذلك الحروب ، والانحرافات ، والانتحار ، والسجون ، والتعذيب ، والمخدرات . . . كل ذلك خزي في الحياة الدنيا ، تعيشه المجتمعات المنحرفة عن شريعة الله . . . وأمّا يوم القيامة ، فإنّ العذاب أخزى . . . إنّه أشدّ العذاب ، لأنّ من وضع نفسه في موقع الربوبية في الدنيا ، فلا شكّ أنّه سيتحمل مسؤولية ذلك ، عندما ينتقم الربّ الإله منه ، لأنّه ظلم نفسه ، وظلم غيره . . .

وبعض الناس يظنّ أنّه ان أدى بعض الفرائض من صلاة وصيام ، أو حج إلى بيت الله الحرام ، يكون قد أَرْضَى رَبّه ، وقام بواجباته ، تجاه دينه . . . إن هذا وهم ، لأنّه يكون قد ترك أشرف الأعمال وأعظمها ، وآمن ببعض الإسلام ، وكفر ببعض الآخر ، فأين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ .

وأين الجهاد ، والإستشهاد ؟ وأين العدل والمساواة والحرية والعزّة الإسلامية ؟ .

وأين محاربة الباطل وأهله ، ونصرة الحقّ وأهله ؟ .

وأين الوقوف مواقف الحق والصدق ، وتبني القضايا العادلة في الحياة ، والدفاع عنها ؟ .

[١١] سورة البقرة : الآية ٨٥ .

وأين نشر الإسلام وتبليغه . . وأين العمل لتطبيق مناهج الإسلام في جميع مجالات الحياة ؟ .

أليس التبعض في الإيمان والتدين والعمل ، مما ينطبق عليه قول الباقر (ع) حيث يقول :

« يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم ، قوم مراؤون . . - إلى أن قال - : ولو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها . إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تقام الفرائض ، هنالك يتم غضب الله عز وجل عليهم فيعمهم بعقابه فيهلك الأبرار في دار الأشرار والصغار في دار الكبار . إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهج العلماء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمين المذاهب ، وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الأرض وينصف من الأعداء ويستقيم الأمر » (٢٢) .

ومن الناس من يرى أنه لا يجوز ، أو يحرم العمل لإقامة أحكام الإسلام في الحياة ، وبناء دولته العادلة ، وينبغي الانتظار في رأي هؤلاء حتى مجي الإمام الحجة المنتظر (عج) ، ولولا الحياء لقالوا: ينبغي أن نساعد على نشر الظلم والفساد ، لنسرّع في ظهور الإمام المهدي (عج) ، لأنه لا يظهر حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً . . وهذا أيضاً ، إيمان ببعض الكتاب ، وكفر بالبعض الآخر . . .

ثم ، هل أن الإمام المهدي (عج) سيظهر في فراخ ، وبدون تهيئة وتمهيد ، ومن سيمهد لظهوره ، ومن سيهيء الأرضية الصالحة لهذا الإمام العظيم (عج) ؟ إن ترك ما أمر الله أو بعضه ، مما علم أنه من أحكام الله ، وأوامره يعدّ كفراً ، والأعمال ، في هذه الحال لا تنفع عاملها ، وهي غير مقبولة عند الله تعالى ، ولذلك قال الصادق (ع) إن الله سبحانه : « . . . كفّرهم بترك ما أمر الله عز وجل به ، ونسبهم إلى الإيمان ، ولم يقبله منهم ، ولم ينفعهم عنده » .

هـ - كفر البراءة

الإيمان والكفر ، وجهان متقابلان ، ولكنها يتلقيان في الشكل ، وإن اختلفتا في المضمون ، فالمؤمن لكي يكون مؤمناً لا بدّ له أن يكفر بما آمن به الكافرون ،

والكافر لكي يكون كافراً لا بد أن يؤمن بما كفر به المؤمنون ، وبهذا نفهم قول الله تعالى على لسان نبيه إبراهيم الخليل (ع) : ﴿ كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً ، حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [١] .

فالمؤمن يكفر ويتبرأ من الكفار ، والكفار يتبرؤون ويكفرون بأهل الإيمان ، وهذه البراءة ضرورية ، لكي يبقى الإيمان إيماناً ، والكفر كفراً .

ولقد تبين من خلال البحث ، أن كل بدعة كفر ، وأن ما يجعل الإنسان مبتدعاً ، يجعله كافراً ، وكذلك ، فإننا سنبين أن ما يجعل المرء مبتدعاً ، فإنه يجعله مشركاً . . .

عن الحسن بن علي العسكري عن آبائه (ع) : « أن رسول الله (ص) قال لبعض أصحابه ذات يوم : يا عبد الله أحب في الله وابغض في الله ووال في الله وعاد في الله فإنه لن تنال ولاية الله إلا بذلك ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وقد صارت مؤخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا عليها يتوآدون وعليها يتباغضون وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً ، فقال الرجل : يا رسول الله فكيف لي أن أعلم اني قد واليت في الله وعاديت في الله ومن ولي الله حتى أوليه ومن عدوه حتى أعاديته ؟ فأشار له رسول الله (ص) إلى علي (ع) فقال : أترى هذا ؟ قال بلى ، قال : ولي هذا ولي الله فواله وعدوه هذا عدو الله فعاده وال هذا ولو أنه قاتل أبليك وولدك وعاد عدوه هذا ولو أنه أبوك أو ولدك » [٢٣] .

وفي عيون الأخبار عن الرضا (ع) : في كتابه إلى المأمون قال : « وحب أولياء الله واجب وكذلك بغض أعداء الله والبراءة منهم ومن أئمتهم » [٢٤] .

وفي عيون الأخبار : عن إبراهيم بن محمد الثقفي قال : « سمعت الرضا (ع) يقول : من أحب عاصياً فهو عاصٍ ، ومن أحب مطيعاً فهو مطيع ، ومن أعان ظالماً فهو ظالم ، ومن خذل ظالماً فهو عادل ، إنه ليس بين الله وبين أحد قرابة ، ولا تنال ولاية الله إلا بالطاعة » [٢٥] .

[١] سورة الممتحنة : الآية ٤ .

عن علي (ع) قال : « وأما الرخصة التي صاحبها فيها بالخيار فإن الله نهى المؤمن أن يتخذ الكافر ولياً ، ثم مَنّ عليه بإطلاق الرخصة له عند التقية في الظاهر - إلى أن قال - : قال الله تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه ﴾ » فهذه رحمة تفضل الله بها على المؤمنين رحمة لهم ليستعملوها عند التقية في الظاهر .

وقال رسول الله (ص) : « إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه » (٢٦) .

عن أبي عبد الله (ع) في حديث قال : « ما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلا حضرهم عشرة أضعاف من الشياطين فإن تكلموا تكلم الشياطين بنحو كلامهم ، وإذا ضحكوا ضحكوا معهم ، فإذا نالوا من أولياء الله نالوا معهم ، فمن ابتلي من المؤمنين بهم فإذا خاضوا في ذلك فليقم ولا يكن شريك شيطان ولا جليسه فإن غضب الله لا يقوم له شيء ولعنته لا يردّها شيء ثم قال (ع) : فإن لم يستطع فلينكر بقلبه وليقم ولو حلب شاة أو فواق ناقة » (٢٧) .

وعن علي (ع) أنه قال : « مجالسة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار ، ومجالسة الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار ، ومجالسة الفجار للأبرار تلحق الفجار بالأبرار ، فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه ، فإن كانوا أهل دين الله فهو على دين الله ، وإن لم يكونوا على دين الله فلا حظّ لهم في دين الله ، إن رسول الله (ص) كان يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤاخذ كافرًا ولا يخالط فاجرًا ومن آخى كافرًا أو خالط فاجرًا كان فاجرًا كافرًا » (٢٨) .

العلاقة مع الكفار

١ - عن موسى بن جعفر ، عن آبائه (ع) قال : « نهى رسول الله (ص) عن زبد المشركين ، يريد به هدايا أهل الحرب » (٢٩) .

٢ - قال النبي (ص) في أهل الذمة : « لا تساووهم في المجالس ، ولا

تعودوا مريضهم ولا تشيعوا جنازهم واضطروهم إلى أضيق الطرق ، فإن سبوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوهم» (٣٠) .

٣ - قال الباقر (ع) لجابر : « لا تستعن بعدولنا في حاجة ، ولا تستطعمه ، ولا تسأله شربة » (٣١) .

٤ - وقال أمير المؤمنين (ع) : « من أتى ذمياً وتواضع له ، ليصيب من دنياه شيئاً ، ذهب ثلثا دينه » .

٥ - عن موسى بن جعفر ، عن آبائه قال : قال رسول الله (ص) : « إني بريء من كل مسلم نزل مع مشرك في دار الحرب » .

ويعلق أحد كتابنا على هذا الحديث فيقول : « رسول الله (ص) بريء من كل مسلم نزل مع مشرك في دار الحرب » . تحقيق عميق للفصل بين الإستعمار وبين المسلمين ، ما أعظم ذلك من خط فاصل ، ولا تؤخذ هدايا الإستعمار ، فإذا أهدى المستعمرون هدية للمسلمين ، فإنما يفصدون من وراء ذلك استعماراً فكرياً ، سوف ينتهي شيئاً فشيئاً إلى الإستعمار المسلح وسحق البلاد والعباد ، والإسلام سد الطريق من أوله ، لكي لا تصل النوبة إلى تلك النهاية (وأهل الذمة) هم :

الكفار - الذين يعيشون في البلاد الإسلامية ، إنهم على صنفين : صنف يعيش ببساطة وبلا تأمر ، وصنف يعيش في البلد الإسلامي ، لكي يتأمر ضد الإسلام والمسلمين ، وهذا الصنف الثاني هو الذي يجب معاملته بالعنف . فالرخمة بالعنيف عنف بالظلمين .

وقديماً قيل : الترحم على النمر الكاسر جناية على الضعفاء ، والمظلومين والصغار والمرضى . فهذا الصنف من الكفار المستعمرين يتعامل معهم كالتالي :

١ - لا تساوهم في المجالس ، بل يجلسون دون مجلس المسلمين إذلاً لهم وقطعاً لأطماعهم .

٢ - ولا تعودوا مريضهم ، ولا تشيعوا جنازهم .

٣ - واضطروهم إلى أضيق الطرق ، فلا تدعوا لهم مجالاً يدخلون على الأبواب العامة .

- ٤ - فإن سبّوكم فاضربوهم .
 ٥ - وإن ضربوكم فاقتلوهم .
 لتكن المبادرة بيد المسلمين ، حتى لا يتمّ الإستعمار الذي تم في عصورنا في كثير من البلاد الإسلامية .
 ولو أن المسلمين كانوا قد عملوا بهذا الحديث الشريف الذهبي في سياستهم مع الإستعمار لما بلغ الحال بهم ما نرى من الإستعمار والإستثمار والإذلال .
 نعم ، هناك صنف بريء من أهل الذمة وهؤلاء لا يكتن الإسلام لهم سوى الإحترام والتقدير .
 حتى نقل عن النبي (ص) أنه قال في مثل هؤلاء : « من آذى ذمياً ، فقد آذاني » .
 وتمييز هذا الصنف عن ذلك ، يرجع إلى مقدرة الإنسان المسلم السياسية ، فلا يظلم هذا ولا يظلمه ذاك^(٣٤) .

مخالطة الكفار

- ١ - يقول أبو عبد الله (ع) : « لا ينبغي للرجل المؤمن منكم أن يشارك الذمي ولا يبضعه بضاعة ولا يودعه وديعة ولا يضافيه المودة »^(١٦) .
 ٢ - عن علي بن جعفر عن أخيه (ع) قال : « سألته عن المسلم ، له أن يأكل مع المجوسي في قطعة واحدة ، أو يقعد معه على فراش ، أو في المسجد أو يصاحبه ؟ قال : لا »^(١٧) .
 ٣ - قال رسول الله (ص) : « لا تبدأوا أهل الكتاب بالسلام ، فإن سلموا عليكم فقولوا : عليكم ولا تصافحوهم ولا (تنكحوهم) ، إلّا أن تضطروا إلى ذلك »^(١٨) .
 وهذا التعامل السلبي إنّما هو فيما يخص الذين يتآمرون على الإسلام ، أما المسلمون فنحن مأمورون ببرّهم والإحسان إليهم ، كما سبق وذكرنا .

مصادر ومراجع البحث

- (١) مستدرک الوسائل . ج ١ ص ٦ .
- (٢) الکافي : ج ٢ ص ٤١٥
- (٣) معانی الأخبار . ص ٢٧٥
- (٤) بحار الأنوار : ج ٢ ص ٢٩٠ ، الکافي : ج ٢ ص ٢٩٠
- (٥) راجع المفردات للراغب
- (٦) الکافي : ج ٢ ص ٣٨٧ .
- (٧) الکافي : ج ٢ ص ٣٨٨ .
- (٨) بحار الأنوار : ج ١١ ص ٨٧
- (٩) الکافي : ج ٢ ص ٣٩٩
- (١٠) راجع کتاب أفلاس الأحراب العلمانية/علي طه/ ص ٢٢٦
- (١١) الکافي : ج ٢ ص ٣٨٦
- (١٢) الکافي : ج ٣ ص ٣٨٧
- (١٣) الکافي : ج ٢ ص ٣٨٣ .
- (١٤) راجع : جامع السعادات بتصرف ج ٣ ص ٦ وما بعدها
- (١٥) راجع . عرر الحکم وبحار الأنوار ج ٧٣ ص ٩٧ .
- (١٦) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٤٢ ، وفي نهج البلاغة حکم ٣١ .
- (١٧) بحار الأنوار . ج ٧٢ ص ٩٠ .
- (١٨) كنز العمال خطبة ٤٤٢١٦
- (١٩) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ١٠٤
- (٢٠) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ١٠٥ .

- (٢١) أصول الكافي : ج ٢ ص ٣٨٩ .
- (٢٢) الوسائل : ج ١١ ص ٣٩٤ .
- (٢٣) الوسائل : ج ١١ ص ٤٤٠ .
- (٢٤) الوسائل . ج ١١ ص ٤٤٣ .
- (٢٥) الوسائل . ج ٦ ص ٤٤٦
- (٢٦) المصدر السابق ص ٤٨١
- (٢٧) المصدر السابق ص ٥٠٥ .
- (٢٨) المصدر السابق ص ٥٠٧ .
- (٢٩) نواذر الراوندي ص ٣٣ .
- (٣٠) بحار الأنوار : ج ٧٥ ص ٣٩٢ .
- (٣١)(٣٢) المصدر السابق .
- (٣٣) نواذر الراوندي ص ٢٣ .
- (٣٤) راجع . الظلم في المنظار/ علي عبد الرضا/ ص ١٧٥





الشرك

إن أدنى الشرك ، أن تقول للنواة حصاة وللحصاة نواة
وأن تدين بذلك .

محتويات البحث

- ١ - ماهية الشرك .
- ٢ - مراتب التوحيد .
- ٣ - التوحيد والشرك في مقام الذات .
- ٤ - التوحيد في مقام الصفات .
- ٥ - تزكية النفس من غفلة الشرك .
- ٦ - الموحّدون يخافون أن يمدحوا .
- ٧ - التوحيد والشرك في الأفعال .
- ٨ - حقيقة التوحيد .
- ٩ - التوحيد والشرك في الطاعة .
- ١٠ - مسؤولية العوام .
- ١١ - حوار الصادق (ع) مع الزنديق .
- ١٢ - حكمة اختلاف الناس في الرزق .
- ١٣ - حوار الرضا (ع) مع عمران الصابئي .
- ١٤ - هل أن الله تعالى تغير بخلقه الخلق ؟
- ١٥ - الشرك ظلم وإثم وضلال وسقوط .
- ١٦ - هل يجوز للمؤمنين الإستعانة بالمشرّكين ؟
- ١٧ - الإقامة مع المشركين .

- ١٨ - ما هو الشرك الخفي ؟ .
- ١٩ - التعوذ بالله مما نعلم من الشرك الخفي .
- ٢٠ - الرياء شرك .
- ٢١ - الشبهة .
- ٢٢ - الموقف من الشبهات .
- ٢٣ - الوقوف عند الشبهات .
- ٢٤ - مرتكزات الشبهة .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [١] .

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [٢] .

﴿ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَجْعَلُوا لِهَيْكَلِكُمْ لَصَاقًا يَوْمَ يُغَارِقُ الْفَجْرُ الْأَرْضَ كُلَّهَا وَاسْجُدْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْعَزِيزِ ﴾ [٣] .

﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [٤] .

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [٥] .

* * *

[١] سورة النساء : الآية ٤٨ .

[٢] سورة النساء : الآية ١١٦ .

[٣] سورة لقمان : الآية ١٣ .

[٤] سورة التوبة : الآية ٣٦ .

[٥] سورة التوبة : الآية ١٧ .

« عن برير العجلي عن أبي جعفر قال : سألته عن أدنى ما يكون العبد به مشركاً قال ، فقال (ع) : من قال للنواة إنها حصاة ، وللحصاة أنها نواة ، ثم دان به » [١] .

أدنى الشرك

إن أدنى الشرك أن يبتدع الإنسان رأياً فيحبّ عليه ويغضّ عليه .
« عن ابن عباس قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أدنى ما يكون به الإنسان مشركاً قال ، فقال : من ابتدع رأياً فأحبّ عليه أو أبغض عليه » [١] .

* * *

ومما سبق من نصوص نخلص إلى المعادلة التالية :
البدعة = الكفر ، الشرك = البدعة ، الشرك = الكفر .

ماهية الشرك

لقد عرّف العلامة النراقي الشرك بأنه رؤية مؤثر في الوجود غير الله ، صنماً كان أو كوكباً ، أو إنساناً ، وهو نوعان :
شرك عبادة ، وشرك طاعة .

وشرك العبادة ، يسمى شركاً جلياً ، وشرك الطاعة يسمى شركاً خفياً .
فإذا عبد الإنسان غير الله كانت عبادته شركاً ، أما إذا عبده لأثره ، وتأثيره ، كانت عبادته شرك طاعة (٢) .

ويقول الراغب الإصفهاني ، في مفرداته : « . . شرك الإنسان في الدين نوعان :

[١] الكافي : ج ٢ ص ٣٩٧ .

أحدهما : الشرك العظيم ، وهو إثبات شريك لله تعالى ، يقال : أشرك فلان بالله ، وذلك أعظم كفر : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [١]

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [٢] .

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ [٣] .

﴿ يَبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾ [٤] .

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾ [٥] .

الثاني : الشرك الصغير : وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور ، وهو الرباء والنفاق المشار إليه بقوله : ﴿ شُرَكَاءُ فِيهَا أَتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٦] .

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [٧] .

وقال بعضهم معنى قوله : ﴿ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ ، أي واقعون في شرك الدنيا ، أي حبالتها . قال : ومن هذا ما قال عليه وعلى آله السلام : « الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا » .

قال ولفظ الشرك من الألفاظ المشتركة ، وقوله ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [٨]

محمول على الشركين ، وقوله : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٩] .

فأكثر الفقهاء يحملونه على الكفار جميعاً لقوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ

[١] سورة النساء . الآية ٤٨

[٢] سورة النساء . الآية ١١٦ .

[٣] سورة المائدة : الآية ٧٢ .

[٤] سورة الممتحنة . الآية ٢ ب .

[٥] سورة الأنعام : الآية ١٤٨

[٦] سورة الأعراف . الآية ١٩٠

[٧] سورة يوسف . الآية ١٠٦

[٨] سورة الكهف : الآية ١١٠ .

[٩] سورة التوبة : الآية ٥ .

الله ﴿١٦﴾ .

وقيل : هم من عدا أهل الكتاب ، لقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِّينَ ، وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ [٢١] .
أفرد المشركين عن اليهود والنصارى .

التوحيد في سورة التوحيد

والتوحيد عكس الشرك وضده ، ومن أجل فهم معنى التوحيد ، فإن خير المتكلمين عنه ، سادة الموحدين ، من أهل البيت (ع) وهاكم بعض الروايات عنهم صلوات الله وسلامه عليهم ، حول معنى سورة الأخلاص أو التوحيد ، والتي تسمى أيضاً نسبة الرب .

١ - وقد ورد عن الإمام أبي محمد العسكري (ع) : إنّ اليهود ، أعداء الله ، لما قدم النبي (ص) المدينة أتوه بعبد الله بن صوريا ، وسأله مسائل عديدة . . إلى أن قال له : أخبرني عن ربك ما ربك وما هو ؟

وفي خبر آخر عن أبي عبد الله الصادق (ع) ، أن اليهود قالوا للرسول (ص) : أنسب لنا ربك ؟ فلبث ثلاثاً لا يجيبهم ، ثم نزلت : ﴿ قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد ﴾ وقال ابن صوريا صدقت (٣) .

* * *

٢ - عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد (ع) ، عن أبيه محمد بن علي الباقر (ع) في قول الله عز وجل : قل هو الله أحد ، قال : « قال » أي أظهر ما أوحينا إليك ونبأنك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ، ليهتدي بها من ألقى السمع وهو شهيد ، و« هو » إسم مشار ومكنى إلى غائب ، فالهاء تنبيه عن معنى ثابت ، والواو إشارة إلى الغائب عن الخواس كما أن قولك : « هذا » إشارة إلى الشاهد المدرك ، فقالوا : هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشر أنت يا محمد

[١] سورة التوبة . الآية ٣٠ .

[٢] سورة الحج : الآية ١٧

إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه ، ولا نأله فيه ، فأنزل الله تبارك وتعالى : قل هو الله أحد ، فالهاء تثبيت للثابت ، والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ، ولمس الحواس ، والله تعالى عن ذلك ، بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس .

٣ - وعن أمير المؤمنين (ع) قال : رأيت الخضر (ع) في المنام قبل بدر بليّة ، فقلت له : علّمني شيئاً أنصر به على الأعداء فقال : قل : يا هو ما من لا هو إلّا هو . فلما أصبحت قصصتها على رسول الله صلى الله عليه وآله : فقال لي يا علي علمت الإسم الأعظم ، وكان على لساني يوم بدر ، وإن أمير المؤمنين (ع) قرأ قل هو الله أحد فلما فرغ قال : يا هو يا من لا هو إلّا هو اغفر لي وانصرني على القوم الكافرين .

وكان علي (ع) يُردّد ذلك يوم صفين فقال له عمار بن ياسر : يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات ؟ قال : إسم الله الأعظم ، وعماده التوحيد لله لا إله إلّا هو ، ثم قرأ : شهد الله أنه لا إله إلّا هو ، وأواخر الحشر ثم نزل فصل أربع ركعات قبل الزوال قال : وقال أمير المؤمنين (ع) : الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه ، والله هو المستور عن درك الأبصار ، المحجوب عن الأوهام والخطرات قال الباقر (ع) : الله معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته ويقول العرب : أله الرجل : إذا تحير في الشيء فلم يحط به علماً ، إذا فرغ إلى شيء مما يحذره ويخافه ، فالإله هو المستور عن حواس الخلق .

قال الباقر (ع) : الأحد الفرد المتفرد ، والأحد الواحد بمعنى واحد هو المتفرد الذي لا نظير له ، والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الإنفراد ، والواحد المتبائن الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء ، ومن ثم قالوا : إنّ بناء العدد من الواحد ، وليس الواحد من العدد ، لأنّ العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الإثنين فمعنى قوله : الله أحد أي المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته فرد بإلهيته ، متعالٍ عن صفات خلقه ، قال الباقر (ع) : وحدثنني أبي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي (ع) أنه قال : الصمد : الذي لا جوف له والصمد : الذي قد انتهى سؤده . والصمد : الذي لا يأكل ولا يشرب ، والصمد الذي لا ينام ، والصمد : الدائم الذي لم يزل ولا يزال ، قال

الباقر (ع) : كان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول : الصمد القائم بنفسه ،
الغني عن غيره ، وقال غيره : الصمد : المتعالي عن الكون والفساد ، والصمد
الذي لا يوصف بالتغاير .

قال الباقر (ع) : « الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر ونه . قال :
وسئل علي بن الحسين زين العابدين (ع) عن الصمد فقال الصمد : الذي لا
شريك له ، ولا يؤوده حفظ شيء ولا يغرب عنه شيء » .

* * *

٤ - قال وهب بن وهب القرشي : قال زيد بن علي (ع) « الصمد الذي إذا
أراد شيئاً قال له : كن فيكون ، الصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً
وأشكالاً وأزواجاً وتفرد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند » .

* * *

٥ - قال وهب بن وهب القرشي : وحدثني الصادق جعفر بن محمد ، عن
أبيه الباقر ، عن أبيه (ع) أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي (ع) يسألونه
عن الصمد ، فكتب إليهم : « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فلا تخوضوا في
القرآن ، ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم ، فقد سمعت جدي
رسول الله (ص) يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ،
وإنه سبحانه قد فسر الصمد فقال : الله أحد ، الله الصمد .

ثم فسره فقال : لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، لم يلد يخرج منه
شيء كثيف كالولد ، وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ، ولا شيء
لطيف كالنفس ولا يتشعب منه البدوات ، كالسنة والنوم ، والخطرة والهيم ،
والحزن والبهجة ، والضحك والبكاء والخوف والرجاء ، والرغبة والسآمة ،
والجوع والتبع تعالى أن يخرج منه شيء ، وأن يتولد منه شيء كنيف أو لطيف ،
ولم يولد لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها
كالشيء من الشيء ، والدابة من الدابة ، والنبات من الأرض ، والماء من
الينابيع ، والثمار من الأشجار ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها ، كالبصر
من العين ، والسمع من الإذن ، والشم من الأنف والذوق من اللسان ، والكلام

من اللسان ، والمعرفة والتمييز من القلب ، وكالنار من الحجر ، لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء مبدع الأشياء وخالقها ، ومنشئ الأشياء بقدرته ، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته ، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، ولم يكن له كفواً أحد .

* * *

٦ - وقال وهب بن وهب القرشي سمعت الصادق (ع) يقول : قدم وفد من فلسطين على الباقر (ع) فسألوه عن مسائل فأجابهم ثم سألوه عن الصمد فقال : تفسيره فيه خمسة أحرف :

فالألف دليل على أنيته ، وهو قوله عز وجل : شهد الله أنه لا إله إلا هو ، وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس ، واللام دليل على إلهيته بأنه هو الله والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع ، ويظهران في الكتابة دليلان على أن إلهيته لطيفة خافية ، لا يدرك بالحواس ولا يقع في لسان واصف ولا اذن سامع لأن تفسير الإله هو الذي إله الخلق عن درك ماهيته وكيفيته بحس أو بوهم ، لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس ، وإنما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على أن الله سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق ، وتركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة ، فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه كما أن لام الصمد لا تبين ولا تدخل في حاسة من حواس الخمس فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف فمتى تفكر العبد في ماهية الباري وكيفيته أله فيه وتمحيّر ولم تحط فكرته بشيء يتصوّر له لأنه عز وجل خالق الصور ، فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عز وجل خالقهم ومركّب أرواحهم في أجسادهم ، وأما الصاد فدليل على أنه عز وجل صادق وقوله صدق ودعا عباده إلى اتباع الصدق بالصدق ووعد بالصدق دار الصدق أما الميم فدليل على ملكه وأنه الملك الحق لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه ، وأما الدال فدليل على دوام ملكه وأنه عز وجل دائم تعالى عن الكون والزوال ، بل هو الله عز وجل مكون الكائنات ، الذي كان بتكوينه كل كائن ثم قال (ع) : لو وجدت لعلمي الذي أتاني الله عز وجل حملة لنشرت التوحيد والإسلام والإيمان والدين والشرائع من الصمد ، وكيف لي بذلك ولم يجد

جدي أمير المؤمنين (ع) حملة لعلمه حتى كان بنففس الصعداء ، ويقول على المنبر : سلوني قبل أن تفقدوني فإنّ بن الجوانح مبي علما جما ألا لا أجد من يحمله ألا وأني عليكم من الله الحجة البالغة فلا تتولوا فوما غصب الله عليهم قد يثسوا من الآخرة كما يثس الكفار من أصحاب القبور .

ثم قال (ع) : الحمد لله الذي منّ علينا ووففنا لعبادته الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . وجنبنا عبادة الأوثان ، حمداً سرمداً وشكراً واجباً ، وقوله عزّ وجلّ : « لم يلد ولم يولد ، يقول الله عزّ وجلّ : لم يلد فيكون له ولد يرثه ملكه ، ولم يولد فيكون له والد بشركه في ربوبيته وملكه ولم يكن له كفواً أحد فيعزّه في سلطانه » .

مراتب التوحيد

يقول المولى النراقي عن التوحيد : « . . . أما التوحيد في أصل الذات بمعنى عدم التركيب ، خارجي وعقلي في ذاته تعالى وعينية وجوده وصفاته لذاته ، ويلزمه كونه تعالى صرف الوجود وبهتته ، أو توحيد في وجوب وجوده بمعنى نفي الشرك في وجوب الوجود عنه (ولا بحث لنا هنا عن إثبات هذين القسمين ، لثبوتهما في الحكمة المتعالية) ، أو توحيد في الفعل والتأثير والإيجاد ، بمعنى أن لا فاعل ولا مؤثر إلا هو ، وهو الذي نذكر هنا مراتبه وما يتعلق به ، فنقول : « هذا التوحيد - على ما قيل - له أربع مراتب : قشر ، وقشر القشر ، ولب ولب اللب كالجوز الذي له قشرتان وله لب ولب دهن هو لب اللب .

فالمرتبة الأولى : أن يقول الإنسان باللسان : لا إله إلا الله ، وقلبه منكر وغافل عنه ، كتوحيد المنافقين وهذا توحيد بمجرد اللسان ولا فائدة فيه إلا حفظ صاحبه في الدنيا من السيف والسنان .

المرتبة الثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه ، كما هو شأن عموم المسلمين ، وهو اعتقاد العوام ، وصاحبه موحد ، بمعنى أنه معتقد بقلبه خال عن التكذيب بما انعقد قلبه . وهو عقد على القلب لا يوجب انشراحاً وانفتاحاً وصفاء له ، ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الآخرة إن مات عليه ولم يضعف بالمعاصي .

المرتبة الثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق ، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها بكثرتها صادرة عن الواحد الحق ، وهو مقام المقربين وصاحبه موحد بمعنى أنه لا يشاهد إلا فاعلاً ومؤثراً واحداً ، لأنه انكشف له الحق كما هو عليه .

المرتبة الرابعة : ألا يرى في الوجود إلا واحداً ويسميه أهل المعرفة الفناء في التوحيد ، لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضاً ، وإذا لم يرى نفسه ، لكونه مستغرقاً بالواحد كان فانياً عن نفسه في توحيده ، بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه ، وهو مشاهدة الصديقين وصاحبه موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد ، فلا يرى الكل من حيث أنه كثير بل من حيث أنه واحد . وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد .

المرتبة الأولى : كالقشرة العليا من الجوز ، وكما أن هذه القشرة لا خير فيها أصلاً ، بل إن أكلتها فهي مرة المذاق وإن نظرت إلى باطنها فهو كرية المنظر ، وإن اتخذتها حطباً أطفأت النار وأكثر الدخان ، وإن تركتها في البيت ضيقت المكان فلا تصلح إلا أن تترك مدة على الجوز لحفظ القشرة السفلى ثم ترمى ، فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن ، لكن ينفع مدة في حفظ المرتبة الثانية إلى وقت الموت .

والمرتبة الثانية : كالقشرة السفلى ، فكما أن هذه القشرة ظاهرة النفع بالإضافة إلى القشرة العليا ، فإنها تصون اللب من الفساد عند الإدخار ، وإذا فصلت أمكن أن ينتفع بها حطباً ، لكنها نازلة القدر بالإضافة إلى اللب ، فكذلك مجرد الإعتقاد من غير كشف كثير النفع بالنسبة إلى مجرد نطق اللسان ، إذ تحصل به النجاة في الآخرة . لكنه ناقص القدر بالإضافة إلى الكشف والعيان الذي يحصل بانسراح الصدر وانفتاحه بإشراق نور الحق فيه .

والمرتبة الثالثة : كاللب ، وكما أن اللب نفيس في نفسه بالإضافة إلى القشر وكأنه المقصود لكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالإضافة إلى الدهن منه فكذلك توحيد الفعل على طريق الكشف مقصد عالٍ للسالكين ، إلا أنه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والإلتفات إلى الكثرة بالإضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق .

والمرتبة الرابعة : كالدهن المستخرج من اللب ، وكما أن اللب هو المطلوب لذاته والمرغوب في نفسه ، فكذلك قصر النظر على مشاهدة الحق الأول هو المقصود لذاته والمحجوب في نفسه .

وإن قيل : كيف يمكن تحقيق المرتبة الرابعة من التوحيد لنوقفها على عدم مشاهدة غير الواحد ، مع أن كل أحد يشاهد الأرض والسماء وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثرة ، فكيف يكون الكثير واحداً ؟ .

(قلنا) : من تيقن أن الممكنات بأسرها اعدام صرفة في نفسها ، وإن ما به تحققها من الله سبحانه ، ثم أحاط على قلبه نور عظمته وجلاله بحيث بهرته وغلب على قلبه الحب والإنس حتى عن غيره أغفله ، فأبي استبعاد في أن يوجب شدة استعراقه في لجة العظمة والجلال والكمال والجمال وغلبة الحب والإنس عليه ، مع عدمية الكثرة ووحدة ما به التحقق عنده ورسوخ ذلك ، وارتكازه في قلبه أن لا يرى في نظر شهوده إلا هو ، ويغيب عنه غيره ، لقصر نظر بصيرته الباطنة على ما هو الحقيقة والواقع . ومما يكسر سورة استبعادك : ان المشغول بالسلطان والمستغرق في ملاحظة سطوته ربما غفل عن مشاهدة غيره ، وإن العاشق قد يستغرق في مشاهدة جمال معشوقه ويبهته به بحيث لا يرى غيره ، مع تحقق الكثرة عنده ، وإن الكواكب موجودة في النهار مع أنها لا ترى لمغلوبة أنوارها واضمحلالها في جنب نور الشمس ، فإذا جاز أن يغلب نور الشمس على نور الكواكب ويقهرها بحيث يضمحل ويغيب عن بصر الظاهر ، فأبي استبعاد في أن يغلب نور الوجود الحقيقي القاهر على الموجودات الضعيفة الإمكانية ويقهرها ، بحيث يغيب عن نظر العقل والبصيرة ثم هذه المشاهدات التي لا يظهر فيها إلا الله الواحد الحق لا تدوم ، بل هي كالبرق الخاطف والدوام فيها عزيز نادر^(٤) .

ويقول علي (ع) في ماهيته تعالى ، في تأويل الصمد : « لا إسم ولا جسم ولا مثل ولا شبه ، ولا صورة ، ولا تمثال ، ولا حد ولا حدود ، ولا موضوع ولا مكان ، ولا كيف ولا أين ، ولا هنا ولا ثمة ، ولا ملاً ، ولا خلاً ، ولا قيام ، ولا قعود ، ولا سكون ، ولا حركة ، ولا ظلماني ، ولا نوراني ، ولا روحاني ، ولا نفساني ، ولا يخلو منه موضوع ، ولا على لون ، ولا خطر على قلب ، ولا على شمس رائحة »^(٥) .

ويُبين الشهيد السعيد آية الله دستغيب في كتابه الرائع (الذنوب الكبيرة) ، مراتب وأقسام التوحيد نوردها ملخصة مع بعض الصرف :

التوحيد والشرك في مقام الذات

قال تعالى : ﴿ وما من إله إلا إله واحد ﴾ ١١١ .

فالقائلون بالأقانيم الثلاثة (الأب والإبن وروح القدس إله واحد) مشركون لقوله سبحانه : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ ، وأشرك أيضاً وكفر عبدة الأصنام . . . الذين يقرّون بأن لكل نوع من المخلوقات رباً .

التوحيد في مقام الصفات

وهو الاعتقاد بأن الصفات الذاتية الإلهية هي عين الذات الأحدية ، وفي غيرها فهي من مواهبه وإفاضته والشرك في مقام الصفات قسمان :

ويكون من حيث الاعتقاد

١ - بأن صفاته سبحانه زائدة على ذاته .

٢ - وبذلك فإن تعدد الصفات يابم تعدد القدماء . (وهذا يعني تعدد الآلهة) .

١ - إن صفات الخلق الحسنة كلها من الله

فإذا اعتقد الإنسان بأن هذه الصفات إنما هي من الله تعالى . . . ولا أحد بحسب الذات لديه شيء من نفسه فهذا عين التوحيد .

تزكية النفس من غفلة الشرك

البعض يتفوّه ببعض الكلمات التي توحى بالشرك في حالة مدح النفس

[١] سورة المائدة : الآية ٧٣ .

والقيام ببعض الأعمال . حيث يقول علمي ، قدرتي . . . إرادتي ، أما لو قال علمي الذي أعطانيه الله ، وقدرتي التي أعطانيها الله ، وكان صادقاً في قوله لكان في ذلك موحداً .

الموحدون يخافون أن يمدحوا

إنّ الموحدين يعلمون يقيناً إن كل ما لديهم هو منه تعالى ، ولذا يحذرون أن يمدحوا أو أن يشكروا وفي هؤلاء قال أمير المؤمنين (ع) : « إذا زكي أحد منهم ، خاف ممّا يقال له فيقول : أنا أعلم بنفسي من غيري وربي أعلم مني بنفسي ، أللهم لا تؤاخذوني بما يقولون ، واجعلني أفضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون » وجاء رجل إلى رسول الله (ص) وطرق بابه ، فسأله الرسول (ص) من داخل الدار : من أنت ؟ فقال : أنا .

فغضب (ص) من قوله أنا فخرج (ص) وهو يقول : « من القائل أنا ، وهي لا تطلق إلا على الله الذي يقول : أنا الجبار ، وأنا القهار »^(٦) .

قارون يتحول إلى مشرك

وقارون أصبح مشركاً ، حيث قال : « إنما أوتيته على علم عندي » وقال سبحانه : ﴿ أو لم يعلم إنّ الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشدّ منه قوّة وأكثر جمعاً ﴾^[١] .

ومن قوله تعالى نستوحى ، إنه لو كان البشر يملكون شيئاً ، فلما لا يدفعون عن أنفسهم الهلاك .

التوحيد والشرك في الأفعال

حقيقة التوحيد في الأفعال هي أن يعتقد الموحّد بأن الله هو المالك والمدبّر والمتصرف في صحيح شؤون الكون والحياة ، فهو خالق السموات والأرض وفالق الحب والنوى .

[١] سورة القصص : الآية ٧٨ .

وهو خالق الإنسان في ظلمات البطن ، والرحم والمشيمة ، وقد أعطاه اللبن
النظيف السائغ من بين فرث ودم ، وهو الذي يحي ويميت .
والإنسان لا يستطيع أن يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ﴿ قل كل من عند
الله ﴾ .

فحقيقة التوحيد : أن تعتقد وتعلم علم اليقين بأن لا حول ولا قوة إلا
بالله ، حيث أن شؤون الربوبية غير متناهية . . .
ويرجع ذلك إلى قوله سبحانه ؛ : ﴿ قال لو كان البحر مداداً لكلمات ربي
لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ [١] .
وللوصول إلى هذه المرتبة من التوحيد لا بدّ من ملازمة عدّة أمور نشير إلى
بعضها .

١ - الخوف من الله

حيث ورد في الحديث « حد اليقين أن لا تخاف مع الله شيئاً » وفي دعاء
سجدة الرسول (ص) : « إلهي إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي » .

٢ - الرجاء

وقال أمير المؤمنين (ع) : « لا يرجون أحد منكم إلا ربه » (٧) .
وقال سبحانه : ﴿ وأن يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له إلا هو وإن يردك
بخير فلا رادّ لفضله ﴾ [٢] .

٣ - شكر النعم

وهو أن يعتقد الموحّد ويعرف أنّ الله وحده جدير بالمدح والثناء وعلى أساس
ذلك يقول : الحمد لله .

[١] سورة الكهف الآية ١٠٩ .

[٢] سورة يونس . الآية ١٠٧ .

٤ - شكر الخلق

وهذا مما أمر به رب العالمين : « من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق »^(٨) .
ولكن الاعتقاد باستقلالية موجود في إيصال الخير هو ابتلاء بالشرك :

٥ - التوحيد والتوكل

عن النبي (ص) أنه قال لجبرائيل « وما التوكل على الله » .

فقال : العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ، واستعمال اليأس من الخلق فإذا لم يعمل العبد لأحد سوى الله ولم يرج ، ولم يخف سوى الله ولم يطمع في أحد سوى الله فهذا هو التوكل »^(٩) .

٦ - التوحيد والتسليم

وهو أن يكون الموحد مسلماً أمره الله في أي من الأمور التكوينية ، كالعزة والذلة والصحة والمرض والغنى والفقر والأمور التكليفية مثل السواجبات والمحرمات .

فإذا اعترض وأبدى رأيه كأن يقول لماذا يموت فلان ويبقى فلان ، ولماذا لم ينزل المطر . فيكون بذلك قد أشرك نفسه في شؤون الربوبية . . . إذا كان ذلك من باب الاعتراض على الله .

٧ - التوحيد والمحبة

الموحد يجب أن تكون علاقته القلبية بالله وحده وحبّه الله فقط ، ولا يجب أي مخلوق حباً مستقلاً عن الأمر والتشريع الإلهي ، وحبّه لغير الله يجب أن يكون من جهة أن هذا المخلوق محبوب لله « حبّ محبوب الله حب الله » . وينبغي أن يكون حبّه مورداً أمر به الله ، مثل الملائكة والأنبياء والأئمة والمؤمنين والدار الآخرة والجنة ، أو من جهة أن هذا المخلوق هو نعمة وعطاء من الربّ وبواسطة شكره يستطيع أن يرضى الربّ . ولكن إذا أحبّ غير الله أشد وأكثر من حب الله

مثل من يحبّ ماله أكثر من حبّ الله فذلك شرك يستحق العقوبة . وهنالك شواهد منها :

١ - سئل أبو عبد الله (ع) عن قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ فقال (ع) : القلب السليم الذي يلقي ربه وليس فيه أحد سواه .

٢ - وفي رواية (رمزية) أن سليمان رأى عصفوراً يعاتب عصفورة (زوجته) التي لا تهتم به فيقول لها :

« ولوشئت أخذت قبة سليمان بمنقاري فألقيتها في البحر » فتبسّم سليمان من كلامه ، ثم دعاها وقال للعصفور : أنطبق أن تفعل ذلك فقال : لا يا رسول الله ، ولكن المرء قد يزین نفسه ويعظمها عند زوجته ، والمحبّ لا يلام على ما يقول : فقال سليمان للعصفورة لم تجافيه ، فقالت يا نبي الله أنه ليس محباً ولكنه مدّع لأنّه يحبّ معي غيري .

فأثر كلام العصفورة في قلب سليمان (ع) وبكى بكاء شديداً واحتجب عن الناس أربعين يوماً يدعو الله أن يفرغ قلبه لمحبهته وأن لا يحالطها بمحبة غيره .

التوحيد والشرك في الطاعة

بحكم العقل والإيمان لا ينبغي للموحد أن يتخذ غير الله في مقام الطاعة والإمتثال فالولاية له ولمن أعطاه من ولاة الأمر واجبة بالضرورة .

١ - ولاة الأمر الإلهيون

قال سبحانه : ﴿مَنْ يَطْعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [١] .

وقال : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [٢] .

وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

[١] سورة النساء . الآية ٨٠ .

[٢] سورة الحشر . الآية ٧ .

منكم ﴿١﴾ .

يستفاد من هذه الآيات :

أن ينحصر أصحاب الولاية بسلسلة الأنبياء وأئمة الهدى ونوابهم ولا ولاية للحكام السياسيين الذين لم يأذن الفقيه العادل لهم أو يعينهم للقيام بهذه المهام وادعاء ذلك ادعاء بدون دليل ، بالإضافة إلى ما يترتب عليه من مفساد ودليلنا على ذلك ما قاله الرسول (ص) :

٣ - عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال : سألت رسول الله (ص) : عرفت الله ورسوله فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟ فقال (ص) : هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر ، ستدرکه يا جابر فإذا لقيتہ فاقراءه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سمّي وكنّي حجة الله في أرضه وبقية في عباده ابن الحسن بن علي ذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبته التي لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان قال جابر : فقلت يا رسول الله فهل يسعنا الإنتفاع به في غيبته .

قال (ص) : أي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّأها سحاب ، يا جابر هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علمه فاكتمه إلا عن أهله .

فمن هنا يعلم إن إطاعة أهل البيت (ع) إطاعة لله (١٠) .

٢ - إطاعة المجتهد العادل

- عن الإمام الصادق (ع) : « أنظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا ارضوا به حكماً فإني قد جعلته عليكم

[١] سورة النساء . الآية ٥٩ .

حاكماً فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما بحكم الله استخف وعلينا ردّ والرّاد علينا كالرّاد على الله وهو على حدّ الشرك» (١١) .

وما ورد من جملة شرائط الفقيه ما ورد عن الإمام الحسن العسكري (ع) :
« من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلّدوه » (١٢) .

٣ - إطاعة الوالدين إطاعة الله

لقد أمر سبحانه بإطاعة الوالدين وحرم أذيتهما وأمر بالإحسان إليهما .
قال سبحانه : ﴿ وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلّا إياه وبالوالدين إحساناً أما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً واخفض لهما ذللاً من الرحمة ﴾ [١] .

٤ - أمر الوالدين بالحرام ونهيهم عن الواجب لا أثر له .
إن إطاعة الوالدين مشروطة بأن لا تكون أمراً بالحرام ونهياً عن الواجب .
قال سبحانه : ﴿ وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ [٢] .

وفي مورد عدم الإطالة التي تكون مخالفتها موجبة لأذاهما أو انزعاجهما فذلك حرام بنص القرآن الكريم .

٥ - إطاعة المرأة لزوجها إطاعة الله

قال سبحانه : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ

[١] سورة الإسراء : الآية ٢٣ و ٢٤ .

[٢] سورة لقمان : الآية ١٥ .

الله . . . ﴿١١﴾ .

وفي الحديث عن رسول الله (ص) : أنه قال : « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » (١٣) .

٦ - لا يجوز مراجعة الحاكم الجائر

قال سبحانه وتعالى : ﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ (٢) .

وفي الحديث عن الصادق (ع) : « من تحاكم إليهم في حق أو باطل تحاكم إلى الطاغوت وما يحكم له فيما يأخذ سحتاً وإن كان حقاً ثابتاً له لأنه أخذه بحكم الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به » (١٤) .

٧ - إطاعة العالم المحب للدنيا

لقد ورد نهي عن الرجوع في الأمور الدينية والدنيوية إلى العالم المبتلى بحب الدنيا .

- عن الإمام الصادق (ع) : « إذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم فإن محب كل شيء يحوط ما أحب » .

- وأوحى الله إلى داود (ع) : « لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي فإن أولئك قطاع طريق عبادي المريدين . إن أدنى ما أنا أصنع بهم أن انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم » (١٥) .

٨ - العالم يجب أن يكون فقيهاً لله

- عن الباقر (ع) : « من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء

[١] سورة النساء : الآية ٣٤ .

[٢] سورة النساء : الآية ٥٩ .

أو يصرف به وجوه الناس إليه فليتبوا مقعده من النار أن الرئاسة لا تصلح إلا لأهلها » .

مسؤولية عامة الناس

- إنَّ الذين يحتكمون في أمورهم الدينية والدنيوية لهوى أنفسهم فهم المصداق المميز لقوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾^[١] .



[١] سورة الجاثية : الآية ٢٣ .

حوار الامام الصادق (ع) مع الزنديق

الزنديق : فكيف هو الله الواحد ؟

الإمام عليه السلام : واحد في ذاته ، فلا واحد كواحد ، لأن ما سواه من الواحد متجزىء وهو تبارك وتعالى واحد لا متجزىء ولا يقع عليه العدّد ، لم يتوحد عن عدد ولن يتعدد عن وحدة ويستحيل في ذاته العدد .

الزنديق : فلأي علة خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم - ولا مضطر إلى خلقهم - ولا يليق به العبث بنا ؟

الإمام عليه السلام : خلقهم لإظهار حكمته وإنفاذ علمه وإمضاء تدبيره (وكما في الحديث القدسي : كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف) .

ما هي حكمة خلق الشيطان ؟

الزنديق : أؤمن بحكمته أن جعل لنفسه عدواً وقد كان ولا عدوّ له ؟ فخلق ، كما زعمت - إبليس - فسأطه على عبيده يدعوهم إلى خلاف طاعته ويأمرهم بمعصيته ، وجعل له من القوة - كما زعمت - ما يصل بلطف الحيلة إلى قلوبهم فيوسوس إليهم

فیشككهم في ربهم ويلبس عليهم دينهم فيزيلهم عن معرفته ،
حتى أنكر قوم ، لما وسوس إليهم ، ربوبيته ، وعبدوا سواه ،
فلم سلط عدوّه على عبیده وجعل له السبيل إلى إغوائهم ؟ .

الإمام عليه السلام : إنّ هذا العدو الذي ذكرت لا يضره عداوته ولا ينفعه ولايته ، عداوته لا تنقص من ملكه شيئاً ، وولايته لا تزيد فيه شيئاً ، وإنما يتقى العدو إذا كان في قوة يضرّ وينفع ، إنّ هم بملك أخذه ، أو بسطان قهره ، فأما إبليس فعبد خلقه ليعبده ويوحده وقد علم حين خلقه ما هو ؟ وإلى ما يصير إليه ؟ فلم يزل يعبده مع ملائكته حتى امتحنه بسجود آدم فامتنع من ذلك ، حسداً وشقاوة غلبت عليه ، فلعنّه الله عند ذلك وأخرجه عن صفوف الملائكة ، وأنزله إلى الأرض ملعوناً مدحوراً ، فصار عدو آدم وولده بذلك السبب ، وما له من السلطة على ولده إلا الوسوسة والدعاء إلى غير السبيل ، وقد أقرّ مع معصيته لربه ربوبيته .

الزنديق : أخبرني عن الله عزّ وجل كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موّحدين وكان على ذلك قادراً ؟ .

الإمام (ع) : لو خلقهم مطيعين لم يكن لهم ثواب ، لأنّ الطاعة إذا ما كانت فعلهم ، ولم تكن جنة ولا نار ، ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته - واحتج عليهم برسله - وقطع عذرهم بكتبه ، ليكونوا هم الذين يطيعون ويعصون - ويستوجبون بطاعتهم له الثواب ، وبمعصيتهم إياه العقاب .

الزنديق : فالعمل الصالح من العبد هو فعله ؟ والعمل الشرّ من العبد هو فعله ؟ .

الإمام (ع) : العمل الصالح ، العبد ، يفعله والله به أمره ، والعمل الشر
العبد يفعله والله عنه ينهاه .

الزنديق : أليس فعلهم بالآلة التي ركبها فيه ؟

الإمام (ع) : نعم ، ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدر بها على الشرّ
الذي نهاه عنه .

الزنديق : فإلى العبد من الأمر شيء ؟ .

الإمام (ع) : ما نهاه الله عن شيء إلا وقد علم أنه يطيق تركه ، ولا أمره
بشيء إلا وقد علم أنه يستطيع فعله ، لأنه ليس من صفته
الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون .

الزنديق : فمن خلقه الله كافراً ، يستطيع الإيمان ؟ وله عليه بتركه الإيمان
حجة ؟ .

الإمام (ع) : أن الله خلق خلقه جميعاً مسلمين ، بفطرة التوحيد والتسليم
التي فطرهم عليها ، أمرهم ونهاهم ، والكفر لاسم يلحق
الفعل حين يفعله العبد ، ولم يخلق الله العبد حين خلقه
كافراً ، إنه إنما كفر من بعد أن بلغ وقتاً لزمته الحجة من الله
تعالى ، فعرض عليه الحق فجحدته ، فبإنكار الحق صار
كافراً .

الزنديق : فيجوز أن يقدر على العبد الشر ويأمره بالخير وهو لا يستطيع
الخير أن يعمل ويعدبه عليه ؟

الإمام (ع) : إنه لا يليق بعدل الله ورأفته أن يقدر على العبد الشر ويريد
منه ، ثم يأمره بما يعلم أنه لا يستطيع أخذه ، والإنزعاع عما
لا يقدر على تركه أمره الذي علم أنه لا يستطيع تركه .

حكمة اختلاف الناس في الرزق

الزنديق : فبماذا استحق الذين أغناهم وأوسع عليهم من رزقه : الغنى

والسعة ؟ وبماذا استحق الفقراء التقتير والضيق ؟ .

الإمام (ع) : اختبر الأغنياء بما أعطاهم ، لينظر كيف شكرهم ؟ والفقراء إنما منعهم لينظر كيف صبرهم ؟ .

ووجه آخر : أنه عجل لقوم في حياتهم ولقوم آخر ليوم حاجتهم إليه .

ووجه آخر : أنه علم احتمال كل قوم فأعطاهم على قدر احتمالهم .

ولو كان الخلق كلهم أغنياء لخربت الدنيا وفسد التدبير وصار أهلها إلى الفناء ولكن جعل بعضهم لبعض عوناً ، وجعل أسباب أرزاقهم في ضروب الأعمال وأنواع الصناعات ، وذلك أدوم في البقاء وأصح في التدبير ، ثم اختبر الأغنياء باستعطاف الفقراء ، كل ذلك لطف ورحمة من الحكيم الذي لا يعاب تدبيره .

الزنديق : أخبرني عن الله عز وجل أنه شريك في ملكه أو مضاد له في تدبيره .

الإمام : لا .

الزنديق : فما هذا الفساد الموجود في هذا العالم ؟ من سباع ضارية ، وهوام مخوفة ، وخلق كثير مشوه ، ودودٍ وبعوض وحياتٍ وعقارب ، وزعمت أنه لا يخلق شيئاً إلاّ لعلّة ، لأنه لا يعبث ؟ .

الإمام (ع) : ألسنت تزعم : أن العقارب تنفع من وجع المثانة والحصاة ولن يبول في الفراش ، وأن أفضل الترياق ما عولج من لحوم الأفاعي ، وإن لحومها إذا أكلها المجذوم لثبت نفعه ، وتزعم أن الدود الأحمر الذي يصاب تحت الأرض نافع للأكلة ؟ .

الزنديق : نعم

الإمام (ع) : فأما البعوض والبق ، فبعض سببه أنه جعل أرزاق الطير ، وأهان بها جباراً تمرد على الله وتجبر وأنكر ربوبيته ، فسلب الله عليه أضعف خلقه ليريه قدرته وعظمته - وهو البعوض - فدخلت في منخره حتى وصلت إلى دماغه فقتلته .
وأعلم أنا لو وقفنا على كل شيء خلقه الله لم نخلق ، ولأي شيء أنشأه ، لكننا قد ساويناه في علمه ، وعلمنا كل ما يعلم ، واستغنيا عنه وكنا وهو في العلم سواء . . .

الزنديق : فأخبرني هل يعاب شيء من خلق الله وتديره ؟ .

الإمام (ع) : لا .

الزنديق : فإن الله خلق خلقه غرلاً (أي غير مختون) ذلك منه حكمة أم عبث ؟ .

الإمام (ع) : بل حكمة منه .

الزنديق : غيرتم خلق الله وجعلتم فعلكم في قطع القلفة أصوب مما خلق الله لها - وعبتم الألف - والله خلقه . ومدحتهم الختان وهو فعلكم . . أم تقولون أن ذلك من الله كان خطأ غير حكمه ؟ .

الإمام (ع) : ذلك من الله حكمة وصواب ، غير أنه سن ذلك وأوجبه على خلقه ، كما أن المولود إذا خرج من بطن أمه وجدنا سرته متصلة بسرة أمه - كذلك خلقها الحكيم - فأمر - العباد بقطعها ، وفي تركها فساد بين المولود والأم وكذلك أظفار الإنسان ، أمر إذا طالت أنت تقلم ، وكان قادراً يوم دبّر خلقه الإنسان أن يخلقها خلقة لا تطول ، وكذلك الشعر من الشارب والرأس يطول فيجزّ ، وكذلك الثيران خلقها فحولة وإخصاؤها أوفق ، وليس في ذلك عيب في تقدير الله تعالى .

الزنديق : خلق الخلق للرحمة أم للعذاب ؟ .

الإمام (ع) : خلقهم للرحمة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولتلك
(الرحمة) خلقهم وكان في علمه قبل خلقه إياهم : أن قوماً
منهم يصيرون إلى عذابه بأعمالهم الرديئة وجحدتهم به .

الزنديق : يعذب من أنكر فاستوجب عذابه بإنكاره ، فيمَّ يعذب من
وحده وعرفه ؟ .

الإمام (ع) : يعذب المنكر لإلهيته عذاب الأبد ، ويعذب المقرّ به عذاباً
عقوبة لمعصيته إياه فيما فرض عليه - ثم يخرج (من النار) ولا
يظلم ربك أحداً^(١٩) .



حوار الإمام الرضا (ع) مع عمران الصابئي

الإمام (ع) : يا قوم إن كان فيكم أحد يخالف الإسلام وأراد أن يسأل فليسأل غير محتشم .

عمران الصابئي : قام إليه ، وكان واحداً من المتكلمين فقال : يا عالم الناس ، لولا أنك دعوت إلى مسألتك لم أقدم عليك بالمسائل ، فإلقد دخلت الكوفة والبصرة والشام والجزيرة ولقيت المتكلمين ، فلم أقع على أحد يثبت لي واحد ليس غيره ، قائماً بوحدةانيته ، أفتأذن لي أن أسألك ؟ .

الإمام (ع) : إن كان في الجماعة عمران الصابئي فأنت هو . . . عمران : أنا هو .

الإمام (ع) : سل يا عمران وعليك بالنصفة وإياك والخطل والجور .

عمران : والله يا سيدي ما أريد إلا أن تثبت لي شيئاً أتعلق به فلا أجوزه .

الإمام (ع) : سل عما بدا لك . . فازدحم الناس رأسهم بعضهم إلى بعض .

عمران : أخبرني عن الكائن الأول وعما خلق ؟ .

الإمام (ع) : سألت فيفهم ، أما الواحد فلم يزل واحداً كائناً لا شيء معه ، بلا حدود ولا أعراض ، ولا يزال كذلك ثم خلق خلقاً مبتدعاً مختلفاً بأعراض وحدود مختلفة ، لا في شيء أقامه ولا في شيء حدّه ولا على شيء حدّاه ومثله له ، فجعل الخلق من بعد ذلك صفوة وغير صفوة - واختلافاً وإيتلافاً - وألواناً وذوقاً وطمعاً ، لا الحاجة كانت منه إلى ذلك ، ولا لفضل منزلة لا يبلغها إلا به ، ولا رأي لنفسه فيما خلق زيادة ولا نقصاناً ، تعقل هذا يا عمران ؟ .

عمران : نعم والله يا سيدي .

الإمام (ع) : واعلم يا عمران . أنه لو كان خلق ما خلق الحاجة ، لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته ، ولكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق ، لأن الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى ، والحاجة يا عمران لا يسعها ، ولذلك أقول : لم يخلق الخلق الحاجة ، ولكن نقل بالخلق الحوائج - بعضهم إلى بعض - وفضل بعضهم على بعض بلا حاجة منه إلى من فضل ، ولا نعمة منه على من أذل ، فلهذا خلق .

عمران : يا سيدي : هل كان الكائن معلوماً في نفسه عند نفسه ؟ .

الإمام (ع) : إنما يكون المعلمة بالشيء لنفي خلافه ، وليكون الشيء نفسه بما نفي عنه موجوداً ، ولم يكن هناك شيء يخالفه ، فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نفسه بتحديد ما علم منها ، أفهمت يا عمران ؟ .

عمران : نعم والله يا سيدي ، فأخبرني بأي شيء علم ما علم ؟ أضمير أم بغير ذلك ؟ .

الإمام (ع) : أرايت إذا علم بضمير هل تجد بداً من أن تجعل لذلك حداً تنتهي إليه المعرفة .

عمران : لا بدّ من ذلك .

الإمام (ع) : فما ذلك الضمير ؟

عمران : انقطع ولم يحجر جواباً .

الإمام (ع) : لا بأس أن سألتك عن الضمير نفسه - تعرفه بضمير آخر ،
فقلت : نعم - أفسدت عليك قولك ودعواك - يا عمران .
أليس ينبغي أن تعلم : أن الواحد ليس يوصف بضمير ؟
وليس يقال له أكثر من فعل وعمل وصنع وليس يتوهم منه
مذاهب وتجربة كمذاهب المخلوقين وتجربتهم ؟ فاعقل ذلك
وابن عليه ما علمت صواباً .

هل أن الله تعالى تغير بخلقه الخلق ؟

عمران : يا سيدي ألا تخبرني عن الخالق إذا كان واحداً لا شيء غيره ولا
شيء معه أليس قد تغير بخلقه الخلق ؟

الإمام (ع) : لم يتغير عز وجل بخلق الخلق ولكن الخلق يتغير بتغيره .

عمران : فأبي شيء عرفناه ؟

الإمام (ع) : بغيره .

عمران : فأبي شيء غيره ؟

الإمام (ع) : مشيئته واسمه وصفته ، وما أشبه ذلك ، وكل ذلك محدث
مخلوق مدبر .

عمران : يا سيدي . فأبي شيء هو ؟

الإمام (ع) : هو نور - بمعنى ، أنه هاد لخلقه من أهل السماء وأهل
الأرض ، وليس لك علي أكثر من توحيد إياه .

عمران : يا سيدي ، أليس قد كان ساكناً قبل الخلق لا ينطق ثم نطق .

الإمام (ع) : لا يكون السكوت إلا عن نطق قبله ، والمثل في ذلك أنه لا
يقال للسراج هو ساكت لا ينطق ، ولا يقال : أن السراج ،

ليضيء فيما يريد أن يفعل بنا ، لأن الضوء من السراج ليس
 بفعل منه ولا كون وإنما هو شيء غيره - فلما استضاء لنا -
 قلنا : قد أضاء لنا حتى استضاءنا به - فهذا تستبصر أمرك .

عمران : يا سيدي فإن الذي كان عندي إن الكائن قد تغير في فعله عن
 حاله بخلقه الخلق .

الإمام (ع) : أحلت يا عمران في قولك : إن الكائن يتغير في وجهه من
 الوجوه ، حتى يصيب الذات منه ما يغيره ، يا عمران ، هل
 تجد النار يغيرها تغير نفسها ؟ أو هل تجد الحرارة تحرق نفسها ؟
 أو هل رأيت بصيراً قط رأى بصره ؟ .

عمران : لم أر هذا - ألا تخبرني يا سيدي : أهو في الخلق أم الخلق فيه ؟ .
 الإمام (ع) : جلّ يا عمران عن ذلك ، ليس هو في الخلق ولا الخلق فيه ،
 تعالى عن ذلك ، وسأعلمك ما تعرفه به ولا قوة إلا بالله .
 أخبرني عن المرأة ، أنت فيها أم هي فيك ؟ فإن كان ليس
 واحد منكما في صاحبه فبأي شيء استدلت بها على نفسك ؟
 عمران : بضوء بيني وبينها .

الإمام (ع) : هل ترى من ذلك الضوء في المرأة أكثر مما تراه في عينك ؟ .
 عمران : نعم .

الإمام (ع) : فأرنا .

عمران : لم يجر جواباً .

الإمام (ع) : فلا أرى النور إلا وقد ذلك ودلّ المرأة على أنفسكما ، من غير
 أن يكون في واحد منكما ، ولهذا أمثال كثيرة غير هذا لا يجد
 الجاحد فيها مقالاً والله المثل الأعلى .

عمران : يا سيدي ، ألا تخبرني عن الله عز وجلّ ، هل يوحد بحقيقة أو
 يوحد بوصف ؟ .

الإمام (ع) : إن الله المبدئ الواحد الكائن الأول ، لم يزل واحداً لا شيء معه ، فرداً لا ثاني معه ، لا معلوماً ولا مجهولاً ، ولا محكماً ولا متشابهاً ، ولا مذكوراً ولا منسياً ، ولا شيئاً يقع عليه اسم شيء من الأشياء غيره ، ولا من وقت كان ، ولا إلى وقت يكون ، ولا بشيء قام ، ولا إلى شيء يقوم ، ولا إلى شيء استند ولا في شيء استكن ، وذلك كله قبل الخلق ، إذا لا شيء غيره ، وما أوقعت عليه من الكل فهي صفات محدثة وترجمة يفهم بها من فهم .

عمران : يا سيدي ، ألا تخبرني عن الإبداع ، أخلق هو أم غير خلق ؟ .

الإمام (ع) : بل خلق ساكن لا يدرك بالسكون وإنما صار خلقاً لأنه شيء محدث ، والله - الذي أحدثه فصار خلقاً له ، وإنما هو الله عز وجل وخلق له ثالث بينهما ، ولا ثالث غيرهما ، فما خلق الله عز وجل لم يعد أن يكون خلقه ، وقد يكون الخلق ساكناً متحركاً ، ومختلفاً ومؤتلفاً ومعلوماً ومتشابهاً ، وكل ما وقع عليه حد فهو خلق الله عز وجل .

واعلم أن كل ما أوجدتك الحواس فهو معنى مدرك بالحواس والفهم من القلب بجميع ذلك كله .

واعلم أن الواحد الذي هو قائم بغير تقدير ولا تحديد : خلق خلقاً مقدراً بتحديد وتقدير - وكان الذي خلق خلقين اثنين : التقدير والمقدر - وليس في أجد منهما لون ولا وزن ولا ذوق - فجعل أحدهما يدرك بالآخر - وجعلهما مدركين بنفسيهما .

ولم يخلق شيئاً فرداً قائماً بنفسه دون غيره - للذي أراد من الدلالة على نفسه - وإثبات وجوده : ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ، ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴾ .

فالله تبارك وتعالى فرد واحد لا ثاني معه يقيمه ولا يعضده ولا

يكنه - والخلق يمسك بعضه بعضاً بإذن الله ومشيئته .
ولمّا اختلف الناس في هذا الباب حتى تاهوا وتحيروا وطلبوا
الخلاص من الظلمة بالظلمة في وصفهم الله بصفة أنفسهم
- فازدادوا من الحق بعداً - ولو وصفوا الله عزّ وجل بصفاته -
ووصفوا المخلوقين بصفاتهم ، لقالوا بالفهم واليقين ولما
اختلفوا - فلما طلبوا من ذلك ارتبكوا فيه - والله يهدي من
يشاء إلى صراط مستقيم .

عمران : يا سيدي : أشهد أنه غمّا وضفت ولكن بقيت لي مسألة :
الإمام (ع) : سئل غمّا بدا لك .

عمران : أسألك عن الحكيم : في أي شيء هو ؟ وهل يحيط به شيء ؟
وهل يتحول من شيء إلى شيء ؟ أو به حاجة إلى شيء ؟ .

الإمام (ع) : أخبرك يا عمران : فاعقل ما سألت عنه فإنه من أغمض ما
يرد على المخلوقين في مسائلهم ، وليس يفهمه المتفاوت عقله
- العازب حلمه ، ولا يعجز عن فهمه أولو العقل المنصفون .

أمّا أوّل ذلك : فلو كان خلق ما خلق حاجة منه لجاز لقائل
أن يقول : يتحول إلى ما خلق لحاجته إلى ذلك - ولكنه عزّ
وجل لم يخلق شيئاً لحاجة ولم يزل ثابتاً : لا في شيء - ولا على
شيء - إلّا أن الخلق يمسك بعضه بعضاً - ويدخل بعضه في
بعض - ولا يخرج - والله جلّ وتقدّس - بقدرته يمسك ذلك
كله - وليس يدخل في شيء ولا يخرج منه - ولا يؤوده حفظه -
ولا يعجز عن إمساكه - ولا يعرف أحد من الخلق كيف ذلك
إلّا الله عزّ وجلّ ، ومن أطلعه عليه من رسله وأهل سرّه -
والمستحفظين لأمره - وخزّانه القائمين بشريعته .

ولمّا أمره كلمح البصر أو هو أقرب - إذا شاء شيئاً فإنما يقول
له : كن فيكون بمشيئته وإرادته وليس شيء من خلقه أقرب

إليه من شيء - ولا شيء أبعد منه من شيء - أفهمت يا
عمران .

عمران : نعم يا سيدي قد فهمت - وأشهد أن الله على ما وصفته وحددته -
وأن محمداً عبده المبعوث بالهدى ودين الحق - ثم خرّ ساجداً نحو
القبلة وأسلم . . . » (٢٠)

الشرك ظلم ، وإثم وضلال ، وسقوط :
أ - الشرك ظلم عظيم

يقول تعالى : ﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن
الشرك لظلم عظيم ﴾ [١].

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « يا ابن مسعود إياك أن تشرك بالله طرفة
عين وإن نشرت بالمنشار أو قطعت أو صلبت أو أحرقت بالنار » (٢١) .

ب - الشرك إثم عظيم

يقول تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ [٢].

وعن علي (ع) أنه قال : « ما ظفر من ظفر بالإثم والغالب بالشر
مغلوب » (٢٢) .

وعن علي (ع) ، أيضاً ، أنه قال : « الظلم الذي لا يغفر الشرك بالله » .
وقال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به » (٢٣) .

ج - الشرك ضلال بعيد

يقول تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ [٣].

[١] سورة لقمان : الآية ١٣ .

[٢] سورة النساء : الآية ٤٨ .

[٣] سورة النساء : الآية ١١٦

وعن علي (ع) أنه قال : « يا أيها الإنسان : ما جرّأك على ذنبك وما غرّك بربك وما أنساك بهلاكة نفسك » (٢٤) .

د - الشرك سقوط وانحدار

يقول تعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فكإنما خرّ من السماء فتخطفه الطير ﴾ [١] .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « إياك أن تدع طاعة وتقصد معصية شفقة على أهلك لأنّ الله تعالى يقول : يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً . . . » (٢٥) .

إنّ الشرك ظلم ، لأنّه يعبر عن جهل عميق بالكون والحياة ، وبالعلة الأولى للموجودات ، وهذا الجهل له أثره السلبي الفظيع على جميع الصعد الفلسفية ، والفكرية والعقائدية والاجتماعية ، والسياسية ، والعلمية ، وهو علامة تخلف في الفهم والتحليل ، وانحطاط في مستوى الإنسانية ، إلى أحطّ مستوى ، لأنّ الشرك يعني الوصول في فهم مصدر الحياة ، إلى منتصف الطريق ، ثم الضياع عن النور المشرق والحق الساطع ، على كل المخلوقات ، وجعل المنفعل شريكاً ، ومساوياً للفاعل ، والثابت للمتغير ، والقديم للمحدث ، والعظيم للحقير ، والخالق للمخلوق ، والغني للمحتاج . . .

الشرك ظلم ، لأنّه يعني الإعتداء على الحقّ ، والحقيقة ، وبالتالي تقديس المادة ، والمخلوقات ، فبعد أن كانت الأشياء مسخرة لخدمة الإنسان ، يصبح الإنسان عابداً ، ومسخرّاً للأشياء .

وتقديس المادة ، يضع سداً في وجه النشاطات العامة للإنسان ، وخصوصاً العلمية ، حيث أنّ المشرك يتهبب من البحث وإجراء التجارب على معبوده المادي ، الذي جعله شريكاً لله . . . لذلك ، فإنّ الشرك بالله ، هو الإثم الأعظم ، والسبب أن لا عذر لمشرك في شركه ، لأنّ كل العقول ، موجهة نحو

[١] سورة الحج : الآية ٣١ .

التوحيد ، ومفطورة عليه ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ ، فالشرك افتراء على الحق ، والحق لا يغفر أن يشرك به .

والمشرك بالله ، الذي أتى بالظلم الأعظم ، وافترى على الخالق العظيم ، فارتكب الإثم الأكبر ، هو إنسان قد ضلّ في تيه الحياة ، فلم ينظر بعين عقله ، ولم يعقل ما نظر إليه بعين جسمه ، رأى الواحد ، من خلال آثاره ومخلوقاته فألّه المخلوقات ، وأشركها مع الإله الحق ، وهل بعد هذا الضلال من ضلال .

إنّ هذا الضلال البعيد ، يؤدي بالمشرك إلى الهبوط من أعلى درجات الإنسانية العليا ، والكمال الروحي للتوحيد ، إلى أسفل درك من دركات الجهل ، والسفاهة وعدم الفهم ، وتعطيل العقل ، وحاله ، كما يعبر الحديث ، كمن يخرّ من السماء فتخطفه الطير ، ومن أجل كل ذلك ، فإنّ المؤمن لا يدع حقاً ، أو طاعة ، شفقة على أهله وولده ، لأنّ الله أرحم بعباده من أمهاتهم ، وحتى لا يشرك في عبادة ربّه أحداً ، أو يتركها من أجل أحد .

فهل بعد هذا ، يشرك بالله عاقل . . . أبداً ولو بالمناشير نشر ، لأنّ الشرك أكبر من ذلك أبداً ولو صلب . . . لأنّ الشرك بالله مصيبة أدهى من ذلك . . . أبداً ولو أحرق بالنار . . . لأنّ الشرك طريق الخلود في نار جهنم التي سجّرها جبارها لغضبه .

هل يجوز للمؤمنين الاستعانة بالمشرّكين ؟

قال الواقدي : كان حبيب بن يساف ، رجلاً شجاعاً ، وكان يأبى الإسلام ، فلما خرج النبي (ص) إلى بدر وخرج قيس بن محرث ، ويقال ابن الحارث ، وهما على دين قومهما فأدرك رسول الله (ص) بالعقيق ، وحبيب مقنّع في الحديد فعرفه رسول الله (ص) من تحت المغفر ، فالتفت إلى سعد بن معاذ وهو يسير إلى جنبه فقال : أليس بحبيب بن يساف ؟ قال : بلى فأقبل حبيب حتى أخذ ببطان ناقة رسول الله (ص) فقال له ولقيس بن محرث ما أخرجكما ؟ .

قال : كنت ابن أختنا وجارنا وخرجنا مع قومنا للغنيمة فقال (ص) لا نخرجن معنا رجل ليس على ديننا ، فقال حبيب : لقد علم قومي أنّي عظيم الغناء

في العرب شديد النكاية فأقاتل معك للغنيمة ولا أسلم فقال (ص) لا - ولكن أسلم ثم قاتل . . .

فلما كان بالروحاء جاء فقال : يا رسول الله أسلمت لرب العالمين وشهدت أنك رسول الله فسرّ بذلك وقال : أمضه فكان عظيم الغناء في بدر وفي غير بدر . وأما قيس بن الحارث فأبى أن يسلم فرجع إلى المدينة فلما قدم النبي (ص) من بدر أسلم وشهد أحداً فقتل (٢٦) .

الإقامة مع المشركين

قال رسول الله (ص) : « من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة » (٢٧) .

إنّ الإستعانة بالمشركين ، يعني إعطاء الشرعية لتصرفاتهم ، وأعمالهم وسلوكهم والإعتراف بهم ، في مجال تنفيذ الأعمال التي يخطط لها المؤمنون ، على جميع المستويات .

أن العداء المبدئي بين الإيمان والشرك ، عداء لا يمكن أن ينتهي أو يتوقف إلاّ بزوال الشرك من الوجود ، لأن الشرك إنحراف عن الحق والعدل ، عقائدياً ، وحياتياً ، بحيث لا يرجى منه الصلاح أو التصحيح .

والمشركون لا يمكن أن يخلصوا للمؤمنين ، وكيف نتوقع ذلك لمن كفروا ، بأن أشركوا بالله ، الواحد الأحد ، فعلام الإستعانة بهم ، ففي المجال السياسي أو الجهادي أو الثقافي ، أو الإجتماعي فإنّ المشركين يعملون لخدمة عقيدتهم الهابطة ، وممارساتهم المنحرفة ، عن خط الوحدة والتوحيد ، لذلك فإنّ الإسلام يؤكد على الانفصال الكامل عن الفكر الشركي ، والأهداف الشركية ، والتكتلات الشركية ، والسياسية الشركية ، وإلا فقد العمل الإسلامي مبرر وجوده ، والغى نفسه ، لهذا ، فإنّ الإقامة مع المشركين والتعاطي والتعامل معهم ، يعد في باب تقوية الكفر والشرك ، وترك الخصومة معهم ، والتنازل عن فكرة الصراع المستمر مع الشرك ، لذلك فإنّ رسول الله يبرأ ممن أقام مع المشركين ، ويعتبره خارجاً عن خط الإيمان والإسلام .

ما هو الشرك الخفي ؟

إنَّ الشرك الخفي هو اعتماد الإنسان على غير الله في أموره الحياتية بحيث يستقل عن المشيئة الإلهية في الفعل والترك .

١ - عن الصادق (ع) أنه قال : « هو قول الرجل لولا فلان هلكت ولولا فلان لأصبت كذا وكذا ولولا فلان لضاع عيالي ، ألا ترى أنه قد جعل الله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه ؟ .

قال الراوندي : قلت : فيقول : لولا أن الله منّ عليّ بفلان هلكت ؟ قال : لا بأس . . . (٢٨) .

٢ - « وإنَّ الشرك الخفي هو أخفى من دبيب النمل وقال منه تحويل الخاتم ليذكر الحاجة وشبه هذا » .

٣ - عن رسول الله (ص) أنه قال : « إيّاك وما يعتذر منه فإنّ فيه الشرك الخفي » (٢٩) .

إنَّ الشرك الخفي يعني أن الإنسان الموحّد هو الذي يعتقد أن الله هو الأوّل والآخر والظاهر والباطن ، وأنّ كل المخلوقات تستمد وجودها وقوتها وإمكاناتها منه . وإنّ التعلّق بغير الله ، والاستعانة به ، لا على أساس أن الله هو الذي أمكنه وأعطاه هذه القوة ، بل على قاعدة الإستقلال عن إرادة الله . . . كقول من يقول : لولا فلان هلكت ، أو لما رزقت ، أو لما شفيت ، والإعتقاد بقدرتهم على فعل ما ذكر شرك مستتر .

وكذلك الإعتقاد بأنّ شيئاً ما ، أو عملاً ما ، يتمتع بخاصية التأثير ، والفعل ، أو التغيير لأمر ما ، باستقلالية عن المشيئة الإلهية ، كما قلنا ، شرك خفي (ومنه تحويل الخاتم ليذكر الحاجة ، وشبه هذا) بالشروط المذكورة آنفاً .

ومن قولنا عن النهوض ، أو عندما نريد فعل شيء . . . يا فلان أعني سواء أكان نبياً أم ولياً إلّا إذا كان المقصود الإستنجاد بالله تعالى والدعاء له بحقّ النبي الفلاني أو الإمام الفلاني .

ويدخل ضمن هذا الإطار فعل ما يعتذر منه ، لأنّ نفس التوجه إلى إنسان

والإعتذار منه على فعل ، مع التركيز على أنه هو الأصل والفرع في هذه المسألة المعيّنة ، دون الالتفات إلى الإرادة الإلهية عمل يشتم منه رائحة الشرك الخفي .

التعوذ بالله مما نعلم من الشرك الخفي والإستغفار مما لا نعلم

عن أبي موسى الأشعري قال : « خطبنا رسول الله (ص) ذات يوم فقال : يا أيها الناس اتقوا الشرك فإنه أخفى من ديبب النمل ، فقال من شاء أن يقول : وكيف نتقيّه وهو أخفى من ديبب النمل يا رسول الله . . . قال قولوا : أَللّهم إِنّا نعوذ بك أن نشرك بك ونحن نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه » (٣٠) .

والشرك الخفي ، أخفى من ديبيل النمل ، والشرك الجلي لا يكون إلّا بالصلاة أو الذبح أو الدعوة لغير الله :

وعن الصادق (ع) قال : عن عباس بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت بأنّ هؤلاء العوام يزعمون أن الشرك أخفى من ديبب النمل في الليلة الظلماء على المسح الأسود ؟ فقال : لا يكون العبد مشركاً حتى يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله أو يدعو لغير الله عزّ وجلّ ، والمسح جمعها مسوح وهي أثواب من شعر أسود يلبسها المتعبدون في صوامعهم البعيدة عن الناس » (٣١) .

الرياء شرك

١ - عن الصادق أنه قال : في قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ . . . فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنّما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعادة ربه (٣٢) . . .

٢ - جاء رجل إلى النبي (ص) فقال : إني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك لله فيذكر ذلك فيّ وأحمد عليه فيسرنى ذلك وأعجب به ؟ فسكت رسول الله (ص) ولم يقل شيئاً فنزلت الآية (٣٣) . . .

٣ - عن علاء بن فضيل عن أبي عبد الله (ع) قال : سألت عن تفسير هذه الآية : فمن كان يرجو لقاء ربه ، قال : من صلى وصام أو حج يريد محمداً

الناس فقد أشرك في عمله وهو شرك مغفور^(٣٤) .

إنّ الإنسان المؤمن هو الذي يكون عمله خالصاً لوجه الله ، لا يريد جزاءً ولا شكوراً ، ولا سمعة ، ولا مالاً ، ولا منصباً ، ولا جاهاً ، والعلم لله ، ولنفع الناس في السر أحب إليه من العلانية ، ولا يتقدم الصفوف ليقال : أنظروا فذاك فلان ، وإنّ تقدّم فإنه يتقدم بنية الخدمة ، وطلباً لرضا الله ، وامثالاً لأمره . . . وأن يكون مغموراً ، أحب إليه من أن يكون مشهوراً ، ويعمل ويطلب من الله القبول ، بنية صادقة ، وتوجّه مخلص لله ، وهو دائماً ، يهدف إلى تحقيق ما ينفع ، وما يكون فيه مصلحة الفرد والجماعة ، فإنّ كانت المصلحة تقتضي أن يسكت فإنه يسكت وهو مطمئن مسرور ، وإن كانت مصلحة الإسلام والرسالة تقتضي أن يتكلم فيعتبر أن الكلام بحقه واجب ومسؤولية . . . لا يحزن إن فاته أمر ، ولا يفرح أو يبطر ، إن آتاه الله نعمة .

وأكثر ما يتجلى الشرك الخفي ، في الأعمال العبادية من صلاة وصيام وحج ، لذلك ترى بعض الناس دأبهم ذكر صلاتهم أو صيامهم أو عبادتهم (صلاة الليل مثلاً) ، أمام الناس ، وفي المجالس ، وهدفهم ، ليس تشجيع الآخرين ، بل طلب المديح والثناء والمكانة عند الغير ، وبذلك يكون صانع ذلك قد أشرك بالله شركاً خفياً والله غفور رحيم . والمؤمن هو من يتقي أن يكون من المبتدعين حتى لا يكفر ، أو يشرك بالله لا شركاً جلياً ، ولا شركاً خفياً ، بل يعمل على صيانة دينه ، وحمايته وإحاطته بأسوار الإحتياط ، حتى لا يقع في واضح الكفر أو الشرك أو الشبهات ، لأنّ الإحتياط سبيل النجاة ، وعدم التحرز من الشبهات من المهلكات .

الشبهة

ماذا نعني بالشبهة : عن الإمام الباقر (ع) أنه قال : « إنما سميت الشبهة شبهة ، لأنها تشبه الحقّ فأما أولياء الله فضيائهم فيها اليقين ، ودليلهم سمت الهدى وأما أعداء الله ، فدعاؤهم فيها الضلال ، ودليلهم الجمی »^(٣٥) .

جاء في مفردات الراغب : « الشبهة هو أن لا يتميز أحد الشيئين من

الآخر ، لما بينهما من التشابه عيناً كان أو معنى » .

الموقف من الشبهات

إن موقف الناس من الشبهات على قسمين :

فأولياء الله ، يقينهم بالله كبير ، يضيء لهم الطريق وهداهم يدلهم عليه .

أما أعداء الله فلا دعاء لهم مقبول لأن دعاءهم ضلال ، ودليلهم العمى .

فالشبهات هي من أسباب الفتنة ، وبعض الناس من المنحرفين يؤمنون بالدين ، ويؤيدونه ، ويمارسونه بمقدار ما ينفعهم في حياتهم ويؤمن مصالحهم الدنيوية ، فيخططون عامدين للوصول إلى ذلك ، بأن يلبسوا على أنفسهم ليجعلوا الشبهات سبيلاً لتغطية أخطائهم ، وذنوبهم وانحرافاتهم .

وقد ورد عن علي (ع) أنه قال : « إحدروا الشبهة فإنه وضعت للفتنة » (٣٦) .

وقال أمير المؤمنين لعمار بن ياسر وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً : « دعه يا عمار فإنه لم يأخذ من الدين إلا ما قاربه من الدنيا ، وعلى عمد لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته » (٣٧) .

الوقوف عند الشبهات

الوقوف عند الشبهات أمر ضروري للمؤمن من أجل المحافظة على استقامة السلوك في درب الإيمان بالإبتعاد عن المزلق والمتاهات ، وذلك عن عدم وضوح الأمور ، وتشوش الرؤية ، فلا محرم بين لبيتعد عنه ، ولا واجب لازم ليعمل به ، بل لا يدري هل هذا الأمر من المباحات أم من المكروهات فضلاً عن المحرمات والواجبات ؟ وهنا لا بد من أجل عدم الوقوع في المهلكة ، من الوقوف عند الشبهة ، فالسكوت ، مثلاً عما لا تعلمه ، خير وأفضل من كلامك فيما تعلمه علماً ناقصاً .

عن الباقر (ع) والإمام الصادق (ع) أنهما قالا : « الوقوف عند الشبهة خير

من الإقترحام في الهلكة وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه « (٣٨) » .

وعن علي (ع) أنه قال : « أمسك عن طريق إذا خفت ضلالتك فإن الكف عند حيرة الضلالة خير من ركوب الأهوال » (٣٩) .

وعن علي (ع) أيضاً : « من التوفيق الوقوف عند الحيرة » (٤٠) .

مرتكزات الشبهة

قال علي (ع) : الشبهة على أربع شعب : ١ - على الحرية ٢ - والهول ٣ - والتردد ٤ - والإستسلام .

وفي حديث آخر أنها أيضاً على أربع شعب : ٥ - على الإعجاب بالزينة ٦ - وتسويل النفس ٧ - وتأويل العوج ٨ - ولبس الحق بالباطل (٤١) .

١ - الحرية شعبة من شعب الشبهة

عندما يعطى الإنسان الحرية الكاملة في التصرف ، والحرية المقصودة هنا هي الإنعتاق من كل القيود الشرعية والعرفية وتحكيم المزاجية في الأعمال والممارسات ويكون غير مؤهل لها بالمعرفة الفطرية ولا بالمعرفة المكتسبة ، فإنه يقع في الشبهات ويرد مورد الهلكات .

٢ - والهول من شعب الشبهة

عندما تظلم الدنيا أمام إنسان ولم يعد بإمكانه أن يرى رؤية واضحة ويسيطر عليه الخوف والهول من المستقبل أو الماضي أو الحاضر ويريد أن يتحرك ، ولا يعرف وجهة صحيحة لهذا التحرك فإنه يسقط في الشبهة .

٣ - والتردد كيف يكون شعبة الشبهة ؟

التردد من صفات ضعاف الشخصية ، والذين لا يجرؤن على أخذ موقف

واضح وصريح ، ويظل الخوف مستظراً عليهم ، دائماً عند الوقوف أمام أي مشكل صغيراً كان أم كبيراً ، هذا النوع من البشر ، بط سرعة في الشبهة ، ولا حل لهذه المشكلة إلا بتقوية وتعميق الإيمان بالله ، حتى يمتلك الإنسان العزيمة ، ويتوكل على الله ، ويسلم أن ما مضى فات ، فلا يندم ، وإن ما أعطاه الله من نعم ، ليس مدعاة للبطر ، بل للشكر .

٤ - والاستسلام لشبهة شبهة

الإستسلام صفة طيبي القلوب ، الذين لا يعرفون مداخل ومخارج الأمور ، بل يثقون ، بسهولة ، بكل الناس ، ولمجرد كلمة رقيقة ، أو موقف احترام لهم أو بسملة خفيفة ، أو دعوة إلى زيارة أو وليمة . . . لم يركزوا في أذهانهم أنه إن فسد الزمان وأهله ، فليس من الطبيعي أن يثق الإنسان بكل أحد ، إلا بعد التجربة والتمحيص ، لذا فالمؤمن يدرس مجتمعه وبيئته وزمانه ، والتيارات المتصارعة فيه ، ويعود دائماً إلى كتاب الله وسنة رسوله (ص) بواسطة العلماء لمعرفة الموقف الصحيح .

ومن شعب الشبهة

٥ - الإعجاب بالزينة .

٦ - تسويل النفس .

٧ - تأويل العوج .

٨ - لبس الحق بالباطل .

إن النفس البشرية تميل إلى البهارج والزينة ، وتتعلق بالمسرات ، وتغفل عن النتائج لا بل تحاول أن تحيّر كل الأمور لصالح الطيبات الدنيوية ، لا بهدف الآخرة ، بل بهدف اللذة ، وإرواء الشهوات ، فيلتبس الحق بالباطل ، والنفس الأمارة بالسوء تدعو الإنسان لإشباع الشهوات ، لأنها تعتقد بأن من حقها أن تعيش كما يحلو لها في هذه الحياة ، وربما اعتقدت أن التعلق بالزينة ، والإهتمام بها ، يشكل قمة الصلاح ، وليس اعوجاجاً أو انحرافاً ، بل هكذا ينبغي أن تكون الحياة . . .

ومن هنا كان الإعجاب بالزينة ، وتسويل النفس الأمانة ، وتأول العوج ،
ولبس الحق بالباطل من شعب الشبهة . . .

وقد ورد عن النبي (ص) قوله :

١ - « من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها مخافة الله حرّم عليه النار
وأمنه من الفزع الأكبر » (٤٢) .

٢ - « طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعده لم يره » (٤٣) .

٣ - ثلاث أخافهنّ بعدي على أمتي : الضلالة بعد المعرفة ، ومضلات
الفتن ، وشهوة البطن والفرج » (٤٤) .

٤ - « الحق ثقيل مرّ ، والباطل خفيف حلو ، وربّ شهوة ساعة أورثت
حزناً طويلاً » (٤٥) .

ويقول الإمام علي (ع) :

٥ - « ما أبعد من استعبده الشهوات أن يكون فاضلاً » (٤٦) .

٦ - « عبد الشهوة أذلّ من عبد الرقّ » (٤٧) .

وإذا كان لا بد من الوقوف عند الشبهات ، فما هو السبيل الذي ينبغي
سلوكه في هذه الحالات . إنّ السنة الشريفة تدلنا على أن المنجيات ، من هذه
المآزق هي باتباع طريق الإحتياط .

فماذا نعني بالإحتياط ؟

إن مشكلات الحياة كثيرة ومتشابهة ومعقدة ، وعندما يفقد الإنسان
الوضوح في إعطاء الحلول ، وعدم القدرة على حسم الأمور ، أو عدم امتلاك
الإمكانات والمقومات التي بواسطتها يستطيع أن يحدّد المطلوب ، فإنه يتبع سبيل
الإحتياط ، باختيار الموقف الذي يجعله متيقناً من عدم الإفراط أو التفريط أي
أخذ الموقف الوسطي المبريء للذمة تجاه الشارع المقدس ، وذلك في جميع
المجالات الحياتية العملية الفردية والجماعية .

وعن علي (ع) أنه قال : « أخوك دينك فاحتط لدينك بما شئت » (٤٨) .
وعن الصادق (ع) أنه قال : « لك أن تنظر الخزم وتأخذ الحائطة
لدينك » (٤٩) .
وعن الصادق أيضاً (ع) أنه قال : « خذ بالإحنياط في جميع ما تجد إليه
سبيلاً » (٥٠) .



مصادر ومراجع البحث

- (١) الكافي : ج ٢ ص ٣٩٧ .
- (٢) جامع السعادات : ج ١ ص ١٦٤
- (٣) الرهان في تفسير القرآن : ج ٤ ص ٥٢٣
- (٤) راجع جامع السعادات : ج ١ ص ١٦٤ وما بعدها .
- (٥) التوحيد للصدوق : ص ٣١٢
- (٦) راجع الأنوار الثقافية .
- (٧) نهج البلاغة .
- (٨) بحار الأنوار .
- (٩) عدة الداعي : ص ٨٥ .
- (١٠) راجع تفسير نهج الصادقين/ غاية المرام .
- (١١) الكافي .
- (١٢) الإحتجاج : ص ٤٥٧
- (١٣) الوسائل : كتاب الكاح باب ١٨١ .
- (١٤) الوسائل . كتاب القضاء باب ١١ .
- (١٥) راجع أصول الكافي . مفتبس من كتاب الذنوب الكيرة بتصرف .
- (١٦) قرب الإسناد : ص ٧٨
- (١٧) قرب الإسناد : ص ١١٧
- (١٨) قرب الإسناد . ص ٦٢ .
- (١٩) بحار الأنوار : ج ١٠ ص ٢١٠
- (٢٠) بحار الأنوار : ج ١٠ ص ٣١٠ .

- (٢١) بحار الأنوار : ج ٧٧ ص ١٠٧ .
- (٢٢) بحار الأنوار : ج ٧٥ ص ٣٣٠ .
- (٢٣) نهج البلاغة . خطبة ١٧٦ .
- (٢٤) نهج البلاغة : خطبة ٢٢٣ .
- (٢٥) بحار الأنوار . ج ٧٧ ص ١٠٠ .
- (٢٦) شرح نهج البلاغة : ج ١٤ ص ٣٢٧
- (٢٧) كنز العمال : خطبة ١١٠٢٨
- (٢٨) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ١٠٠ أنصا الرواية الناسة بمسند/ ص ٦٩
- (٢٩) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢٨٢
- (٣٠) كنز العمال . حطة ٨٨٤٩
- (٣١) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٩٦ .
- (٣٢) بحار الأنوار . ج ٧٢ ص ٢٨٢ .
- (٣٣) تفسير نور الملائك : ج ٣ ص ٣٩٨ .
- (٣٤) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٣٠١
- (٣٥) شرح نهج البلاغة . ج ٢ ص ٢٩٨ .
- (٣٦) نهج السعادة : ج ٢ ص ٣٢٠
- (٣٧) نهج البلاغة . حكم ٤٠٥ .
- (٣٨) بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ١٨٩ .
- (٣٩) بحار الأنوار . ج ٧٧ ص ٢١١
- (٤٠) بحار الأنوار . ج ٧٧ ص ٢١١ .
- (٤١) تحف العقول : ص ١١٦ .
- (٤٢) بحار الأنوار . ج ٧ ص ٣٠٧ .
- (٤٣) الوسائل : ج ١١ ص ١٦٤ .
- (٤٤) الوسائل . ج ١١ ص ١٩٨ .
- (٤٥) بحار الأنوار : ج ٧٧ ص ٨٢ .
- (٤٦) شرح نهج البلاغة : ج ٢٠ حكمة ٤٢
- (٤٧) شرح نهج البلاغة . ج ٢٠ حكمة ٢٨ .
- (٤٨) بحار الأنوار : ج ٢ ص ٢٥٨ .
- (٤٩) المصدر السابق .
- (٥٠) المصدر السابق ص ٢٦٠ .



النفاق

النفاق أخو الشرك ، وتوأم الكفر ، والمنافقون هم حزب
الشیطان .

محتويات البحث

- ١ - آيات كريمات .
- ٢ - حديث شريف .
- ٣ - ماهية النفاق :
 - ١ - المعنى اللغوي للنفاق .
 - ٢ - المعنى الاصطلاحي للنفاق .
- ٤ - مظاهر النفاق ومقاييسه :
 - ١ - كثرة الوفاق نفاق .
 - ٢ - زيادة خشوع الجسد على خشوع القلب .
 - ٣ - النفاق لمظة سوداء .
- ٥ - أسباب النفاق :
 - ١ - الذلل والضعف والجبن .
 - ٢ - الكذب لتحصيل جاه .
 - ٣ - الخوف وانعدام الحرية .
 - ٤ - الرغبة في الوصول إلى موقع سياسي أو إجتماعي .
- ٦ - دعائم النفاق :
 - ١ - الهوى .

٢ - الهوينا .

٣ - الحفظية .

٤ - الطمع .

٧ - الإنعكاسات السلبية لدعائم النفاق وشعبها :

أ - على المستوى الفردي .

ب - على المستوى السياسي والاجتماعي .

٨ - شعب دعائم النفاق .

٩ - من آثار النفاق على المستوى الفردي :

١ - النفاق يفسد الإيمان .

٢ - النفاق أخو الشرك .

٣ - النفاق توأم الكفر .

٤ - النفاق شين للأخلاق .

٥ - رأس النفاق الخيانة .

١٠ - آثار النفاق على المستوى العام :

١ - التخويف .

٢ - إثارة المشاعر العصبية .

٣ - إثارة المسائل الأخلاقية .

٤ - تجزئة وحدة المسلمين .

١١ - علامات المنافق :

١ - المنافق يداهن نفسه .

٢ - المنافق يطعن الناس في غيابهم .

٣ - ظاهر قول المنافق جميل .

٤ - فعل المنافق داء دخيل .

٥ - لسان المنافق حلو وقلبه قبيح .

٦ - المنافق وقح ، غبي .

- ٧ - المنافق كثير الشك والإرتياب
- ٨ - المنافق قاسي القلب ، جامد العين
- ٩ - المنافق يتمنى الضرر للآخرين .
- ١٠ - المنافق لا يتعظ بموعظة الإيمان .
- ١١ - المنافق يتألم إذا سعد الآخرون .
- ١٢ - المنافق يخلف بالوعد ، ويفشي السر .
- ١٣ - المنافق يقول قول الصالحين ، ويفعل فعل الطالحين .
- ١٤ - المنافق في نظره هو ، وفي سكوته سهو .
- ١٥ - المنافق يبكي متى شاء من شدة نفاقه .
- ١٦ - المنافق يبكي من هامته ، والمؤمن يبكي من قلبه .
- ١٧ - المنافق ضال مضل ، وزال مزل .
- ١٨ - المنافق يتلون ألواناً .
- ١٩ - المنافق يعمد بكل عماد .
- ٢٠ - المنافق يرصد بكل مرصاد .
- ٢١ - المنافق قلبه دوية .
- ٢٢ - المنافق صفاحه نقيّة .
- ٢٣ - المنافق يمشي الخفاء ، ويدبّ الضراء .
- ٢٤ - المنافق وصفه دواء ، وفعله الداء العياء .
- ٢٥ - المنافقون حسدة الرخاء .
- ٢٦ - المنافق له بكل طريق صريع .
- ٢٧ - المنافقون يتقارضون الشناء .
- ٢٨ - المنافق إذا سأل الحف .
- ٢٩ - المنافق يعدّ لكلّ حقّ باطلاً .
- ٣٠ - المنافقون يتوصّلون إلى الطمع باليأس .
- ٣١ - يقول المنافقون فيشبهون .
- ٣٢ - المنافق يهون الطريق ويضلع المضيق .
- ٣٣ - المنافقون لمة الشيطان .

- ٣٤ - تحية المنافقين لعنة .
 - ٣٥ - طعام المنافقين نهمة .
 - ٣٦ - غنيمة المنافقين غلول .
 - ٣٧ - المنافق لا يقرب المساجد .
 - ٣٨ - لا يأتي المنافق الصلاة إلاّ دبراً .
 - ٣٩ - المنافقون مستكبرون .
 - ٤٠ - المنافقون خشب بالليل .
 - ٤١ - المنافقون سخب بالنهار .
 - ٤٢ - علم المنافق في لسانه .
 - ٤٣ - ورع المنافق يظهر على لسانه .
 - ٤٤ - المنافقون يؤثرون العاجلة على الآجلة .
 - ٤٥ - من علامات المنافقين بغض أهل البيت (ع) .
 - ٤٦ - مثل المنافق . . .
- ١٢ - قلب المؤمن ، وقلب المنافق ، وقلب المشرك :
- ١ - المعنى اللغوي لأنواع القلوب .
 - ٢ - خصائص القلوب بأنواعها المختلفة .
- ١٣ - أشدّ الناس نفاقاً .
- ١٤ - المنافق عليم اللسان .
 - ١٥ - المنافق ذو لسانين .
 - ١٦ - مصادقة المتعادين .
 - ١٧ - خصال لا تكون في منافق .
 - ١٨ - حال المنافقين يوم القيامة .
 - ١٩ - الصلاة على محمد وآله تذهب بالنفاق .
 - ٢٠ - النفاق في صدر الإسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى ، يَرَأَوْنَ النَّاسَ ، وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ، مُدْبِذِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ ، وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ . . . ﴾^[١] .

* * *

وقال الرسول (ص) : « إني لا أَخَوْفُ على أمتي مؤمناً ولا مشركاً ، أما المؤمن فيجبره إيمانه ، وأما المشرك فيمقته كفره ، ولكن أَخَوْفُ عليكم منافقاً عالم اللسان ، يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون »^[٢] .

وقال الإمام علي (ع) : « أوصيكم عباد الله ، بتقوى الله ، وأحذركم أهل النفاق . . . فهم لمة الشيطان ، وحمّة النيران . . .

أولئك حزب الشيطان ألا إنَّ حزب الشيطان هم الخاسرون »^[٣] .

* * *

[١] سورة النساء : الآية ١٤٢ - ١٤٣ .

[٢] كبر العمال . خ ٢٩٠٤٦ .

[٣] نهج البلاغة : من خطبة المنافقين .

ماهية النفاق

المعنى اللغوي للنفاق : يقول الراغب في المفردات :
- النفق : الطريق النافذ ، والسرب في الأرض ، النافذ فيه .
وقد قال تعالى : ﴿ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ ﴾ [١] .
... ومنه النفاق : وهو الدخول في الشرع من باب ، والخروج عنه من باب ، وعلى ذلك نبّه بقوله :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٢] أي الخارجون عن الشرع .
وجعل الله المنافقين شرّاً من الكافرين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [٣] .

وجاء في لسان العرب لابن منظور :
- ... قيل إنه سميّ منافقاً ، لأنه نافق كالبربوع وهو دخوله نافقاً .
يقال : قد نفق به ، ونافق وله جحراً آخر يقال له القاصعاء ، فإذا طلب قصّع فخرج من القاصعاء ، فهو يدخل في النافقَاء ، ويخرج من القاصعاء ...
(أو العكس) ... فيقال هكذا يفعل المنافق ، يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه ...
... وقد تكرّر في الحديث ذكر النفاق ... وهو اسم إسلامي ، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به . وهو الذي يستر كفره ، ويظهر إيمانه ، وإن كان أصله في اللغة معروفاً ، يقال : نافق ينافق منافقة ونفاقاً وهو مأخوذ من النافقَاء لا من النفق ، وهو السرب الذي يستتر فيه لستره كفره .

وفي حديث حنظلة : (نافق حنظلة) ، أراد أنه إذا كان عند النبي (ص) أخلص وزهد في الدنيا ، وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها ، فكأنه نوع من الظاهر والباطن ما كان يرضى أن يسامح به نفسه .

[١] سورة الأنعام : الآية ٣٥ .

[٢] سورة التوبة : الآية ٦٧ .

[٣] سورة النساء : الآية ١٤٥ .

قال رسول الله (ص) : « أكثر منافقي أمتي قراؤها »^(١) أراد بالنفاق ههنا الرياء ، لأن كليهما إظهار غير ما في الباطن^(٢) .

المعنى الإصطلاحي للنفاق : « النفاق هو إظهار الإسلام ، والعمل بعمله وإبطان الكفر »^(٣) .

ويقول المولى النراقي إنَّ النفاق هو : مخالفة السر العلن سواء كان في الإيمان أو في الطاعات أو في المعاشرات مع الناس وسواء طلب به الجاه والمال أم لا ، وعلى هذا فهو أعم من الرياء مطلقاً وإن خصَّ بمخالفة القلب اللسان ، أو بمخالفة الظاهر الباطن في معاملة الناس ومصاحبتهم فبينهما عموم وخصوص من وجه^(٤) .

فالنفاق - إذن - هو حالة انحرافية مخادعة ، على مستوى العقيدة ، ينعكس على مجال الممارسة تلوناً في المواقف ، وكذباً في الأقوال ، وخيانة في الأفعال .

مظاهر النفاق ومقاييسه كثرة الوفاق نفاق :

إنَّ الإنسان المؤمن الواعي ، هو الإنسان القادر على اتِّخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب ، فهو يرى الأمور بوضوح . . . فيلتزم بأوامر ربِّه وشريعة الإسلام . . . يوافق الآخرين ما سلم الدين ، ويخالف أقرب المقربين ، فضلاً عن الأبعاد ، إن كانت الأقوال أو الآراء ، أو الأفعال مخالفة لإرادة العلّام الحكيم ، لذلك يستدلُّ على النفاق ، إن كان الوفاق دائماً ، أو كثيراً لأنَّه لا يعقل أن تتفق الآراء دائماً أو بشكل أكثر من إذا نفاق أحد المتوافقين .

أمَّا كثرة الخلاف فهي دلالة على عدم الإنسجام بين المتلاقين .

قال علي (ع) : « كثرة الوفاق نفاق ، كثرة الخلاف شقاق »^(٥) .

من النفاق أن يزيد خشوع الجسد على خشوع القلب :

ومن علامات النفاق ومظهراته الداخلية ، هو عدم التوافق بين حالة الجسد ، وحالة القلب فإن كان القلب في وضع من التعلُّق بالله ، بحيث تكون

درجة الخشوع أقل قوة وأضعف من مظهرها الخارجي المنعكس على الجسد فهو وضع نفاقي .

قال الرسول (ص) : « ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا نفاق » (٦) .

النفاق لمظة سوداء :

قال الإمام علي (ع) : « إنَّ النفاق يبدو لمظة سوداء ، فكلما ازداد عظماً ، ازداد ذلك السواد ، فإذا استكمل النفاق اسودَّ القلب » (٧) .

إنَّ الله تبارك وتعالى خلق الإنسان ، وهده النجدين ، إمَّا شاكراً وإمَّا كفوراً ، ووجهه من الإمكانيات والطاقات ما يؤهله للإرتفاع إلى أعلى الدرجات ، وبإمكان الإنسان أن ينمِّي الجانب الخيّر فيه ، فيتجاوز ما يشدّه إلى الأرض والمادة ، ليتعلّق بما يسمو به ، ويرفعه باتجاه عالم الروح ، وبعبارة أخرى ان باستطاعة الإنسان إن سار في طريق التسامي ، ووجه نفسه الوجهة الصحيحة ، ليكون عبداً شكوراً ، أن يروحن الجانب المادي ، من حياته وجسده ، ووجوده ، حتى يغدو أفضل من الملائكة عند الله كما ورد في كلام لأمير المؤمنين (ع) . .

إنَّ القلب هو مركز التوجهات الروحية ، والإمكانات السامية ، وهو المعبد الداخلي في نفس الإنسان ، وقد أضاءه الله بنور الحق ، وزوّده بما يجعله قابلاً للترقي في مدارج الإيمان .

ولكن هذا القلب ، يتأثر بالمؤثرات الخارجية ، لوجود قابلية الكفران عنده ، فإذا ما هبَّت رياح الإنحراف عن خط الله تعالى ، فإنها قد تؤثر على سراج القلب ، فيضطرب نوره ، أو يطفأ ، أو تظلم بعض جوانبه في لحظة جمود ، أو كفران ، أو فسق ، فإذا استحكمت ذلك في القلب ، وطغت الظلمة على النور ، مع تركيز على جانب معين من جوانب القلب فإنَّ الظلمة تنتشر ، وكلما ازدادت الطاقة الظلامية النفاقية ، كلما اتسعت مساحة السواد ، حتى تغطي القلب كله ، عندها لا يرجى أي خير من صاحب هذا القلب . . .

ونتيين من هذا أن النفاق على درجات ، وله مستويات فطوري لمن عالج نفسه من هذا المرض ، قبل أن يستحكم به الداء فلا يتوقع له شفاء . . . ويكون ممن حكم عليه بأنه سيصل نار جهنم في أسفل الدركات . . .

أسباب النفاق

١ - الذل والضعف والجبن :

إن كل من عاش في بيئة يحكمها الإذلال ، والذل ، والعبودية لغير الله سبحانه ، ولم يستطع أن يثور على ما هو فيه ، بل طأطأ رأسه أمام ممارسات الإذلال تجاهه حتى استعذب ذلك فإنه يتحوّل إلى منافق .

قال علي (ع) : « نفاق المرء من ذل يجده في نفسه ، والنفاق من أثافي الذل »^(٨) .

وكل من يجد القوّة في جسده ، ولا يجد القوّة في نفسه ، يتحدّى بها الظالمين ، ولا القوّة في عقله يدحض بها آراء وأفكار الملحدين والمنحرفين ، يصبح منافقاً ، لا يثبت على حال من الأحوال لا في رأي ولا موقف .

٢ - الكذب لتحصيل جاه (منصب) أو مال أو لذة :

إن كل كذاب منافق ، والقاسم المشترك بين الكذب والنفاق (الشرك والكفر) ، وذلك لأنّ الكذاب في حال التعوّد عليه ، وتعاضم أمره ، يوصل الإنسان ليكون منافقاً كما جاء في الخبر .

فقد قال أمير المؤمنين (ع) : « الكذب يؤدي إلى النفاق »^(٩) .

والكذب المؤدي إلى النفاق ، هو على الخصوص ما كان يهدف لتحقيق أهداف ورغبات دنيوية ، ساقطة كالوصول لمنصب أو وظيفة أو مكانة عند زعيم أو وجيه ، أو دولة ظالمة ممّا يدفع طالب ذلك للنفاق ، فضلاً عن أنّ الرغبة في المال أو اللذة أو الشهوة فإنها جميعاً من بواعث النفاق وأسبابه .

ويقول المولى النراقي : « إن كان باعث النفاق الجبن ، فهو من رذائل قوّة

الغضب من جانب التفريط ، وإن كان باعثة طلب الجاه فهو من رذائلها من جانب الإفراط ، وإن كان منشأه تحصيل مال ، أو منكح ، فهو من رداءة قوّة الشهوة ، ولا ريب أنه من المهلكات العظيمة»^(١٠) .

٣ - الخوف وانعدام الحرية

٤ - الرغبة في الوصول إلى موقع سياسي أو إجتماعي

جاء في بحث حول النفاق ، في مجلة المنطلق ، بعنوان : المنافقون ، دراسة في العلل والخصائص ما يلي :

« إن الواقع السياسي والإجتماعي الضاغط والمخالف لمعتقد وتوجّه الفرد قد يدفعه انطلاقاً من شعوره بالرهبة والخوف على المصير وانعدام الحرية الفكرية والسياسية ، إلى مجارة الواقع بمختلف تمظهراته من دون أن يتخلّى عن حقيقة معتقده ورؤيته الخاصة ، وإزاء هذه الإزدواجية يجهد لتغيير الواقع من خلال تكريسه لعناصر الخلل وتحويلها إلى عوامل فوضى وعدم استقرار ، وذلك لإعادة وصل جانبه السلوكي والعملي مع منطلقاتها الفكرية والعقيدية التي حالت الظروف دون تواصلهما . والمصاب بهذه الإزدواجية لا يمكنه إخفاء قناعاته بالكامل ، لأنه لا يستطيع منع إنفعالاته ومشاعره ، النابعة من قناعاته الحقيقية ، من أن تظهر وتعبّر بصدق عما يختلج واقعاً في نفسه ، وهذا لا يعني أنها تتساوى في ظهورها بين الأفراد ، وإنما تختلف بتفاوت قدرة الواحد منهم عن الآخر في التحكم بالسلوك والمشاعر .

وعلى هذا المبني يكون عامل الخوف ، هو القوّة الخفية الكامنة وراء ذلك النسيج الخادع من الممارسة الإجتماعية والسياسية وحتى الإنفعالات والمشاعر ، وعلى ضوء هذا التفسير يمكن تجنّب ظاهرة النفاق بإطلاق الحرية الفكرية والسياسية وساعتئذ سينكشف السرّ الكامن وراء هذه الحالة المخادعة ، التي هي في الواقع ليست كذلك ، لولا انسجام صاحبها مع نفسه وصدقه في توجهاته ، فهو لو لم تلجئه الظروف إلى ممارسة المعتقد الظاهري لما بادر إلى ذلك وبقي في وضعيته السابقة .

وعلى هذا الأساس يكون النفاق ، في وجوده ، وعدمه يدور مدار الحرية بشقيها - الفكري والسياسي - وعدمها .

غير أن نظرة متأملة في عينات مختلفة من المنافقين عبر التاريخ ، مع ملاحظة الآيات القرآنية والروايات ، تكشفان - النظرة والملاحظة - بوضوح وهن وضعف ذلك الحصر السابق للعلّة وتمحيضها بالخوف وفقدان الحرية ، إذ أن الكثير من مناشيء حصول ظاهرة النفاق لا تمتّ بصلة إلى الخوف وانعدام الحرية بقدر ما تعود إلى حقيقة الدوافع والأهداف التي قد تتحكم بتصورات الفرد وتدفعه إلى ممارسة مختلف الأنشطة بما يخدم تلك المنطلقات والغايات ، وهي في الغالب ، لا تتلاءم في ظاهرها مع مضامين وروح توجهاته الحقيقية .

فالرياء في العبادة ، كالسفر إلى الحج ، وأداء الصلاة أمام الناس والتظاهر بالصيام ، ودفع الصدقات والتبرعات في المشاريع التي تحقق له الشهرة ، والتظاهر بالتواضع في المجالس التي قد تخدم أهدافه ، وغيرها من المسائل العبادية والأخلاقية والاجتماعية ، التي لا مبرر لممارستها بهذا الشكل ، لولا المنحى الوصولي والرغبة في التسلق إلى المناصب والمراكز الاجتماعية والسياسية وهذه لا علاقة للحرية الفكرية والسياسية من قريب أو بعيد بها ، وإنما تنطلق من رغبة أكيدة وحقيقية في الوصول إلى أهداف دنيوية محددة اختار لها ، لإنجازها ، وسائل مناسبة يراها مجدية ومؤثرة .

فالموارد التي مرّ ذكرها لا تتطلب معظمها ، في أصل وجودها ، البروز والظهور بل الأصل في ممارسة معظمها التخفي ، والروايات تخص على ممارستها بالخفاء والسر لأنها أقرب للتقوى وأزهد للنفس .

قال عيسى (ع) « والعبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس »^(١١) .

ويورد أبوذر (رض) أن رسول الله (ص) حدّثه عن فضائل الصمت ومضار الكلام فيما لا يعنيه من المباح فضلاً عن غيره فقال (ص) : « . . . وربما سألت غيرك عما لا يعينك فأنت بالسؤال عنه مضيع زمانك وقد ألجأت صاحبك أيضاً إلى التضضيع فإنك تسأله عن عبادته فتقول : هل أنت صائم فإن قال : نعم كان

مظهراً عبادته ، فيدخل عليه الرياء ، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر التي تفضل على عبادة الجهر بدرجات . . . « وكذلك سؤالك عن سائر عباداته . . . » (١٢) .

وقال رسول الله (ص) : « إن أغبط أولياء الله عبد مؤمن خفيف الحاذ (قليل المال والعيال) ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربّه وأطاعه في السرّ وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع . . . وعجلت منيته وقل ترائه ، وقلت بواكيه » (١٣) ورؤي بعضهم يبكي عند قبر رسول الله (ص) ف قيل له : ما يبكيك ؟ فقال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « إنّ اليسير (١٤) من الرياء شرك ، وإنّ الله يحب الأتقياء الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإن حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى » .

وقال عيسى (ع) للحواريين « إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه بالزيت لئلا يرى الناس أنه صائم ، وإذا أعطى يمينه فليخف عن شماله ، وإذا صلى فليخ سترابه ، فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق » (١٥) .

ويضيف كاتب المقال : « هذا اللون من الممارسة يعدّ شعبة من شعب النفاق ، لأنّها ينطبق عليها المدلول الإصطلاحي ، « إظهار الحسن ، وإبطان القبيح » مع أن صاحبها لم يقدم عليها بدافع الخوف ، وإنما بداعي الرغبة في تحقيق مكاسب معنوية وربما مادية دنيوية .

ويمكن أن نترقى في تصوير بعض مظاهر النفاق ، كما أشار العلامة الطباطبائي ، وهي متلبسة بصور البذل والإنفاق وإعلام الدعم للإسلام والمسلمين ، ليس هذا فحسب ، وإنما كانت تلك الممارسات والأفعال بدافع الرغبة في نصرّة الدين وأتباعه ورؤية المجتمع وقد حكمته شريعة الله تعالى ، لكن ذلك كله قد يكون نتيجة اعتقاده بوجود ملازمة بينها وبين وصوله إلى أعلى المناصب والراتب في الدولة التي جاهد من أجل عزّتها في حالات الضعف ليستثمر سلطتها في حالي القوة والعظمة ، ولا فرق في البين ، بين كون بداية إعلان النصر في ظرفي الملاحقة والتنكيل أو الإستقرار والأمان ، لأنّ هذا الفرد الطامع قد

لا يجد سبيلاً آخر للوصول غير سبيل الدين فيتدّين به ظاهراً ويخلص الولاء له لوجود الملازمة الشديدة - بنظره - بين انتصار الدين ، ووصوله إلى ما يريد .

وهذا الصنف من المنافقين لا يقلّ خطراً عن الأوّل إن لم يفقه ، لأنّه يظهر التماهي في سلوكه وتفكيره مع سلوك وتفكير الجماعة المؤمنة من دون أن يمكن الآخرين من اكتشاف حقيقة نواياه ودوافعه الأساسية^(١٦) .

وإذا اتّضح هذا الشكل الخطير من النفاق ، أمكن تصور الوسائل والأساليب التي قد يستخدمها أفراد هذا الصنف من المنافقين لتحقيق غرضهم ، كالعلم مثلاً ، إذ لما كان الهدف الحقيقي من نصرة الدين ودعمه هو الوصول إلى الزعامة والسلطة ، فإنّ أقصر الطرق المقرّبة لهذا الهدف هو العلم ، لما له من موقعية خاصة في الحكومة الإسلامية ، ولهذا قد يسعى المنافق بجِدّ لتحصيل العلوم والمعارف الضرورية وكثيراً ما يتمكن هؤلاء من الوصول إلى أعلى المراتب التي تخوله مع ما يمتلك من رصيد ديني ، كان قد امتلكه من جراء مثابرته في نشر الدين ، كما أشرنا سابقاً ، إلى دخول السلطة من بابها العريض .

وقد يمكن للمرء ملاحظة عدم إخلاصه بعد استلامه ذلك المنصب ومن خلال الممارسة ، حيث سيظهر ، للمتتبع الواعي فقط ، خواؤه الروحي وقلة حرصه على الدين ، ويعني عدم مراعاة الدقة في التطبيق ، فضلاً عن تحريفه الدين في بعض الموارد التي قد يحول وجودها دون إتمام غلبته وتحقيق غرضه بالكامل ، وتتوافق حقيقة هذا الصنف مع الروايات التي تتحدث عن الأثر الروحي للعلم عند المؤمن وانعدامه عند المنافق مع وجوده عند الإثنين معاً ، « علم المنافق في لسانه ، علم المؤمن في قلبه »^(١٧) ، وبذلك يتحول العلم إلى مجرد حالة تصورية نظرية يستخدمه لإظهار الرفعة والزعامة دون النظر إلى إمكانية خدمة الدين والإسلام به ، فضلاً عن تفريغ العلم الإلهي والقرآني من روحهما ومضمونهما فتعتمد بسبب ذلك الضوابط الشرعية في الممارسات السياسية والاجتماعية فيصبح همّ المنافق تأمين الدعم الشعبي له دون الوقوف عند الشبهات والمحاذير فيتساهل في الأحكام لتحقيق غرضه الشخصي . هذا إذا لم يؤول - المنافق - النصوص والأحكام بما يحقق أو يتوافق مع غرضه السياسي والسلطوي

الوصولي ، ولذا يكثر من الحديث عن الوحدة والجماعة والإجماع والرأي العام . . . ألخ ، وكأنها كلها تصبح الملاك والعلّة فيتعامى عن الغاية التي من أجلها كانت الوحدة والجماعة محبة ومطلوبة ، وبأنها لا معنى لها إن لم تكن قائمة على قاعدة الاعتصام بحبل الله تعالى والإرتباط به عز وجل . وقد يتجاوز تلك الشعائر . الوحدة ، والجماعة ، الإجماع ، والرأي العام - إلى إظهار التودّد مع أعداء الله تعالى ناحياً من بعض إشارات الأدلّة غير البيّنة أو المؤكّدة بمجموعة أدلة سريجة واجبة أو مسحوبة ، متجاهلاً الآيات الصريحة والروايات الظاهرة المخالفة لاجتهاداته العقيمة ، لأنه يرى في حصول الوفاق والإتفاق عليه ما يدعم مركزه وقوّته ، وهذه الصورة تعكسها إحدى الروايات الواردة في غرر الحكم (والتي سبق وذكرناها) « كثرة الوفاق نفاق ، وكثرة الخلاف شقاق » (١٨) .

وإذا دعبنا اللونين الأخيرين ، الرياء وحبّ التظاهر بالورع والعبادة من ناحية ، والعدل بإخلاص (لمرحلة معينة) بغية الوصول إلى هدف دنيوي من ناحية ثانية ، إذا جمعنا هذين الشكّلين ، وأدرجناهما تحت عنوان النفاق السلطوي والإجتماعي ، يكون مجموع علل النفاق اثنين : النفاق الناتج عن الخوف وانعدام الحرية بمختلف أشكالها ، والنفاق المتحصل من الرغبة في الوصول إلى موقع إجتماعي معيّن بين الناس أمّا من خلال الرياء أو ببذل الجهد بالتضحية والإيثار وتحصيل العلم للوصول إلى موقع سياسي سلطوي (*) .

دعائم النفاق

عن أمير المؤمنين (ع) قال : « . . . النفاق على أربع دعائم : على الهوى ، والهوى ، والحفيظة ، والطمع » (١٩) .

الدعامة الأولى للنفاق

الهوى

أ - إنّ الهوى هو ميل النفس إلى الشهوة ، وقد سمّي بالهوى ، لأنّه يهوى بصاحبه في الدنيا ، إلى كل داهية ، وفي الآخرة إلى الهاوية ، وإنّ الهوى هو

سقوط من علو إلى أسفل ، قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا هَوَیةٌ ﴾ .
وهوت أمُّه ، أي ثكلت - وفي معنى آخر ، أي مقره النار لأنَّ الهاوية معناها النار .

والفؤاد الهواء يعني الخاوي والفارغ والخالی ، قال تعالى : ﴿ وَأَفْسَدْتَهُمْ هَوَاءٌ ﴾ أي خالية وأتباع الهوى مذمومون عند الله كثيراً ، لذلك قال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مِنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاءٌ ﴾ .

والخطر في اتباع الهوى أنه نهاية الضلال والحيرة .
قال تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ ﴾^[١] (أي حملته على اتباع الهوى) .
والهوى ذهاب في ارتفاع^(٢٠) .

ب - ويقال هَوَیةٌ يَهْوَاهُ وهو هو وهي هَوَیة ، ويقال هو من أهل الأهواء أي من الذين يتبعون الهوى (ولا تتبع الهوى) وهوى من الجبل أي سقط - وهوت الدلو في البئر هَوِياً (بالفتح) أي أنزلته ، وهوى إلى الجبل ، وهوى الجبل معناه صعبه هَوِياً - والناقة تهوي براكبها أي تسرع به ويقال طاح في المهواة والهاوية وهي ما بين الجبلين أي سقط .

وتهاووا فيها أي تساقطوا ، وأهوى بيده إلى الشيء ليأخذه - وهذه هَوَیة عميقة وجمعها هَوَى - وهوى الرجل يعني مات - ويقال : جلستُ عنده هَوِياً أي ملياً - ومعنى هَوَى من الليل أي جزء منه . وفي المجاز : انه هواء أي خالي القلب عن الجراءة^(٢١) .

ج - ويقال : هَوَى الرجل = تردى وهلك ، وكأئما سقط من مكان عال ، ويقال : هَوَتْ الدابة والماشي : أسرع ويقال : هوى إلى وطنه أي نزع إليه وحنّ - وهوى النجم = غاب وغرب أو أسرع في انكداره وهو في رأى العين يسقط من علو إلى أسفل .

[١] سورة الأنعام : الآية ٧١ .

قال تعالى : ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى ﴾^[١] . ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات ﴾^[٢] ، أي تهوي وتسرع في ميل وحنين .

وقال تعالى : ﴿ فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾^[٣] ، أي تسقط وتسفل وقيل : إنّ الهاوية هي الوحدة الغامضة من الأرض لا يدرك قعرها .

قال تعالى : ﴿ وأما من خفت موازينه فأمه هاوية ﴾^[٤] ، أي نار سافلة لا يدرك قعرها هوية يهواه هوى = أحبه ومال إليه . ويجمع الهوى على الأهواء .

الهواء : الخلاء بين السماء والأرض ، واستهواه الشيطان : أي حملة على أن يهوى أي يذهب ويسرع أو حملة على أن يهوى ويميل إلى الضلال .

وإنّ أكثر ما يستعمل الهوى في الميل إلى الباطل وما ليس بحق ، ويأتي الهوى بمعنى الشهوات ، وما تميل إليه النفس في المذاهب والإعتقاد ونحو ذلك ، ممّا يجانب الحق ، ويجافي الصواب ، ويستعبد النفوس^(٢٢) .

الدعامة الثانية للنفاق

الهوينا

الهوينا هي تصغير الهوى ، وإنّ الهوى مؤنث الأهون ، وهو من الهون ، وهو الرفق واللين والتثبت والمراد هنا : التهاون في أمر الدين ، وترك الإهتمام به^(٢٣) .

[١] سورة طه : الآية ٨١ (أي هلك) .

[٢] سورة إبراهيم : الآية ٣٧ .

[٣] سورة الحج : الآية ١ ظ .

[٤] سورة القارعة : الآية ٩ .

الدعامة الثالثة للنفاق الحَفِظَةُ

الحفيظة في اللغة :

أ - حفظ الشيء يحفظه حفظاً ، أي رعاه ، وصانه ، فهو حفيظ وحافظ وهم حافظون وحفظة وهي حافظة وهنّ حافظات ، وإسم المفعول محفوظ ، وقد يُضَمَّن حافظ وحفيظ معني رقيب مهيمن فيعدى بحرف (على) . والحفيظ من صفات الله عزّ وجل : حفظ السموات والأرض بقدرته .

وجاء أنّ المحافظة على الصلاة : صونها ورعايتها وذلك لا يكون إلاّ بالمواظبة عليها

وأخيراً : الحفيظة تعني حفظ الشيء في داخل النفس وقد تعني الغضب والحمية (٢٤) .

ب - إنّ الحفيظة هي الغضب الذي تحمل عليه المحافظة ، ثم استعمل في الغضب المجرد فقليل :

(أحفظني فلان أي أغضبني) (٢٥) .

ج - يقال : هو من أهل الحفيظة ، والحفظة ، وهم أهل الحفائظ والمحفظات وهي الحمية والغضب عند حفظ الحرمه وفي المثل : « المقدرة تذهب الحفيظة » ، « يضرب في وجوب العفو عند المقدرة » ، قال الخطيئة :

يسوسون أحلاماً بعيداً أناتها وإن غضبوا جاء الحفيظة والجّد وقيل : « حفظة أكنّها ضميري » .

ويقولون : ألك محفظة أي حرمة تحفظك أي تغضبك ، ويقال : أحفظه كذا أي أغضبه (٢٦) .

ومن كل ما سبق ، يمكن القول : إنّ المقصود بالحفيظة ، كدعامة من دعائم النفاق ، هو الغضب .

الدعامة الرابعة للنفاق

الطمع

الطمع في اللغة :

أ - المعنى الحسي : يقال تطميع القطر ، أي أن يبدأ فيجىء منه شيء قليل ، ويرجى بعده ما هو أكثر منه .

ويجىء المعنوي : وهو الحرص ، ونزع النفس إلى الشيء ، شهوة .

وأكثر ما يكون ذلك في قريب الحصول ، والفعل - كفرح - طمع فيه وبه (طمعاً وطماعة وطماعية)^(٢٧) .

قال تعالى : ﴿ وادعوه خوفاً وطمعاً ﴾^[١] ، ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي ﴾^[٢] ، ﴿ فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾^[٣] ، ﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ﴾^[٤] ، ﴿ نطمع أن يدخلنا ربنا ﴾^[٥] .

ب - ويقال : طمعت ، أطمع ، طمعاً وطماعية ، فهو طمع وطماع قال : « إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا أفتطمعون أن يؤمنوا لكم خوفاً وطمعاً » ولما كان أكثر الطمع من أجل الهوى قيل : الطمع طبع ، والطمع يدنس الإهاب^(٢٨) .

ج - يقال رجل طامع وطمّاع وطموع وطمّع وإن فلاناً لطمع أي حريص وفيه طمع وطماعة وطماعية .

ويقول المثل : « وأذلّ أعناق الرجال الأطماع والمطامع » .

وفي المجاز : أخذ الجند أطباعهم أي أرزاقهم . وإنّ الطير يصاد بالمطامع ، جمع مُطْمَع أي (الشبكة والشرك)^(٢٩) .

[١] سورة الأعراف : الآية ٥٦ .

[٢] سورة الشعراء : الآية ٨٢ .

[٣] سورة الأحزاب : الآية ٣٢ .

[٤] سورة البقرة : الآية ٧٥ .

[٥] سورة المائدة : الآية ٨٤ .

وبعد هذه الجولة اللغوية ، لفهم معاني الألفاظ المعبرة عن دعائم النفاق ،
نورد الخبر الوارد حول هذا الموضوع كاملاً :

عن أمير المؤمنين (ع) قال : « . . . النفاق على أربع دعائم : على الهوى ،
والهوىنا ، والحفيظة ، والطمع .

فالهوى على أربع شعب : على البغي ، والعدوان ، والشهوة ، والطغيان .
فمن بغى كثرت غوائله وتخلّى منه وقصر عليه ، ومن اعتدى لم يؤمن بوائقه ولم
يسلم قلبه ولم يملك نفسه عن الشهوات ، ومن لم يعدل نفسه في الشهوات ،
خاض في الخبيثات ، ومن طغى ضلّ على عمد بلا حجة .

والهوىنا على أربع شعب : على الغرة ، والأمل ، والهيبة ، والمهاطلة ،
وذلك بأن الهيبة ترد عن الحق ، والمهاطلة تفرط في العمل ، حتى يقدم عليه
الأجل ، ولولا الأمل علم الإنسان حسب ما هو فيه ، ولو علم حسب ما هو
فيه ، مات خفائاً من الهوى ، والوجل ، والغرة تقصر المرء عن العمل .

والحفيظة على أربع شعب : على الكبر ، والفخر ، والحمية ، والعصبية .
فمن استكبر أدبر عن الحق ، ومن فخر فجر ، ومن حمى أصرّ على الذنوب ، ومن
أخذته العصبية جار ، فبش الأمر أمر بين إدبار وفجور ، وإصرار ، وجور على
الصراط .

والطمع على أربع شعب : الفرح ، والمرح ، واللجاجة ، والتكاثر .
فالفرح مكروه عند الله والمرح خيلاء ، واللجاجة بلاء لمن اضطّرتّه إلى حمل
الآثام ، والتكاثر لهو ولعب وشغل ، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ،
فذلك النفاق ودعائمه وشعبه » (٣٠)

زبدة الكلام :

الإنعكاسات السلبية لدعائم النفاق وشعبها :

إنّ للهوى والهوىنا والحفيظة والطمع ، التي تشكل دعائم للنفاق ،
إنعكاسات سلبية على المستويين الفردي والاجتماعي .

أ - على المستوى الفردي

إنّ دعائم النفاق تفعل أفاعيلها السيئة في النفوس ، وهي تتمظهر بمظاهر عدّة منها :

١ - أنّ الهوى يضع حاجزاً كبيراً بين الحق ، وأهل الأهواء ، ويمنع الرؤية الصحيحة ، ويسدّ آفاق الفكر ، ويأسر العقل ، وينحرف بالإنسان ، عن الطريق السوي .

٢ - والهوينا : أي التهاون بأمور الدين ، والإلتهااء بأمور ثانوية ، لا تسمن ولا تغني من جوع كما يقال ، تؤدي إلى خسران الدنيا والآخرة ، وبالتالي إلى فقدان التوجه الصحيح ، وتحوّل الإنسان إلى مخلوق طفيلي ضار في المجتمع .

٣ - والحفيظة : هي الدوافع العدائية السبعية ، التي تتملك الشخص ، وتقوده إلى العمل ، بكل جهد للإيقاع بالآخرين ، وتنفيس الحقد الدفين المخزون ، في أعماقه بمعاداتهم وإلحاق الأذى بهم .

٤ - والطمع : يملك على الشخص أموره ، ويجعله لا يرى إلّا مصلحته الذاتية ، ضارباً بعرض الحائط كل مصلحة إلّا مصلحته ، إنّ هذه الصفات السيئة سبب في تباعد الأهل والإخوان ، وفطر عقد المحبة بين الأقران ، ممّا يفسح المجال أمام الصراعات على مختلف المستويات .

ب - على المستوى السياسي والاجتماعي

أما على المستوى الاجتماعي والسياسي ، فإنّ دعائم النفاق هي الأسافين التي تدقّ بجدران التماسك الاجتماعي فتعمل على تهديمه ، والتفكك الحاصل في المجتمعات البشرية ، لا يبعد أن يكون المؤثر الأساسي والفاعِل في تهديم دعائمه ، هذه الدعائم التي تشيد أبنية النفاق ، وتهدم بناء الإيمان ، والعدل ، والحق .

ومن هذا المنطلق ، كانت الصراعات السياسية والعسكرية لتحقيق مآرب عنصرية أو قومية أو تسلطية طاغوتية .

شعب دعائم النفاق

١ - الهوى على أربع شعب : ١ - البغي ٢ - والعدوان ٣ - والشهوة
٤ - والطغيان .

١ - فالبغي الذي هو تجاوز الحد في كل أمر من الأمور كسماً وكيفاً ، وهو الظلم في أعلى درجاته لأنه يؤدي إلى ارتكاب المآثم ، والعدول عن طريق الحق إلى طريق الباطل .

٢ - والعدوان هو تجاوز على الغير وإلحاق الأذى به ، وهوينافي كل التثام وصفاء ، والعدوان تارة يكون في القلب وهو العداوة أو المعادة ، وأخرى على مستوى الإخلال بالعدالة في المعاملة ، باعتبار أن العدوان هو انعكاس لمشاعر العداوة عند أهل النفاق .

٣ - والشهوة تعني نزوع النفس إلى ما تريده ، وترغبه حلالاً كان أم حراماً ، وبالأخص فيما لم يأمر به دين ، ولا عقل ولا عرف ، وهذا يؤدي إلى الخلل الكبير على مستوى الأخلاق بشكل عام ، والبناء الأخلاقي للفرد والمجتمع .

٤ - والطغيان هو التجاوز الأكبر الهادف إلى السيطرة الكاملة على الطرف المقابل ، دون التسورع عن أية مذمة ، أو مظلمة معنوية أو مادية ، بهدف ابتلاع حقوق الآخرين ، وتجيير أعمالهم لصالح الطغاة .

٢ - والهويناء على أربع شعب : ١ - على الغرة ٢ - والأمل ٣ - والمهاولة
٤ - والهيبية .

١ - إن الغرة (وهي الغفلة في حال اليقظة) ، شعبة من شعب الهويناء التي هي الإلتواء عن كل ما من شأنه التقرب من الدين ، والأخلاق ، وممارسة الأعمال المرضية لله تعالى ، إذ كيف يقرب من الدين ، ويلتفت للأخلاق الحميدة ، من همّة بطنه ، وشهواته ، ورائده التلهي بقشور الدنيا وترهاتها .

٢ - وأمله أن تطول هذه اللذة الدنيوية ، وأن تبقى الإمكانيات لديه متوفرة أولاً تنتهي هذه الحياة ، وأن لا يأتي معها الموت الذي لا بد منه .

ومقومات الغرّة والأمل هو ما يتمتع به هذا الإنسان المغرور ، من القدرة والوجاهة والهيبة ، وما يؤهله للبقاء فيما يتمتع به من المميزات ، وخصوصاً المادية منها والجسدية ، فضلاً عن الميزات المعنوية . . .

٣ - وهو يماطل ويسوّف ، ولا يستمع للنصائح ، ولا يرتدع بالمواعظ ، ولا يرعوي عن الموبقات ، لا بقول ولا بفعل .

والحفيفة على أربع شعب : ١ - على الكبر ٢ - والفخر ٣ - والحمية ٤ - والعصبية .

إنّ الحفيفة ، وشعبها الأربع : الكبر ، والفخر ، والحمية ، والعصبية ، كلها مفردات تدلّ على الذات والخصوصية الزائدة ، وهي تختصّ بصفات الإنسان الفردية ، التي تجعله مميزاً عن الآخرين بالاتجاه السلبي في أكثر الأحيان .

١ - فالكبر وهو الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه ، فلا يرى فوقه أحداً ، ولا يقتصر تكبره على غيره من البشر ، بل يتعداه ليستكبر عن عبادة ربّه ، والمتكبر لا يعجب أحداً لسوء فعله ، ومسلكه ، ولا يعجبه أحد ، لأنه يعتقد أنه أهم من الجميع .

٢ - وأمّا الفخر فهو المباهاة ، تارة بالأشياء الخارجة عن الذات من مال وجاه ، وتارة أخرى المباهاة بالذات والصفات الخاصة ، والفخور يتباهى بكل شيء يخصه ، فيهبط بالسامي من المعاني إلى الحضيض ويرتفع بالمنحط إلى الأعلى ، وربما يتباهى بإنتاج فكري ، أو إحسان لإنسان ، أو عبادة لله . . أو يتباهى بفعل شنيع ، أو أذية مؤمن ، أو قطع ما أمر الله به أن يوصل . إنّ الفخور المنافق لا يرى إلّا نفسه ، ولا يعترف بجميل إلّا من خلالها ، فهو يرى القبيح في نفسه جميلاً ، ويرى الجميل في غيره قبيحاً ، فبئس خصلة هي من خصال النفاق .

٣ - والحمية والعصبية من الصفات التي تحتل وجهين ، سلبي وإيجابي ، فإذا كانت الحمية للدفاع عن حقّ ، وكانت العصبية لردّ مظلمة أو تمسك بحق فهي إيجابية ، ورضاها الله والعاقلون ، أمّا إذا كانت الحمية حمية الجاهلية ، التي لا تفرق بين ظالم ومظلوم وإذا كانت العصبية هي العصبية القائمة على أساس

(أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، بالمعنى الجاهلي، أي انصره وإن كان ظالماً، فإنّ الحمية والعصبية ، في هذه الحال تكون من شعب الحفيظة ، التي هي من دعائم النفاق ، كما جاء في الخبر : إذ ليس من العصبية ، كما عن الصادق (ع) ، أن يحب الرجل قومه ، بل من العصبية أن يرى شرار قومه ، خيراً من خيار قوم آخرين .

٤ - وإنّ الطمع على أربع شعب : ١ - الفرح ٢ - والمرح ٣ - واللجاجة ٤ - والتكاثر .

إنّ الطمع وشعبه الأربع ، ليست من خصال أهل الإيمان ، ولا تدلّ على رجاحة عقل المتّصف بها ، بل هي من صفات المنافقين ، المذمومين ، والمعذبين عند الله تعالى .

١ - فالفرح بمعنى البطر ، ونسيان الآخرة ، والشعور بعدم المسؤولية عن الآخرين ، مبغوض عند الله ، ولا يزين المرء في دنيا كلها بلاءات ومصائب وفيه دلالة على خفة العقل وعدم الإلتزان ، وعلى دنيوية صاحبه ، وتعلّقه بسفاسف الأمور .

٢ - والمرح هو صنو اللهو ، ومعناه التخليّ عن الأمور الجديّة ، وهو الداعي للقيام بأعمال صبيانية ، والإنسان المرح ، كثير التّصايب ، وبعيد عن عالم الجلد ، والعمل المثمر ، لا يرجى منه أية نتيجة إيجابية ، وأي عمل مركّز ومسؤول .

٣ - واللجاجة في كل أمر تضر أكثر مما تنفع ، ويصبح اللجوج منفراً ، وممجوجاً من الآخرين .

٤ - والتكاثر من الطمع ، وهو استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير . والتلهي بالتكاثر ، لا يبقى وقتاً ، أو مجالاً لعمل خير ، ولا لطاعة مقبولة ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿الهاكم التكاثر ، حتى زرتم المقابر﴾ .

فكل الذي ذكرناه ، هو النفاق وشعبه ، وقانا الله شره ، وشر العاملين فيه .

وبهذا نكون قد بينّا معنى النفاق وأسبابه ، ومظاهره ، ودعائمه ، وشعبه وانعكاساته ، وبقي أن نتحدث عن آثاره ونتائجه ، فما هي هذه الآثار والنتائج يا ترى ؟ .

آثار النفاق

إنّ للنفاق تأثيرات مختلفة على الفرد والمجتمع كما أسلفنا باعتبار أن ظاهرة النفاق لها تأثير عميق في النسيج الاجتماعي للأمة الإسلامية ، وذلك لأنّ النفاق يقوى وينمو عند نمو الوضع الإسلامي عقائدياً ، وإجتماعياً ، وسياسياً ، فيتحول بعض أعداء الإسلام ، وبعض الكفار إلى منافقين لأسباب مختلفة ، منها أسباب نفوذية إلى داخل الصفوف الإسلامية ، ومنها أسباب مصلحة ، أو خوف وجبن .

من آثار النفاق على المستوى الفردي

- ١ - إنه مفسد للإيمان .
- ٢ - وإنّه أخو الشرك .
- ٣ - وإنّه توأم الكفر .
- ٤ - وهو شين للأخلاق .
- ٥ - وإنّ النفاق خيانة لله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ فَأَعْقِبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ ﴾ [١] .

١ - النفاق يفسد الإيمان

لا إيمان إلّا بخلوص نية ، وخلوص النية وسلامتها ، يتبعه سلامة القول ، وسلامة العمل ، وبما أن النفاق هو موافقة لما يقتضيه الإيمان في الظاهر ، ومخالفة له في السر ، فإنه يقود إلى التواء في الممارسة ، تفضي إلى ارتباك في العمل ، وقلق

[١] سورة التوبة : الآية ٧٧ .

في النفس ، وتشوش في المواقف ، وكل ذلك يقود إلى عدم السلامة والإستقامة والسوية عند الإنسان ، لذلك كان صاحب هذه الوضعية ، والذي نسميه منافقاً ، بعيداً عن الدين والإيمان كل البعد ، لأنّ الإيمان هو موافقة الظاهر للباطن ، والنفاق يفسد هذه الموافقة ويخرّبها .

قال علي (ع) : « النفاق مفسدة للإيمان » (٣١) .

٢ - النفاق أخو الشرك

إنّ الشرك يعني أن يجعل الشرك مع الله إلهاً ، أو آلهة أخرى ، إفتراء على الله وكذباً ، وعلى هذا فالشرك هو تعدد الخالقين الأرباب ، وهذا محال ، وهو مخالف للحقّ ، وموافق للباطل ، والنفاق ، ظاهره الإيمان والعبادة المزيفة ، وجوهره وحقيقته الكفر ، والانحراف .

لذلك قال الإمام علي (ع) : « النفاق أخو الشرك » (٣٢) .

٣ - النفاق توأم الكفر

إنّ الكفر هو أن تجحد بالله ، وتعبد غيره ، والنفاق هو أن تعبد غير الله حقيقة ، وإن كنت تظهر عبادته سبحانه ظاهراً ، وبهذا يستوي النفاق والكفر بعدم عبادة الله وعبادة غيره والخضوع له .

وقد قال الشاعر معبراً عن حقيقة الإيمان ، وحقيقة الكفر :

خضوعي لربي لا لسواه ولست أسير بغير هداة

ويخشع غيري لعبد ضعيف ويعبد غيري ضلالاً هواه

وقد تبين من كل هذا - أنّ النفاق كفر ، ونظراً لأنّه يتّصف بميزات تميزه عن

الكفر العادي ، لذلك نُخصّ باسم خاص فكان كما قال الإمام علي (ع) :
« النّفاق توأم الكفر » (٣٣) .

٤ - النّفاق شين للأخلاق

إنّ القيام بالأفعال الرديئة، والمنكرة، المرفوضة عقلاً وعرفاً، تحطّ من قدر

الإنسان الذي يقوم بها ، وإنّ النفاق عيب أخلاقي وإجتماعي ، يسيء إلى شخصية الإنسان ويجعله مبغوضاً ، ومردوفاً من الناس ، لأنّه صفة سلبية لا تعترى أحداً إلّا وتحيله إلى إنسان تافه مريض ، خلقياً ، وعقائدياً ، شرير متلون في أفعاله ، يفقد المروءة والحمية ، وإظهاره التدنّ ، يعبر عن مآرب شخصية ، يقابله شرّ باطن ، وحقيقي ، أكثر سوءاً من الكفر الظاهري .

قال علي (ع) : « النفاق شين للأخلاق »^(٣٤) و « عادة المنافقين تهزيع الأخلاق »^(٣٥) .

٥ - رأس النفاق الخيانة :

إنّ لكل شيء أساساً ، وقاعدة ، ومرتكزاً ، كما أن له رأساً ، ومنطلقاً ، وأحط دركات النفاق الخيانة . لأنّ المنافق هو إنسان قد خان ربّه ، وخادع الله ، والله خادعه ، وذلك باعتبار أنّ المنافق يضمّر غير ما يظهر ، وهذه خيانة للنفس ، ومن يخون نفسه ، فإنه يملك القابلية لكل أنواع الخيانة ، وذلك لأنّ أقبح ما يكون الإنسان ، هو أن يكون ظاهراً موافقاً ، وباطناً مخالفاً ، وهذه الخيانة تنسحب على جميع مجالات الحياة الخاصة والعامة : الفردية والإجتماعية والسياسية كما سنتبيّن ذلك فيما يأتي .

وقد قال علي (ع) : « الخيانة رأس النفاق »^(٣٦) .

آثار النفاق على المستوى العام

كتبت مجلة المنطلق حول الآثار المترتبة على النفاق ، في بحث أشرنا إليه سابقاً ما يلي :

« إنّ وجود ظاهرة النفاق ، بما هي فعل خديعة ، في المجتمع الإسلامي ، ينطوي على مخاطر جمة قد تصل إلى مستوى تهديد المجتمع كلّ ، بالإنهيار من الداخل ، صحيح أنّ بقاء تلك الظاهرة مستترة ، في مرحلة من المراحل ، قد تخدم بعض الشيء الرسالة والدعوة في ظرف مواجهة العدو العفائدي ، باعتبار أنّ المنافقين بتكتّمهم ومشاكلتهم للمسلمين في السلوك والتفكير وفي الموقف بعض

الأحيان ، قد تظهر ساحة المسلمين بهيئة موحدة ، مما قد يحول دون مواجهتها وضربها أو يؤخر ذلك إلى فترة يحتاجها المسلمون من أجل تصليب وحدتهم وتعميم وجودهم وانتشارهم ، مما يضعف مستقبلاً ، من فرص ضربهم ، إلا أن ذلك لو حصل لا ينفي مخاطر وجودهم المخرب .

إذاً يمكن الإستفادة إيجابياً من وجود المنافقين في وسط المسلمين ؛ في حالات الضعف ، مع الحذر الشديد من ممارستهم المشينة ، غير أن التعاطي على هذا المستوى يفترض مسبقاً فضح التيار الثقافي داخل المجتمع وتشخيصه وتحديده ، ومن ثم محاولة تعريته بين الجماعة لكي تبقى الجماعة حذرة من خطابه ودسائسه .

وهذه خطوة لا بد من اتخاذها لأنها تمهد لأخرى لا تقل أهمية عنها بل هي أعظم منها مؤداها أن لا تتاح الفرصة لهؤلاء بالتسلل إلى أجهزة الدولة وقيادتها (أو أجهزة الحركة الإسلامية وقيادتها) ، حتى لا تمكن من امتلاك الوسائل والأدوات المدمرة ، ومن موقع القرار ، للمسيرة الإسلامية .

وهذا ما يمكن استفادته من تجربة الرسول (ص) الذي كان ربماً يراهن على عنصر الوقت لاقتضاح أمر المنافقين بين الناس وعزلهم فضلاً عن إتاحة الفرصة الحضارية للدرية المنافقين لكي يدوبوا في المجتمع بعد زوال أثر المؤسسين للحالة الخبيثة » .

١ - التخويف

« يسعى المنافقون دائماً وتحت تأثير مرصهم القلبي ، إلى إثارة مشاعر الخوف من المستقبل عند المسلمين لكي يثنوا هؤلاء عن اتخاذ مواقف حاسمة وتبقى قراراتهم ممسوخة وغير فاعلة ، وهذا ما نقرأه في مواقف عبد الله بن أبي أثناء غزوة بني القينقاع ، عندما سعى لإخافة المسلمين ومخاطر الإقدام على قتل جميع مقاتلي بني القينقاع^(٣٧) .

وقد نقل القرآن الكريم موقفهم بوضوح بقوله : ﴿ فزرى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو

أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴿٣٧﴾ .

وكذلك نجد الموقف نفسه أثناء غزوة تبوك عندما شرع المنافقون بتخويف المسلمين من الروم وينقل في المناسبة عن بعضهم مخاطبة المسلمين : « أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ والله لكأننا غداً مقرنين في الحبال » (٣٨) .

٢ - إثارة المشاعر العصبية - من قبلية وقومية وحتى وطنية

« قد لا نجد في مطويات كتب السيرة والتاريخ نصوصاً تتحدث عن المشاعر الوطنية بحرفيتها - أو القبلية - بلفظها - وإنما قد تنحصر بالمشاعر القومية والإقليمية ، لكنه يصح تعميم العنوان وزيادة مساحته ، لأنَّ غرض المنافق ينصب في الدرجة الأولى على التجزئة ، وقد يتسنى له إثارة قضية دون أخرى تبعاً لخصوصية الطرف والمقام ، لكن ذلك ، لا يمنعه بالطبع أن يثير غيرها إذا اقتنع وآمن بتأثيرها السلبي على وحدة المسلمين .

فالتحريض الذي باشره عبد الله بن أبي ضد المهاجرين ، قد يباشره المنافقون المعاصرون ضدَّ مسلمين من أوطان وجنسيات وقوميات ومذاهب مختلفة ، فالعبرة في الغاية لا في الوسيلة فهي قد تتغير بتغير الظروف الموضوعية من جغرافية أو سياسية أو تاريخية . . . الخ .

لذا فإنَّ الخطاب التحريضي لعبد الله بن أبي لطرذ المهاجرين وعزلهم خطاب يمكن أن يتجدد تحت شعارات مختلفة تماماً . ولا ضير في توسيع الشعار أو تجريده لجعله رمزاً ، أما الكيفية فلتنابع مسيرة عبد الله بن أبي في هذا الإطار . . . المعروف أن عبد الله بن أبي كان من أصحاب الرأي الذي يقول بضرورة مواجهة المشركين من قريش ، داخل المدينة ، ملتقياً في ذلك مع موقف الرسول (ص) الأولي ، لكنه بعد إجراء المشورة المطلوبة ارتأى الرسول (ص) الخروج منها للقاء القوم بعيداً عنها ، الأمر الذي لم يرق لعبد الله وجماعته إن لجهة عدم العمل برأي

[١] سورة المائدة : الآية ٥٢ .

زعيمهم أو لانعدام مبرر القتال خارج المدينة طالما الهدف الأول والأخير بالنسبة لهم هو الحفاظ على المدينة وحدها ، ولهذا انخذل عبد الله بن أبي بثلث القوم وقال : « أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس » فرجع بمن أتبعه من قومه من أهل النفاق والريب (٣٩) .

وبدت فتنة المنافقين ، في إثارة المشاعر الإقليمية ، أكثر وضوحاً على أثر غزوة بني المصطلق عندما اقتتل أجير (٤٠) عمر بن الخطاب من بني غفار مع الجهين (٤١) حليف بني عوف من الخزرج على الماء وصرخ الأول : يا معشر المهاجرين وصرخ الثاني : يا معشر الأنصار ، عندها غضب عبد الله بن أبي سلول وقال : « أو قد فعلوها - وبقصد المهاجرين - قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، ... أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذلّ » ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : « هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم » (٤٣) .

ومن الملفت ، أنّ هذا الخطاب يتقارب مع ما يثار في أيامنا من قبل تيار النفاق المعاصر الذي يجيد تماماً كسلفه لعبة التحريض المنطلق من إثارة المشاعر الوطنية والإقليمية بحيث يجهد نفسه لمنع المسلمين من التواصل في جهادهم وقضاياهم ، ليبقوا ، كما هو الواقع مجموعة تكتلات أو تجمعات بشرية تحكمها أنظمة غير إسلامية متعارضة لا بل متباينة إلى حد لا يصدق على المسلمين الذين يقطنون دار الإسلام - الأرض الإسلامية - عبارة عن مجتمع إسلامي أو أمة إسلامية ، لانتفاء العناصر المقومة للعنوانين السابقين من واقع المسلمين السياسي الحالي .

٣ - إثارة المسائل الأخلاقية

« لم يترك المنافقون وسيلة إلاّ اتبعوها من أجل إماتة الدين وتشويه سمعة المسلمين قادة وقواعد وذلك ليبعدوا الناس عنهم ، ومنها المسألة الأخلاقية ، التي تتسم بالدقة والحساسية المفرطة في المجتمعات المحافظة التي تقيم - في العادة - وزناً

للعفة والشرف ، ولهذا لم يتردد المنافقون في صدر الإسلام عن استخدام هذا العنصر المهم لتحقيق أهدافهم ، وقد وصل بهم الإسفاف إلى حدّ النيل من الرسول محمد (ص) وإحدى زوجاته في قصة (الإفك) المعروفة وقد نزلت في حقهم آية قرآنية تصفهم دون أن تسميهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْأَفْكِ عَصَبَةٌ مِنْكُمْ ، لَا يُحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١١] .

وذكر ابن هشام في سيرته ، أنّ البعض اعتبر عبد الله بن أبيّ وأصحابه هم المقصودين من هذه الآية .

٤ - تجزئة وحدة المسلمين

« لا شك أن وحدة المسلمين ، كانت من الظواهر التي تؤرق المنافقين ، لذلك لم يتوانوا عن استخدام مختلف الوسائل لضرب هذه الوحدة التي ، كان لها الأثر البالغ في مجمل الإنجازات التي تحققت على أيديهم بقيادة الرسول محمد (ص) ، ولذلك سعوا إلى إيجاد شرخ بين الرسول محمد (ص) وكبار الصحابة ، من خلال زرع بذور الريبة والشك ، ومسألة إرجاف المنافقين بعلي بُعيد خروج الرسول محمد (ص) إلى تبوك تدخل في هذا السياق ، فقد أشاعوا أن الرسول (ص) « ما خلفه إلا استثقلاً له ، وتخففاً منه » ، إلا أنّ علياً (ع) لم يدع مقولتهم تأخذ مداها ، إذ أتى رسول الله (ص) وهو لا يزال قريباً من المدينة فأخبره بما قاله المنافقون فقال الرسول (ص) : « كذبوا ، ولكني خلفتك لما تركت ورائي ، فأرجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبي بعدي » [٤٣] .

ولما كانت وحدة المسلمين وائتلافهم يتحديان كل مؤامرات المنافقين وغيرهم ، وتحبط الكثير من الخطط ، فإنّ أفضل سبيل لإزالة هذا العنصر الحساس والمهم من طريق مخططاتهم كان يكمن في إحداث الفرقة والتجزئة داخل صفوف المسلمين ، وبما أن المسجد داخل المدينة كان يجسد هذه الوحدة ، من

[١١] سورة النور : الآية ١١ .

خلال احتضانه لكل المسلمين في أوقات الصلاة وخلف قائد واحد فقط ، فإنَّ نظر هؤلاء انصب على رمز وحدتهم فأرادوا النيل منه ، وهو المسجد ، فخططوا لبناء مسجد يكون وسيلة لمنع التقاء كل المسلمين ، بحجة التخفيف عن المرضى والعجز والمصلين في الأيام والليالي المطيرة والشاتية^(٤٤) . إلا أنَّ مؤامراتهم الجديدة لم يكتب لها النجاح ، فقبل أن يبادر الرسول إلى الصلاة في مسجدهم ويعطيه الشرعية المطلوبة ، أخبره الباري تعالى عن المسجد وعن كل ما كان يكيده المنافقون ، وذلك قبل عودته من تبوك إلى المدينة : ﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفنَّ أن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون ، لا تقم فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله يحب المطهرين ﴾^[١] .

عندها أمر الرسول (ص) بإحراقه وهدمه ، ليحول دون تكريسه وليفتوت على المنافقين أهدافهم الخبيثة .

ومسألة مسجد ضرار ، ترمز إلى إمكانية استخدام المنافقين في كل عصر المظاهر الدينية والمؤسسات ذات الطابع (الروحي) لمحاربة الدين ، وهذه من أخطر الأساليب لأنها لا تنكشف بسهولة ويسر للناس السذج الذين قد يستشاروا لمحاربة المسلمين نتيجة جهلهم بالشبهات والأضاليل .

هذه بعض الأساليب والوسائل التي سبق واستخدمها المنافقون الإعتقاديون في مرحلة من مراحل الدعوة ، إلا أنَّ ذلك لا يعني اختصاص أهل ذلك العصر بها ولا أهل ذلك الصنف فبالإمكان ممارستها حتى من قبل المنافقين المعاصرين بكلا صنفيهما - الإعتقاديين والعملين - .

ولما كنّا سابقاً قد حكمنا على النفاق العملي بأنه أخطر حالات النفاق وبأنّه أخفى على الناس من النفاق الإعتقادي فإنّه لا بأس بمحاولة الكشف عن قواعد ووسائل لفضحهم . لكن أقصر الطرق وأقربها للواقع ، هي تلك التي تنطلق من

[١] سورة النوبة : الآية ١٠٧ - ١٠٨ .

تشخيص أهدافهم من جهة ودراسة سلوك رموزهم التاريخيين في صدر الإسلام وخلال مسيرة المسلمين من جهة ثانية .

فإنهما قد يسهما في وضع جملة افتراضات علمية تساعد في رسم ملامح سلوك هؤلاء . لأن مختلف الوسائل قد يستخدمها هؤلاء لا بد أن تبقى محكمة بهواجس الهدف النهائي ، لكن مع ذلك لا يكفي رسم الطرق ووضع الافتراضات ، وإنما قد يحتاج المتتبع والحريص على مستقبل الرسالة وسلامتها إلى ملاحظة المثيرات والمحرضات المستفادة من روح الأهداف التي يسعون إليها ، لأن الخطر ليس في أصل وجودهم فحسب وإنما في قدرتهم على التخفي واختراع وسائل المكر والخداع والتضليل وبالتالي فإن هذه لا يمكن حصرها باختلافها باختلاف الأحوال والظروف » .

علامات المنافق

١ - المنافق يداهن نفسه

وهي خداع الإنسان نفسه ، وإقناعها باتخاذ مواقف لا تمت إلى الصوابية بصلة ، وذلك لإنعدام الرؤية والتشويش الفكري .

٢ - المنافق يطعن الناس في غيابهم

وهو القول المؤذي ، والإتهام المشين ، الذي يطلقه أهل الأحقاد على من يبغضون ، وهذا من باب الغيبة والهمز واللمز . . .

قال علي (ع) : « المنافق لنفسه مداهن ، وعلى الناس طاعن » (٤٥) .

٣ - ظاهر قول المنافق جميل

إن كلام المنافق كلام معسول ، ظاهره الكياسة ، واللفظ والتودد ، وهدفه خداع السامع ، وهو لا يهدف إلا إلى بذر الشر ، ليحصد الفتن .

٤ - فعل المنافق داء دخيل

إن أفعال المنافق هي بعكس أقواله المعسولة ، باعتبار أنها داء وبيل ، ينخر العظام والقلوب ، وهو مستعص على الشفاء والدواء ، وذلك لأن المنافق يجهد نفسه وفكره وجسده ليأتي بالحيل الخبيثة للإيقاع بالآخرين ، وخصوصاً أهل الإيمان والدين ، لا يذائهم في دينهم وعرضهم وأنفسهم وأموالهم .

وقال علي (ع) : « المنافق ، قوله جميل ، وفعله الداء الدخيل » (والدخيل المرض الذي يصل إلى الأعماق) وقال علي (ع) في وصف المنافقين : « وصفهم دواء ، وقولهم شفاء ، وفعلهم الداء العياء »^(٤٦) .

٥ - لسان المنافق حلو ، وقلبه قبيح

وهذه من الصفات الملازمة للمنافق فظاهره جميل ولسانه حلو كما سبق وقلنا ، إلا أن باطنه يغلي بالحقد ، وقلبه أسود على الإيمان وأهله ، والصالح والإسلام . . . فإن تحدّث المنافق قلت هذا كلام الصلحاء الأتقياء ، الذين يخافون الله ، وإن مارس وعمل قلت أنه فعل الوسواس الخناس ، لا بل انه في البرية شرّ الناس .

٦ - المنافق وقح ، غبي . .

قال علي (ع) : « المنافق وقح ، غبي ، متملق شقي »^(٤٧) .

إن المنافق وقح في أقواله ، سيء الأخلاق والأفعال ، غبي ، يرى الحق ، فلا ينتهجه ، أو يشكك به ، سقيم التفكير لا يعقل ، متملق ، يمدح من لا يستحق المديح ، ويزيد عن الحد ، لبلوغ مآرب وغايات شخصية ، لأنه خبيث النفس ، وهو شقي نتيجة صفاته الرديئة ، وأفعاله الدنيئة ، محضره محضر سوء ، وغيابه راحة وسلام .

٧ - المنافق كثير الشك ، والإرتياب ، والمكر

سبب الريبة والشك عند المنافق بغضه للغير ، وحقده على الناس ، وبذلك

يعمد إلى خيانتهم والمكر بهم ويعمل جهده لإيذائهم ، فهو لذلك كثير الإرتياب والشك ، ودائم الخوف ، على قاعدة أنّ الخائن خائف دائماً . . . هذا في جانب العلاقات الإجتماعية ، أمّا في جانب الاعتقاد فهو يعيش قلقاً فكرياً ، بالإضافة إلى قلقه النفسي المستمر ، إذ لا يستقر على حال ، وفي كل مجال .

وقال علي (ع) : « المنافق مكور ، مصرّ ، ومرتاب »^(٤٨) .

٨ - المنافق قاسي القلب ، جامد العين ، مصر على ذنبه ، حريص على دنياه

قال الإمام الصادق (ع) : « أربع من علامات النفاق : قساوة القلب ، وجهود العين ؛ والإصرار على الذنب ، والحرص على الدنيا »^(٤٩) .

١ - إنّ قساوة قلب المنافق تعود إلى عدم معرفته بالله ، وكفره المستر بداخله ، وهذا ما ينزع الرحمة من قلبه ، ونعوذ بالله من قلب قاس لا يخشع .

٢ - وجهود العين ، ناتج عن قساوة قلب الإنسان ، الذي لا يخاف الله ، والمتجرّد من كل المعاني الإنسانية ، لا تدمع عيناه ، إذا ذكر الله ، وأتى له ذلك ، ومعين الإيمان قد نضب في أعماقه ، بسبب كفره ونفاقه ، وروحه جفّت ماؤها ، وتبخّرت فكيف تدمع عينه وإن شاهد ما تدمى له القلوب ، وتفتت له الأكباد ؟ ويأمر بالقتل ، قتل النفس التي حرّم الله ولا يخاف ، أو يقتل هو بنفسه ، ويأمر بالضرب والإيذاء ، والحبس ، والتعذيب ، هذا إذا كان من الرؤساء ، وأصحاب السلطان ، ولا يعنيه ، جوع الأطفال وصراخهم شيئاً ، وبؤس البائسين ، وولولات النساء الثكالي ، بل المهم عنده ، أن يعيش هو ، وأن يحافظ على كرسيه ، وأمّا إذا كان من عامة الناس ، لا سلطان له ، فإنّه يفعل ما بمقدوره من إيذاء ، وشتم وسباب ، ولعن وغير ذلك . . . ونعوذ بالله من كل عين لا تدمع ، عند ذكر الله وذكر آلام الفقراء والمستضعفين .

٣ - أمّا الإصرار على الذنب ، فهو سمة مميزة للمنافق ، لأنّه أصلاً لا يؤمن بالله ، فيعتبر الذنب والخطيئة والانحراف ، حقاً واستقامة ، وتقدماً ، وتحضراً ، فيكذب لأنّه يعتبر الكذب فهماً وذكاءً ، ويغش لأنّه يرى في الغش حكمة

ومصلحة ، ويعتدي على الناس ، لأن الإعتداء على الآخرين بنظره ، يدعم مركزه ، ويظهر قوته ، ويخوف غيره منه . . . إلى آخر ذلك .

٤ - أما حرصه على دنياه ، فإنه نتيجة لعدم إيمانه بالآخرة ، وبما وعد الله ، وتكذيبه بالحق ، وما أتى به الرسل ، مما يجعله منكباً على الدنيا ، منصرفاً إليها كلياً ، همه بطنه ، وشهواته ، قد باع آخرته بدنيه أو بدنيا غيره ، فخرس الآخرة ، وربما يخسر الدنيا في أغلب الحالات .

٩ - المنافق يتمنى الضرر للآخرين ، ولا يحبّ الخير لغيره مطلقاً

إنّ المنافق ، في تصرفاته القبيحة ، وفي ممارساته اللإنسانية ، يشبه العامل الذي فوضه مالك بستان أن يزرع أرضه ، بما يناسب من المزروعات ، وأوصاه بأن يعتني بها ، وأن لا يبخل عليها بماء ، ولا ببذار جيّد ، ولا سهاد مفيد ، والمالك يريد الخير ، والنصح لنفسه ، ولهذا العامل ، الذي اعتقد فيه الصلاح إلا أن هذا الزارع كان خبيثاً ، يفعل فعل الشياطين ، ويلبس ثياب الزاهدين المخلصين ، فكان يتظاهر بالتقوى والنصح ، مع أنه كان يخطط ويعمل لمعاكسة رأي الموكل . . . لذلك زرع الأرض ببذار فاسد ، بعد أن حرثها حرّاة رديشة ، ولم يروها ريّاً كافياً ، ولا سمّدها بما يؤمن النمو المطلوب ، فجاءت النتيجة وبالأعلى على العامل ، وخساراً على صاحب الأرض . . . وطرد العامل ، وحرّم من مورد رزقه وسلب النعمة لعدم أمانته .

ومن الواضح أن المنافق الخبيث ، لرداءة معتقده ، وسوء سريرته ، لا يضمّر لمؤمن خيراً ، لأنه يعتقد أن الخير إن أصاب غيره ، فإنه يخسر خسارة عظيمة ، لأن الخير ينبغي أن يكون له ، وله وحده ، لأنه أناني ، ومعاد للإيمان وأهله ، وباعتبار أن الإيمان هو ضد النفاق ، والنفاق شرّ على الإطلاق ، والإيمان خير ورحمة فهو لا يحبّ الخير لغيره ، لأنه مجبول على الشرّ .

١٠ - المنافق لا يتعظّ بموعظة الإيمان ، لأنه ليس بمؤمن

قال الإمام علي (ع) : « بالكذب يتزيّن أهل النفاق » (٥٠) .

والمنافق كذاب ، لأنه لا يظهر حقيقة نواياه ، وبواطنه ، لذلك لا يتأثر بموعظة ولا يلتفت إلى عبرة وليس مستعداً لسماع قول صادق ، ولا فعل مستقيم . لقد طمس على قلبه ، وحال العمل السيء والنوايا الخبيثة بينه وبين نور الإيمان والحقيقة الهادية للضالين ، والتائبين .

١١ - المنافق يتألم إذا سعد الآخرون ، ويسعد إذا تألموا

إنَّ الشبه ظاهر بين المريض بمرض جسدي ، والمريض بمرض النفاق ، على مستوى القلب ، والعقيدة ، والنفس والروح . فبعض المرضى ، قد يحرم واحدهم ، ويصبح في خطر حتى وإن كان الطقس بارداً جداً . . .

وأيضاً قد يبرد جسد مريض وأطرافه ، مع حرارة الطقس ، وسبب ذلك ، هوتعطّل بعض أجهزة جسم هذا المريض ، فتصبح عاجزة عن إداء دورها ، ولا يمكن أن تعود لما كانت عليه ، إلا إذا عولجت بالعلاجات المناسبة ، وهكذا حال المنافق ، فإنَّ أجهزة الفكر والعقيدة الصافية والوجدان والسلوك المستقيم قد تعطلت نتيجة نفاقه وانعكس دورها الذي أوجدت من أجله ، ولا سبيل إلى إصلاحها ، إلا بالإقلاع عن الحالة النفاقية التي يعيشها ، وترك المعاصي ، والإبتعاد عن كل خلق رديء ، واستبدالها بخير الأعمال ، والعلاج هو الإصغاء إلى كلام الله ، بأن يوصد باب سمعه عن كلام الشيطان ، وذلك بالإتعاظ بمواعظ الإيمان والتقوى ، عند ذلك ينال الإنسان السعادة في الدنيا والآخرة ، ويشعر بالراحة والإطمئنان . ولكن هل يتعظ المنافقون بموعظة الإيمان ؟! الجواب في قوله تعالى : ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ وهل ينتهون عن مكرهم وخداعهم ؟! .

قال الصادق (ع) : « المنافق لا يرغب فيما سعد به المؤمنون والسعيد من يتعظ بموعظة التقوى ، وإن كان يراد بالموعظة غيره » (٥١) .

١٢ - المنافق يخلف الوعد ، ويفشي السر ويخون الأمانة ،

ويكذب في الحديث ، وإذا رزق طاش وإذا منع عاش

هناك سمات أساسية تميّز المنافق وتدلّ عليه ، وهي تلخص بعدم الثبات

على الموقف ، وباضطراب علاقاته الإجتماعية ، لذلك فإن خلفه بالوعد ، يعتبر عنده من الأمور العادية ، التي يمارسها دائماً ، مع كونها معبرة عن كذبه ، والكذب يؤدي إلى النفاق ، كما سبق وبيننا ، وإفشاء السر من مستلزمات النفاق ، وصفات المنافق ، لأنه لا يرمى حرمة لأي شيء ، والخيانة للأمانة من ضمن هذه الدائرة ، لأنه لا يوجد عند المنافق أي داع لأن يكون أميناً ، وهو الذي خان أمانة الله ، في دينه ، فهل يرمى حرمة أمانة الناس .

والمنافق يعيش في الدنيا ، لأجل الدنيا ، فهي غايته ، وأمله ، لذلك فإن الرزق بالنسبة له ، ليس من أجل توفير العيش الكريم ، لتأدية دوره الإنساني في الحياة ، بل هو من أجل البطر والفخر ، فإذا رزق طاش ، كما في الخبر ، وكل ذلك يفقده حالة التوازن ، لأن المنافق لا يستقر على حال .

وعلى هذا فشخصية المنافق ، على مستوى العلاقات الإجتماعية ، شخصية متلونة ، حربائية ، (إن صحَّ الوصف) وهذا ما سيظهر من الصفات الأخرى التي سنوردها للتو .

قال رسول الله (ص) : « المنافق من إذا وعد أخلف ، وإذا فعل أفضى (وروي : أساء) وإذا قال كذب ، وإذا ائتمن خان ، وإذا رزق طاش ، وإذا منع عاش » (٥٢) .

وعن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « ثلاث من كن فيه ، كان منافقاً ، وإن صام وصلى ، وزعم أنه مسلم : من إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب وإذا وعد أخلف - إن الله عز وجل قال في كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ وقال كذلك : ﴿ إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ، انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ﴾ (٥٣) .

١٣ - المنافق يقول قول الصالحين ، ويفعل فعل الطالحين ، كثير التفكير بالطعام ، نَوَام فارغ .

إنّ قول الصالحين وفعل الطالحين نتيجة مباشرة لمخالفة الظاهر للباطن عند الإنسان ، والإنسان أمام الظاهر والباطن على أربعة أنواع :

١ - باطن وظاهر خيران ، فصاحبهما إنسان مؤمن ، وعاقِل فيه كل الخير .

٢ - ظاهر جيّد ، وباطن سيء ، فصاحبهما إنسان منافق .

٣ - ظاهر سيء ، وباطن سيء ، فصاحبهما إنسان سفيه ، وفاجر ، لا يرجى منه أي خير .

٤ - ظاهر سيء ، وباطن سليم ، فصاحبهما إنسان غبي ، لا يملك الإدراك والوعي الذي يؤهله للتمييز بين الخير والشرّ وبين ما يجب فعله وما لا يجب .

ولا بأس من إيراد لطيفة في هذا السياق تصب في مجرى حديثنا :

دمع العين وفعل اليد

زعموا أنّ صياداً كان يصطاد الطيور في يوم من أيام الشتاء الباردة ، وكان كلّما أصاب طيراً أسرع إليه وذبحه ، ولشدة البرد القارس كانت عيناه تدمعان ، وكان في المكان المجاور عصفوران يراقبان فعل الصياد ، ويريان دموعه تجري على خديه ، فقال عصفور ساذج لرفيقه : أنظر ما أرحم قلب هذا الصياد ، إنه يبكي رحمة بهذه الطيور .

فقال العصفور الآخر : ويحك ! لا تنظر إلى دموع عينه ، بل انظر إلى فعل يديه .

وهذا مثل يضرب للمنافق الذي يظهر الصلاح ، ويبطن الشرّ والخبث ، ويفعل فعل السوء ، للمنافق يقول ما لا يفعل ويفعل خلاف ما يقول ، هذا في جانب الممارسة العامة مع الناس .

أما على الصعيد الشخصي

فإن المنافق يحب الطعام ، ويحب النوم ، وهو في هذه الحالة يشبه الأنعام التي همها علفها ، وهي لا تعلم ماذا يراد بها ، فلو كانت البهيمة تعرف أن تسمينها ، والإهتمام بها مقدمة لذبحها ، لكانت قللت من طعامها ليمسك الجزار عن ذبحها كما قال الشاعر :

لو يعلم الكباش أن القائمين على تسمينه يضمرون الشرّ ما أكلا

إن كثرة الطعام وحب النوم عند المنافق ، دليل على بلادة الذهن ، وحب الشهوات ، ومنقصة للعمل المنتج ، وسير في ظلمات الميوعة ، وعدم تماسك في الشخصية ، وعدم الإلتزان في المواقف ، وأي مخلوق هو ، ذلك المخلوق الذي يعيش هاجس الأكل بدون صوم أو جوع ، والنوم بدون سهر ، أو تعب إنه المنافق ، فاعرفه . . . وقال الإمام زين العابدين (ع) في حديث طويل : « المنافق ينهى ولا ينتهي ، ويأمر بما لا يأتي إذا قام في الصلاة اعترض ، وإذا ركع رُبَضَ وإذا سجد نقر ، وإذا جلس شعر ، . . . بمسي وهمه الطعام وهو مفطر ، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر ، إن حدثك كذب ، وإن وعدك أخلف ، وإن ائتمنته خانك ، وإن خالفته اغتابك » (٥٤) .

١٤ - المنافق في نظره هو ، وفي سكوته سهو ، وفي كلامه لغو ، وفي استغنائاه طغيان ، سخطه كثير وقريب ، ورضاه قليل ، وبعيد ، يتلهّف على ما فاتته من فعل الشرّ .

لا بد في هذا المجال ، من إقامة مقارنة بين (المؤمن العاقل) و (المنافق السفیه) .

المؤمن الواعي	المنافق السفیه
فی نظره	تفکّر ، وتمعن ، واعتبار يؤدي إلى عمل دؤوب لمعرفة الأسباب والتتائج والتعامل مع الواقع لخدمة الإسلام ، ولتحقيق أهدافه .
فی سكونه	تأمل واستماع لما يدور حوله ، وتحليل للأحداث بهدف الاستفادة منها كذلك لتصويب الآراء والتخطيطات ، والتنفيذ .
فی كلامه	إيجاز وسداد ، يصيب الهدف ، ويهدف للصواب يقول الحق ، وإن قلّ أهل الحق ، ولا يخاف لومة لائم ، ولا يقول إلّا ما يعرف ، وإن قلّ ما يعرف .
فی استغناؤه	شكر لله ، ورحمة للمستضعفين ، والمساكين .
سخطه	(قليل) لأنه راض بما قسم له مطمئن لما هو حق له .
	(كثير) لأنه لا يرضى إلّا بالحصول على ما في أيدي الآخرين .
	(طغيان) وتسلط واستغواء على الفقراء .
	(لغو) لا طائل تحته ، ولا فائدة ، يقول ما يخدع مصالحة الذاتية ، ويذهي المعرفة ، يقول الكثير ، ويعرف القليل ، ويؤذي جلّيسه .

المُنافِق السَّفيهُ	المُؤْمِن الواعِي	ورضاه نَيْتُه وفعلُه
(قليل) لأنَّ المنافق السفيه ، لا يشكر في السراء ولا يصبر في الضراء .	(كثير) ، لأنَّ المؤمن العاقل يسلم تسليماً كاملاً لله سبحانه فهو في السراء شاكر ، وفي الضراء صابر .	
(ينوي الشر دائماً) ، وإذا لم يقدر على فعله يتأسف ويتلهف .	لا ينوي إلا الخير ويفعله .	

قال علي (ع) : « المنافق إذا نظر لها ، وإذا سكت سها ، وإذا تكلم لغا ، وإذا استغنى طغا ، وإذا أصابته شدة صغا ، فهو قريب السخط ، بعيد الرضا ، يسخط على الله اليسير ، ولا يرضيه الكثير ، ينوي كثيراً من الشر ، ويعمل بطائفة منه ، ويتلهف على ما فاتته من الشر كيف لم يعمل به » (٥٥) .

١٥ - المنافق يبكي متى شاء من شدة نفاقه

إنَّ المنافق لا يبكي ، ولكن يتباكى (والتباكى ليس بكاء في الحقيقة ، بل هو تظاهر بالبكاء) ، وبهذا الوسيلة التي يسعى المنافق للتمكن منها ، من أجل أن يوهم الآخرين أنه مظلوم ومهضوم حقه ، ولكي يستدرّ عطفهم ، وشفتهم عليه . وقد وصفه الحديث بأنه قادر على أن يبكي كما يشاء ؛ لأنَّ دموعه طوع رغبته .

قال رسول الله (ص) : « المنافق يملك عينيه ، يبكي كما يشاء » (٥٦) .

١٦ - المؤمن يبكي من قلبه ، والمنافق يبكي من هامته

إنَّ البكاء من القلب هو البكاء الصادق الصحيح ، وإنَّ البكاء من الهامة هو البكاء الكاذب (التباكي) ، وإنَّ بكاء القلب يرافقه ، ويبعث عليه الهم والحزن والتفجع الذي يمتلك الإنسان ، والقلب هو مركز الإحساس والشعور والعواطف ، فإذا اهتم وحزن ، أحاط الأمر بكل أحوال الإنسان وامتلكت ذلك عليه وجوده ، فبكى ، وهذا ما نسميه بكاء القلب ، أمّا بكاء الهامة ، فليس بكاء ، بل تظاهر بالبكاء ، خداعاً ، ونفاقاً ، وإيهاماً للغير بأن ما يرغبه ويريدته أمر مهم ، وإنَّ بكاءه دليل صدقه .

وقد يتظاهر بالبكاء من خشية الله ، وهوله عاص ، وتنزل دموعه من عينيه ، وقلبه جاف وقاس .

قال رسول الله (ص) : « بكاء المؤمن من قلبه ، وبكاء المنافق من هامته » (٥٧) .

ويقول الإمام علي (ع) في صفات المنافقين : « أحذرکم أهل النفاق ، فإنهم الضالون المضلون ، والزالون المزلون ، يتلونون ألواناً ، ويفتنون إفتناناً ويعمدونكم بكل عماد ، ويرصدونكم بكل مرصاد ، قلوبهم دوية ، وصيفأحهم نقية ، يمشون الخفاء ، ويدبون الضراء ، وصفهم دواء ، وقولهم شفاء ، وفعلهم الداء العياء ، حسدة الرخاء ، مؤكدو البلاء ومقنطو الرجاء ، لهم بكل طريق صريع ، وإلى كل قلب شفيح ، ولكل شجود دموع ، يتقارضون الثناء ، ويتراقبون الجزاء ، إن سألوا ألحفوا ، وإن عدلوا كشفوا ، وإن حكموا أسرفوا ، قد أعدوا لكل حق باطلاً ، ولكل قائم مائلاً ، ولكل حي قاتلاً ، ولكل باب مفتاحاً ، ولكل ليل مصباحاً ، يتوصلون إلى الطمع باليأس ، ليقيموا به أسواقهم ، وينفقوا به أعلافهم ، يقولون فيشبهون ، ويصفون فيموهون قد هونوا الطريق ، وأضلعوا المضيق ، فهم لمة الشيطان ، وحمة النيران ، أولئك حزب الشيطان ، ألا إنَّ حزب الشيطان هم الخاسرون » (٥٨) .

١٧ - المنافق ضال مضل وزال مُزل

المنافق إنسان قد ضاع عن طريق الحقّ ، وضلّ ، واعتقد أنه على صواب ، فعمد إلى نشر ضلاله ، وأصرّ على ذلك ، وخطط لذلك ، وبذل جهداً كبيراً ، فزلت قدماه ، وأزل غيره ، فمن تأثر به ، وتبع خطواته ، كان ضالاً مضلاً ، وزالاً مزلًا .

إنّ الإنسان ، في مواجهة الظروف ، وفي مجال العمل والممارسة ، في حال عدم إصابته الهدف ، أو تشخيصه ، إمّا أن يكون قاصراً ، أو مقصراً ، والقاصر لا يتحمّل مسؤولية قصوره ، لأنّ ذلك يعود لسبب خارج عن إرادته ، أمّا المقصّر ، الذي لا يقوم بما يجب ، لأنّه لا يرغب في ذلك ، أو لم يعمل على تنفيذ ما يطلب منه ، أو مارس عكس المطلوب ، فأنحرف عن جادة الصواب ، وضلّ فإنّه سيجازى بما عمل ، وسيُسأل عمّا قصّر فيه ، وسيقال له يوم القيامة ، لما لم تعمل ، فيجيب : كنت لا أعلم ، فيقال له : لما لم تتعلم ؟ .

١٨ - المنافق يتلوّن ألواناً ، ويفتنّ افتناناً

إنّ المتلون هو الإنسان الذي لا يثبت على حال ، والذي يظهر بأكثر من مظهر ، وذلك كي لا يؤاخذ على قول تفوّه به ، أو موقف اتخذّه ، ومثله تماماً كمثل الحرباء التي تأخذ لون أوراق الشجرة ، أو المكان الذي تكون فيه ، وهذا حال المنافق والمتلوّن دائماً ، فهو يلبس لكل حال لبوساً ، ويقف الموقف المناسب لكل ما فيه مصلحته ، رغبة في المغنم ، وخوفاً من الغرم ، والمنافق يفتنّ افتناناً ، فينوّع أساليبه الخادعة ، ووسائل إيدائه للمؤمنين ، وهو يعمل بكل جهوده ، ليعمّق خصومته لأهل الإيمان ، حتى تشمل أكبر عدد ، وأوسع ساحة .

والمنافق لا يرعوي عن غيٍّ ، ولا يخاف وعيد ، لا بل هو سادر في فسادهِ وإفساده .

١٩ - المنافق يعتمد بكل عماد

إنّ المنافق يظهر للغير أنه ساعدهم الأيمن ، وعمادهم الذي يعتمدون

عليه ، ولكن بالكلام فقط ، وعندما تشتدّ الأزمات ، وتتراكم المشاكل ، يحنس المنافقون ويختفون ، ويتذرّعون بالذرائع ، ويعتذرون بشقّى الأعذار ، ليعلنوا على الملأ ، عدم قدرتهم على المساعدة والوفاء بما وعدوا . . .

٢٠ - المنافق يرصد بكل مرصاد

إنّ المنافق لا يكتفي بعدم المساعدة وعدم الوفاء بما وعد ، بل يعمد إلى تحيّن الفرص ، واغتنامها لكي ينقضّ على الضحية التي نزلت بها النكبات ، واعتورتها المصائب ، فبالأمس كان مساعداً بالكلام ، رواعداً بكل الوعود ، واليوم انقلب عدواً ، وخصماً للدوداً ، يعقّد الأمور ، ويعمّق المصائب ، ويزيد منها ، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

٢١ - المنافقون قلوبهم دوية (مريضة)

إنّ الدوي ، معناه المريض ، وإنّ القلوب الدوية ، هي القلوب المريضة ، فكما أن الأجسام إذا غذيته بالسموم وخبائث الطعام تمرض وتموت ، كذلك القلوب إذا حجبت عنها نور الإيمان بكثرة الذنوب ، والعيوب ، والمفاسد فانها تمرض وتعتل ، والمنافقون ، مرضى القلوب ، والنفوس ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ في قلوبهم مرض ، فزادهم الله مرضاً ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ [١] .

٢٢ - المنافق صفاحه نقيّة

الصفاح تعني الجوانب ، ونواحي الجسد ، وربما عنت الثياب ، والملابس ، ونقيّة تعني نظيفة .

فيتبين لنا من هذا أن المنافق ذو مظهر نقي ونظيف ، ليوهم به الآخرين ، ويغشهم بأنه إنسان إجتماعي ، وذو كياسة ، وأن باطنه كظاهرة ، وإذا كانت ثيابه

[١] سورة البقرة : الآية ١٠ .

نقيّة ، ونظيفة ، فإنّ أفعاله سرّاء ، طالحة .

٢٣ - المنافق يمشي الخفاء ويدبّ الضراء

إنّ مثل المنافق كمثّل اللص الذي لا يأتي إلّا حين لا يراه الناس ، ولا يحدث ما ينبه الآخرين على وجوده ، حتى يصل إلى غايته بكل سهولة ، وبأقلّ كلفة ، وهكذا المنافق المخادع يأتي خفية كي لا ينتبه إليه أحد ، وينفث سمه القاتل في الجرح النازف ، ليكون الضرر أكثر ، والأذى أشدّ وآلم .

٢٤ - المنافق وصفه دواء ، وقوله شفاء وفعله الداء العياء

٢٥ - المنافقون حسدة المرءاء مؤكّدو البلاء ، ومقنطو الرجاء

إنّ المنافقين حسدة ، والحسدة مفردها حسود ، وهو الذي يتمنى زوال النعمة عن الآخرين وانحصارها به ، وبه فقط ، والمنافقون حالتهم النفسية سيئة ، يعيشون القلق الدائم ، فلا ينعمون براحة أبداً ، وكيف يرتاحون وقد ملئوا حقداً ، واستنفذوا بالتأمر ، والإيقاع بالآخرين . . . هم في غمّ دائم ، لأنهم لا يرون نعمة على غيرهم إلّا وحزنوا ، ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ .

وإنّ المنافقين يؤكّدون البلاء ، ويقنطون الرجاء ، بمعنى أنهم يزيدون في بلاءات الناس ، ويعملون على قطع حبال الرجاء عندهم . ومثالاً على ذلك ، أنهم إذا نزلت مصيبة بإنسان ، قاموا بتعميق آلامها ، بدل التخفيف منها ، وإذا عادوا مريضاً مؤمناً أشعروه بصعوبة الشفاء وقنطوه منه ولكن بكلام ممّوه يتضمن ما يريدون من تأكيد البلاء ، وقطع الرجاء .

٢٦ - المنافق له بكل طريق صريع ، وإلى كل قلب شفيح ، ولكل شجو

دموع .

الصريع هو القتيل ، وإنّ للمنافق في كل طريق صريعاً ، دليل على كثرة ضحاياه ، وشدة إيذائه .

وإنّ الشفيح هو الذي يتوسّل للغير ، ويتوسط لهم عند من يملك المنفعة ،
ويقدر على الصفع والعطاء ، والمنافق لشدة نفاقه ، وكثرة تدلّله ، وتظاهره ،
بالمسكنة والمظلومية ، وأحقية ما يطلب ، تراه يتمسكن ليحرز بعض العطف ،
والشفقة ، والإستماع لطلباته في قلوب بعض الناس . وإنّ الشجوي يعني الحاجة ،
فهو يبكي عند حاجة يريدها ، فمن هو أقدر منه وأقوى على ذلك ؟ ولا يفعل
ذلك إلّا فاقد المروءة والكرامة .

٢٧ - المنافقون يتقارضون الثناء ، ويتراقبون الجزاء .

إنّ القريض هو الشعر ، وإنّ الثناء هو المديح ، فالمنافقون يمدح بعضهم
بعضاً ، ويشنون على أعمال بعضهم البعض ، وبنفس الوقت يراقب بعضهم
البعض ، ليجزوا الحسنات بالسيئات ، والسيئات أضعافاً كثيرة .

ومثلهم كمثل وحوش البرية ، لا يأمن بعضهم بعضاً ، وإن عاشت في
مكان واحد ، شريعتهم شريعة الغاب ، لأنّ حجة القوي هي الأقوى ، والقوي
منهم يفترس الضعيف ، إنهم كالشعالب حيلة ومكرراً ، وكالدثاب غدرراً . . .

٢٨ - المنافق إذا سأل ألحف ، وإن عدل كشف ، وإن حكم أسرف .

إنّ الإلحاف في السؤال يعني اللجاجة ، وتكرار الطلب ، وهي عادة سيئة
ومنفرة ، فالمنافق لسوء سريره ، وسماحته ينقّر الآخرين بأسئلته المتكررة ،
وطلباته العديدة ، وهو يعتقد أنه يحسن صنعا .

والعدل هو اللوم الشديد ، الذي يتضمن التأنيب المؤذي ، والمنافق إذا
عدل كشف كل حقه ، وخبثه الدفين تجاه المؤمنين ، وكشف أيضاً كل ما ستر من
عيوب الآخرين ، وخفي من أخطائهم إمعاناً في الأذى والكيد ، وتشفيماً ممن يريد
أذاه وكيد .

أمّا الإسراف في الحكم ، فيعني تجاوز الوسطية في كل أمر يحكم به ،
فالمنافق لا يعرف العدالة إن حكم ، فهو جائر دائماً . . . والمنافق إن رجا صاحب
قوة وجه ، كال له من المذائح ، وأغدق عليه من الثناء ما لا يحصى عدداً وأما إن

وقع على من هو أضعف منه ، أمطره بوابل من المنغصات ، وأغرقه ببحر من المؤذيات المهلكات .

٢٩ - المنافق يعد لكل حقّ باطلاً ، ولكل قائم مائلاً ، ولكل حي قاتلاً ولكل باب مفتاحاً ولكل ليل مصباحاً .

حق ، وباطل ، ... قائم ، ومائل ... حي ، وقاتل ... باب ، ومفتاح ... ليل ، ومصباح ...

... إنه النفاق ، وشدة المكر ... واستنباط للأساليب المتنوعة للكيد ، والتأمر على الآخرين ، وإشاعة للفساد والأذى بين الأفراد والجماعات .

فالمنافق يزعجه الحقّ ، فيعمل جاهداً لمقابلة هذا الحقّ بباطل أعدّه له .

والمنافق يحارب كل أمر قائم ومستقيم ، بل يعمل ليصيّره مائلاً ومنحرفاً .

والمنافق يبغض الحياة ، والأحياء فيعمد إلى إفناء الحياة في الأحياء ، ويبذر في المجتمعات بذور الشقاق والنفاق التي تفكك عرى التعاون ، والتحابب بين الناس وتحولها إلى هياكل مفككة لا نفع فيها ، ومنها ، بل تصبح كالأموات ، بلا روح ولا حياة .

... والمنافق لا يعدم حيلة في إيجاد وسائل لبلوغ مآربه ، وغاياته الدنيئة ... وبمقدوره أن يصل لما يريد ، إذا أنه بنفاقه ، وخداعه ، قادر على أن يجد لكل باب مفتاحاً ، يفتحه به ، ويلج إلى الداخل ...

والمنافق يقدر ، مهما ادلهمت الأمور ، وعصفت الخطوب ، واشتدت الظلمات ، أن يهيء لكل ظلمة ضياء ، ولكل ليل مصباحاً ، وأن يهيء لكل مشكل حلاً ، يخدم مصالحه ومآربه ، بدون خوف من الله ، أو رعاية لمصلحة عامة .

٣٠ - المنافقون يتوصلون إلى الطمع باليأس ، ليقيموا به أسواقهم ، وينفقوا به أعلامهم .

إنَّ المنافقين عندما ييأسون من الوصول إلى الغنى الواسع ، يستعملون الطمع وسيلة لجمع المال ، وربما كان اليأس يعني الحرص ، أو البخل . . . إنهم يشتدون في الحرص والبخل على أنفسهم ، وعلى عيالهم ليتمكنوا من جمع أكبر قدر من المال ، ليقيموا به أسواقهم ، والأسواق هنا تعني المصالح أو الأشغال والتجارات أو غير ذلك .

والاعلاق مفردها علق : وهو الجراب أو الجيب أو الخرق في جانب الثوب ، والمعنى على هذا هو ، ان إقامة الأسواق هي لبيع الأمتعة والسلع التي تكون في حوزتهم ، وقد كنى بالجراب عن مكان البيع أو الدكان . . . لذلك فالمنافق يزرع اليأس ليحصد ما يطمع به ، ويتاجر بكل شيء لينفق بضاعة نفاقه .

٣١ - يقول المنافقون فيشبهون ، ويصفون فيموتون .

- التشبيه هو جمع بعض الأمثلة المتشابهة ومقارنتها ببعضها .

- والتمويه هو إخفاء الصورة الحقيقية بصورة مقاربة ومزيفة .

فالمنافقون ، إمعاناً في الخداع والتحايل ، يعمدون إلى الإكثار من التشابه في الأقوال ، ويكثر من المقارنات ، ابتعاداً عن أي تحديد ، وخوفاً من الأقوال الملزمة ، أو الإلزامات .

والمنافق مثله ، كمثل السمك لا يمسك ، ولا يرغب في قول الصدق والحق ، لأن طبيعته لا تتوافق مع الإستقامة والفضيلة السليمة .

والوصف يستعمل لتوضيح الصورة أكثر ، هذا إذا استعمل من أجل غرض صحيح .

أما المنافق فيستعمله لتشويش الصورة ، وتمويهها ، وما ذلك إلا لحاجة خبيثة في نفسه ، ومأرب انحرافي في عمله ، فأقوال المنافق وأفعاله ، نسخة طبق

الأصل عن شخصيته المتلونة ، الممرّهة .

٣٢ - المنافق يهون الطريق ، ويضلع المضيق .

التهوين يعني التسهيل ، والإضلاع يعني الإثقال ، والإثقال يعني التضيق والتحميل فوق الطاقة ، وتعقيد الأمور ، والمنافق الذي يملك لكل باب مفتاحاً ، يريك ، ويقنعك بكلامه المعسول ، بأنّ الأمور سهلة وهبّنة ، وقد تكون في الحفيضة صعبة وشائكة ، أو يسهّل عليك أول الطريق ، ويصعب عليك نهايته .
وبمعنى آخر فإنه يعمد إلى وضع عرافيل ، وحواجز في الطريق السهل ، حتى تأتي النتائج عكسية ، وليس كما يرجو السالكون .

٣٣ - المنافقون لمة الشيطان ، وحة النيران .

- اللمة جمعها : لمات ، وهي الجماعة والأصحاب من الثلاثة إلى العشرة .
- والحمة جمعها : حمات ، هي العاقصة أو اللاسعة التي تحوي السمّ في العقرب ، أو الزنبور أو النحلة .

وعلى هذا الأساس يكون المنافق من جماعة الشيطان وحزبه ، وأنصار الشيطان وحزبه ، هم كالشيطان في الأذية والكيد للمؤمنين ، والصالحين ، وهم اللّهب الخارق الذي يحرق كل صالح ، ليستبدله بكل فاسد ضار ، إنهم حمة النار اللاسعة ، والسمّ القاتل الخارق ، فهم ، كما قال علي (ع) : « لمة الشيطان ، وحة النيران » .

وقال الرسول الأكرم (ص) : « للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة ، وطعامهم نهمه ، وغنيمتهم غلول ، لا يقربون المساجد إلّا هجراً ، ولا يأتون الصلاة إلّا دبراً ، مستكبرين ، لا يألفون ولا يؤلفون ، خشب بالليل ، سخب بالنهار » (٥٩) .

٣٤ - تحية المنافقين لعنة .

التحية هي السلام المتعارف بين الناس ، وإفشاؤه بين الناس أمر إلى الله

محب ومنه مطلوب ، والتحية تخلق شعوراً بالمودة ، والقرب من الآخرين ومن علاماتها : بشاشة في الوجه ، وحلاوة على اللسان ، وتوجه نحو الآخرين بكل الكيان . . . وهذا شيم أهل الإيمان .

أما المنافقون فتحيتهم لعنة ، واللعنة هي الدعاء بالطرد من رحمة الله ، فهذه التحية ، غير الصادرة من قلب صادق ، إنما هي لعنة ، وغضب إلهي على قائلها ، وأذى لسامعها .

والمنافقون سلامهم ، ليس سلاماً ، بل سلامهم ، كسلام اليهود على رسول الله (ص) عندما قال قائلهم له : السّام عليكم (يعني بذلك الموت) ، فردّ عليه الرسول (ص) : وعليكم ، ولم يزد .

فالمنافق لا يقصد بتحيته السلام والأمن والمحبة للآخرين ، بل يقصد الدعاء واللعن وطلب الأذية لهم .

٣٥ - طعام المنافقين نهمه .

همّ المنافقين علفهم ، كما الأنعام والعجائوات ، يأكلون ولا يشبعون . . لا يتبعون نصيحة ناصح ، ولا تعليمات طبيب ، فهم يتطلعون إلى أكثر من هذه الدنيا ، ويعتقدون خطأ أن مجاهم فيها فقط . . . فليُعبوا منها ، ما قدروا واشتهوا ، ولو على حساب صحتهم ، وسمعتهم ، ومستقبلهم . والنهم يعني شدة الإقبال على الطعام ، ونحوه من الأمور الحيوانية .

أما أهل الإيمان ، فهم ينفذون تعاليم الإسلام ، في هذا المجال إذ ورد : نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع .

٣٦ - غنيمة المنافقين غلول .

إنّ الغنيمة تعني ما يظفر به من جهة العدو ، على ما جاء في مفردات الراغب ، وإنّ الغلول يعني التدرع بالخيانة والعداء للآخرين ، وعلى هذا فإنّ المنافقين لا يظفرون بشيء ، إلّا بخيانة أو عداء ، فهم خوّانون للعهد ، والحقد

يأكل نفوسهم ، وتتلبس الخيانة كيانهم ، ويفخرون بذلك ، ولا يطيب لهم عيش إلا إذا كان عيشهم من حرام .

٣٧ - المنافق لا يقرب المساجد إلا هجراً .

- إن المسجد (جمعه مساجد) هو المكان المخصّص لأداء فريضة الصلاة (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) والصلاة فيها بعشرات أمثالها .
- وإن الهجر والهجران هو المفارقة إمّا بالبدن ، أو باللسان ، أو بالقلب .

وهكذا فإنّ قرب المنافق من أماكن العبادة بُعد ، أو أنه لا يقربها إلا قليلاً ، وذلك لاستخفافه بها بسبب شدة استخفافه بأصول الدين ، وأسس وتشريعاته .

وكيف يقرب المنافق المسجد ، وبينه وبين الله حرب ، والمسجد بيت الله ، فهل يقرب بيت عدوّه ؟ إنّ ذلك لا يكون إلا إذا اضطّر لإخفاء كفره ، أو لخداع المسلمين والتآمر عليهم .

٣٨ - لا يأتي المنافق الصلاة إلا دبراً .

إنّ الدبر يعني خلاف القبل ، أو المقدمة ، وأدبر معناه ولّى وابتعد .

والمعنى أن المنافق لا يؤدي الصلوات في أوقاتها ، حيث الأجر الكبير بل يؤخرها إلى نهاية الوقت استهانة وكسلاً ، وإن استطاع ولم يخف من انكشاف أمره ، لم يقربها ولم يأتيها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ، وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالاً ، يَرَاوُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلّل الله فلن تجد له سبيلاً ﴿ ١١ ﴾ .

[١] سورة النساء . الآية ١٤٢ .

٣٩ - المنافقون مستكبرون لا يآلفون ولا يؤلفون .

إنَّ الإستكبار هو أن يعتبر الإنسان غيره أقلَّ منه شأنًا ، ويرى نفسه أكبر وأعظم بدون دليل ، أو فضل من علم أو تقوى مع العلم أن العالم المتقي يتواضع للناس ، مهما علا شأنه في العلم والإيمان ليرفعه الله بذلك درجات ، ولا يعتبر نفسه أفضل من غيره ، بل يعتقد أن كل من عداه ، أفضل منه ، وأتقى وأورع ، فلا يزكي نفسه ، ولا يفخر بعلم أو عمل .

والمستكبر يستغني بما أعطاه الله من إمكانيات مادية ، ومعنوية عن ربه ودينه ، فيستعملها في معصيته ، وليس في طاعنه ، ضدَّ الناس من المستضعفين والفقراء والمساكين .

وألِفَ الشيء أي التأم معه وتوافق ، والإلفة هي التوافق والإنسجام والمحبة .

والإسلام يقول أنه لا خير فيمن لا يآلف ولا يؤلف ، وإن المؤمن ألف مألوف .

أما المنافقون فهم مستكبرون يتطلعون إلى ما ليس لهم ، ويطمعون في حقَّ غيرهم ، ويسعون للحصول عليه وشعارهم . . (ما لنا نريده كاملاً وما لكم نتفاوض عليه ، أو أنه ليس لكم في الواقع) .

والمنافقون لا ينسجمون مع أحد ولا أحد ينسجم معهم من عباد الرحمن ، وهم ملعونون في كتاب الله ، لا يحبون أحداً ، ولا يحبهم أحد .

٤٠ - خشب بالليل .

الخشب يعني قطع الحطب اليابسة التي لا حياة فيها ، وواحدتها خشبة .

المنافقون لا يقومون إلى العبادة في الليل كما يفعل المؤمنون الصادقون ، بل يفون نائمين وكأنهم لا حياة فيهم كتلك الخشب المرمية . . .

. . . أجسامهم ، وقوامهم جميل ، إلّا أنَّهم قد طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ، وقد قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ ، وإن يقولوا تسمع

لقولهم ، كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴿١﴾ .

٤١ - سخب بالنهار .

إنَّ السَّخْبَ أو الصخب يعني الضجيج ولعب الأولاد ، فالمنافقون يكثرون الضجيج في النهار بلا أثر إيجابي ، ولا منفعة ، فهم كالأطفال ، ولكنهم لا يملكون براءتهم لأنَّه لا علم لهم ولا معرفة بما يعملون ، أما أهل النفاق فيعلمون ما يعملون عن سابق تصوّر وتخطيط .

٤٢ - علم المنافق في لسانه .

٤٣ - ورع المنافق يظهر على لسانه .

قال الإمام علي (ع) : « علم المنافق في لسانه ، علم المؤمن في عمله » (٦٠) . « ورع المنافق لا يظهر إلّا على لسانه » (٦١) .

إنَّ المعرفة المحكومة بعقل راجح ، هي معرفة الحكماء . وأنَّ المعرفة المحكومة بأعمال تتجسّد خدمات إجتماعية هي معرفة المؤمنين ، أمّا المعرفة والورع اللذان لا يتعديان اللسان ، فهما من خصائص المنافقين ، الذين يقولون ما لا يفعلون .

وقد قال رسول الله (ص) « أكثر منافقي أمتي قرأوها » (٦٢) .

وقد جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم : « قرأ الكتاب يقرأه قراءة وقرآنًا ، أي تلاه ونطق بكلماته المكتوبة جهراً وسراً ، وإن القارئ جمعه القراء ، أي التالون لكتاب الله ، والناطقون بكلماته وبمعنى آخر : هم الذين يمتلكون قدراً من المعرفة في القرآن والدين : « وإنّ قسماً كبيراً من المنافقين هم من القراء ، بالمعنى الذي ذكرناه ، حسب الحديث الذي أوردناه عن الرسول (ص) وذلك لأنَّه لم تنفعهم قراءتهم ، ولا معرفتهم ، ولأنَّهم لم يستعملوها في مكانها ، بل اتبعوا

[١] سورة المنافقون : الآية ٤ .

الأهواء ، وقادتهم الشهوات إلى ما يقبح ويسنذل سراً ، لا تراهم العيون في أغلب الأحيان ، وأمام الناس يقومون ببعض العبادات التي تظهرهم للآخرين أنهم عبّاد متديّنون ، وفي الحقيقة هم منافقون يخفون غير ما يظهرون ، ألا ببس ما يفعلون .

٤٤ - المنافقون يؤثرون العاجلة على الآجلة .

قال الإمام علي (ع) : « لاتلتمس الدنيا بعمل الآخرة ، ولا تؤثر العاجلة على الآجلة فإن ذلك شية المنافقين وسجية المارقين » (٦٣) .

إنّ الإلتباس هو الطلب ، وإن الإثرة معناها التفضيل ، وإنّ الشية هي العلامة ، وإنّ السجية معناها الطبع ، فيصبح معنى الحديث أن التماس الدنيا بعمل الآخرة ، وإيثار هذه الدنيا على الآخرة ، هو من علاسات المنافقين ، وطبائع المارقين الذين لا يتلهّون إلا بالمظاهر . وعلى ذلك فإنّ المنافقين يلتمسون ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ظاهراً ، فيقومون ببعض الأعمال ، أو بأعمال عبادية أو غيرها مما يقوم به المؤمنون ، ويؤثرون الدنيا الدنية الفانية ، على الآخرة الباقية ، لعدم إيمانهم بها ، وتصديقهم لرسل الله وأنبيائه ، وهذا من علامات أهل النفاق ، وطبائع المارقين من الدين ، أعداء الله ، والحق .

٤٥ - من علامات المنافقين بغض أهل البيت (ع) .

قال رسول الله (ص) : « من أبغض أهل البيت فهو منافق » (٦٤) ، وعن علي (ع) : لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا ، على أن يبغضني ما أبغضني ، لو صببت الدنيا بجمّاتها على المنافق على أن يحبني ما أحبّني ، وذلك أنّه قضي فانقضى على لسان النبي الأمي : يا علي لا يبغضك مؤمن ، ولا يحبّك منافق » (٦٥) .

الولاء مفردة تمثل السلك الواصل ما بين الإنسان وبين من يواليهم ، من أئمة ربّانيين من أهل التقى ، والورع ، والعلم ، والعدل ، والصلاح والهدى ، أو غير ربّانيين من أهل الضلال ، والفساد ، والإفساد ، والظلم ، والجهل . . .

فمن يوالي الأئمة الربانيين ويحبهم كان من المؤمنين .

ومن كان من المؤمنين لا بد له من أن يوالي أئمة الهدى ، الذين نصبهم الله قادة وهداة ، ومناورات للعالمين ، وهم أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة .

أما من يوالي الأئمة الدنيويين ، ويجعلهم أرباباً له ، كان من المنافقين ، ولا بد أن يحشر معهم لأنه كما ورد في بعض الأخبار أن المرء يحشر مع من أحب ، ولو أنه أحب حجراً لحشره الله معه .

وأهل البيت (ع) هم الأئمة الربانيون فمن أحبهم ووالاهم كان مؤمناً ، ومن أبغضهم وقطع العلاقة معهم كان من المنافقين بلا ريب .

عن أبي سعيد الخدري قال : (ما كنا نعرف منافقينا ، معشر الأنصار ، إلا ببغضهم علياً) (٦٦) .

٤٦ - مثل المنافق .

قال رسول الله (ص) : « مثل المنافق مثل جذع النخل ، أراد صاحبه أن ينتفع به في بعض بنائه ، فلم يستقم له في الموضع الذي أراد ، فحوّله في موضع آخر فلم يستقم له فكان آخر ذلك أن أحرقه بالنار » (٦٧) .

إنّ الذي يستعمل جذوع النخل في بنائه لا ينتفع منها شيئاً لأنها لا تستقيم في مكان .

وإنّ الإستقامة مطلوبة حتى في البناء المادي فكيف في البناء الإجتماعي والأخلاقي ، والمجتمعات التي لا تتوخى الإستقامة ، ولا تبعد المنافقين من بنيتها الإجتماعية ، حالها حال مستعمل جذوع النخل في بنائه .

كما أن جذع النخل لا ينفع إلا بالإحراق . كذلك المنافق لا ينفع معه إلا كشفه وتعريته أمام الجميع لإظهار عيوبه ، ومساوئه ثم ابعاده من كل الأجواء الصالحة حتى لا يؤذي ويعرّك الصفو ويفسد ما صلح .

قلب المؤمن ، وقلب المنافق ، وقلب المشرك .

عن سعد عن أبي جعفر (ع) : « إن القلوب أربعة : قلب فيه نفاق وإيمان . وقلب منكوس ، وقلب مطبوع . وقلب أزهر وأجرد ، فقلت ما الأزهر ؟

قال (ع) : فيه كهيئة السراج ، فأما المطبوع فقلب المنافق ، وأما الأزهر فقلب المؤمن ان أعطاه شكر ، وإن ابتلاه صبر ، وأما المنكوس فقلب المشرك ، ثم قرأ (ع) هذه الآية : أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم » فأما القلب الذي فيه إيمان ونفاق فهم قوم كانوا في الطائفت فإن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك ، وإن أدركه على إيمانه نجى » (٦٨) .

المعنى اللغوي لأوصاف القلوب .

١ - القلب المنكوس : جاء في أساس البلاغة للزخشي : (نكس رأسه ونكسه - ونكست الشيء أي قلبته فانتكس . والولد المنكوس يعني الذي تخرج رجلاه قبل رأسه) فالقلب المنكوس هو المقلوب وليس هو في وضعه الطبيعي .

٢ - القلب المطبوع : هو القلب المختوم أو الصدء من كثرة الذنوب ، ففي أساس البلاغة : طبع فلان السيف والدرهم أي ضربه وسكّه .

وطبع السيف أي ركه الصدأ الكثير ، وطبع الكتاب وعلى الكتاب أي ضرب عليه بالخاتم .

٣ - والقلب الأزهر هو القلب المنور بالإيمان . . .

قال الزخشي في أساس البلاغة : يقال زهرت النار والشمس ، وقمر زاهر وأزهر ، وأزهر السراج أي نوره وأضاءه ، والنجوم تسمى زهراً .

٤ - والقلب الأجرد : هو القلب البعيد من كل رحمة ، وكل معرفة إيمانية .

جاء في أساس البلاغة : يقال جرّده من ثيابه فتجرّد وانجرد ، ويقال متجرّد ومجرّد والمجرد يعني العريان ورجل أجرد يعني لا شعر على جسده .

وإن القلب الأزهر هو قلب المؤمن ، والقلب الأجرد هو قلب المنافق ،
والقلب المنكوس هو قلب المشرك . والقلب المطبوع ، هو قلب الكافر .

خصائص القلوب بأنواعها المختلفة .

١ - القلب الأزهر : هو قلب المؤمن الذي نور بالإيمان ، والذي أزهرت فيه أعمال الخير ، والحب ، والإيمان ، والذي أصبح منوراً بشكل كامل ، (لأنه أرض طيبة معطاء ، تنبت كل ما يبذر فيها من بذور الأمل ، والعمل) وذلك لأن كل إنسان له نكتة بيضاء في قلبه ، فإذا أحسن اتسعت ، وإذا أساء ضاقت ، فالذي يكثر من الحسنات تستولي النكتة البيضاء على قلبه كله ، وكثرة السيئات تمحوها ، ويصبح القلب مظلماً ، وصاحبه بعدها لا يرجى منه خير .

٢ - القلب الأجرد : هو قلب المنافق ، الذي هو كالصحراء القاحلة المليئة بالرمال لا نبت فيها ، ولا أثر للحياة .

٣ - القلب المنكوس : هو قلب المشرك الذي يعترف بوجود الله ، ولكنه يجعل معه شريكاً ، ووضع هذا القلب غير طبيعي ولو كان طبيعياً لحوى بعض المشاعر أو الأحاسيس الإنسانية التي لا بد للإنسان السوي أن يمتلكها .

٤ - القلب المطبوع : هو قلب الكافر ، الذي طبع عليه ، وختم من كثرة الذنوب ، وأعمال الشر ، وهذا القلب أكثر القلوب سوءاً وتردياً .

أشد الناس نفاقاً .

أن أشد الناس نفاقاً من يأمر الناس بفعل الخير ، وهو يمارس القبيح ويطلب إليك الطاعة ، ويعمل هو بالمعصية ، فهو ينهى عن المعصية ولا ينتهي عنها .

يقول أمير المؤمنين (ع) : « أظهر الناس نفاقاً من أمر بالطاعة ولم يعمل بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها » (٦٩) .

المنافق عليم اللسان

إنَّ المنافق عليم اللسان ، وهو الذي وهب قدرة تعبيرية مميّزة يستطيع بواسطتها أن يقنع الآخرين بصوابية كلامه ، أو موقفه مع أنه يعلم أنه ينافق في ذلك .

إنَّ المنافق العليم اللسان يشكّل خطراً على الأمة لأنّ لسانه يساعده على التضليل والكذب وتصوير الباطل حقاً .

قال رسول الله (ص) : « إنَّ أخوف ما أخاف عليكم بعدي ، كل منافق عليم اللسان » (٧٠) .

المنافق ذو لسانين .

إنَّ ذا اللسانين هو الإنسان الذي يثني على أخيه حاضراً ، ويشهر به غائباً فإن أصابت أخاه نعمة حسده ، وإن أصابه بلاء خذله ، وهو الهمزة اللمزة يظهر لك وجهاً ، ويخفي عنك وجهاً آخر . وفي كل وقت هو في حال مغاير للحال الذي قبله ، وهو الرجل الذي يستقبلك بوّد ظاهر ، وقلبه ممتلئ غشاً وحقدًا ، كما جاء في بعض الأخبار ، وقد قال رسول الله (ص) : « بشس العبد له وجهان : يقبل بوجه ، ويدبر بوجه ، إن أوتي أخوه المسلم خيراً حسده ، وإن ابتلى خذله » (٧١) .

« وقال الإمام العسكري (ع) : « بشس العبد عبد يكون ذا وجهين ، وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ، ويأكله غائباً ، إن أعطي حسده ، وإن ابتلى خذله » .

وقال الله عز وجل لعيسى : يا عيسى ليكن لسانك في السر والعلانية لساناً واحداً ، كذلك قلبك ، إني أحذرك نفسك ، وكفى بي خبيراً ، لا يصلح لسانان في فم واحد ، ولا سيفان في غمد واحد ، ولا قلبان في صدر واحد ، وكذلك الأذهان » (٧٢) .

يقول المولى النراقي : « . . . أشد أنواع النفاق بعد كفر النفاق كون الرجل

ذا وجهين ولسانين ، بأن يمدح أخاه المسلم في حضوره ، ويظهر له المحبة والنصيحة ، ويذمه في غيبته ، ويؤذيه بالسب ، والسعاية إلى الظالمين وهتك عرضه ، وإتلاف ماله ، وغير ذلك ، وبأن يتردد بين متعادين ويتكلم لكل واحد بكلام يلفقه ، ويحسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعادة مع صاحبه ، ويمدحه على ذلك . أو يعد كل واحد منهما أن ينصره ، أو ينقل كلام كل واحد إلى الآخر . وهذا شرٌّ من النميمة التي هي النقل من أحد الجانبين ، وبالجمله هو بجميع أقسامه مذموم محرم وقد قال رسول الله (ص) : « يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعا لسانه في قفاه ، وآخر من قدّامه ، يلتهبان ناراً حتى يلها جسد ثم يقال : هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين ، يعرف بذلك يوم القيامة » (٧٣) .

مصادقة المتعادين

يقول المولى النراقي : « . . . ثم لا يخفى أن الدخول على المتعادين والمجاملة مع كل منهما قولاً وفعلًا لا يوجب كونه منافقاً ، ولا ذا لسانين إذا كان صادقاً ، وإذ الواحد قد يصادق متعادين ولكن صداقة ضعيفة ، إذ الصداقة التامة تقتضي معادة الأعداء ، وكذا من ابتلي بذي شرٍّ يخاف شرّه ، يجوز أن يجامله ويتقيه ويظهر له في حضوره من المدح والمحبة ، ما لم يعتقد به قلبه وهو معنى المداراة وهو إن كان نفاقاً إلا أنه جائز شرعاً للعذر .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ﴾ [١] .

وروى أنه استأذن رجل على رسول الله (ص) فقال : ائذنوا له فبش رجل العشيرة ، فلما دخل ألان له القول حتى ظن أن له عنده منزلة ، فلما خرج قيل له : لما دخل قلت الذي قلت ثم ألتيت له القول ؟ فقال (ص) : إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من أكرمه الناس اتقاء لشرّه » .

[١] سورة المؤمنون : الآية ٩٦ .

وفي خبر : « ما وقى المؤمن به عرضه فهو له صدقة » (٧٤) .

الخصال التي لا تكون ولا تجتمع في منافق .

إنّ الخصال التي لا تكون في منافق ولا تجتمع فيه هي :

حسن السمّت ، والفقه في الدين والسنة ، وحسن الخلق .

١ - حسن السمّت : يعني حسن الهيئة ، وحسن الشكل والهندام والمظهر ، وربما كان السمّت يعني النحو والحالة . جاء في أساس البلاغة للزنجشري : (خذ في هذا السمّت يعني النحو والطريق ، ويقال : ما أحسن سمته) .

٢ - والفقه في الدين والسنة : هو المعرفة بالتشريع وفي أقوال وأفعال الرسول (ص) يقال : تفقه في الدين أي تعرّف على معارفه المطلوبة ، وتعاليمه السمحاء ، والفقه وعلمه واجب الطلب بمقدار الحاجة ، وإلاّ عدّ الإنسان مقصراً ومتهاوناً ، وفي الحديث : « تفقهوا في دينكم ولا تكونوا أعراباً ، فإنّ الذي لا يتفقه في دينه لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكي له عملاً » .

٣ - حسن الخلق : وهكذا فإنّ المنافق الذي لا خلق حميداً عنده ، ولا تفقه عنده في دين من كتاب أو سنة ولا حسن مظهر وحال يختلف اختلافاً بيناً عن الإنسان المستقيم الذي يعرف بحسن مظهره ، والذي يدلّ على حسن سيرته . والذي يعرف بحسن دينه ، واطلاعه الكافي على هذا الدين ، وأخلاقه التي هي رمز ونموذج للأخلاق الطيبة السوية .

قال رسول الله (ص) : « خصلتان لا يكونان في منافق : حسن سمّت وفقه في الدين » (٧٥) .

قال الصادق (ع) : « خصلتان لا يجتمعان في المنافق : سمّت حسن ، وفقه في سنة » (٧٦) . « لا يجمع الله لمنافق ولا فاسق السمّت والفقه وحسن الخلق أبداً » (٧٧) .

حال المنافقين يوم القيامة في الكتاب والسنة .

جاء في القرآن الكريم : ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أنظروا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور له باب باطنه في الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾ [١] ، ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ﴾ [٢] ، ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾ [٣] .

وجاء في السنة الشريفة : قال رسول الله (ص) : « يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالماً لسانه في قفاه وآخر من قدّامه يلتبهاً ناراً حتى يلهبا جسده ثم يقال هذا الذي كان في الدنيا ذا الوجهين وذا اللسانين يعرف بذلك يوم القيامة » [٤] .

قال الصادق (ع) : « من لقي الناس بوجه وعابهم بوجه جاء يوم القيامة وله لسانان من نار » .

قال رسول الله (ص) : « ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار » [٧٨] .

وعنه (ص) : « من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار » [٧٩] .

الصلاة على محمد وآل محمد تذهب بالنفاق

قال رسول الله (ص) : « الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق » [٨٠] .

« إرفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنّها تذهب بالنفاق » [٨١] .

إنّ الصلاة على محمد وآل محمد تعني الإرتباط بالرسول وبالرسالة ارتباطاً

[١] سورة الحديد : الآية ١٣

[٢] سورة التوبة : الآية ٦٧ .

[٣] سورة النساء : الآية ١٤٥ .

[٤] لقد سبق وذكرنا هذا الحديث في موضع اخر .

وجدانياً وعقائدياً وتشريعياً ، لأنّ الذي لا يؤمن بنبوّة محمد (ص) ، أو يشكك فيها ، لا يمكن أن يصلي عليه ، بمعنى طلب الرحمة والرضوان لمحمد وآله (ص) . فاعتراف الإنسان بالرسول ، إقرار بالمرسل والرسالة والربط العاطفي يؤثر على الفكر بحيث تنقشع ظلمة الشك والريب لتحلّ محلّها أنوار الهداية . والنفاق يأخذ منحى التشويش النفسي ، والعقائدي لذلك كان الأمر الرسولي يقضي برفع الصوت بالصلاة على محمد وآله (ع) ، وبذلك تتحقّق أمور :

١ - إعلان الموقف الملتزم بالله ورسوله على الملأ .

٢ - قمع الوسوس الشيطانية ، باعتبار أن العدو الذي هو الشيطان يخنس أمام هذا الصوت ويختفي ، لأنه لا يستطيع أن يواجه بباطله الشيطاني الحق والنور المحمدي .

٣ - إن رفع هذا الشعار يعمّق المفهوم الإسلامي ويدحض ما يعاكسه من النفاق والانحراف .

النفاق في صدر الإسلام .

يقول العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره الرائع الميزان ما يلي :

« يهتم القرآن بأمر المنافقين اهتماماً بالغاً ويكرّر عليهم كرامةً عنيفة بذكر مساوئ أخلاقهم وأكاذيبهم وخدائهم ودسائسهم والفتن التي أقاموها على النبي (ص) وعلى المسلمين ، وقد تكرر ذكرهم في السور القرآنية كسورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة والعنكبوت والأحزاب والفتح والحديد والحشر والمنافقون والتحريم .

وقد أوعدهم الله في كلامه أشدّ الوعيد ففي الدنيا بالطبع على قلوبهم وجعل الغشاوة على سمعهم وعلى أبصارهم ولإذهاب نورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، وفي الآخرة بجعلهم في الدرك الأسفل من النار .

وليس ذلك إلا لشدة المصائب التي أصابت الإسلام والمسلمين من كيدهم ومكرهم وأنواع دسائسهم فلم ينل المشركون واليهود والنصارى من دين الله ما نالوه وناهيك فيهم قوله تعالى لنبيه يشير إليهم : ﴿ هم العدو فاحذرهم ﴾ لقد ظهرت آثار دسائسهم ومكائدهم أوائل ما هاجر النبي (ص) إلى المدينة فورد ذكرهم في سورة البقرة ، وقد نزلت على ما قيل على رأس ستة أشهر من الهجرة ثم في السور الأخرى النازلة بعد ، بالإشارة إلى أمور من دسائسهم وفنون من مكائدهم كإنسلاهم عن الجند الإسلامي يوم أُخذ وهم ثلثهم تقريباً وعقدتهم الحلف مع اليهود ، واستنهاضهم على المسلمين وبنائهم مسجد الضرار وإشاعتهم حديث الإفك وإثارتهن الفتنة في قصة السقاية وقصة العقبة إلى غير ذلك مما تشير إليه الآيات حتى بلغ أمرهم بالإفساد وتقلب الأمور على النبي (ص) إلى حيث هددهم الله بمثل قوله ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورنك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً ﴾ [١] .

لقد استفاضت الأخبار وتكاثرت في أن عبد الله بن أبي سلول وأصحابه من المنافقين وهم الذين كانوا يقبلون الأمور على النبي (ص) ويتربصون به الدوائر وكانوا معروفين عند المؤمنين يقربون من ثلث القوم وهم الذين خذلوا المؤمنين يوم أحد فانمازوا منهم ورجعوا إلى المدينة قائلين لو نعلم قتالاً لاتبعناكم وهم عبد الله بن أبي سلول وأصحابه .

ومن هنا ذكر بعضهم أن حركة النفاق بدأت بدخول الإسلام المدينة واستمرت إلى قرب وفاة النبي (ص) .

هذا ما ذكره جمع منهم لكن التدبر في حوادث زمن النبي (ص) أو الإمعان في الفتن الواقعة بعد المرحلة والاعتناء بطبيعة الاجتماع الفعالة يقضي عليه بالنظر .

أما أولاً : فلا دليل مقنعاً على عدم تسرب النفاق في متبعي النبي المؤمنين بمكة قبل الهجرة ، وقول القائلين ، أن النبي والمسلمين بمكة قبل الهجرة لم يكونوا

[١] سورة الأحزاب : الآية ٦١ .

من القوة ونفوذ الأمر وسعة الطول بحيث يهابهم الناس أو يتقونهم أو يرجون منهم خيراً حتى يظهروا لهم الإيمان ظاهراً ويتقربوا منهم بالإسلام ، وهم مضطهدون مفتنون معذبون بأيدي صناديد قريش ومشركي مكة المعادين لهم المعاندين للحق بخلاف حال النبي بالمدينة بعد الهجرة فإنه (ص) هاجر إليها وقد كسب أنصاراً من الأوس والخزرج واستوثق من أقوياء رجالهم أن يدفعوا عنه كما يدفعون عن أنفسهم وأهلهم وقد دخل الإسلام في بيوت عامتهم فكان مستظهِراً بهم على العدة القليلة الذين لم يؤمنوا به بقوا على شركهم ولم يكن يسعهم أن يعلنوا مخالفتهم ويظهروا شركهم فتوقوا الشرّ بإظهار الإسلام فأمنوا به ظاهراً وهم على كفرهم باطناً ففسدوا الدسائس ومكروا ما مكروا .

... . فما القدرة والقوة المخالفة المهيبة ورجاء الخير بالفعل والإستدرار المعجل علة منحصرة للنفاق حتى يحكم بانتفاء النفاق لانتفائها فكثيراً ما نجد في المجتمعات رجالاً يتبعون كل داع ويتجمعون إلى كل ناعق ولا يعبؤون بمخالفة القوى المخالفة القاهرة الطاحنة ، ويعيشون في خطر مصرين على ذلك رجاء أن يوفقوا يوماً لإجراء مراميهم ويتحكموا على الناس باستقلالهم بإدارة رحي المجتمع والعلو في الأرض وقد كان النبي يذكر في دعوته لقومه أن لو آمنوا به واتبعوه كانوا ملوك الأرض .

فمن الجائز عقلاً أن يكون بعض من آمن به يتبعه في ظاهر دينه طمعاً في البلوغ بذلك إلى أمنيته وهي التقدّم والرئاسة والإستعلاء والأثر المترتب على هذا النوع من النفاق ليس هو تقليب الأمور وتربّص الدوائر على الإسلام والمسلمين وإفساد المجتمع الديني بل تقويته بما أمكن وتقديته بالمال والجاه لتنظم بذلك الأمور وينتهي لاستفادته منه واستدراجه لنفع شخصه .

نعم يمكن مثل هذا المنافق بالمخالفة والمضادة فيما إذا لاح من الدين مثلاً ما يخالف أمنية تقدّمه وتسلّطه إرجاعاً للأمر إلى سبيل ينتهي إلى غرضه الفاسد .

وأيضاً من الممكن أن يكون بعض المسلمين يرتاب في دينه فيرتد ويكتم ارتداده كما مرّت الإشارة إليه في قوله تعالى ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ﴾ ، وكما يظهر من لحن مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه

فسوف يأتي الله بقوم ﴿١٦﴾ .

وأيضاً الذين آمنوا من مشركي مكة يوم الفتح لا يؤمن أكثرهم بل لا يؤمنوا إيمان صدق وإخلاص ومن البديهي عند من تدبر في حوادث سني الدعوة أن كفار مكة ومن والاها وخاصة صناديد قريش ما كانوا ليؤمنوا بالنبي (ص) لولا سواد جنود غشيتهم وبريق سيوف مسلطة فوق رؤوسهم يوم الفتح وكيف يمكن مع ذلك القضاء بأنه حدث في قلوبهم والظرف هذا ظرف نور الإيمان وفي نفوسهم الإخلاص واليقين فآمنوا بالله طوعاً من آخرهم ولم يدب فيهم ديب النفاق أصلاً ؟ .

وأما ثانياً : فلأن استمرار النفاق إلى قرب رحلة النبي وانقطاعه عند ذلك ممنوع ، نعم انقطع الخبر عن المنافقين بالرحلة وانعقاد الخلافة وانمحي أثرهم فلم يظهر منهم ما كان يظهر من الآثار المضادة والمكائد والدسائس المشؤومة .

فهل كان ذلك لأن المنافقين وفقوا للإسلام وأخلصوا الإيمان عن آخرهم برحلة النبي وتأثرت قلوبهم من موته ما لم يتأثر بحياته ؟ أو أنهم صالحوا أولياء الحكومة الإسلامية على ترك المزاحمة بأن يسمح لهم ما فيه أمنيته مصالحه سرية بعد الرحلة أو قبلها أو أنه وقع هناك تصالح إتفاقي بينهم وبين المسلمين فوردوا جميعاً في مشرعة سواء فارتفع التصاك والتصادم .

ولعل التدبر الكافي في حوادث آخر عهد النبي والفتن الواقعة بعد رحلته يهدي إلى الحصول على جواب شاف لهذه الأسئلة والذي أوردناه في هذا الفصل إشارة إجمالية إلى سبيل البحث (٨٢) .

ويقول العلامة الطباطبائي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض ﴾ [٢] .

« ذكر بعضهم أن قوله تعالى : ﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض ﴾ الآية

[١] سورة المائدة : الآية ٥٤ .

[٢] سورة المدثر : الآية ٣ .

بناءً على أن السورة بتهاهما مكية وإن النفاق إنما حدث بالمدينة إخبار عما سيحدث من المغيبات بعد الهجرة .

أما كون السورة بتهاهما مكية فهو المتعين من طريق النقل وقد ادعى عليه إجماع المفسرين وما نقل عن مقاتل أن قوله ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ﴾ الآية مدنية لم يثبت من طريق النقل وعلى فرض الثبوت هو قول نظري مبني على حدوث النفاق بالمدينة والآية تخبر عنه .

وأما حديث حدوث النفاق بالمدينة فقد أصر عليه بعضهم محتجاً عليه بأن النبي والمسلمين لم يكونوا قبل الهجرة من القوة ونفوذ الأمر وسعة الطول بحيث يهابهم الناس أو يرجى منهم خير حتى يتقوهم ويظهروا لهم الإيمان ويلحقوا بجمعهم مع إبطال الكفر وهذا بخلاف حالهم بالمدينة بعد الهجرة .

والحجة غير تامة كما أشرنا إليه في تفسير سورة المنافقون في كلام حول النفاق فإن علل النفاق ليست تنحصر في المخافة والإتقاء أو الإستدرار من خير معجل فمن علله الطمع ولو في نفع مؤجل ومنها العصبية والحمية ومنها استقرار العادة ومنها غير ذلك .

ولا دليل على انتفاء جميع هذه العلل عن جميع من آمن بالنبي بمكة قبل الهجرة وقد نقل عن بعضهم أنه آمن ثم رجع أو آمن عن ريب ثم صلح .

على أنه تعالى يقول : ﴿ ومن الناس من يقول آمناً بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولنّ إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ﴾ [١] .

والآيتان في سورة مكية وهي سورة العنكبوت وهما ناطقتان بوجود النفاق فيها ومع الغرض عن كون السورة مكية ، فاشتغال الآية على حديث الإيذاء في الله والفتنة أصدق شاهد على نزول الآيتين بمكة فلم يكن بالمدينة إيذاء في الله وفتنة واشتغال الآية على قوله (ولئن جاء نصر من ربك) لا يدل على النزول بالمدينة فللنصر مصاديق أخرى غير الفتح المعجل .

[١] سورة العنكبوت : الآية ١١ .

واحتمال أن يكون المراد بالفتنة ما وقعت بمكة بعد الهجرة غير ظاهر فإن هؤلاء المفتونين بمكة بعد الهجرة إنما كانوا من الذين آمنوا بالنبي قبل الهجرة وإن أودوا بعدها وعلى مثل ذلك ينبغي أن يحمل قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ﴾ [١] .

إن كان المراد بالفتنة العذاب وإن كانت السور مدنية ﴿ (٨٢) . .



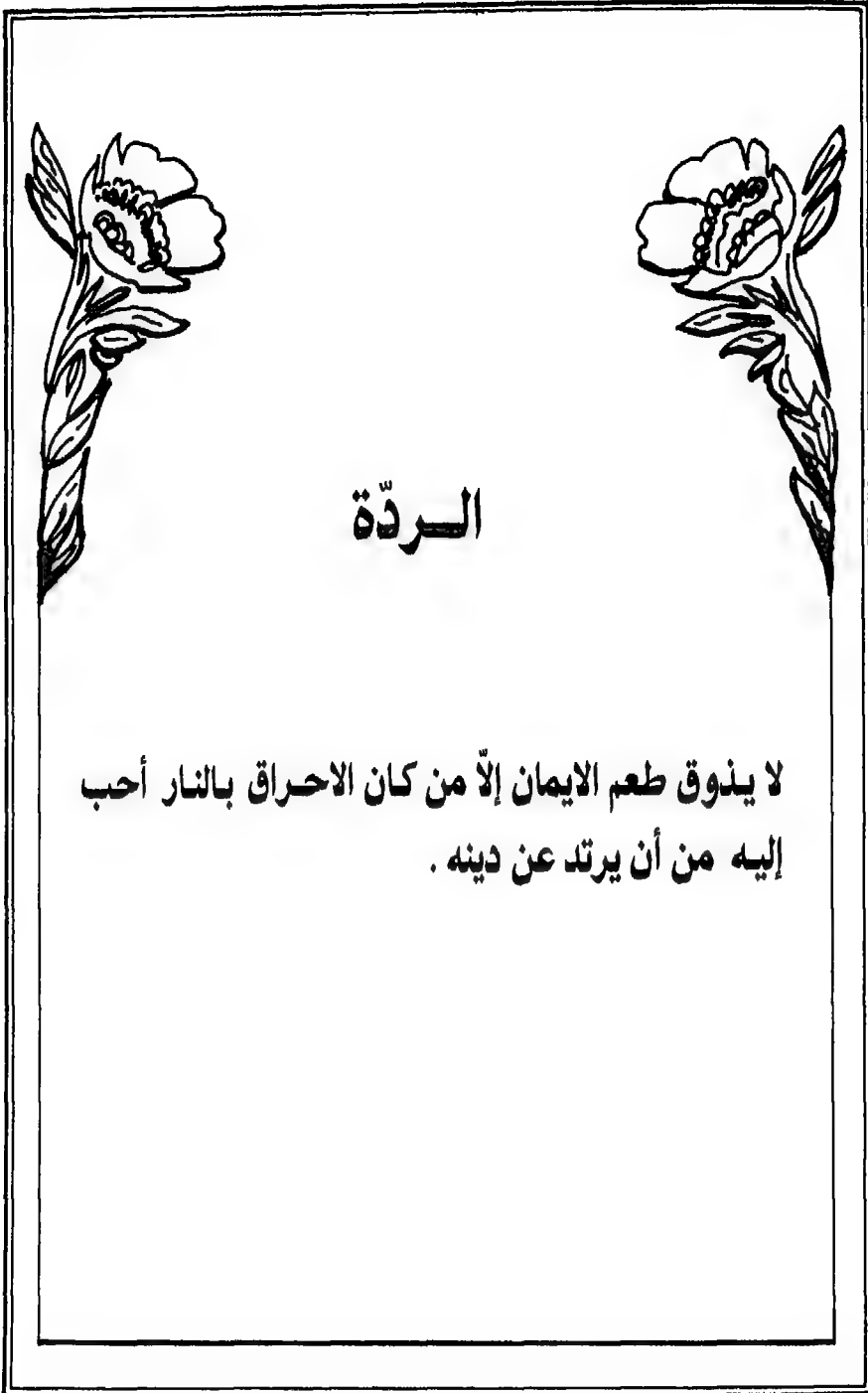
[١] سورة الحج : الآية ١١ .

مصادر ومراجع البحث

- (١) كنز العمال : خطبة ٢٨٩٧٢ ، .
- (٢) لسان العرب : ج ١٤ ص ٢٤٣ .
- (٣) معجم ألفاظ القرآن : ج ٢ ص ٧١٧ .
- (٤) جامع السعادات : ج ٢ ص ٤٢٣
- (٥) غرر الحكم .
- (٦) أصول الكافي : مجلد ٢ ص ٣٩٦ .
- (٧) كنز العمال : خطبة ١٧٣٤ .
- (٨) غرر الحكم .
- (٩) غرر الحكم .
- (١٠) جامع السعادات : ج ٢ ص ٤٢٣ .
- (١١) ورام : تنبيه الخواطر ونزهة النواظر / مجموعة ورام ج ١ ص ١٠٦ .
- (١٢) المصدر نفسه : ص ١٠٧ .
- (١٣) ورام : تنبيه الخواطر ، ونزهة النواظر : ج ١ ص ١٨٢ .
- (١٤) ورام : تنبيه الخواطر / ونزهة النواظر : ج ١ ص ١٨٢ .
- (١٥) المصدر نفسه : ص ١٨٧ .
- (١٦) راجع : تفسير الميزان : ج ١٩ / للسيد الطباطبائي : ص ٢٨٧ .
- (١٧) ميزان الحكمة : ج ١٠ ، ص ١٥٦ ، عن غرر الحكم .
- (١٨) ميزان الحكمة : ج ١٠ ص ١٥٦ عن غرر الحكم .
- (*) راجع مجلة المنطلق : عدد ٤٨ / ص ١٤ - ١٨ .
- (١٩) أصول الكافي : ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

- (٢٠) المفردات للراغب الإصفهاني .
- (٢١) أساس البلاغة للزنجشري .
- (٢٢) معجم ألفاظ القرآن الكريم .
- (٢٣) أصول الكافي : ج ٢ حاشية ص ٣٩٢ .
- (٢٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم .
- (٢٥) المفردات للراغب الإصفهاني .
- (٢٦) أساس البلاغة للزنجشري .
- (٢٧) معجم ألفاظ القرآن الكريم .
- (٢٨) المفردات للراغب .
- (٢٩) أساس البلاغة للزنجشري .
- (٣٠) أصول الكافي : ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٢ .
- (٣١) غرر الحكم .
- (٣١) غرر الحكم .
- (٣٢) غرر الحكم .
- (٣٣) غرر الحكم .
- (٣٤) غرر الحكم .
- (٣٥) غرر الحكم .
- (٣٦) غرر الحكم .
- (٣٧) راجع : سيرة ابن هشام : ج ٣ ص ٥ .
- (٣٨) المصدر نفسه : ج ٤ ص ١٢٥ .
- (٣٩) المصدر نفسه : ج ٣ ص ١٢٧ .
- (٤٠) جهجاه ابن مسعود .
- (٤١) سنن ابن سيرين .
- (٤٢) سيرة ابن هشام : ج ٣ ص ١٨٣ .
- (٤٣) سيرة ابن هشام : ج ٤ ص ١٢١ .
- (٤٤) راجع : سيرة ابن هشام : ج ٤ ص ١٢٨ .
- (٤٥) غرر الحكم .
- (٤٦) نهج البلاغة : خطبة ١٩٤ .
- (٤٧) غرر الحكم .
- (٤٨) غرر الحكم .
- (٤٩) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ١٧٦ .
- (٥٠) غرر الحكم .

- (٥١) فروع الكافي : ج ٨ ص ١٥١ .
- (٥٢) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢٠٦ .
- (٥٣) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢٠٦ .
- (٥٤) المصدر نفسه : ص ٢٠٥ .
- (٥٥) المصدر نفسه : ج ٦٨ ص ٥٠ .
- (٥٦) كنز العمال : خطبة ٨٥٤ .
- (٥٧) المصدر نفس : خطبة ٨٥٠ .
- (٥٨) نهج البلاغة : خطبة ١٩٤ .
- (٥٩) كنز العمال : خطبة ٨٦٢ .
- (٦٠)(٦١) غرر الحكم .
- (٦٢) كنز العمال : خطبة ٢٣٨٩٧٢ .
- (٦٣) غرر الحكم .
- (٦٤) ينابيع المودة : ج ٢ ص ٦ .
- (٦٥) نهج البلاغة : خطبة ٤٥ .
- (٦٦) ينابيع المودة : ج ١ ص ٤٥ .
- (٦٧) أصول الكافي : ج ٢ ص ٣٩٦ .
- (٦٨) الكافي : ج ٢ ص ٤٢٢ .
- (٦٩) غرر الحكم .
- (٧٠) الترغيب والترهيب : ج ١ ص ١٢٧ .
- (٧١) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٢٠٤ .
- (٧٢) بحار الأنوار : ج ٧٥ ص ٢٠٥ .
- (٧٣) جامع السعادات : ج ٣ .
- (٧٤) جامع السعادات : ج ٣ ص ٤٢٥ .
- (٧٥) كنز العمال : خطبة ٧٧١ .
- (٧٦) بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ٢٥١ .
- (٧٧) المصدر السابق : ص ٢٥٤ .
- (٧٨) الترغيب والترهيب : ج ٣ ص ٦٠٣ .
- (٧٩) المصدر السابق : ص ٦٠٤ .
- (٨٠) الوسائل : ج ٤ ص ٢١١ .
- (٨١) الوسائل : ج ٦ ص ٢١٦ .
- (٨٢) الميزان في تفسير القرآن : ج ١٩ ص ٢٨٧ - ٢٩٠ .
- (٨٣) الميزان في تفسير القرآن : ج ٢٠ ص ٩٠ - ٩١ .



محتويات البحث

- ١ - آيات كريمات حول الردّة .
- ٢ - حديث شريف .
- ٣ - ماهية الردة والإرتداد .
- ٤ - بين الإيمان والردة .
- ٥ - المرتدّون مفلسون .
- ٦ - من أسباب الردّة إضاعة مقياس التمييز بين الحق والباطل .
- ٧ - الردّة السياسية - الثورية .
- ٨ - الإيمان في مواجهة الصعوبات .
- ٩ - لا بد من انتصار الإسلام على الكفر .
- ١٠ - الإسلام ومؤامرات الأعداء .
- ١١ - النبي إبراهيم (ع) والثبات على الدين الإيمان .
- ١٢ - الأئمة (ع) والمحافظة على الرسالة .
- ١٣ - الردّة وضعاف النفوس .
- ١٤ - مواقف إيمانية .
- ١٥ - ثبات حتى الموت .
- ١٦ - أصحاب الأخدود .
- أ - الرواية الأولى .

- ب - الرواية الثانية .
- ج - الرواية الثالثة .
- ١٧ - مواقف إرتدادية .
- ١٨ - ماحل الإرتداد .
- ١٩ - الردة من الناحية الفقهية .
- أ - المرتد الفطري .
- ب - المرتد الملي .
- ٢٠ - الإسلام يحمي نفسه .
- ٢١ - الكافر والمشرک المرتد .
- ٢٢ - خدمة السلطان الجائر تنزل غضب الرب .
- ٢٣ - أصحاب الحسين (ع) والثبات على الموقف .
- ٢٤ - طريق الإيمان هو طريق ذات الشوكة .
- ٢٥ - الأنبياء قدوتنا في الثبات على الحق .
- ٢٦ - لماذا الردة وعدم الثبات على الموقف .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [١] .
 ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ [٢] .
 ﴿ كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم ، وشهدوا أن الرسول حق ، وجاءهم البينات ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [٣] .
 ﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ﴾ [٤] .

* * *

قال رسول الله (ص) : « ثلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ :

١ - مَنْ كَانَ لَا شَيْءَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

[١] سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

[٢] سورة المائدة : الآية ٥٤ .

[٣] سورة آل عمران : الآية ٨٦ .

[٤] سورة النساء : الآية ١٣٧ .

٢ - ومن كان لئن يحرق بالنار أحب إليه من أن يرتد عن دينه .

٣ - ومن كان يحب بالله ويبغض بالله^[١] .

* * *

ماهية الردّة والإرتداد

يقول الراغب الاصفهاني ، في المفردات ، ان الردة والإرتداد هي :
« الرجوع في الطريق الذي جاء منه ، لكن الردة تختص بالكفر ، والإرتداد يستعمل فيه وفي غيره » .

فالرجوع إلى الكفر ، أو ترك الإسلام ، بالرغبة عنه والكفر بما أنزل على محمد (ص) ، ومحاربة دين الله أو اتخاذ آيات الله هزواً ولعباً ، والإستخفاف بالدين والشرعية ، وكل قول أو فعل يقصد منه تحقير أو إهانة ما هو معلوم بأنه من الإسلام ، على وجه القطع ، سواء أكان من الأصول العقائدية ، أو من الفروع التشريعية ، كل ذلك يعدّ إرتداداً عن الإسلام .

وهذا ما يجعل المرتد في وضع معارض للصراط المستقيم ، لأنّه قد تمسك بخطوط منحرفة . . . وهناك من يتمتع بقابلية الإرتداد ، لأن إيمانه بالله إيمان تقليدي ، سطحي ، غير متجذر في أعماق نفسه ، وربما سقط هذا الإنسان عند أول امتحان ، لأنّه لم يرتكز في تدينه على قواعد ثابتة متينة .

ومن المعلوم أن من تشهّد الشهادتين ، عدّ مسلماً ، وجرّت عليه أحكام الإسلام .

ومن تراجع عن الشهادتين أو عن إحداهما ؛ بإنكار الإلوهية ، أو النبوة أو الرسالة ، أو الشرعية ، أو أنكر ضرورة من ضرورات الدين ، بحيث أدى إلى إنكار النبوة ، كان مرتدّاً ، كافراً . . .

قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾^[٢] .

[١] كنز العمال : ج ١ ص ٣٨ .

[٢] سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

وعن علي (ع) أنه قال في صفة النبي (ص) : « أرسله بحجة كافية ، وموعظة شافية ، ودعوة متلافية ، أظهر به الشرائع المجهولة ، وقمع به البدع المدخولة ، وبيّن به الأحكام المفصولة .

» فمن يبتغ غير الإسلام ديناً تتحقق شقوته ، وتنقص عروته ، وتعظم كبوته ، ويكن مأبه إلى الحزن الطويل والعذاب الويل «^(١) .

وفي هذا الصدد يقول الشيخ أحمد بن محمد الأردبيلي : « يتحقق الإرتداد من مسلم بالغ عاقل ، اما بفعل دال عليه ، مثل عبادة غير الله تعالى . كعبادة الأصنام والسجود لها ، وعبادة الشمس والقمر ، وإلقاء المصحف عامداً عالماً في القاذورات وضربه بالرجل ، وتمزيقه إهانة وإعراضاً ، ونحو ذلك مما يدل على الإستهزاء بالشرع والشارع .

» وأما بقول دال على الخروج من الإسلام ، والإهانة بالشرع والشارع ، والإستهزاء به ، سواء أكان عناداً ، أو سخرية أو إعتقاداً مثل أن يقول : الله ليس بموجود ، أو له شريك أو ليس بشيء ، أو يقول محمد (ص) ليس على حق ، والإسلام ليس بحق ، ونحو ذلك .

أو ينكر ما علم من الدين ضرورة ، مثل إنكار وجوب الصلاة والصوم والزكاة . . . وبالجمل ما يدل على قصده إهانة الشرع ، وعدم الإعتقاد أنه حق ، وعدم الإعتداد به فعلاً كان أو قولاً ، معتقداً بالإهانة أو غير معتقد ، بل مجرد الهزل والمزاح ، وعدم الإعتداد أي الإهتمام - بشأن الإسلام في تحقق الإرتداد .

ولا عبرة بفعل الصبي وقوله ما لم يبلغ ، ولا المجنون ما لم يفق ، ولا المكره ما لم يرتفع الإكراه ، ولا السكران ما لم يذهب السكر «^(٢) .

بين الإيمان والردة

إنّ الإيمان هو القوة التي تعصم الإنسان ، عن الهبوط في مهاوي الانحراف ، والضلال ، وتجعله متمسكاً بالحق ، مدافعاً عنه ، عارفاً بأن سبيل الله هو سبيل العدل والرحمة ، لا يتراجع عنه ، ولا يستبدله بغيره ، وذلك لأنّ من أسلم وجهه لله ، مخلصاً له الدين لا يمكن أن يرتد عن دينه ، أو أن ينكص على

عقبيه ، ولو أحرق بالنار ، عند ذلك يذوق طعم الإيمان .

وبعض الناس يعملون لمدة طويلة من حياتهم عمل أهل الإيمان ، ولكنهم في النهاية يكون مصيرهم إلى النار ، لأنهم عبدوا الدنيا ، وغرّهم بالله الغرور . . . فارتدوا عن دينهم ، والبعض الآخر ، ربما كان عمله سيئاً ، ولكنه يربح الجنة آخر الأمر ، لأنه تاب إلى الله توبة نصوحاً ، فتاب الله عليه ، وغفر له . وشفع له رسول الله (ص) وأهل البيت (ع) .

وعن رسول الله (ص) : « فإذا مت فأنا فرطكم وموعدكم الخوض . . . فأقول يا ربّ أمتي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك مرتدين على أعقابهم » .

المرتدون مفلسون

إن الإرتداد على الأعقاب كفر ، وانحراف ، لأن صلاة المرتدين ، وزكاتهم ، وحجهم ، لن ينفعهم بسبب ارتدادهم ، وسوء أفعالهم ، لذلك عدّ ، من كان ، كذلك من جملة المفلسين ، الذين وصفهم رسول الله (ص) ، عندما سأل (ص) أصحابه .

« أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس من لا درهم له ، ولا متاع . فقال رسول الله (ص) : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة ، وزكاة وصيام ، يأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن مات وقد فنيّت حسناته ، قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح في النار » .

ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ومن يرتدّد منكم عن دينه فيمت ، وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا ، والآخرة وأولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون ﴾ [١] .

[١] سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

من أسباب الردة إضاعة مقاييس التمييز بين الحق والباطل

... وهكذا فإن التهاون في العمل ، أو الوهن بدخل القلب ، يحول الإنسان من تاجر ربحت تجارته أضعافاً مضاعفة ، إلى تاجر لا ينال من تجارته إلا التعب والنكد ، لا يجني منها إلا الخزي والخسران ، والندم الطويل ، وإن ثبوت إيمان المؤمن ، واستقراره عليه ، هما اللذان يجعلانه ، لا يتراجع ، ولو تعرض لشتى أنواع العذاب والتعذيب لأن هذا الإيمان يكون عن قناعة ويقين ، ولأنه الإيمان الكامل ، الذي يمنح صاحبه من أن يغير أو يبذل ... فهو كالطود الشامخ ، لا تؤثر فيه الزلازل ، ولا تزعزعه العواصف والأرياح .

إن الردة تقابل الإيمان وتعاكسه ، لأن المرتد يعاني من خلل في قناعاته ، أوصلته إلى النكوص ، والتراجع ، حتى غدا يفضل الظلمة - ظلمة الكفر - على النور - نور الهداية والإسلام ، فالتبست عليه الأمور ، فرأى الباطل حقاً ، والحق باطلاً ، بعد أن أضاع مقاييس التمييز بين الحق والباطل .

الردة السياسية - الثورية

إن موضوع الردة والإرتداد مرتبط بالوضع السياسي والاجتماعي للمجتمع الإسلامي ، فإذا أخذنا نموذج الدولة الإسلامية على عهد الرسول الأعظم (ص) ، نبين الكثير من الأمور المتعلقة بهذا الأمر ، ونستنتج من قوله سبحانه : ﴿ أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ [١] ... إنه عند حصول توسع كمي في الجماعة المسلمة ، تخترقها عناصر كثيرة من النفوذيين وهؤلاء هم قطاع المنافقين الذين ينفذون المخططات المشبوهة ، والمعادية للإسلام ، والمسلمين ، ومن هؤلاء وأضرابهم من أعلن كفره وارتداده عن دين الله ، والتحق بصفوف أهل الكفر ، والشرك . ونلاحظ أيضاً ، أنه في زمننا هذا ، هناك من أيد وبارك انتصار الثورة الإسلامية في إيران ، ولكنه عاد وتراجع عن ذلك ، لأنه أدرك أن هذا الإسلام ، الذي تطرحه الثورة

[١] سورة آل عمران : الآية ١٤٤ .

يختلف عما كان يتصوره، أو يرغبه، وبهذا يكون قد ارتدّ ردةً (سياسية ثورية)، مع العلم أنه لا فصل في الإسلام بين الديانة والسياسة، فسياستنا عين ديانتنا، وديانتنا عين سياستنا، ولكننا نميز بين الردّتين من باب التسامح، مع أننا لا نريد الخوض في هذا الموضوع، إلا أننا نقول: إنّ الردّة لها تأثيرها على الوضع السياسي، والاجتماعي للجماعة المسلمة، وهذا يحتاج إلى بحث طويل... لا مجال له الآن.

هل في العالم الإسلامي المعاصر ردة؟

للجواب على هذا السؤال ننقل ما قاله أحد الكتاب الإسلاميين حول هذا الموضوع لكونه يفي بالغرض:

أ- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ إِدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ﴾^[١].

إنّ الآية نص صريح في الحكم بالردة على كل من أطاع الكافرين ولو في بعض أمره. فالآية اعتبرت مرتدّاً من أعطى لمن كره ما أنزل الله الطاعة في بعض الأمر، والواقع الذي نرى عليه حال كثير من ذراري المسلمين أنهم أعطوا الطاعة كاملة في كل شيء لطبقات من الكافرين مستحلّين ذلك غير شاعرين بالكفر أو شاعرين به.

ومنهم من أعطاه لكافر صريح ومنهم من أعطاه لمناق والمثلة أكثر من أن تحصى.

ب- قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^[٢].

فهذه الآية صريحة في تكفير من لم يحكم بما أنزل الله وبعض العلماء يجعلها

[١] سورة محمد: الآية ٢٥ - ٢٦.

[٢] سورة المائدة: الآية ٤٤.

فيمَن يفضلون على حكم الله حكماً آخر أو يستحلون الحكم بغير ما أنزل الله .
وعلى أي حملنا الآية فإنَّ تطبيقاته في العالم الإسلامي كثيرة حتى أصبح
الحكم بغير ما أنزل الله هو السمة الأصلية في كل نظام حكم في العالم الإسلامي
تقريباً .

والناس في ذلك أقسام فمنهم الداعي جهراً إلى تطبيق غير حكم الله كإباحة
الزنا والفجور والعهر والخمر والتهايل ونبد الحدود والقصاص والتسمك بالقوانين
الوضعية .

ومنهم الذي ينقذ ذلك ولو ناقشته لوجدته كالأخرين ومنهم الذي لا يرى
صلاحية الأحكام الإسلامية للتطبيق ، ومنهم الذي اعتاد على الكفر المحكوم به
حتى لو حملته على التفكير بالثورة عليه نفر .

ومنهم الذي إذا دعوته إلى العودة إلى الكتاب والسنة وأقوال الأئمة سخر
واستهزأ .

ومنهم الذي إذا دعوته إلى العمل للعودة إلى أحكام الله قال لك قد انتهى
هذا الدور .

ومنهم الذي يعتبر أحكام الله رجعية وغيرها تقدمية .

ومنهم الذي ينادي في زعمه بدعوات إصلاحية وهو يدعو إلى ترك أحكام
الله واستبدالها بغيرها . . .

وقد ظهرت هذه المعاني كلها بحكومات وأحزاب وجمعيات ومؤسسات
واتجاهات وصحف ومجلات حتى أصبح الأمر لا يطاق .

وقد تتفاوت الأقطار الإسلامية من حيث ظهور هذا المعاني فيها ولكن بذور
هذا كله موجودة بعضها أشجر وأثمر وبعضها أخذ طريقه إلى الإشجار والإثارة
الخبيث .

حتى لقد وصل الأمر في بعض البلاد أن سار بعض الحكام في طريق
استئصال العبادات والعادات الإسلامية فيأمر أحدهم المسلمين بالافطار في

رمضان ويفطر أمامهم علناً ويحدّد بعضهم عدد من يسمح لهم بالذهار إلى الحج - هذا إذا سمح - .

أما القوانين فحتى قوانين الأحوال الشخصية لم تسلم من إدخال الشرائع الكافرة فيها في أكثر البلدان . فبماذا نحكم على أصحاب ذلك كله ؟ .

ج - قال تعالى : ﴿ فإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [١] .

لقد ذكرت هاتان الآيتان أن علامة الإيمان القبول والرضا بتحكيم الله في كتابه وتحكيم الرسول في سنته وعلامة النفاق عدم الرضا والإحتكام إلى غير الله ورسوله .

وواضح أن أغلب المنظمات السياسية في العالم الإسلامي وعامة الحكومات ليس عندهم استعداد أبداً للإحتكام إلى كتاب الله وإذا كانت جماهير المسلمين متأثرة بهذه المنظمات والحكومات إلى حدّ كبير وتشارك في تأييدها وطاعتها فإن ذلك يبيّن بوضوح الطريق الخطر الذي سار عليه المسلمون .

د - قال تعالى : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [٣] .

فقد حصر الحاكمية به جل جلاله فهو الحاكم المطلق وأي خروج على هذه

[١] سورة النساء : الآية ٥٩ - ٦٠ .

[٢] سورة يوسف : الآية ٤٠ .

[٣] سورة الأعراف ٠ الآية ٥٤ .

الحاكمية أو عدم إذعان لها أو عدم استسلام ورضا يعني عدم الإيمان ، قال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً ﴾ [١] .

وأي نظرة تلقىها على المسلمين تجد بوضوح تام أن كتاب الله في واد والناس في واد آخر . وأي نقاش تدخله مع الكثير ممن هم أبناء مسلمين تجد التسليم للنصوص فيه عندهم مفقوداً .

هـ - قال تعالى : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى فنادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴾ [٢] .

لقد اعتبرت هذه الآيات تطبيق بعض الكتاب إيماناً بهذا البعض وعدم تطبيق البعض الآخر كفراً بهذا البعض وإذن فعدم التطبيق العملي للكتاب على مستوى الأمة نوع من أنواع الكفر وما أكثر هذا النوع من الكفر الآن في الأقطار الإسلامية . إن هذا النوع من الكفر جزاؤه الذلة في الدنيا والعذاب في الآخرة . ولعل وقوع المسلمين في هذا النوع من الكفر التطبيقي سبب من أسباب ذلتهم .

ولعل هذه الآية تبين لنا سبب النهاية السيئة لكثير من الحاكمين فهم بين طريد وخليع وقتيل ومتهمة . . وكلها أنواع من الذلة .

على ضوء ما مر معنا نستطيع أن نقول ان في العالم الإسلامي اليوم ردة ، ومن لم يرتد من أبنائه فإنه في حالة ترك للإسلام والقليل القليل من بقي متمسكاً به معتصماً بحبل الله .

[١] سورة النساء : الآية ٦٤ .

[٢] سورة البقرة : الآية ٨٤ .

الإيمان في مواجهة الصعوبات

وقد ورد في الخبر : « أنّ شرف الإنسان في دينه - وانه لا شرف أعلى من الإسلام - وما سوى ذلك ، فهو ذلّ ومهانة وخسران » (٣) .

ويقول علي (ع) : « إنّ ظاهر الإسلام مشرق ، وباطنه مونق » .

فلا شرف بلا إيمان ولا إيمان بلا قناعة ، وخصوصاً أنّ وجود الإنسان يرتبط بالعقل ، والسلوك ، والمشاعر ، فإن استطاع الإنسان أن يحصل قناعات على مستوى وعي الكون ، والحياة ، والإنسان ، ومعرفة الخالق ، وما يريده من المخلوقين ، واثمر بأوامر ربه ، وانتهى عن نواهيه ، كان صاحب دين وإيمان ، والإنسان الذي ليس عنده كامل القناعة بالدين ، يسهل ارتداده ، فالردة هي وليدة عدم الإيمان ، الراسخ الواعي ، وفي هذه الحالة ، تكون المصلحة الذاتية ، أو مصلحة الجماعة ، هي التي تطفئ على مجرى الأحداث ، وتغيّر مسلك الأشخاص ، وقناعات الناس ، ولا تنكشف حقيقة الإنسان ، وحقيقة إيمانه ، إلاّ عندما تتعرّض الجماعة للصعوبات والابتلاءات ، فالمؤمنون حقيقة ، بقضاياهم ، تحمّلوا ويتحمّلون من الأذى ، ما لا يمكن أن يتحمّله أحد . . .

وعلى رأس هؤلاء سيد الشهداء الإمام الحسين (ع) ، والرموز الإسلامية الكبرى ، التي واجهت الصعوبات من أجل الله ، والرسالة .

ومن المعروف أن الكثير من الناس تتغلّب عليهم مصالحهم الخاصة ، وتكون لهم الهدف المرتجى ، ولذلك يتخلّون عن كل أمر مقدس ، ويميلون إلى هذه المصلحة ، بخلاف المؤمن الذي يتقبّل العذاب . . . وحتى الموت ويتقبّل الحياة المليئة بالصعوبات في سبيل الإيمان والإسلام ، وكلّما ازداد إيمان الإنسان ازدادت تضحيته في سبيل الله ، وكلّما ضعف إيمانه ازدادت القابلية للردة ، والتراجع عن الإسلام .

لا بدّ من انتصار الإسلام على الكفر

إنّ من يعلم أن الإسلام ، هو المشروع الإلهي في الكون والحياة ، وأنّه لا بدّ منتصر ومتحقّق ، يتعاضم تمسّكه بالإسلام ، ويتعمّق إيمانه .

وقد قال تبارك وتعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ [١].

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « الإسلام يعلو ولا يعلى عليه » (٢)، « الإسلام يزيد ولا ينقص » (٣).

وعلى هذا الأساس فالله تبارك وتعالى هو الذي أرسل الرُّسل بالإسلام ، دين الله الذي سيظهره على الأديان المنحرفة عن الصراط المستقيم ، فالإسلام يعلو ويسمو وغيره يضمحل ، ويتسافل .

والمتمسكون بدين الله الحنيف هم صفوة الخلق ، وأحباء الله الذين لا تلهيهم الدنيا عن ذكر الله ، أولئك لهم عقبى الدار ، وأما أهل الفسق والفجور ، وأعداء الله تعالى ، والرسول (ص) ، البعيدون عن خط الإسلام القويم ، المرتدون عن دين الحق فلا خلاق لهم ، وليس لهم في الآخرة من نصير ولا مجير .

وما لا شك فيه أن الإيمان والردة ضدان ، فالمؤمن الحق ، بفضل وعيه ، وتفكره ، في خلق السموات والأرض ، وارتباطه بالله سبحانه ، وممارسته للأعمال الخيرة ، يعيش حالة قد تصل إلى درجة تغيبه عما سوى الله فهل يمكن لمن كان في مثل هذا المستوى أن يرتد ، أو أن يفكر بالتراجع عن الإسلام ؟ وهل يعقل أن يهجر عالم النور من يسبح في بحاره ، ليتخبط في عالم الظلمات ؟ .

وعلى هذا الأساس فلا إيمان بلا توضحيات ، حتى ولو كان بالحياة مع الاستعداد لمواجهة الصعوبات ، وتجاوز المحن واستيعاب أقسى المصائب وتحمل المشقات .

الإسلام ومؤامرات الأعداء

يقول علي (ع) : « إنّ الله خصكم بالإسلام واستخلصكم له ، وذلك لأنه إسم سلامة وجماع كرامة اصطفى الله منهجه وبين حججه . . . لا تفتح الخيرات إلا بمفاتيحه ، ولا تنكشف الظلمات إلا بمصابيحه » (٤) .

[١] سورة التوبة : الآية ٣٣ .

إنّ اختصاص الناس بالإسلام ، من قبل المولى العليّ القدير لم يكن إلاّ رحمة بهم وإكراماً لهم ، لأنّ الإسلام إسم للسلامة ، والسلامة مطمع كل طالب ، وجماع للكرامة ، كرامة كل إنسان ، عاقل شريف .
وهل هناك أعظم من السلامة وأكمل من الكرامة ؟ .

وسلامة الإنسان هدف أساسي وكرامته غاية سامية ، فالإنسان بلا سلامة لا يهناً له عيش ، وهو بلا كرامة لا تطيب له نفس . والإسلام ثورة مستمرة لا تتوقف إلا بانتهاء الظلم وإزهاق الباطل وإحقاق الحق ، لذلك فإنّ من سماتها ، الوقوف بوجه الصعوبات ، وتلقي الصدمات ، من أعداء الحق والعدل في الحياة ، وهذا ما نعرفه ، من تاريخنا الإسلامي المشرق ، ممّا جرى مع الرسول (ص) ، والأئمة الأطهار (ع) ، وما يجري الآن مع الثورة الإسلامية في إيران . . . ولولا الإيمان العظيم الذي تحمله صدور أبناء هذه الثورة ، لما قامت لها قائمة ، بسبب ضخامة المؤامرات ، ودقّة تخطيطاتها وقساوة الضربات . . لكن بروح الصبر ، الذي يعطي القوة للروح ، وبالعمل والجهد صمدت الثورة ، واستمرت حتى يأذن الله بخروج صاحب العصر والزمان لإقامة دولة الإسلام العالمية .

النبي إبراهيم (ع) والثبات على الدين والإيمان

عن علي (ع) أنه قال : « إن الله عزّ وجل جعل الإسلام ، صراطاً منيراً للأعلام ، مشرق المنار ، فيه تأتلف القلوب ، وعليه تأخى الإخوان » (٧) .

وهل هناك سبيل أفضل من أن يسير الإنسان على طريق واضح ، خال من كلّ الموانع ، والحواجز ، تضيئه منارات ، وأعلام لإرشاد السالكين ، وتأخذ بيد المسترشدين ، وتوصلهم إلى مأمنهم وبغيتهم بكلّ أمان ؟ .

وهل هناك أسمى من أن نسلك طريقاً تأتلف قلوبنا عليه ، وتتأخى نفوسنا فيه ، فبالإلفة والتأخي ، والمحبة ، نصل إلى ما نبتغي ، ونحب ، وتظللنا رحمة الله ويملؤنا رضاه . . . إن نحن تمسكنا بديننا ، واعتصمنا بحبل ربّنا ، ولم نخف في الله لومة لائم ، ولا أية قوة مهما كانت ظالمة . . .

إن المؤمنين في المجتمعات الفاسقة ، أو العلمانية أو الملحدة ، يفضلون تحمّل العذابات ، ومعاناة أذى الآخرين لهم على التراجع عن عقيدتهم الإسلامية ، لأنّ الحياة تقوم على أساس الصراع بين الحق والباطل منذ بدء الخليقة إلى قيام الساعة ، وعودة إلى تاريخ النبوات يظهر ذلك ، كمثال نضربه هو ما حصل للنبي إبراهيم (ع) الذي عاش في مجتمع وثني ، إلّا أنه لم يتهاون ولم يتراجع بل طرح الإسلام ودعا إليه بكلّ قوة وعزم . . . إلّا أنّ قوى الكفر لم تدعه بل أمرت بتعذيبه وقتله ، فجمع الخطب ، وأضرمت النيران ، ورمى إبراهيم فيها ، بواسطة المنجنيق . وجاء جبرائيل يعرض عليه المساعدة ، وهو بأمسّ الحاجة إليها ، ولكنّه عليه الصلاة والسلام ردّ قائلاً : أما إليك فلا . . أما الله فمعرفة بحالي تغنيه عن سؤالي . . .

وقال تعالى : يحكي هذه القصة : ﴿ فما كان جواب قومه ، إلّا أن قالوا اقتلوه أو احرقوه ﴾^[١] .

فكان أمر الله تعالى ، أن جعل النار بردا وسلاماً على إبراهيم (ع) ، فإبراهيم (ع) نموذج بارز من النماذج البشرية عبر التاريخ ، فقد عزم على أن يتحمّل الحرق بالنار ، وآلاً بتراجع أو يتهاون في دعوته ، التي أرسل من أجلها ، وكان أن حماه الله ، ودافع عنه ، لأنّه تعالى يدافع عن الذين آمنوا ، كما جاء في محكم التنزيل .

الأئمة (ع) والمحافظة على الرسالة

إن المسيرة الإسلامية ، تعرضت منذ بدايتها ، لهجمات كثيرة وطعنات عديدة وحروب ضروس وما ذلك إلّا لأنها تشكل خطراً على مصالح أعداء الله منذ عهد الرسول إلى زمننا هذا ، ونحن نرى أنّ الضغوطات كبيرة ، من خلال عمليات المحاصرة للرسالة وللمؤمنين خلال الفترات السوداء التي مرت بها الأمة وخاصة في عهود الأئمة الأطهار عليهم أفضل الصلاة والسلام ، لا لسبب إلّا

[١] سورة العنكبوت : الآية ٢٤ .

لأنهم كانوا يريدون المحافظة على نهج الإسلام الحنيف ، الذي حاول المنحرفون أن يحرفوه ، وينحرفوا به عن الطريق المستقيم ، وهكذا نرى أن عملية الإيمان والمحافظة عليها ، تحتاج إلى جهد على المستوى الفردي ، وعلى مستوى الجماعة ، ويمكن القول ان خط الأئمة من أهل البيت (ع) ، يتسم بسمة المحافظة على نهج الرسالة من الإنحراف ، وقد أعطى الأئمة (ع) العطاء الأكمل ، وصبروا الصبر الأعظم ، وتحملوا الأذى الأكبر ، للحفاظ على الإسلام ، وردّوا على الأفكار الهدامة المعادية للفكر الإسلامي كالدهرية ، والماتوية ، والزندقية ، والتحريرية الأموية والعباسية ، وبيّنوا النهج الناصع ، وطرحوا الطرح الوافي ، الشافي ، الكامل ، الذي يعطي للرسالة بُعداً الاستمراري المغيّر ، كل ذلك من أجل عدم إفساح المجال لإمام الردّة أن تأخذ بمجالها . . .

الردّة وضعاف النفوس

. . . وحفظت الرسالة رغم كيد الأعداء في كل آن ، ومكان ، ومحاولة إسقاط دولة الإسلام ، وفصل هذا الدين عن الحياة والمجتمع إلّا أنّ تنامي الصحوة الإسلامية ، ومن خلال إنطلاق الثورة الإسلامية ، وقف بوجه هجمة صليبية جديدة بدأت تواجه المدّ الإسلامي المتعاضم ، وما ذلك إلّا لضرب مرتكزات الإسلام التي قامت عليها الثورة المباركة ، وهنا نؤكد : أن العملية الإيمانية تحتاج إلى الوقوف الموقف الصعب ، والمواجهة الحقيقية التي تأخذ أبعاداً على مستوى الفرد والمجتمع . إن الأعداء عمدوا إلى استخدام شتى الأساليب ، لإضعاف المقاومة الإيمانية ، وللإرتداد عن المنهج الإسلامي ، وبعض ضعاف النفوس يرتدون عن دينهم وإيمانهم ، بحجة الفقر والعوز والحاجة تارة ، وبداعي الأسباب الأمنية ، أو الظروف غير الملائمة ، أو تحصيل منصب أو وظيفة أو غير ذلك تارة أخرى . . .

ومن الناحية السياسية فإنّ الإرتداد يأخذ أشكالا كثيرة ، لذلك ترى أن أصحاب النهج الخاطيء ، يقفون ضدّ الموقف الإسلامي الصحيح الصادر عن الفقيه الولي ، مباشرة أو بالواسطة .

وهذا كله يقوم به في أكثر الحالات الذين يعتبرون أنفسهم ، حماة

الإسلام ، وقادة المسيرة ، وهذا يبين أن الإيمان عندهم إنما هو إيمان المصالح والمناصب . . لذلك فهم يواجهون الإسلام الثائر ، من خلال المواقع التي يفترض أن تدعم وتساند ، فيرتدّون بذلك ردّة سياسية كما سبق وأشرنا ، وقد تأخذ منحى خطيراً لأن مصير المؤمنين يتعلق بها ، أو يتأثر بذلك في أكثر الأوقات .

وإذا كان البعض يفتش عن خطوط الردة ، ليعتنقها فإن آخرين يفتشون عن أبواب للتوبة ليرجعوا إلى الله سبحانه ، لذلك لا بد من التوجه إلى هؤلاء لنقول لهم : لا يخف الذين أخطأوا في ماضي حياتهم ، وارتكبوا بعض السيئات وهم يريدون التوبة والرجوع إلى الخط الصحيح والعمل السليم ، من التراجع عن الخطأ . . .

. . . لا يخف هؤلاء من عاقبة الأعمال الماضية ، إذا كانت التوبة نصوحاً لأن الله يتوب على من تاب .

فعن رسول الله (ص) أنه قال : « إذا أسلم العبد فحسن إسلامه ، يُكفر الله عنه كل سيئة كان أزلفها وكان بعد ذلك القصاص » .

وعنه (ص) أنه قال : « من أحسن في الإسلام لن يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ الأول والآخر »^(٨) .

مواقف إيمانية

إن أعلى درجات الإيمان هي الدرجة التي يكون فيها الإنسان في مواجهة المصاعب التي تهدد هذا الإيمان ففي حال استطاع هذا الإنسان أن يثبت أمام هذه المخاطر ، التي قد تهدد حياته ، أو مصيره ، أو مستقبله أو تذهب بماله أو بحياته ، عند ذلك يشعر بطعم الإيمان ويتذوقه .

ثبات حتى الموت

وكمثال نضربه هو ما حدث مع أحد الأنبياء (ع) إذ يروى أن زكريا لما هرب من الكفار ، واختفى في شجرة ، وعرفوا ذلك ، جاؤوا بالمنشار فنشرت الشجرة حتى بلغ المنشار رأس زكريا ، فأن أنه ، فأوحى الله إليه : يا زكريا ! لئن

صعدت منك أنة ثانية لأمخونك من ديوان النبوة ! فعرض زكريا على أصبعه حتى قطع شطرين » .

... ولم يتراجع عن الحق أو يرتد عن الدين ، والعياذ بالله .

وقال علي (ع) : « أيما رجل حبسه السلطان ظلماً فمات ، فهو شهيد »^(٨) .

أصحاب الأخدود

لقد تحدّث القرآن المجيد ، عن قصة أصحاب الأخدود ، التي تعلّم الأجيال كيفية الثبات على المواقف السليمة ، والدين القويم ، وقد وردت حول هذه القصة عدّة روايات :

الرواية الأولى :

جاء في تفسير القمي حول قوله : « قتل أصحاب الأخدود » قال : كان سببه أن الذي هيج الحبشة ، على غزو اليمن ذونواس ، وهو آخر من ملك من حمير ، تهود واجتمعت معه حمير على اليهودية وسمى نفسه يوسف ، وأقام على ذلك حيناً من الدهر . ثم أخبر أن بنجران بقايا قوم على دين النصرانية ، وكانوا على دين عيسى (ع) وحكم الإنجيل ، ورأس ذلك الدين ، عبد الله بن بريامن ، فحمله أهل دينه ، على أن يسير إليهم ، ويحملهم على اليهودية ، ويدخلهم فيها ، فسار حتى قدم نجران فجمع من كان فيها على دين النصرانية ، ثم عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها ، فأبوا عليه فجادلهم وعرض عليهم وحرص الحرص كله ، فأبوا عليه وامتنعوا عن اليهودية والدخول فيها ، واختاروا القتل رتضييف الرواية : فاتخذ لهم أخدوداً وجمع فيه الخطب ، وأشعل فيه النار ، فمنهم من أحرق بالنار ، ومنهم من قتل بالسيف ، ومثل بهم كل مثلة ، فبلغ عدد من قتل وأحرق عشرين ألفاً ، وأفلت منهم رجل يدعى دوش ذو ثعلبان على فرس له تسمى ركضة واتبعوه حتى أعجزهم في الرمل ...

الرواية الثانية :

وفي المجمع روى سعيد بن جبير قال : لما انهزم أهل (اسفندهان) قال عمر بن الخطاب : ما هم يهود ولا نصارى ، ولا لهم كتاب ، وكانوا مجوساً ، فقال علي بن أبي طالب (ع) : بل قد كان لهم كتاب ورفع ، وذلك ان ملكاً لهم سكر ، فاعتدى على إحدى محارمه ، فلما أفاق من سكره قال : لها : كيف المخرج مما وقعت فيه ؟ قالت : تجمع أهل مملكتك ، وتخبرهم أنك ترى نكاح البنات حلالاً ، وتأمرهم أن يحلوه فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن يتابعوه ، فخذ لهم أخدوداً في الأرض ، وأوقد فيه النيران ، وعرضهم عليها ، فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار ، ومن أجاب خلى سبيله .

الرواية الثالثة :

وعن تفسير العياشي بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : أرسل علي (ع) إلى أسقف نجران يسأله عن أصحاب الأخدود فأخبره بشيء ، فقال علي (ع) ليس كما ذكرت ولكن سأخبرك عنهم : إن الله بعث رجلاً حبشياً نبياً ، وهم حبشية ، فكذبوه فقاتلوا أصحابه ، فأسروه وأسروا أصحابه ثم بنوا له حيراً ، ثم ملؤوه ناراً ثم جمعوا الناس فقالوا : من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل ، ومن كان على دين هؤلاء فليرمي نفسه بالنار فجعل أصحابه يتهافتون في النار فجاءت امرأة معها صبي لها ابن شهر ، فلما هجمت ، هاجت ، ورقت على ابنها ، فنادى الصبي : لا تهابي وارمني ونفسي في النار فإن هذا والله ، في الله قليل ، فرمت بنفسها في النار وصبيها ، وكان ممن تكلم في المهد كما تذكر الرواية . . . ولا عجب ، فإن الله على كل شيء قدير . . .

إن ما أوردناه يدل على الموقف الثابت للمؤمنين ، الذين لا يرومون إلا وجه الله ، ولا يخافون فيه لومة لائم ، ولو قُطعوا بالسيوف أو حرقوا بالنار .

مواقف ارتدادية

وبالمقابل نعرض صوراً أخرى . تظهر الموقف المتخاذل ، المرتد ،

والمخالف للفطرة ، والإرادة الربانية ، لنُبين أن التراجع ، والردة عن الإسلام ، حالة مسخ لشخصية الإنسان ، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم ، عندما تحدث عن الذين مسخهم قردة وخنازير ، وفي بعض التفاسير أنهم لم يتحولوا إلى حيوانات تشبه القردة والخنازير حقيقة كما سيأتي ، ولكنهم مسخوا في تصرفاتهم ، فصارت شبيهة بتصرفات هذه الحيوانات ، وهذا نوع من المسخ النفسي .

وهناك روايات تقول بمسخهم إلى قردة وخنازير حقيقية ، نتيجة للإرتداد عن دين الله ، ومخالفة أوامره .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت ، فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ [١] .

١ - وعن الباقر (ع) أنه قال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن قوماً من أهل أيلة ، من قوم ثمود وإن الحيتان كانت سبقت إليهم يوم السبت ، ليختبر الله طاعتهم في ذلك ، فشرعت إليهم يوم سبتهم ، في ناديهم ، وقدّام أبوابهم ، في انهارهم وسواقيهم فبادروا إليها ، فأخذوا يصطادونها ، ولبثوا في ذلك ما شاء الله ، لا يهاهم عنها الأحبار ، ولا يمنعهم العلماء من صيدها . ثم إن الشيطان أوحى إلى طائفة منهم ، إنما نهيتهم عن أكلها يوم السبت ، ولم تنهوا عن صيدها ، فاصطادوا يوم السبت ، وأكلوها فيما سوى ذلك من الأيام ، فقالت طائفة منهم الآن نصطادها ، فعتت وانحازت طائفة أخرى منهم ذات اليمين ، فقالوا ننهاهم عن عقوبة الله ، ان تعرضوا بخلاف أمره ، واعتزلت طائفة منهم ذات اليسار ، فتنكبت فلم تعظمهم ، فقالت الطائفة التي لم تعظمهم : « لم تعظون قوماً الله مهلكهم ، أو معدّهم عذاباً شديداً » فقالت الطائفة التي وعظتهم : « معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون » قال : فقال الله عز وجل : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ ، يعني فلما تركوا ما وعظوا به ، ومضوا على الخطيئة ، قالت الطائفة التي وعظتهم : « لا والله لا نجتمع معكم ولا نبايتكم الليلة ، في مدينتكم هذه ، التي عصيتم الله فيها مخافة أن ينزل بكم البلاء فيعمنا معكم » .

[١] سورة البقرة : الآية ٦٥ .

قال فخرجوا عنهم من المدينة مخافة أن يصيبهم البلاء ، فنزلوا قريباً من المدينة ، فباتوا تحت السماء فلما أصبح أولياء الله المطيعون لأمر الله ، غدوا لينظروا ما حال أهل المعصية ، ثم اصعدوا رجالاً منهم ، فأشرف على المدينة فنظروا فإذا هم بالقوم قردة ، يتعاونون ، فقال الرجل لأصحابه : يا قوم أرى والله عجباً ، قالوا : وما ترى ؟ قال : أرى القوم قد صاروا قردة ، يتعاونون ، لها أذنان ، فكسروا الباب قال : فعرفت القردة أنسابها من الإنس ولم تعرف الإنس أنسابها من القردة ، فقال القوم للقردة « ألم نهكم ؟ » فقال علي (ع) : « والله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إني لأعرف أنسابها من هذه الأمة ، لا ينكرون ولا يغيرون ، بل تركوا ما أمروا به فتفرقوا »^(٩) .

وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ فبعداً للقوم الظالمين ﴾ ﴿ أنجينا الذين يهتدون عن سوء ، وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ .

عن رسول الله (ص) أنه قال : « إن الله تعالى لم يجعل لمسخ نسلًا ، ولا عقبًا ، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك »^(١٠) .

عن رسول الله (ص) أنه قال : « ما مسخ الله من شيء فكان له عقب ونسل »^(١١) .

عن رسول الله (ص) أنه قال : « إن الله لم يمسح فيدع له نسلًا أو عاقبة »^[١] .

٢ - وجاء في مجمع البيان ، في تفسير قوله : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت . . . » عن ابن عباس قال : فمسخهم الله عقوبة لهم ، وكانوا يتعاونون وبقوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ولم يتناسلوا ، ثم أهلكهم الله تعالى ، وجاءت ريح فهبت بهم فآلقتهم في الماء ، وما مسخ الله أمة إلا أهلكها ، فهذه القردة والخنازير ، ليست من نسل أولئك ، ولكن مسخ على صورة هؤلاء ، يدل عليه إجماع المسلمين على أنه ليس في القردة والخنازير ، ممن هو من أولاد آدم - ولو كانت من أولاد الممسوخين لكانت من بني آدم .

[١] رواه أحمد بن حنبل / المعجم .

وقال مجاهد : لم يمسخوا قردة وإنما مثل ضربه الله كما قال :

﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ ، وحكي عنه أيضاً أنه قال : « مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة ، لا تقبل وعظماً ولا تتقي زجراً ، وهذان القولان يخالفان الظاهر ، الذي أكثر المفسرين عليه من ضرورة تدعو إليه » (١٢) .

وهكذا رأينا الردة مجسمة في صور وأشكال حيّة متحركة ، فالمرتد يعاقب بالتشويه الخلقي والخلقي ، لأنه شوه أو حاول أن يشوه نهج الإله القويم ، فارتدّ عليه ذلك ، بسبب رذته مسخاً في الصورة والجوهر ، عقوبة من الله ، وتنفيذاً للقوانين الإلهية ، القاضية بمعاقبة المخالف لدين الفطرة . .

مراحل الإرتداد

والمرحلة الأولى من مراحل الردة هي مرحلة الإرتداد النفسي ، الذي هو حالة من النكوص على المستوى النفسي ، والشعوري ، والتراجع الكامل ، والإنهزام ، والتشتت ، والضياح . وإنّ الإنسان المرتد يصبح في وضع شاذ يشكل خطراً على المجتمع ، ثم إن الإرتداد النفسي ينعكس على العقيدة ، فيكون الإرتداد عقائدياً ، فتوجد لدى هذا الإنسان المرتد ، شكوك كثيرة وشبهات . ويتحوّل هذا الإرتداد العقائدي ، إلى انهزام فكري ، وتشويش في الرؤية ، فيرى صاحب هذه الحالة ، الحق باطلاً والباطل حقاً ، وتستتر عنه الحقيقة العليا ، المتمثلة بوحداية الله تعالى ، والتي تشهد عليها كل المخلوقات ، وما في الكون من كائنات ، ويرفض هذا الإنسان وهو في هذه الحالة ، رسولية الرسل ونبوة الأنبياء وخصوصاً نبوة خاتمهم (ص) فيؤدي ذلك إلى الإرتداد على المستوى الفردي وينعكس على المجتمع الإسلامي ككل ، فيصبح هذا الإنسان في وضع مخالف لمسيرة الأمة ولا بد أن يكون عامل تأخير وإعاقة ، لأنه في حال رفضه للرسالة ، فإنه يرفض النظام المنبثق عنها ، والذي يطبق في المجتمع الإسلامي هذا في المرحلة الثانية ، أما في المرحلة الثالثة ، فتحصل الردة السياسية ، وربما يتحوّل هذا الإنسان إلى متآمر أو عميل لجهات تضرّ بالأمة ، ومصالحها العليا ، وهنا يأتي الإرتداد السياسي كما قلنا ، فنرى أن المرتد نفسياً وفكرياً وعقائدياً واجتماعياً ، نراه قد ارتبط بجهات عميلة لأعداء الأمة ويتحول إما لعميل فكري أو سياسي ،

أو إلى منفذ لمخططات الأعداء من المستعمرين والمستكبرين ، ومن أكبر المخاطر أن يتسلم هؤلاء مقاليد الأمور كما هو سائد الآن في كثير من البلدان الإسلامية ، فالمرتدون والمنافقون بشكل عام هم الذين يتسلمون سدة الحكم ، فينفذون مخططات العدو الأجنبي . . .

الردة من الناحية الفقهية

يقول إمام الأمة الخميني قدس سره ، إن المرتد : هو من خرج عن الإسلام ، واختار الكفر وهو على قسمين فطري وملي .

أ - المرتد الفطري

وهو من كان أحد أبويه مسلماً ، حال انعقاد نطفته ، ثم أظهر الإسلام بعد بلوغه ثم خرج عنه .

ب - المرتد الملي

وهو من كان أبواه كافرين حال انعقاد النطفة ، ثم أظهر الكفر بعد البلوغ ، فصار كافراً أصلياً ، ثم أسلم ثم عاد إلى الكفر - كنصراني أو يهودي في الأصل ، أسلم ثم عاد إلى نصرانيته ، أو يهوديته مثلاً .

١ - المرتد الفطري

إن كان رجلاً تبين منه زوجته ، وينفسخ نكاحها بغير طلاق ، وتعتد عدة الوفاة ، ثم تزوج إن أرادت وتقسم أمواله التي كانت له حين ارتداده بين ورثته ، بعد أداء ديونه كالميت ، ولا ينتظر موته ، ولا تفيد توبته ، ورجوعه إلى الإسلام في رجوع زوجته وماله إليه ، نعم تقبل توبته باطناً ، وظاهراً أيضاً بالنسبة إلى بعض الأحكام ، فيطهر بدنه ، وتصح عبادته ويملك الأموال الجديدة بأسبابه الاختيارية كالتجارة والحيازة والقهرية كالإرث ، ويجوز له التزويج بالمسلمة ، بل له تجديد العقد على زوجته السابقة ، وإن كانت امرأة بقيت أموالها على ملكها ،

ولا تنتقل إلى ورثتها إلا بموتها ، وتبين من زوجها المسلم في الحال بلا اعتداد ، إن كان معقوداً عليها ، أو متزوجة ، فإن تاب قبل تمام العدة ، وهي عدة الطلاق بقيت الزوجية ، وإلا انكشف عن الإنفساخ . والبينونة من أول زمن الإرتداد^(١٣) .

ويقول الإمام الخميني قدس سره : « إن المرتد الفطري لا يقبل إسلامه ظاهراً ، وعقوبته القتل إن كان رجلاً . وقد ورد عن الصادق (ع) : « كل مسلم بين مسلمين ارتد عن الإسلام ، وجحد محمداً نبوته وكذبه ، فإن دمه مباح لكل من سمع ذلك منه . وامراته بائنة منه يوم ارتد فلا تقربه ، ويقسم ماله بين ورثته ، وتعتد امرأته عدة المتوفى عنها زوجها . وعلى الإمام أن يقتله ولا يستتبه » .

وقال (ع) : « إذا ارتد المسلم يقتل ولا يستتاب ، . . . » وعن النبي (ص) : « من بدل دينه فاقتلوه » .

المرأة المرتدة

لا تقتل المرأة المرتدة ولو عن فطرة ، فضلاً عن كونها عن ملة ، بل تحبس دائماً وتضرب في أوقات الصلاة ، ويضيق عليها في المعيشة ، وتقبل توبتها ، فإن تابت أخرجت من الحبس .

قال الصادق (ع) : « المرتدة عن الإسلام لا تقتل ، وتستخدم خدمة شديدة (أشغال شاقة) ، وتمنع الطعام والشراب إلا ما يمكك نفسها وتلبس خشن الثياب وتضرب على الصلاة » .

ولد المرتد الفطري

ولد المرتد الفطري قبل ارتداده بحكم المسلم ، فإذا بلغ واختار الكفر ، وكذا ولد المسلم ، إذا بلغ واختار الكفر قبل إظهار الإسلام فالظاهر عدم إجراء حكم المرتد فطرياً عليها بل يستتابان ، وإلا فيقتلان^(١٤) .

٢ - وأما المرتد الملى

سواء أكان رجلاً أو امرأة فلا تنتقل أمواله إلى ورثته إلا بالموت ، وينفسخ النكاح بين المرتد وزوجته المسلمة ، وكذا بين المرتدة وزوجها المسلم ، بمجرد الإرتداد بدون اعتداد إن كانت معقود عليها فقط ، وإن كانت متزوجة وقف الفسخ على انقضاء العدة ، فإن رجع أو رجعت قبل انقضاء العدة كانت زوجته وإلا انكشف أنها بانت عنه عند الإرتداد^(١٥) .

والمرتد الملى يستتاب ، فإن امتنع قتل ، والأحوط استتابته ثلاثة أيام ، وقتل في اليوم الرابع .

قال الصادق (ع) : « . . . إذا أسلم النصراني ثم ارتد عن الإسلام يستتاب ، فإن رجع وإلا قتل » .

وإذا تكرر الإرتداد من الملى . قيل : يقتل في الثالثة ، وقيل في الرابعة وهو أحوط . . هذا حسب فتاوى الإمام الحميني قدس سره .

البلوغ والعقل والإختيار والقصد ، شرط في تحقق الإرتداد

يعتبر في الحكم بالإرتداد البلوغ والعقل والإختيار والقصد ، فلا عبرة برودة الصبي وإن كان مراهقاً ولا المجنون وإن كان أدوارياً دور جنونه ، ولا المكروه ، ولا بما يقع بلا قصد كالهزل ، والساهي والغافل والمغمى عليه ، ولو صدر منه حال غضب غالب لا يملك معه نفسه لم يحكم بالإرتداد^(١٦) .

وقد قال تعالى بشأن المكروه : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾^[١] .

وقد روي أن أناساً من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الإسلام ، بعد دخولهم فيه ، وكان فيمن أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه ، مع أنه كان بقلبه مصراً على الإيمان ، عمار وأبواه ، ياسر وسمية ، وصهيب وبلال وخباب وبسالم ، فهؤلاء

[١] سورة النحل : الآية ١٦٦ .

عذبوا بأنواع العذاب . فأما سمية ، فقييل : ربطت بين بعيرين ، ووخزت في قلبها بحربة . . . وقتلت ، وقتل ياسر . وهما أول قتيلين قتلًا في الإسلام .

وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً ، فقييل : يا رسول الله ، إن عمّاراً كفر ، فقال : كلاً إن عمّاراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه ، فأتى عمّار رسول الله وهو يبكي ، فجعل رسول الله يمسح عينيه ويقول : ما لك . . . إن عادوا لك فعد لهم بما قلت » .

ولد المرتد الملي

ولد المرتد قبل ارتداده بحكم المسلم ، فلو بلغ واختار الكفر استتيب ، فإن تاب قبلت توبته ، وإلا قتل ، وكذلك ولد المرتد الفطري .

الإسلام يحمي نفسه

وبهذه الطريقة يحمي الإسلام نظامه وعقيدته من أن تحصل فيه التراجعات عن المبدأ .

فإن كنت مسيحياً أو يهودياً أو مجوسياً لا يهم ، ولكن عليك فقط أن تخضع لقوانين النظام الإسلامي العامة ، ولا شيء عليك ، ويمكن أن تعتقد كما تشاء ، وأن تصلي كما تريد ، ولكن بمجرد أن تصبح مسلماً ، وتتشهد الشهادتين دون إجبار وإكراه ، بل بالاختيار ، فلا يمكن لك الرجوع عنه ، لأنه عندما تصبح فرداً من المجتمع الإسلامي ، سيصبح لك موقع ودور كبير أو صغير ، وهذا الموقع جزء من بنیان المجتمع المؤمن ، فإذا تخلّيت وتراجعت وتركت المجال للآخرين ، فربما يحدث تراجعك هذا ضرراً على كامل البناء ، الذي أنت جزء منه ، لذلك كانت عقوبة المرتد صارمة ، لأنه تحوّل إلى عنصر مؤذ ، أو مزعج ، أو مخرب للمجتمع ، فلا بد من المعالجة الجذرية لهذه الحالة وهذا ما ظهر من طريقة معالجة الإمام الخميني « قده » لقضية المرتد سلمان رشدي .

ونوضح ذلك بمثل فنقول : إن النبات الذي يصبح ييساً ، لا يترك في مكانه ، بل يرفع ويرمى بعيداً ، كذلك المرتد عن الإسلام ، يقتل إن كان فطرياً

دون أن يستتاب وإن كان ملياً يستتاب ، حتى لا يفسح المجال أمام غيره ، بل يغلق باب التراجعات والردة .

أما مسألة النفاق فتبقى أقل خطراً من الإرتداد ، لأن بإمكان المنافق الذي يضمّر الكفر ويظهر الإسلام ، أن يتوب بينه وبين الله ، ولا يؤثر ذلك على المسيرة ، بل يقوّيها في حال توبته ، لذلك كان على الإنسان أن يحسم أمره منذ البداية .

الكافر والمشرّك المرتد

ونعرض الآن ، لجملة من الآيات القرآنية ، والأحاديث الشريفة ، حول موضوع الردّة ، نحاول من خلال عرضها أن نستنتج بعض ما يمكن لنا من أفكار ومواقف ، تعيننا في سعيها لمرضاة الله تعالى :

يقول تبارك وتعالى : ﴿ فلا يزالون يقاتلونكم حتى يردّوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ .

﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴾ [١] .

﴿ من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ .

إنّ التأمل في هذه الآيات ، يجعلنا نرى أن الصراع بين الحق والباطل ، كان ولا يزال ، وسيبقى حتى ينتصر أحدهما انتصاراً كاملاً على الآخر .

إنّ المبطلين سيقبّون يقاتلون المحقّين ، حتى يردّوهم عن دين الإسلام ، إلى دين الكفر ، إن استطاعوا ، ولكنهم بإذن الله ، لن يستطيعوا ، فالله تبارك وتعالى متمّ وعده ، وناصر عبده ، ومظهر دينه ، ولو كره كل طواغيت الأرض وجابرتها .

وإذا كان الإرتداد عن الدين ، رجوع إلى الكفر بعد إيمان ، فمن رغب عن

[١] سورة البقرة : الآية ٢١٧ .

الإسلام ، وكفر بما أنزل على محمد (ص) بعد إسلامه ، كان من المرتدين ،
والمرتدون أتباع الباطل وأتباع الباطل في النار يخلدون . والجنة لا تقبل فيها أبدا
مرتداً ، ولا مشركاً ، ولا كافراً .

يقول الرضا (ع) : « من شبه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن نسب إليه ما
نهى عنه فهو كافر ، ومن وصف الله بوجهه كالوجوه فقد كفر ، والقائل بالجر
كافر ، ومن قال بالتناسخ فهو كافر ، والمكذب بالجنة والنار كافر » .

وعن الصادق (ع) : « من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر ، ومن
شك في الله ، وفي رسوله ، فهو كافر » .

وعن الباقر (ع) قال : « حبنا إيمان ، وبغضنا كفر » أي حب أهل
البيت (ع) .

وعنه أيضاً : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فكل طاعة لمخلوق في
معصية الله عبادة لغير الله فهو كافر » .

خدمة السلطان الجائر تنزل غضب الرب

يقول تبارك وتعالى : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ [١١] .

إن الركون إلى الظالمين ، والإعتماد عليهم ، نكوص عن الصراط
المستقيم ، كما وإن الإرتداد عن العقيدة السمحاء بعد عن الرحاب القدسية ،
والساحات الربانية ، فالخطر ، الخطر من الردة ، لأن النار هي المأوى .

أصحاب الحسين (ع) والثبات على الموقف

إن مواقف أصحاب الحسين (ع) تبين عظمة الإيمان وأهله ، وتشرح كيف
أن الإيمان الثابت ، يخلق الموقف الثابت الذي ليس بعده تراجع ، وقد قال
الحسين (ع) لأصحابه في ليلة عاشوراء : « هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ،

[١١] سورة هود : الآية ١١٣ .

فإن القوم لا يطلبون غيري » . فأبوا جميعاً إلا البقاء معه (ع) حتى يقتلوا جميعاً بين يديه ، وقال قائلهم ، وكلهم قال مثل قوله : « والله لئن قتلت ، وحرقت ، ثم بعثت ، ثم قتلت ، وحرقت ، ثم بعثت ، يفعل بي ذلك ألف مرة ما تركت مولاي الحسين (ع) » .

إن ترك الحسين وخذلانه هو ارتداد عن الإسلام ، لذلك فإن أصحاب الحسين (ع) يتمنون لو قتلوا وحرقوا على أن يتركوا الحسين (ع) في ساحة المعركة وحيداً ، وذلك لأن تركه يعني ترك الدين والحق .

طريق الإيمان هو طريق ذات الشوكة

إن المؤمن في صراع دائم مع الكفر وملته ، ودربه ، درب ذات الشوكة . . . وربما يشعر في بعض الأحوال ، أنه كالقابض على الجمر لشدة ما يعاني من مواجهة أهل الكفر والضلال ، من جهة ، ومن جهة أخرى ، مواجهة مغريات الدنيا التي تدعوه إلى ترك دينه ، فهو يجاهد نفسه الأمارة ، التي تدعوه دائماً لمعصية الله تعالى ، ويجاهد أعداء الله الذين يقفون بوجه تقدم الإسلام ، وإمساكه بدفة قيادة الحياة والمجتمع ، وهو في كل ذلك يعيش حالة الشوق إلى الله ، فتدوب معاناته في رضا الله تعالى ، ويغدو رضاه تعالى أحب إليه من الدنيا وما فيها .

يقول الإمام الحسين (ع) : « ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله ، فإنني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً » .

الأنبياء قدوتنا في الثبات على الحق

قال تعالى : ﴿ وإذ يكرر بك الذين كفروا ليشتكوك أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾ [١] .

[١] سورة الأنفال : الآية ٣٠ .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [١١] .

لقد حاول المشركون أن يقتلوا رسول الله (ص) ، فتآمروا عليه ليلة الهجرة ، ونام علي (ع) في فراشه وهو غير آبه بالموت ، ولكن الله أنجاهما ونصر دينه .

وقصة فرعون مشهورة في القرآن ، فقد كان فرعون طاغية وكان يعذب المؤمنين الذين آمنوا بموسى (ع) وبرسالته وقد اتهم موسى (ع) بأنه ساحر ، وجمع فرعون السحرة ، وكان النصر عليهم بإذن الله ، فأمنوا ، وتابوا ولم يلتفتوا إلى تهديدات فرعون لهم بالقتل ، وتقطع الأيدي والأرجل ، والصلب ، بل ثبتوا على موقفهم ، وانتصر الإسلام ، بإغراق الله تعالى لفرعون الطاغية في مياه البحر الأحمر ، وكانت المعجزة الإلهية بإنجاء المؤمنين ، وهلاك العصاة الكافرين .

أما شعيب (ع) ، فقد ثبت أيضاً ، ولم يخف من تهديد قومه بالإبعاد عن المدينة ، ولم يتراجع عن دينه . . فلنقتد بالأنبياء والرسول (ع) فإنهم معلّمو الإنسانية ، كيفية التمسك بالحق رغم كل شيء .

وقد قال الله تعالى عند الحديث عن ذلك : ﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ، إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيُنَا أُشْدَّ عَذَاباً وَأَبْقَى ﴾ [١٢] .

﴿ قَالُوا لَنْ نؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [١٣] .

وقال تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مَلَكُوتِنَا ﴾ [١٤] .

[١] سورة آل عمران : الآية ٢١ .

[٢] سورة طه : الآية ٧١ .

[٣] سورة طه : الآية ٧٢ .

[٤] سورة الأعراف : الآية ٨٨ .

لماذا الردة وعدم الثبات ؟

١ - يقول الله عز وجل : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وإن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ [١] .

﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ [٢] .

٢ - ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ﴾ [٣] .

٣ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ [٤] .

إنّ الكفر بعد الإيمان وكما ذكرنا مراراً ذنب ولا أكبر ، لا جزاء له إلا النار التي سجّرها خالقها لمرتكبي هذه الذنوب وأمثالها . . .

شرط أن يكون هذا الكفر بعد الإيمان ، بدون إكراه وبالإختيار المحض .

أما إذا أكره الإنسان ، وقلبه مطمئن فلا إثم عليه ، والقول هو في الذي يكفر باختياره ، ويصبح صدره منشراحاً بهذا الكفر ، ونفسه مرتاحة إليه ، فإنه من الصنف الذين غضب الله عليهم .

والذين يحيق بهم هذا الغضب ، لهم العذاب الأعظم ، والجزاء الوفاق ، بإيثارهم الحياة الدنيا على الآخرة فالله لا يهديهم ، ولا يهدي أمثالهم ، لأنهم كفروا بعد الإيمان . لقد فضلوا بكفرهم الضلال على الهدى ، فأصابهم العمى في

[١] سورة النحل : الآية ١٠٦ - ١٠٧ .

[٢] سورة النحل : الآية ١٠٨ .

[٣] سورة العنكبوت : الآية ١٠ .

[٤] سورة المائدة : الآية ٥٤ .

القلب والبصيرة ، وران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، وغشيتهم ظلمة الكفر والفجور بما كسبت أيديهم . وختم الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فكان الختم على الخواس والطبع عليها دليل بُعِدٍ عن الله ومعاداة له . وأصحاب هذه الخواس في غفلة ، لا حدّ لها ولا قرار ، ألا ترون معي أن الله هو العالم بدقائق الأمور ، قد علم أنهم لا خير منهم وفيهم ، وأنهم لا يرجعون إليه ، فطبع على قلوب لا تفقه وأسماع لا تعي ، وأبصار لا تميز . وبالقلوب والخواس يميّز الإنسان عن الحيوان ، وبها صار الإنسان خليفة الله على الأرض ، فإذا لوّثت ومسخت وخلت من كل خير وفضل صار أصحابها شياطين ، بلباس البشر لا يرجى منهم خير ولا صلاح ، بل يتحوّلون إلى أدوات للفساد والإفساد . . .

والإرتداد عن الدين بعد الإيمان لا يضرّ الله شيئاً ومهما كان عدد المرتدين كبيراً لأنّ الله تبارك وتعالى بقدرته المطلقة قادر على الإتيان بأناس يحبّهم ويحبّونه ، ينفذون كل ما يراودهم بكل نفوس طيبة وصدور منشرة وهو الذي يقول للشيء كن فيكون ، لا يعجزه شيء وهو العزيز المقتدر ، وقد فعل فعندما ارتد أكثر العرب عن دينهم ، والتحقوا بالمستعمر الكافر يأتّمرون بأوامره ، أتى بمن يحبّهم ويحبّونه ، من جنود الثورة الإسلامية في إيران ، وما هم يحملون راية لا إله إلاّ الله ، خفّاقة في سماء الدنيا لنصرة الحقّ وإحقاقه ، وإزهاق الباطل ، وتأسيس وتقوية دولة الإسلام ، الممهدة لدولة صاحب الزمان ، عجّل الله تعالى فرجه الشريف ، وجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشّهدين بين يديه ، إنّه سميع مجيب الدعاء .



مصادر ومراجع البحث

- (١) نهج البلاغة / خطبة ١٦١ .
- (٢) شرح الإرتداد ، باب الحدود ، المقصد الثامن في الإرتداد/ الشيخ الأردبيلي .
- (*) راجع كتاب جند الله ثقافة وأخلاقاً/ ص ٥ - ٨ .
- (٣) بحار الأنوار مجلد ١١/ ٦٩ .
- (٤) الوسائل مجلد ١٧ / ص ٣٧٦ .
- (٥) كنز العمال / خطبة ٢٤٦ .
- (٦) شرح نهج البلاغة مجلد ٩/ ص ١٦٢ .
- (٧) نهج السعادة/ مجلد ٣/ ص ٢٠٨ .
- (٨) الكافي مجلد ٢/ ص ٤٦١ .
- (٩) الكافي مجلد ٢ .
- (١٠) راجع بحار الأنوار/ مجلد ١٤ / ص ٥٢ - ٥٣ .
- (١١) كنز العمال خطبة : ٤٠٠٢٢ و ٤٠٠٢٤ .
- (١٢) مجمع البيان/ مجلد ١ ص ١٢٩ .
- (١٣) تحرير الوسيلة ج ٢ / م ١٠ / ص ٧٦٣ .
- (١٤) تحرير الوسيلة ج ٢ / ص ٤٩٤ / كتاب الحدود .
- (١٥) تحرير الوسيلة ج ٢ / ص ٣٦٧ .
- (١٦) تحرير الوسيلة ج ٢ / كتاب الحدود .

الفصل الثاني

من معالم الكفر

١. الخيانة رأس الكفر
٢. الحسد أصل الكفر
٣. تتبع عشرات المؤمنين



الخيانة

الخيانة رأس الكفر والنفاق

محتويات البحث

- ١ - ماهية الخيانة .
- الخيانة في اللغة .
- الخيانة في المصطلح .
- من أسباب الخيانة .
- ٢ - هل مفهوم الخيانة مفهوم نسبي ؟ .
- ٣ - الخيانة آفة المبادئ .
- ٤ - الجاسوسية والإسلام .
- ٥ - الخيانة في منظور الإسلام .
- المؤمن لا يخون ، ولا دين للخائن .
- اداء الأمانة علامة الإيمان .
- الخيانة مكر وخديعة .
- الخيانة رأس النفاق .
- الخيانة رأس الكفر .
- لا تخن . . حتى الكافر .
- الإستهانة بالأمانة خيانة .
- من خان في مال حسب عليه من رزقه .
- لا تخن من خانك .

- التتكر للفرائض الإلهية خيانة .
- أكبر الخيانة أن تكون أميناً للخونة .
- ادخار الدرهم عن المؤمن وعدم إعانته خيانة .
- الخائن يشغل نفسه بنفسه .
- من الخيانة عصيان الرحمن وأذى الجيران .
- غاية الخيانة .
- خيانة العلم أشد من خيانة المال .
- أعظم خيانة خيانة الأمة والأئمة .
- من خان جاره في شبر من الأرض طوق به عنقه حتى يوم القيامة .
- سرّ المؤمن أمانة وإفشاؤه خيانة .
- كاتم السرّ من الذين يستظلون بظل عرش الله .
- المجالس بالأمانات .
- لا تطلع صديقك من شرك إلا على ما لا يضرّك إذا انكشف .
- الغلول عار وشنار يوم القيامة .
- لا تخن . . . حتى عدوك .
- لا تشتري خيانة حتى لا تكون كمن خانها .
- الخيانة تخرب البيوت .
- الخيانة تجلب الفقر .
- بادر بإداء الأمانة ولا تسمع لوسوسة الشياطين .
- محمد (ص) الصادق الأمين .
- قدوة الأئمة .
- ٦ - أقسام الخيانة :
- معنى خيانة الله ورسوله .
- ٧ - الأمانة بالنسبة للعقل والتكليف .
- بلغوا أحكام الدين .
- الخيانة للرسول (ص) .
- خيانة القرآن الكريم .

- ذرية الرسول (ص) أمانة .

- الأمانة مالكية وشرعية .

- خيانة أمانة الناس .

٨ - أشكال الخيانة :

- عدو . . . ولكنه غير خائن .

- تكليف غير الأكفاء بالمسؤولية خيانة للأمة والمبدأ .

- خيانة الأمة والمجتمع .

- الخيانة علنية وسرية .

- خيانة النفس وخيانة الغير .

- بناء العلاقات الإجتماعية الفاسدة خيانة .

- الخيانة الإقتصادية .

- الخيانة السياسية .

- الخيانة العسكرية .

- خيانة الأعداء .

- مواصفات القيادي المسلم .



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل ﴾ [١] .
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾ [٢] .

﴿ علم الله أنكم تختانون أنفسكم فتاب عليكم ﴾ [٣] .
﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ﴾ [٤] .

* * *

عن علي (ع) : « رأس الكفر الخيانة » [٥] .
وعن الصادق (ع) : « يجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب » [٦] .

* * *

[١] سورة التحريم : الآية ١٠ .

[٢] سورة الأنفال : الآية ٢٧ .

[٣] سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

[٤] سورة النساء : الآية ١٠٧ .

[٥] مستدرک الوسائل / ج ٢ / ص ٥٠٦ .

[٦] بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ١٧٢ .

١ - ماهية الخيانة

من أجل معرفة ماهية الخيانة نحاول ، في البداية ، أن نعرف معناها اللغوي ، ثم نتعرف إلى معناها الإصطلاحي :

الخيانة في اللغة

- يقال خان ، خواناً ، وخيانةً وخيانةً وخانةً في كذا أي أؤتمن فلم ينصح .
- وخان العهد أي نقضه .
- ويقال : « خانه العهد أو الأمانة » أي في العهد أو الأمانة فهو خائن ، جمع خَوَّان وخانة وخونة .
- ويقال خانته سيفه : نبا عن الضريبة ، وخانه الدهر : غير حاله من اللين إلى الشدة .
- ويقال : خانته رجلاه إذا لم يقدر على المشي .
- ويقال : خان الدلو الرشاء إذا انقطع .
- ويقال : خونه أي نسبه إلى الخيانة ، واختانه بمعنى خانته ، واستخانته أي حاول خيانتها ، والخَوَّان والخَوَّان ، الكثير الخيانة^(١) .
- ويقال : إن في ظهره لخوناً أي ضعفاً وهو من خانته ظهره - وتخون فلان حتى إذا تنقَّصه كأنه خانته شيئاً فشيئاً وكل ما غيرك عن حالك فقد تخونك قال لبيد : تخونها نزولي وارتحالي .
- وأما تَخَوَّنَتْهُ : تعهدته فمعناه تجنبت أن أخونه وكان رسول الله (ص) يتخوفهم بالموعظة . والحمى تتخونه تتعهدته وتأتيه في وقتها .
- ويعلم خائنة الأعين « وهي النظرة المسارقة إلى ما لا يحل - وفرسه الخَوَّان أي الأسد . وأعوذ بالله من الخوان وهو يوم نفاذ المسيرة^(٢) .
- ومن جملة معاني الخيانة نستنتج أن الخيانة تتمحور حول نقض العهد وعدم

النصح ، وتغيير الحال الذي كان عليه ، وفعل خلاف ما ينبغي والمعنى الإصطلاحي لا يخرج عن هذه المضامين .

الخيانة في المصطلح

الخيانة في معناها الإصطلاحي هي نقض ما أبرم وتغيير ما اتفق عليه واستبداله بضده وعدم الإلتزام به نظرياً أو علمياً ، فردياً أو جماعياً ، معنوياً ، أو مادياً من الناحية الخاصة أو العامة ، وعلى المستوى العقائدي أو الفكري أو الاجتماعي أو الإعلامي أو السياسي أو التربوي لا بل في مختلف شؤون الحياة .

من أسباب الخيانة : ١ - ضعف الإيمان ٢ - الجبن ٣ - الطمع .

١ - ضعف الإيمان

إن صفتي الإيمان والخيانة لا تجتمعان في إنسان ، وذلك لأن الإيمان قوة ، باعتبار أن المؤمن يرتبط بالله كلي القوة والعزة والعلم ، والخيانة جهل وضعف وذل ، وعدم الثقة بالله ، الخالق ، الرازق ، الرافع ، الخافض ، بحيث يتوسل الخائن لتحقيق مصالحه بكل ما يبعده عن العزة الإنسانية ، ويربطه بكل المعاني الهابطة . . . لذلك كان ضعف الإيمان سبب من أسباب الخيانة .

٢ - الجبن

والجبن والخوف من الأقوياء الظلمة ، يمكن أن يجبر الجبان إلى الخيانة اتقاء لأذى الظالمين وطمعاً في عطاءاتهم ، لذلك كانت الخيانة خيطاً من نسيج قلة الإيمان والدين .

ولا يخفى أن من الخيانة وضع الإنسان في موقع لا يستحقه أو لا يستطيع القيام بمهامه ، وكذلك من كان عمله وجهده لا يخدم المجتمع المؤمن ، أو لا ينفعه ولا يطوره ، على أي مستوى من المستويات ، فإن هذا الشخص يعتبر خائناً بشكل من الأشكال . . .

وهكذا فإن ضعف النفس وضعف الإيمان أمام قوة العدو كلها تؤدي إلى الخيانة .

٣ - الطمع

والطمع سبب من أسباب الخيانة لأنه بسبب الطمع يمكن أن تقبل الرشوة مثلاً والرشوة خيانة وكذلك الإستغلال والإحتكار والسرقة ، وكلها خيانات سببها الطمع .

٢ - هل مفهوم الخيانة مفهوم نسبي ؟

مفهوم الخيانة يتفاوت بالنظر للمعتقد والممارسة لمجموعة معينة من الناس ، أو لمجتمع معين وقد يرى مجتمع من المجتمعات أن إنساناً ما يعتبر خائناً ، ونفس هذا الشخص لا يعد كذلك في مجتمع آخر . ويصدق هذا على مستوى الدول والمنظمات والأحزاب وذلك لأن الحق واحد لا يتجزأ فإسرائيل مثلاً مهما تجملت وتبحجت وتظاهرت بالحضارة والعدالة والديمقراطية المزيفة فهي ظالمة كافرة ، وتابعة لأكبر دول الإستكبار العالمي ومنفذة لسياستها وهي خائنة لتعاليم الأنبياء (ع) وخصوصاً النبي موسى (ع) الذي تدعي اتباع تعاليمه ، وكل من تعتبره إسرائيل خائناً فهو في الحقيقة ليس بخائن ، والذي تعتبره أميناً فهو خائن بكل ما للكلمة من معنى .

٣ - الخيانة آفة المبادئ

الخيانة آفة الآفات ومفسدة المفاسد .

وإذا وجدت في إنسان ما باعتبارها حالة مرضية تصيب الإنسان فتحوله من قادر إلى عاجز ومن مقاوم لكل المغريات إلى أول من يسقط أمامها مسلوب الإرادة والعقل والكرامة فيصبح إنساناً آخر ، مضراً بمجتمعه وأهله وكل من يلوذ به إذ أنه في بعض اللحظات قد يتخلى عن خصوصيته الإيمانية وأخلاقيته ويعمد إلى خيانة مجتمعه ودينه وصداقاته وأماناته ومصيره ، ويتحول إلى منافق ويحترف الخيانة ، فيعرض نفسه للبيع بأي ثمن ، ودافعه الأساسي حب الدنيا وهوايته التي يتلذذ بها أذى الناس .

والعمل السياسي والعقائدي في بلادنا - يعاني من آفة الخيانة والسبب أن

مجتمعنا يفتقر إلى الثبات في العقيدة الإيمانية والأخلاق الفاضلة لذلك فإن عدداً كبيراً من الشباب ينتقلون من تنظيم إلى تنظيم ، حباً بالجاه أو طمعاً بالمال على قاعدة الوصولية والانتهازية فيؤدي ذلك إلى خيانة الأمة والبلاد .
وهكذا يسقط قادة ، وأفراد ، ومشاريع ، نتيجة للإزدواجية التنظيمية والعقائدية والسلوكية . . .

فالجميع في عرف هذه المبادئ والتنظيمات يعتبرون خائنين لمبادئهم لأنهم يعملون لحزب أو تنظيم معين وفي نفس الوقت يعملون لحساب جهات أخرى . . . وهذا يختلف عن معنى الخيانة التي نحن بصدد الحديث عنها وذلك لأن خيانة الخائنين أمانة ، وأمين الخونة أخون الخائنين .

الخيانة المطلقة خيانة الإسلام

إن الخيانة العظمى لا بل المطلقة ، هي خيانة العقيدة الإسلامية ، والشريعة الإلهية ، وإن المؤمن هو من يحمل قناعة إيمانية ويعمل لصالح معتقده ، ومن البديهي أن الالتزام بمبدأ معين يعني العمل بكل تشريعاته وقوانينه فترك أو إهمال أو إغفال بعض التشريعات الإسلامية ، يعد إيماناً ببعض الكتاب وكفراً ببعض الآخر ، وفي هذا خيانة لله ولرسوله ﷺ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب ﴿١﴾ .

ومن يقصر عمداً من العاملين أو أصحاب الرأي والحل والعقد عن أداء واجباته الاجتماعية والسياسية والعقائدية يدخله ذلك في باب الخيانة إن لم يكن معذوراً .

وهكذا نرى أن الخيانة ذات مساحة واسعة تشمل كل مسألة صغيرة أو كبيرة مما أوتن عليه الإنسان . . .

[١] سورة البقرة : الآية ٨٥ .

٤ - الجاسوسية والإسلام

لا يقرّ الإسلام مبدأ التجسس على المسلمين ، قال تعالى : « ولا تجسسوا » وهذا لا يعني أنه يترك الأعداء يسرحون ويمرحون ويعملون لتخريب المجتمع الإسلامي ، بل يبتّ الحاكم الإسلامي المراقبين في صفوف الأعداء ويسمون « العيون » .

التعامل مع العملاء

ويجب الحذر الشديد عند التعامل مع العملاء ، لأنك إذا قدرت على شراء عدوك فلن تستفيد منه إلا مؤقتاً ، وقد يخونك عندما يشتريه الآخرون بأعلى مما اشترته لذلك لا ينبغي الوثوق بالعملاء من الأعداء وعلينا أخذ الحذر منهم ، وإنما يستفاد منهم ضمن دائرة محدودة وبخطة مدروسة .

٥ - الخيانة في منظور الإسلام

المؤمن لا يخون ، ولا دين للخائن : عن الصادق (ع) « يجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب » (٣) .

إنّ جبلة الإنسان هي تكوينه النفسي وطبائعه الذاتية سواء أكانت خيرة أم شريرة ، ويمكن أن يجبل الإنسان على كل طبيعة وصفة وهذا أمر معلوم ومشاهد أما الإنسان المؤمن الحق فإنه لا يمكن أن يجبل على صفتين : الخيانة والكذب ، لأن الإيمان يبتني في الأصل ، على الصدق والتصديق بالله ورسله ورسالاته . فإنه لا يتعايش مع الخيانة والكذب والخائن ليس بمؤمن وكذا الكذاب باعتبار أن الكذب شكل من أشكال الخيانة .

وعن علي (ع) « الخيانة أخو الكذب » (١٣) .

فالأخ يعني الشقيق ويعني الند ، والشبه والمماثل .

والخيانة شبيهة كل الشبه بالكذب لا بل هي كفوء له ، وبواطنها وسلبياتها هي بواطنه وسلبياته .

فالأصل هو الكذب والخيانة فرعه وكل خائن كاذب وكل كاذب غادر .

وعن الصادق (ع) قال : « بني الإنسان على خصال فهمها بني عليه فإنه لا يبنى على الخيانة والكذب »^(٤) .

وعن علي (ع) : « الخيانة دليل على قلة الورع وعدم الديانة »^(٥) .

يقال : ورعت الرجل عن الأمر : كففته عنه ، فالورع يعني الكف عن المحارم والآثام^(٦) فإن خان المرء قلّ ورعه ، وانعدم إيمانه ودينه .

وقد قال الباقر (ع) « المؤمن لا يخون »^(٧) .

وذلك لأن الإيمان يهذب النفس ويصقل الغرائز ويوجهها ، وينير العقل ويخلص الإنسان من الشوائب .

وعن رسول الله (ص) : « ليس منا من خان بالأمانة »^(٨) .

إنّ المؤمن هو الإنسان الذي قطع كل رابطة إلا ما يربطه مع الله وشريعته ، وتخلّى عن كل علاقة سوى العلاقات التي تؤدي إلى رضا الله سبحانه ، فإيمانه يجعله أميناً ، وصادقاً . . . وصدقه وأمانته ، في القول والعمل انعكاس لإيمانه بالله جل جلاله ، ومن خان الأمانة ، خسر إيمانه ، وخرج من دائرة أهل الإيمان والإسلام . . . لأن خيانة المسلمين في أموالهم وأهليهم ، خيانة للمبدأ قبل أن تكون خيانة للأشخاص .

والخيانة خصلة ليست من جبلة المؤمن ولا من طبيعته . . لأنها ليست من طبيعة أتباع رسول الله (ص) وأهل بيته الهداة الميامين . . .

قال رسول الله (ص) : « ليس منا من يحقر الأمانة حتى يستهلكها إذا استودعها وليس منا من خان مسلماً في أهله وماله »^(٩) .

ومن الواضح أن من قال لا إله إلا الله ، محمد رسول الله حرم ماله وعرضه ونفسه ، ولا تجوز خيائته أو التعدي عليه ، لأن المسلم هو من سلم الناس من يده ولسانه ، والمؤمن من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم .

وعن علي (ع) : « جانبوا الخيانة فإنها مجانبة للإسلام »^(١٠) .

جانب الشيء أي وقف منه جانباً وابتعد عنه ، ومجانبة الخيانة يعني الإبتعاد عنها ، لأن عدم مجانبتها مجانبية للإسلام ، ولأن الإسلام من السلام ، والسلام أمن وأمان ، والخيانة أذية ومكر وخديعة .

وعن الحسن بن محبوب قال : « قلت لأبي عبد الله (ع) : يكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم . قلت : فيكون جباناً ؟ قال : نعم . قلت : فيكون كذاباً ؟ قال : لا ، ولا خائناً . . . ثم قال : « يجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب » (١١) .

فليتأمل أصحاب النہی ، وليتدبر ذلك أولو الألباب . .

أداء الأمانة علامة الإيمان

ويقول الإمام الصادق (ع) : « لا تغتروا بكثرة صلاتهم وصيامهم فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة » (١٢) .

لا ينفع اللهج بالصلاة ولا الإمتناع عن الطعام والشراب في شهر الصوم ، إلا إذا اقترن ذلك بعفة وورع وتقوى وبصدق حديث وأداء أمانة .

فلا يعقل أن يصدق مع الله من يكذب مع الناس ولا يعقل أن يؤدي أمانة الله من يخون أمانات الناس ولا يكون المؤمن مؤمناً حتى يأتمنه الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، والصلاة أمانة الله ومال الجار أو الصديق أمانة الناس . فلا تقبل الصلاة إذا خين الجار أو الصديق في أمانته ، ولا يقبل منا الصوم إذا همزنا ولزنا ، وغدرنا ، وخنا ، وأفشيننا السر ، وشهّرنا بالآخرين . .

الخيانة مكر وخديعة وغدر وإفك

إن المكر خيانة . . والخديعة خيانة . . والخيانة مكر وخديعة . . فكل من يمارس ذلك فليس من المؤمنين ، وإن من يجد في نفسه القدرة على المكر أو الخديعة أو الخيانة فلا يغتر ولا يتكبر لأن ذلك شر له إن لم يلجم نفسه ويحاربها ويمنعها عن ذلك ، والله تبارك وتعالى أقدر القادرين وخير الماكرين . .

قال رسول الله (ص) « من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع ، فإني سمعت جبرائيل يقول : إن المكر والخديعة في النار ثم قال : ليس منا من غش ، وليس منا من خان مؤمناً »^(١٤) .

وعن علي (ع) : قال « الخيانة غدْر »^(١٥) .

إن الغدر يعني الإخلال بالشيء وتركه والغدر يقال لترك العهد ومنه قيل (فلان غادر) والجمع غدرة^(١٦) وعلى هذا الأساس كانت الخيانة غدراً ، لأن الخيانة كالأخذ بترك العهد والإخلال بالشيء وتقلب في المواقف وعدم ثبات بالأقوال ، والخيانة إنحراف عن الحق ، وتمسك بالباطل .

فعن علي (ع) : « الخيانة صنو الإفك »^(١٧) .

إن الإفك هو كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه ، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب مؤتفكة قال تعالى : ﴿ والمؤتفكات بالخاطئة ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ .

أي يصرفون عن الحق في الاعتقاد إلى الباطل ، ومن الصدق في المقال إلى الكذب ، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح . . .^(١٨) .

وعلى هذا الأساس كان الخيانة صنو الإفك والصنوي يعني الشبيه والند والكفو والمائل وما شاكل والخيانة هي المنطلق للنفاق ، لا بل هي رأسه وأساسه .

الخيانة رأس النفاق

عن علي (ع) : « الخيانة رأس النفاق »^(١٩) .

إنَّ النِّفاق هو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب ، وعلى ذلك نبه بقوله : ﴿ إنَّ المنافقين هم الفاسقون ﴾ أي الخارجون من الشرع وجعل الله المنافقين شرّاً من الكافرين ، فقال : ﴿ إنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾^(٢٠) .

وبقدر ما في النفاق من الخبث والمراوغة وعدم الثبات في أمور الدين والعقيدة والشريعة ، فالخيانة أدهى وأمر لأنها رأس النفاق ، ولا يقوم جسد بلا

رأس ، فالخيانة تقوّي النفاق وتدعمه ، لا بل منها يتفرع النفاق على جميع الصعد .

وعن علي (ع) قال : « إِيَّاكَ والخيانة فإنها شر معصية ، فإنّ الخائن لمعذب بالنار على خيانتة » (٢١) .

يقال : عصي عصيانياً إذا خرج عن الطاعة وأصله أن يمتنع بعصاه ، وعصي معناه فارق الجماعة وشقّ عصا الطاعة . والمعصية واحدة من المعاصي وهي القيام بالخروج عن الطريق السوي والدخول في المتاهات التي تؤدي إلى الضلال . والخيانة هي شر معصية (٢٢) .

وكما بيّنا فإنّ كل خائن منافق وكل منافق خائن . . فالخلف بالوعد ، وخيانة الأمانة ، والكذب في الحديث موبقات ثلاث فمن كانت فيه هذه الخصال كان منافقاً حتى وإن صام وصلى ، فالنفاق يحبط كل عمل ، ويلغي كل ثواب . . .

يقول الرسول (ص) : « ثلاث من كن فيه كان منافقاً ، وإن صام وصلى ، وزعم أنه مسلم من :

- ١ - إذا ائتمن خان .
- ٢ - وإذا حدّث كذب .
- ٣ - وإذا وعد أخلف .

الخيانة رأس الكفر

عن علي (ع) : « رأس الكفر الخيانة » (٢٣) .

مهما تعاظمت الذنوب فالكفر أعظمها ، والخائن هو من ستر الحق وكفر به ، لأن الكفر خيانة لأمانة الله ورسوله ، وخيانة للعهد والميثاق الإلهيين ، وللقوانين الربانية الفطرية والتشريعية ، لذلك فإن الخائن كافر .

لا تخن . . حتى الكافر

عن أبي تمامة قال : دخلت على أبي جعفر (ع) وقلت له : جعلت فداك إني رجل أريد أن ألزم مكة وعليّ دين للمرجئة فما تقول : فقال : إرجع إلى مؤدّي دينك وانظر أن تلقى الله عز وجل وليس عليك دين فإن المؤمن لا يخون^(٢٤) .

الإمتناع عن إيفاء الدين خيانة ، والمؤمن لا يخون ، فيجب الاداء حتى ولو كان صاحب المال كافراً . وإذا لم يؤد الدين عن قصد ولو إلى كافر ولقي الإنسان ربه ، لقيه وهو عليه غير راض .

وبعضهم يظن أن لا مانع من خيانة الكافر ، وينسى ، أن ذلك في الظروف الإجتماعية الإعتيادية ، بالإضافة إلى مفاعيله السيئة على المستوى النفسي ، فإنه يعبر عن خلقية انحرافية عن الإسلام ، فضلاً عن آثاره السلبية على انتشار الرسالة .

لذلك كان على المؤمن أن يؤدي الأمانة لمن ائتمنه برأ أو فاجراً ، مؤمناً أو كافراً . . .

الإستهانة بالأمانة خيانة

عن علي (ع) : « من استهان بالأمانة وقع في الخيانة »^(٢٥) .

استهان بالشيء أي أهمله ولم يعطه قدره من الإهتمام .

وإذا حصل الإهمال جاءت النتائج سلبية ، لأن من يقصر في عمل أوكل إليه القيام به يعد خائناً لهذا العمل ، والعمل أمانة ، ولذلك من ائتمن على شيء ، ولم يؤده كما ينبغي أو استهان به وقع في الخيانة . . .

من خان في مال حسب عليه من رزقه

عن أبي عبد الله (ع) وهو يحاسب وكيلاً له والوكيل يكثر أن يقول : والله ما خنت ، فقال له أبو عبد الله (ع) : « يا هذا خيانتك وتضييعك علي مالي سواء ، إلا أن الخيانة شرّها عليك ثم قال : قال رسول الله (ص) : « لو أن أحدكم فرّ من

رزقه لتبعه حتى يدركه كما أنه إن هرب من أجله تبعه حتى يدركه . ومن خان خيانة حسبت عليه من رزقه وكتب عليه وزرها «(٢٦)» .

شرّ الخيانة على من فعلها ، والمخون وإن فقد ماله فإنه لا يخسر أجره عند الله وكما أن الأجل لا بد مدرك الهارب منه ، وكذلك الرزق فإنه سيدرك صاحبه ، فالقوانين الربانية قضت بأن يصل إلى كل إنسان رزقه ، وإن أية عملية إنقاص أو سرقة أو خيانة في المال فإنها في الواقع ، لا تؤثر في المدى الطويل على رزق الإنسان ، وإنما أثرها السلبي على الخائن أو الباحس الناس حقوقهم أو المطفف في المكيال والميزان ، لأن ما يظن أنه قد ربحه أو زاد في رزقه ، إنما ينقص من مجموع رزقه ، ويحسم ، ويختزل ، ويربح الوزر ، لأنه أساء الظن بالله ، وأساء إلى عبد من عباد الله ، واعتدى على أموال الناس أو خان الأمانة . ولا ننسى أن نقول ان الذين يخونون المجتمع بأن يتاجروا بالمحرمات (من أفيون وحشيش وكل أنواع المخدرات) ، ويجمعون الملايين ، يحسبون أنهم أصبحوا أغنياء ، وينسون أن ما نالوه ، وحصلوا عليه كان سيصلهم إن كان من رزقهم من طرق الحلال ، وإلا فإنهم سيخسرونه بألف طريق (أمراض ، حوادث ، مشاكل) ، وإن لم يخسروه في حياتهم فإن ذلك سيكون بعد وفاتهم وعلى أيدي أولادهم وورثتهم .. وفي كل الحالات فإن الخيانة تلحق بفاعلها ، وتحسب من رزقه ، وإن المخون لا ينقص من رزقه شيء .

لا تخن من خانك

عن رسول الله (ص) « لا تخن من خانك فتكون مثله » «(٢٧)» .

إنّ الإسلام يأمر برّد الحجر من حيث جاء لأن الشر لا يدفعه إلا الشر ، إلا أن هذا يعني دفع الظلم وعدم القبول بالضيم ، ولكن رد الخيانة بمثلها غير مسموح به ولا يقبل ، لأن الذي يرد الخيانة بخيانة مثلها يعد خائناً .

والخائن مردول في الدنيا والآخرة .

عن علي (ع) « لا تخن من ائتمنتك وإن خانك ولا تشن عدوك وإن شانك » «(٢٨)» .

إنَّ المحافظة على الأمانة واجب مقدس وقد جاء في الحديث الشريف : « لا نخن من ائتمنك وإن خانك » .

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [١] .

والشين يعني التجريح والتشهير وإظهار المعاييب والنقائص في الآخرين .

وهذا العمل ليس له مبرر في الدين الإسلامي حتى ولو كان ضد من عاداك، ولا شك أن هذا ينحصر ضمن إطار المجتمع الإسلامي، إذ تحصل في حالات كثيرة اختلافات حول بعض الأمور، فتؤثر على النفوس وتخلق نفوراً بين الأشخاص، لذلك لم يسمح الإسلام بشين الآخرين من الذين تختلف معهم في الموقف أو الرأي من أهل الإسلام والإيمان، لأن المطلوب العمل لجمع القلوب وتوحيد الكلمة، ورص الصفوف . أما الأعداء، أعداء الله، من الذين يجاربون الله ورسوله فإن الموقف منهم يختلف، وإن بغوا واعتدوا على المسلمين، فلا بد من كشفهم وتعريضهم في مواقفهم ومخططاتهم لأنهم أهل بدع أو كفار . . .

عن سليمان بن خالد قال : « سألت أبا عبد الله عن رجل وقع لي عنده مال وكابري عليه وحلف ثم وقع له عندي مال فأخذه مكان مالي الذي أخذه وأجحدته وأحلف عليه كما صنع ؟ فقال : إن خانك فلا تخنه، فلا تدخل فيها عبته عليه » (٢٩) .

. . . لا تجوز الخيانة، حتى لمن لنا عليهم حق، فكيف نقع في عيب نحن نعييهم عليه .

فنحن نرفض أن يخوننا الآخرون، وكذلك علينا أن نرفض أن نخون الآخرين حتى ولو كان لنا عليهم حقوق فالعيب فينا كالعيب في الآخرين، والخيانة منا كالخيانة من الآخرين والكل محرم وسيحاسب الخائنون حساباً عسيراً . . .

[١] سورة المائدة : الآية ٨ .

« فعن معاوية بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : « الرجل يكون لي عليه الحق فيجحدني ثم يستودعني مالاً ، ألي إن أخذ مالي عنده قال : لا هذه خيانة » (٣٠) .

وعن محمد بن القاسم قال : « سألت أبا الحسن (ع) : عن رجل استودع رجلاً مالاً له قيمة . والرجل الذي عليه المال رجل من العرب يقدر على أن لا يعطيه شيئاً ، والرجل الذي استودعه خبيث خارجي فقال (ع) : « قل له يرد عليه ماله فإنه ائتمنه عليه بأمانة الله » (٣١) .

الوديعة إمانة الله على المرء المستودع ، وخيانة الوديعة خيانة لله وليس لصاحبها ، فحذار من خيانة الودائع والأمانات لأنها ودائع الله وأماناته ولو كان أصحابها خوارج .

عن علي بن الحسين (ع) : « عليكم بأداء الأمانة فوالذي بعث محمداً (ص) بالحق نبياً لو أن قاتل أبي الحسين بن علي (ع) ائتمني على السيف الذي قتله به لأديته له » (٣٢) .

... دائماً تأكيد على أداء الأمانة والحفاظ عليها .

... ودائماً لا فرق بين المؤمنين - عرباً كانوا أم عجماً ، أصدقاء كانوا أم أعداء . حتى ولو كانت الأمانة السيف الذي قتل به علي (ع) أو الحسين (ع) فيجب رده إلى صاحبه ولا تجوز خيانتة .

التنكر للفرائض الإلهية خيانة

عن الباقر (ع) في قوله تعالى : « لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم » فخيانة الله والرسول معصيتهما وأما خيانة الأمانة فكل إنسان مأمون على ما افترض الله عز وجل (٣٣) .

فليس إنكار المال خيانة فقط ، ولا إنكار المتاع ولا نسيان الوعد ، أو إهمال العهد هو خيانة فحسب ، بل إنه عصيان لله وعدم إطاعة الرسول وتنكر لرسالته السمحاء ، وإهمال الفرائض العبادية ، وترك ما أمر الله ، كل هذا هو خيانة .

أكبر الخيانة أن تكون أميناً للخونة

عن الإمام الجواد (ع) : « كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة » (٣٤) .

الأمانة صفة أهل الإيمان ، والمؤمنون يشكلون وحدة إجتماعية متكاملة ، لها أهدافها وسلوكها وأعمالها المميزة ، والمطبوعة بطابع العبودية لله ، والإلتزام بأوامره ونواهيه . فالروابط الإيمانية مؤسسة على قاعدة العلاقة التفاعلية الإيجابية بين أهل الإيمان ، وهداية جميع الناس والإحسان إليهم . إلا أن أية علاقة أو رابطة تؤدي إلى تقوية التيارات المنحرفة ، والقيادات الفاسقة أو الظالمة ، أو إعطاء شرعية لهم ، أو تشكيل غطاء لممارساتهم فلإنها تصب في خيانة أعداء الله وأعداء رسوله وهي محرمة بشكل عام ، لذلك فإن خدمة الخونة والظلمة ومساعدتهم ، والأمانة لهم ، والتوظيف في دولتهم بحيث يؤدي ذلك إلى إعلاء شأنهم ، وتصليب وضعهم في مواجهة القوى المؤمنة يعد من أكبر الخيانة على الإطلاق .

ادخار الدرهم عن المؤمن وعدم إعانته خيانة

عن أبي هارون المكفوف قال : قال لي أبو عبد الله (ع) : « يا أبا هارون إن الله تبارك وتعالى آلى على نفسه أن لا يجاوره خائن قال : قلت : وما الخائن ؟ قال : من ادخر عن مؤمن درهماً أو حبس عنه شيئاً من أمر الدنيا » (٣٥) .

إن كل ما في الكون ، وما في الأرض كله لله ، وما يملكه الناس هو ملك إعتباري والملك الحقيقي هو الله ، والناس مستخلفون على المال ووكلاء عليه ، وعليهم أن يتصرفوا بالأموال حسب ما يريد الله ، إنتاجاً وتبادلاً واستهلاكاً .

والملك في الأساس للأمة والشعب كما قال تعالى :

﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ .

وقال أيضاً : ﴿ ولا تؤثروا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ [١] .

[١] سورة النساء : الآية ٥ .

فكل من يجبس درهماً أو يمنع متاعاً ، عن أخ له وهو بحاجة إليه يعد خائناً ، والله تبارك وتعالى آلى على نفسه أن لا يجاوره خائن .

فعن أبي عبد الله (ع) قال : « ما من مؤمن ضيع حقاً ، إلا أعطي في باطل مثليه ، وما من مؤمن يمتنع من معونة أخيه المسلم ، والسعي له في حوائجه قضيت أم لم تقض إلا ابتلاه الله بالسعي في حاجة من يأنم عليه ولا يؤجر به . وما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضى الله إلا ابتلي أن ينفق أضعافها فيما يسخط الله » (٣٦) .

وعن الصادق (ع) أيضاً أنه قال : « أيما رجل من أصحابنا استعان به رجل من اخوانه في حاجة فلم يبالغ بكل جهده فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » (٣٧) .
إن إعانة المستعين ، وإغاثة المستغيث ، وكفاية المحتاج كلها أمور حث عليها الشرع الحنيف ، وادخر الله تعالى لصاحبها جزيل الثواب .

والذي لا يجهد في سدّ حاجة المحتاج ، ولا يسعى في عون المستعين يكون خائناً لله وللرسول وللمؤمنين . فخيانة الله تعالى في عدم مساعدة عباده ، وخيانة الرسول (ص) في عدم عون أتباعه ومريديه وأنصاره ، وخيانة المؤمنين في عدم إغاثة المحتاج منهم وإدراك اللهيف وإعانة الضعيف فأيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً وهو يحتاج إليه ، مع قدرته عليه من عنده أو من عند غيره ، حشره الله يوم القيامة - كما جاء في الخبر - مسوداً وجهه مزرقة عيناه مغلوله يده إلى عنقه ، فيقال هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به إلى النار .

الخائن يشغل نفسه بغير نفسه

عن علي (ع) : « الخائن من شغل نفسه بغير نفسه وكان يومه شراً من أمسه » (٣٨) .

شغل الإنسان بنفسه جهاد أكبر ، وشغله بغيره خيانة .

فمن اشتغل بغيره جلب الشر لنفسه فلا يشتغلن أحد بغير نفسه ، وإلا أصابه البلاء وأحاطت به النقم وقلاه ربه ، وأبعده عن مجالسهم المؤمنون .

والخائن في تراجع مستمر ، فمستواه الإجتماعي والنفسي والحياتي في هبوط لأنه يسلك درب الإنحدار الإنساني بخيانتته ، لذلك كان يومه شراً من أمسه ، وهو إلى النقصان لأنه لا يرى الزيادة في نفسه ، ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة .

من الخيانة : عصيان الرحمن ، وأذى الجيران ، وبغض الأقران ، والقرب إلى الطغيان :

عن رسول الله (ص) : « أما علامة الخائن فأربعة : عصيان الرحمن ، وأذى الجيران ، وبغض الأقران ، والقرب إلى الطغيان » (٣٩) .

- عصيان الرحمن ، وعدم إطاعته ، وفعل المنكرات ، من علامات الخائن .

- والتعدي على الجيران وأذيتهم ، وعدم مراعاة حقوقهم التي فرض الله لهم من علامات الخيانة .

- الحقد ، والضعينة ، والشنآن والبغضاء للاخوان والأقران ، وعدم الإحسان إليهم ومحبتهم وعدم التفاعل معهم خيانة .

- ومجاورة الطغاة ، ومعاشرة الظلمة ، والقرب من الجبابرة ، والمتسلطين من علامات الخائن .

- فالخذر الخذر من هذه الآفات . . . والإبتعاد الإبتعاد . . . عن هذه السيئات .

خيانة الخل الودود ونقض العهود

عن علي (ع) : « غاية الخيانة ، خيانة الخل الودود ونقض العهود » (٥٠) .

الخلّ هو الصديق والرفيق والصاحب .

والودود هو الذي يكنّ الودّ لغيره ، والخل الودود هو من أفضل الأخلاء والأصحاب والعهد يعني الوعد ، والإتفاق على شيء محدد ، لا يجوز انتهاكه أو الإخلال به ، وهذا النوع من الخيانة هو غاية الخيانة ورأسها . كيف لا ، وهي

موجهة ضد إنسان أخلص لك الود ، ومحضك النصيحة ، وأحب لك الخير ، وأترك على نفسه ، وودك وأحبك ، فإذا بك تقلب له ظهر المجن ، ولا تحفظ له إلا ولا ذمة ، وكأنه لك عدو وليس بصديق حميم . . . إن هذا غاية الخيانة ، وكذلك فإن العهود إذا نقضت ، والمواثيق إذا أخل بها ، بعد عقدها وتوكيدها ، والقبول بمضامينها وتيقن الآخرين من صحة الأقوال هو أيضاً غاية الخيانة .

خيانة العلم أشد من خيانة المال

عن رسول الله (ص) : « تناصحوا في العلم فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانتة في ماله » (٤١) .

التناصح يعني أن ينصح بعضنا بعضاً .

والتناصح في العلم هو بذل العلم للمتعلم وفق شروط وأهداف محددة :

الأول : أن يكون التعليم والتعلم قربة لله وباسم الله ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق . . . ﴾ وتحقيقاً لأهداف الإسلام التي يتوخاها من العلم والعالم والمتعلم .

الثاني : أن لا يراد بالتعليم تحصيل منصب أو تفاخر أو طلب جاه أو دنيا ، أو تحقيق غلبة على من يعتبر خصماً ، أو إظهار معرفة وعلم .

الثالث : أن يكون هذا العلم علماً نافعاً (اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع) .

الرابع : استخدام الأسلوب الأفضل لتقريب المعاني للأذهان ، واختيار أفضل الوسائل لإيصال المعلومات إلى المتعلم .

الخامس : عدم كتمان العلم لأن « من كتم علماً يعلمه أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

وأي نقص أو فقدان لأحد هذه الشروط ، عن قصد ، يعدّ خيانة علمية ، وخيانة العلم تعني خيانة الحق والحقيقة ، وهي أعظم من خيانة المال الذي هو مجرد وسيلة للعيش وتأمين الحاجات .

خيانة الوديعة أفحش خيانة

عن علي (ع) : « أفحش الخيانة خيانة الودائع » (٤٢) .

الودائع (مفردها وديعة) هي ما يودع عند الغير بشكل أمانة ، ويصبح الحفاظ عليها أمراً ضرورياً وواجباً .

ومن خان الوديعة وفرط بها عدّ خائناً ، وخيانتته من أفحش الخيانات . . .
وذلك لأن من أودع عنده وديعته ، أودعها لإعتقاده بأمانة هذا الشخص ،
ولذا به يتفاجأ بخيانتته للوديعة . . . وهل بعد هذه الخيانة أفحش منها .

أعظم خيانة خيانة الأمة والأئمة

عن علي (ع) : « إن أعظم الخيانة خيانة الأمة وأفظع الغش غش الأئمة » (٤٣) .

. . . لماذا تكون خيانة الأمة أعظم الخيانات ، وغش وخيانة الأئمة ،
والقيادة الشرعية من أفظع أنواع الغش ؟ .

السبب في ذلك هو أن الخيانة عندما تكون على نطاق فردي فإن ضررها محدود بحدود فرد ، أو أفراد من المجتمع ، وأما إذا كانت على مستوى الأمة ، فيعني أن الضرر والأذى والإفساد سوف يشمل المجتمع بكل أفراد ، وكلما كانت المساحة التي تغطيها الخيانة أوسع ، كلما كانت الخيانة أعظم ، وخصوصاً أن الإنسان الذي يعيش في المجتمع الإسلامي ينبغي أن يعمل لتماسك هذا المجتمع ، وعدم الإضرار به ، والإساءة إليه ، لذلك وجّه الإسلام أتباعه ليعيشوا همّ بناء الدولة والمجتمع ، واستمراره وتطوره ، وذلك عن طريق نصح أئمة المسلمين وقادتهم ، وعدم غشهم لأن النصيحة هي الله ولرسوله وللأئمة كما ورد .

الأمان يوم القيامة لتارك الخيانة

عن أبي الحسن الثالث (ع) : قال : « كان فيما ناجى موسى ربه إلهي ما جزاء من ترك الخيانة حياء منك ؟ قال : يا موسى له الأمان يوم القيامة » (٤٤) .

إن ترك الخيانة أمان يوم القيامة من الفزع الأكبر ، وهذا الأمان غاية عظمى لا يعادلها شيء ، ولا تقدر بثمن .

أما لماذا الأمان يوم القيامة لمن ترك الخيانة ، حياة من الله تعالى ؟ .

. . . الأمان لتارك الخيانة ، لأن الخيانة تخلق حالة من البلبلة والقلق عند الفرد المخون أو المجتمع ، لما تخلقه من أوضاع ، وتوجده من نقص وخلل في موازين الإستقرار الإجتماعي والنفسي ، ولما لذلك من آثار على المستوى المستقبلي . فمن ترك الخيانة حياةً وخوفاً من الله تعالى ، فقد ساعد على استقرار الحياة الإجتماعية والفردية ، وأشاع الطمأنينة والسلام ، بحيث يثمر ذلك توجهاً صافياً نحو الله ، وتعاملاً ملتزماً مع الشريعة فيستحق الأمان يوم القيامة .

من خان جاره في شبر من الأرض ، طوّق به عنقه حتى يوم القيامة

في خبر المناهي قال النبي (ص) : « من خان جاره شبراً من الأرض جعلها الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرضين السابعة حتى يلقي الله يوم القيامة » (٤٥) .

الشبر من الأرض قدر بسيط من هذه الدنيا الواسعة جداً ، وخيانة هذا الشبر منها جزاؤه كبير ، وكبير جداً يوم القيامة .

وذلك لأن الخيانة في الشبر تعني الخيانة كل الخيانة . والذي يخون في القليل يخون في الكثير ، ويدل ذلك على وجود قابلية الخيانة عنده في كل الأحوال . فالخائن في الشبر خائن في كل شيء ، وخيانتته يمكن أن تمتد أفقياً لتشمل كل مال ، وكل عرض ، وكل أرض ، ولما كانت الخيانة ذات امتدادات أفقية ، كانت العقوبة ذات امتداد عمودي ، بحيث يتحول شبر من الأرض ليصبح طوقاً في عنق الخائن ، بدايته من الشبر الذي خان فيه إلى تخوم الأرض السابعة ، يربط به حتى يلقي الله عز وجل يوم يقتص من الخونة والمجرمين وذلك يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وروى المجلسي عن النبي (ص) : أنه أمر من ينادي بالمسلمين : « ردوا الخيط والمخيط فإن الغلول عار وشنار يوم القيامة فأقبل رجل معه قبضة شعر كان قد أخذه وقال أخذته لأخيط سرج بعيري فأعفاه رسول الله (ص) من سهمه ،

وأمره أن يدفع قيمة سهام سائر المسلمين ليوزع عليهم .

وروى المجلسي أيضاً بأن المجرمين يعرفون بسيماهم^(٤٦) .

نستنتج مما سبق : ان كل ما خان به الإنسان فإنه لا ينفصل عنه يوم القيامة ، بل يحمله على ظهره . . نعم ، يحشر الإنسان يوم القيامة ويحمل معه مثل ذنبه حتى يعرف أهل المحشر سبب استحقاقه للعقوبة . . . وإن العار والشنار من علامات البؤس والذل والمهانة فكل من يغفل يصيبه هذا العار والشنار ، ويصبح معروفاً به ، ويحشر في عداد المجرمين الذين يعرفون بسيماهم^(٤٧) .

سر المؤمن أمانة وإفشاؤه خيانة

عن أمير المؤمنين (ع) قال : « إذاعة سر أودعته غدر »^(٤٨) .

وعن عبد الله بن سنان عن الصادق (ع) : « قال : قلت له « عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ قال (ع) نعم - قلت تعني (سِغْلِيهِ) قال (ع) : ليس حيث تذهب إنما هو إذاعة سره »^(٤٩) .

وعن الرسول (ص) : « إفشاء سر أخيك خيانة فاجتنب ذلك »^(٥٠) .

سر الإنسان عورة فمن أذاع سر إنسان أو أفشاه يكون قد كشف له عورة من عوراته ، وهذا محرم في الشرع تحريماً مؤكداً لأن عورة المؤمن على المؤمن حرام .

وهكذا فإن مَنْ أفشى سرّاً لأخيه المؤمن فقد خانته ، ومن شهّر بعيب مؤمن سواء أكان ظاهراً أو مستوراً فقد خانته ، ومن نقض عهداً أو أهمل وعداً ، ضرب بينه وبين أخيه فقد خانته . . . فاجتنب ذلك . . .

ويقول آية الله دستغيب : « إن كشف ما سمعه الإنسان أو رآه دون رضى المتحدث عدّ خائناً بالأمانة ولا فرق في الحرمة بين إشاعة سر العدو والصديق ، والصالح والطالح ، ولا فرق أكان صاحب السر قد جعله عنده أمانة ، أو بنحو الصدقة » .

كاتم السر من الذين يستظلون بظل عرش الله

عن الإمام موسى بن جعفر (ع) قال : « ثلاثة يستظلون بظل العرش (عرش الله) يوم لا ظل إلا ظله : رجل زوج أخاه المسلم أو خدمه أو كتم سره » (٥١) .

قد يستظل المرء في الدنيا فيأوي إلى فيء الأشجار ونحوها ، خوفاً من أذى حرارة الشمس التي هي - كما في الخبر - جرة من جمرات جهنم . ولكن من يحميه من نار الله الموقدة إن خان أخاه في سر له أفشاه . . .

وهل هناك نعمة أعظم وفضل أكبر من أن يقبله الله ، لأن يستظل بظل عرشه سبحانه وقاية له من لظى النار التي سجّرها لمعانديه . . . وهذه المرتبة لا تكلف هذا المرء إلا دريهمات قليلة ، يساعد فيها أخاه على الزواج لبيعده عن المحرمات . أو يخدمه خدمة تفيده في دنياه وآخرته ، أو يكتم سره ولا يفشيه تعبيراً عن الأمانة لأن كتمان سر المئمن أمانة وإفشاءه خيانة .

المجالس بالأمانات

ورد في الحديث « المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس :

- ١ - مجلس سفك فيه دم حرام .
- ٢ - ومجلس استحל فيه فرج حرام .
- ٣ - ومجلس استحل فيه مال حرام بغير حقه » (٥٢) .

إذا أشيع خبر مجلس سفك فيه دم حرام لا تكون هذه الإشاعة غدرًا ولا خيانة . . .

وإذا أفشي سر مجلس استحل فيه فرج حرام فإن ذلك لا يوجب القصاص والذنب . . إذا كان ذلك حسب أحكام الشرع . وإذا أذيع ان مجلساً ما استحل فيه مال حرام بغير حقه ، كان هذا العمل واجباً ولا شيء على المذيع والمخبر إذا ما راعى القواعد الشرعية .

ولأ فكيف يعرف المجرم ؟ وكيف يعرّى ؟ وكيف يصل صاحب الحق إلى حقه ، بالدليل الدامغ والشهادة الصادقة ؟ .

أمانة المجالس إذا كان لا يستحل فيها حرام ، أما إذا كانت بؤرة فساد ، ومقر تعدٍ على الحرمات والأموال فلا حرمة لهذه المجالس وإذاعة ما يحدث فيها أمر شرعي ضمن شروط محددة وذلك لإبانة الحق وإيصاله إلى أصحابه .

لا تطلع صديقك من سرّك إلّا ما لا يضرّك إذا انكشف

عن الإمام موسى بن جعفر (ع) قال : « لا تطلع صديقك من سرّك إلّا على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرّك فإن الصديق قد يكون عدوك يوماً » (٥٣) .

صديق اليوم يمكن أن يصبح عدو الغد ، فلا تطلع صديقك من سرّك على شيء يضرّك لو اطلع عليه عدوك فالسر ملكك وأسيرك ما لم تبج به ، وسرّك إن حفظته ، لم يقوَ أحد على أن يؤذيك بشيء ، أو يسيء إليك لأن بنيانك متين ، وبإفشاء السر يصبح معرضاً للسقوط . . .

الغُلُول (الخيانة في المغنم) عار وشنار يوم القيامة

يقال غُلَّ يَغْلُ غُلُولاً : خان في المغنم خاصة . . .

وأغْلَى إِغْلَالاً : خان مطلقاً لأن الخيانة في الحاليتين أخذ شيء على خفاء وقد ورد منه في خيانة المغنم الماضي والمضارع مدغماً : غُلَّ يَغْلُ .

مفككاً : غَلَّلَ يَغْلُلُ والغُلُول يعني الدبابة في المغنم (٥٤) .

وقال رسول الله (ص) : « ألا لا يَغْلُنُ أحدٌ بغيراً فيأتي (فيؤتى) به على ظهره يوم القيامة له رُغاء .

ألا لا يَغْلُنُ أحدٌ فرساً فيأتي (فيؤتى) به يوم القيامة على ظهره له حممة فيقول : يا محمد (ص) فأقول قد بلغت لا أملك من الله شيئاً » .

وقد قيل في معنى الغلول : « إنّ الغلول هو الخيانة في الاموال المأخوذة من الكفار والواقعة تحت تصرف المسلمين قبل تقسيمها وقال، البعض الآخر : بأن الغلول هو مطلق الخيانة ومنها الخيانة في الغنيمة قبل القسمة » .

وقد قال تعالى : ﴿ ومن يغفل يأت بما غلّ يوم القيامة ثم توفي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن بء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ [١] .

ولا شك أن أي عمل يقوم به المرء أو أية معصية يرتكبها يأتي بها يوم القيامة ليعاقب عليها أو يشاب . وشتان بين من يتبع رضوان الله وبين من يبوء بسخط الله فالأمين المرضي لله له جنان الخلد خالد فيها منعم ، والخائن له جهنم وبئس المصير .

قال تعالى : ﴿ فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ [٢] .

﴿ إن الله لا يحب الخائنين ﴾ [٣] .

وإذا وقعت الخيانة وقع العقاب ، والعقاب على قدر الجناية فامرأتا لوط (ع) ونوح (ع) خانتا زوجيهما بتركهما تنفيذ أوامر الله ، ومساعدة أعداء الله ، فكان إن وردتا النار مع الواردين .

ولم يغني عنهما زواجهما من النبيين الكرميين من عذاب الله شيئاً ، لأن الله عز وعلا يكره الخيانة ويمقت صاحبها ولا يحب الخائنين (٥٧) .

لا تحن . . . حتى عدوك

عن الإمام الصادق (ع) : « اتقوا الله وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم فلو ان قاتل عليّ ائتمني على أمانة لأديتها إليه ، اتقوا الله وأدوا الأمانة إلى الأسود والأبيض وإن كان حروياً ، وإن كان شامياً (أموياً) » (٥٨) .

لا تجوز خيانة الأمانة حتى لأعدى أعدائك ، فانظر في أمرك جيداً ، ودقق في تصرفاتك ، ولا تدع العصبية تسيطر عليك أو تأخذك الحمية الجاهلية ،

[١] سورة آل عمران : الآية ١٦١ - ١٦٢ .

[٢] سورة التحريم : الآية ١٠ .

[٣] سورة الأنفال : الآية ٥٨ .

فصاحب الحق يجب أن يؤدي إليه حقه ولو كان حبشياً أم قرشياً ، مسلماً كان أم كافراً ناصبياً كان أم شامياً (أموياً) .

وسأله رجل : الناصبي يحل لي اغتياله ؟

قال (ع) : « أد الأمانة إلى من ائتمنك وأراد منك النصيحة ولو إلى قاتل الحسين (ع) » (٥٩) .

فالنصيحة أمانة فمن استنصحك فانصحه ، واحض له النصيحة ، فإن لم تفعل تكون خنت الأمانة ، وخالفت قول الله والرسول والأئمة (ع) .

وعن الحسين الشيباني قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : رجل من مواليك يستحل مال بني أمية ودماءهم وإنه وقع لهم عنده وديعة ؟

قال (ع) : « أدوا الأمانة إلى أهلها وإن كانوا مجوساً » (٦٠) .

... حتى المجوس ، عبدة النار - أعداء الله . . يجب أن تؤدي أمانتهم ، وكذلك أمانات بني أمية وأمانات كل الناس مهما اختلفت مشاربهم وعقائدهم يجب أن تؤدي أيضاً . . . فما أعظم الإسلام ! .

وقال الإمام الصادق (ع) : « إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة إلى البر والفاجر » (٦١) .

صدق الحديث أمانة ، وهو وصية الله للأنبياء ، فمن ائتمر بوصية الله هذه ، عليه بصدق الحديث وأداء الأمانة ، ولا فرق بينهما بين بر ولا فاجر .

لا تشتري خيانة حتى لا تكون كمن خانها

وقال رسول الله (ص) : « من خان أمانة في الدنيا ، ولم يردّها إلى أهلها ثم أدركه الموت مات على غير ملتي ويلقى الله وهو عليه غضبان » .

وفي حديث آخر : « فيؤمر به إلى النار ، فيهوى به في شفير جهنم ، ومن اشترى خيانة وهو يعلم فهو كالذي خانها » (٦٢) .

الخائن لا يمت بأية صلة إلى الإسلام ، ويلقى الله وهو عليه غضبان ،

ولن يكون مأواه إلا في جهنم ولا فرق بين من يخون الأمانة ، ومن يشتري الخيانة ، وهو يعلم أنها خيانة . . . فإذا علم أنها خيانة ثم اشتراها بعدُ خائناً وإثمه إثم من يخون ويغدر ويغل .

الخيانة تخرب البيوت

عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : « أربعة لا تدخل واحدة منهن بيتاً إلا خرب ولم يعمر بالبركة :
١ - الخيانة ٢ - السرقة ٣ - وشرب الخمر ٤ - والزنا » (٦٣) .

البركة تعني الزيادة والنمو ، وبالبركة تعمّر البيوت ، وبالصدق والأمانة تقوم الدول ، وتبنى المجتمعات ، وبالأخلاق الفاضلة ، وبالعفة عن المحارم ، تتحقّ السيادة والعزة والكرامة ، وبدونها لا يقوم بنيان .

والخيانة خصلة من أربع خصال (السرقة ، وشرب الخمر ، والزنا) ، تعتبر من الأسباب المخربة للبيوت ، وللمجتمعات ، وجميع هذه الخصال تمت إلى الخيانة في الجوهر ، وهكذا فإن الخيانة تعني هدم أسس البناء الاجتماعي واقتلاع جذور شجرة الخير ، بحيث لا تنمو ولا تكبر .

الخيانة تجلب الفقر

قال رسول الله (ص) : « الأمانة تجلب الغنى والخيانة تجلب الفقر » (٦٤) .

أمانة وخيانة . . غنى وفقر ، مفردات متقابلة ، ومتضادة ، فالأمانة مع الغنى قبلة العاقلين العارفين والخيانة مع الفقر سمة المنافيين ، الجاحدين لنعم الله ، وأعجب ما يصادف الإنسان ، أن يرى عبداً يعرف أن الخيانة تقوده إلى الفقر وغضب الرب واحتقار الناس ثم يخون ، والأعجب أن يرى عبداً يعرف أن الأمانة تقوده إلى الغنى ويقرب من رضا الرب واحترام الناس ، ولا يحافظ عليها .

أما لماذا تجلب الأمانة الغنى والخيانة الفقر ؟ فذلك يعود إلى أن الناس ، عندما يعتقدون بأمانة شخص ، فإن تعاملهم معه يكون على أساس الثقة به ويعمله ، فإن كان تاجراً فإن المتعاملين معه سيكثر ، وتربح تجارتهم وتقوى ،

وكذلك إن كان صانعاً أو صاحب مهنة فإن الناس ستقبل على ما يصنع ، أو على الاستفادة من خبرات هذا الإنسان ، أما الخيانة إن اشتهر بها إنسان سواء أكان تاجراً أو زارعاً أم صاحب عمل ومهنة ، فإن الناس ستبعد عنه وتتركه ، وهذا ما يجلب الفقر . . . ولكل نعمة سبب ، وكذلك لكل عقوبة أو نعمة علة لأن الله أبى أن يجري الأشياء إلا بأسبابها فجعل لكل شيء سبباً .

وعن الصادق (ع) : امرأة في المدينة كان الناس يضعون عندها الجواري فيصلحن ، وقلنا ما صبَّ عليها من الرزق ؟ فقال (ع) : « إنها صدقت الحديث ، وأدت الأمانة ، وذلك يجلب الرزق » (٦٥) .

الناس كل الناس ، يقبلون على من يصدقهم الحديث ويؤدي لهم الأمانة . ولو كان هؤلاء الناس غير صادقين وغير مؤتمنين .

والمرأة المذكورة في الرواية حصلت على ثقة الناس فاقبلوا عليها ، ووضعوا أماناتهم لديها ، فصدقت معهم بما عاهدتهم ، وأدت أماناتهم محفوظة ، لذلك أعطوها ما رغبت فزاد الرزق عليها ، لأن من السنن الإلهية في الحياة أن صدق الحديث وأداء الأمانة يجلب الرزق .

بادر بالأمانة ولا تسمع لوسوسات الشياطين

عن الإمام الصادق (ع) : أنه قال : « من ائتمن على أمانة فأداها فقد حل ألف عقدة من عنقه من عقد النار فبادروا بالأمانة فإن من ائتمن على أمانة وكَّل به إبليس مائة شيطان من مرده أعوانه ليضلوه ويوسوسوا إليه حتى يهلكوه إلا من عصم الله عز وجل » (٦٦) .

العاقل من خاف من عذاب الله ، وعمل للإبتعاد عن النار وعذابها ، ولا يكون ذلك إلا بأداء الأمانة ، وإبطال وسوسة الشيطان ، ومرده أعوانه . والجاهل الجاهل من ترك لنفسه الجبل على الغارب ، تذهب به يميناً وشمالاً . . لا يرعوي عن غي ، ولا يأبه لحق ، بل يمد يده لخيانة أمانته ويسمع لشياطين الإنس والجن ، الذين يدعونه للهلاك بممارسة الخيانة .

- وعن أبي عبد الله (ع) قال : « يقول إبليس لعنه الله : ما أعياني في ابن آدم فلم يعينني منه واحدة من ثلاث :
- ١ - أخذ المال من غير حله .
 - ٢ - أو منعه من حقه .
 - ٣ - أو وضعه في غير وجهه » (٦٧) .

محمد (ص) الصادق الأمين

يقول آية الله دستغيب : « ينقل في أحوال رسول الله (ص) ان قریشاً كانت تلقبه قبل الإسلام بالأمين وتودع عنده متاعها وأموالها ، وكذلك سائر طوائف العرب الذين يغدون إلى مكة المكرمة في موسم الحج ، وهكذا كانت حالهم معه بعد الإسلام ، ولما عزم (ص) على الهجرة إلى المدينة استخلف مكانه أمير المؤمنين (ع) وأمره أن ينادي في الأبطح كل يوم صباحاً ومساءً : من كانت له عند محمد (ص) أمانة فليأت أردّها إليه » (٦٨) .

قدوة الأئمة

ويقول آية الله دستغيب : « حين وصل سيد الشهداء (ع) إلى الحاجز من بطن الرمة ، كتب إلى مسلم بن عقيل وشيعته في الكوفة قائلاً : أما بعد فقد ورد علي كتاب مسلم بن عقيل ، يخبرني باجتماعكم على نصرنا والطلب بحقنا - فسألت الله أن يحسن لنا الصنع ويثيبكم على ذلك أعظم الأجر . وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة ، فإذا قدم عليكم رسولي فأنكمشوا في أمركم فإني قادم في أيامي هذه وبعث الرسالة مع قيس بن مسهر الصيداوي فسار إلى الكوفة ، وفي القادسية قبض الحصين بن نمير التميمي على قيس بن مسهر الصيداوي وكان ابن زياد أمره أن ينظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان ومنها إلى القطقطانة ولما أراد أن يفتشه أخرج قيس الكتاب وخرقه .

وجيء به إلى ابن زياد فقال له : لماذا خرقت الكتاب ؟ .

قال : لثلاث تطلع عليه ، فأصر ابن زياد على أن يخبره بما فيه فأبى قيس

فقال : إذن اصعد المنبر وسب الحسين وأباه وأخاه أو لأقطعنك إرباً فصعد قيس المنبر وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ، وأكثر من الترحم على أمير المؤمنين والحسن والحسين (ع) ولعن عبيد الله بن زياد وبني أمية ثم قال : أيها الناس أنا رسول الحسين إليكم وقد خلفته في موضع كذا فأجيبوه فأمر ابن زياد أن يرمى من أعلى القصر فرمي وتكسرت عظامه ومات .

ويقال : كان به رمق فذبحه عبد الملك بن عمير اللخمي ، فعيب عليه قال : أردت أن أريحه . ولما وصل خبر مقتله إلى الحسين (ع) سألت عيناه دموعاً وقرأ قوله تعالى : ﴿ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ . ثم رفع يديه بالدعاء وقال : « أَللّهُم اجْعَلْ لَنَا وَلَهُم الْجَنَّةَ وَاجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي مَسْتَقَرٍّ مِنْ رَحْمَتِكَ وَرَغَائِبٍ مِنْ ذُخُورِ رَحْمَتِكَ » .

٦ - أقسام الخيانة

يورد آية الله دستغيب في كتابه « الذنوب الكبيرة » تفسيرات للخيانة نذكرها ملخصة :

١ - الخيانة ثلاثة أقسام :

خيانة أمانة الله تعالى .

خيانة أمانة الرسول (ص) .

خيانة أمانة الناس .

معنى خيانة الله ورسوله

روي عن الإمام الباقر (ع) : « . . . فخيانة الله ورسوله معصيتهما ، وأما خيانة الأمانة فكل إنسان مأمون على ما افترض الله تعالى عليه » .

أمانة الله

قال سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ

أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴿١١﴾ .

« لقد ذكرت وجوه عديدة لبيان ما المراد بالأمانة ؟ ومنها نعمة العقل . وبناء على ذلك يصبح معنى الآية :

إنّا عرضنا العقل والتكليف على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وذلك لعدم امتلاكها قوة الإستعداد بحسب الخلقة ، وأشفقن منها لصعوبة تحمل الأمانة وشدة عذاب الخيانة وحملها الإنسان لامتلاكه الإستعداد انه كان ظلوماً بحمله هذه الأمانة حيث رجح القوة الغضبية على العقل ، وخان الأمانة الإلهية باتباعه القوة الشهوية جاهلاً بشدة عقوبة الخيانة لأمانة الله .

٧ - الأمانة بالنسبة للعقل والتكليف

إنّ الإنسان يكون أميناً للعقل وذلك عندما يجعل العقل حاكماً في جميع الحالات ويكون أميناً بالنسبة للتكاليف الإلهية وذلك :

- ١ - بأن يسعى لتعلمها ومعرفتها .
- ٢ - وأن يقبلها بقلبه وروحه ويعمل على أساسها .

أمير المؤمنين (ع) القدوة في تأدية الأمانة

« ولقد ورد أن علياً (ع) كان إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل ويتلوّن فيقال له : ما لك يا أمير المؤمنين ؟

فيقول : جاء وقت الصلاة ، وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها » (٧٠) .

بلغوا أحكام الدين

من المؤسف أن أكثر الناس في هذه الحقبة الزمنية يخونون الأمانة الإلهية لأن

[١] سورة الأحزاب : الآية ٧٢ .

همهم الأوحـد الدنيا وملذاتها لذلك أصبحت تكاليف الله متروكة ، مهمة ، المطلوب من الناس في كل عصر ومكان أن يتعلموا ويعلموا ويعملوا بالأحكام الشرعية .

خيانة الرسول (ص)

في حديث يجمع عليه المسلمون : « أن رسول الله (ص) قال : إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي »^(٧١) .

وقد ذكر في المجمع - أن سبب التعبير عن القرآن والعترـة بالثقلين هو ثقل اتباعهما وصعوبته والإنسان يكون أميناً للقرآن بالمداومة على تلاوته .

وتعلم معارفه وحقائقه .

والتأثر بمواعظه .

والعمل بتعاليمه ومبادئه وأحكامه .

خيانة القرآن الكريم

إن الرسول (ص) يكون يوم القيامة خصماً لمن يخون القرآن الكريم وقد قال تعالى : ﴿ وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً ﴾^[١] .

ذرية الرسول (ص) أمانة

أمّا بالنسبة إلى عترـة رسول الله (ص) فيجب الاعتقاد بأنهم الحجة والواسطة بين الإنسان وبين الله ويتبع المؤمن في جميع أقواله وأفعاله ما صدر عنهم (ع) .

ومن جملة أداء الأمانة لآل محمد (ص) ، تبجيل أسمائهم ، وذكر مناقبهم ، وفضائلهم ، والحزن لحزنهم والفرح لفرحهم ، والتبرك بزيارة قبورهم .

[١] سورة الفرقان : الآية ٣٠ .

الأمانة مالكية وشرعية

الأمانة على قسمين :

- أمانة مالكية .
- أمانة شرعية .

١ - الأمانة المالكية

هي أن يكون للشخص مال يدفعه لآخر بقصد الأمانة سواء كان هدفه هو التأمين وذلك ما يسمى الوديعة ، أو أن هدفه الإنتفاع فيضع المال أمانة بيد غيره ، كالإجارة (الإنتفاع بما استأجره) أو العارية (الإنتفاع المجاني) ، أو الرهن (جعل رهينة بيد الدائن في مقابل الدين) ، أو مال المضاربة بيد العامل التاجر ، فبالجملة فإن المال الموضوع بيد الأشخاص المذكورين هو أمانة بأيديهم من قبل صاحبه .

٢ - الأمانة الشرعية

وهي أن لا يكون المال مدفوعاً لآخر بعنوان الأمانة بل هو بحكم الشرع أمانة ، والأمثلة على ذلك عديدة منها :

- أن يقع مال شخص بيد آخر قهراً ، كما لو حملت الرياح لباس شخص ونقلته إلى منزل جاره .
- أو ضاع حيوان ودخل منزل شخص آخر .
- أو شراء بضاعة ويظهر فيها مال للبائع .
- أو مال مسروق فإنه لا يستطيع السارق أو الغاصب التصرف شرعاً به ، بل يبقى في يده أمانة .

خيانة أمانة الناس

إذا كان في يده مال لغيره (أمانة مالكية أو شرعية) يجرم عليه خيانتها ، والخيانة تحصل بأمور ثلاثة :

١ - التعدي على الأمانة : ويكون بالتطاول والتصرف بها بما لم يسمح به صاحبها .

٢ - التفريط بالأمانة : وهو أن يقصر في حفظها ، ويتسامح فيما يلزم عرفاً حفظها به .

٣ - المسامحة في رد الأمانة : إن كان المقصود من الأمانة مجرد حفظها ، ففي أي وقت طلبها صاحبها وجب على من بيده الأمانة فوراً تسليمها حتى لو كان صاحب المال كافراً حريباً .

كما ويجب إعادتها حينما يخاف عليها من التلف ، وإن لم يكن ميسوراً له إعادتها لصاحبها فإنه يسلمها إلى الوكيل أو الحاكم الشرعي حسب الترتيب^(٧٢) .

٨ - أشكال الخيانة

١ - خيانة الأصدقاء : إذ أن من خان صديقه ، فإنه قام بفعل شنيع كما سبق وذكرنا .

٢ - خيانة الأمة والأوطان : كإفشاء أسرار البلاد ، والجيش الإسلامي والإقتصاد ، أو تسليمها لأعداء الله . . وهل هناك أكبر من أن يخون الإنسان وطنه ، أو جيشه بإعطاء المعلومات للعدو أثناء الحروب وفي أي وقت فتقع البلاد في أيدي الأعداء ويمزق الجيش والوطن شر ممزق ، لا لشيء إلا لأن أحد الخونة قام بعملية مساومة . . . لقاء منفعة دنيئة . . وكانت النتيجة ضياع الوطن ، ونحسران الحرية والاستقلال .

وهذه الخيانة هي من أكبر الخيانات إذ تؤدي إلى احتلال وتضييع البلاد ، وتشكل عاملاً خطيراً يهدد بناء المجتمع والوطن ، وتبث الفرقة والشتات بين أهله . . والخيانة في كل الحالات تبعد صاحبها عن نور الإيمان والحق .

عدو . . ولكنه غير خائن

إن أي فرد أو جهة أو نظام لا يدين بدين الحق ويعتق مبادئ ونظم مخالفة لنظام الإسلام ، إن آذى أهل الإيمان ، أو تأمر عليهم أو فعل ما يعرقل مسيرتهم

لا نسميهم خونة للإسلام ، بل هم أعداء الإسلام الواضحون . . نعم هم خونة لقضية الإنسان والإيمان ضمن الإطار الأشمل ، وهذا لا يتعلق بموضوع حديثنا . . .

تكليف غير الأكفاء بالمسؤولية خيانة للمبدأ والأمة

إن المجتمع ، أو المسؤول الذي ينحي القادر ويولي العاجز وهو يعلم يعدّ خائناً لمجتمعه بدرجة من الدرجات وإلا ما هو وجه الحكمة في ذلك سوى الخيانة لمصالح الناس ، والأمة والمسيرة الإسلامية على مدى الزمن .

قال رسول الله (ص) : « من استعمل رجلاً على عصابة ، ومنهم من هو أرضى الله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

فالأمة الخائنة والتي لا أمانة فيها ولها هي الأمة التي تحكم بشريعة الشفاعات والوساطات والمحسوبيات ، ولا تجعل وزناً لأقدار الرجال الأكفاء ، بل تهملهم وتقدم من هم دونهم .

وروى أنه جاء رجل يسأل رسول الله (ص) : « متى تقوم الساعة ؟ فقال (ص) : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . فقال وكيف إضاعتها ؟ قال (ص) : إذا أسند الأمر لغير أهله » .

ومن الخيانة أن لا يحرص المرء على أداء واجبه كاملاً في العمل الذي يناط به ، وأن لا يستنفد جهده في إبلاغه تمام الإحسان وأن لا يسهر على حقوق الناس التي وضعت بين يديه ، وأن يستغل الرجل منصبه الذي عين فيه لجر منفعة إلى شخصه أو قرابته ، ومن يرتبط به بأي شكل من الأشكال .

قال (ص) : « من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً . . . فما أخذه بعد ذلك فهو غلول (خيانة) » . وقال (ص) : « إذا حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة . . . » .

نعم إذا مات الضمير انتزعت الأمانة ، وهيهات أن تستقر الأمانة في قلب منكر للحق ، لذلك نجد أن الذين غلبهم الظلم والجهل ، خانوا ونافقوا وأشركوا فحق عليهم العقاب ، ولم تكتب السلامة إلا لأهل الإيمان والأمانة . . . ليعذب

الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً .

خيانة الأمة والمجتمع

إن الوقوف ضد مصلحة المجتمع الإسلامي وفي الصف المعادي للأمة الإسلامية هو خيانة . والخيانة تكون على مستويين : على مستوى فردي وعلى مستوى المؤسسات والأعمال .

قد يخون الأفراد قناعاتهم الفكرية والسياسية ، ويبوحون بأسرار تضر بمصلحة المسلمين وتنفع الأعداء . وقد يقف الإنسان موقفاً سياسياً في لحظة معينة لصالح أعداء الأمة ، وهو يعتقد بأن هذا الموقف قد يؤدي إلى تصحيح في وضع الأمة بينما هو في الحقيقة يخدم الأعداء ، والسبب في ذلك أنه لم يرجع إلى ركن وثيق ، ولم يلتزم بأوامر القيادة الشرعية لذلك يضيع ويضيع .

ولا ينفع الإنسان تبججه أو ادعائه للإسلام إن لم يتبع خط ولاية النبي (ص) وأهل بيته والقادة العلماء من مراجع الأمة وفقهائها ، لا سيما فقيهاها الأعظم وقائدها الملهم ، إمام الأمة الخميني (رضوان الله تعالى عليه) . . .

ـ أما على مستوى المؤسسات والأنظمة والتنظيمات التي تزعم أنها تعمل لصالح الإسلام ، وهي في حقيقة الأمر مرتبطة بالمصالح الإستعمارية ، وتدور في فلكها ، حتى وإن رفضت بعض الشعارات اللاإسلامية ، أو أظهرت أنها تعمل لمصلحة الطائفة أو الثورة . . . فإنها إن لم تلتزم خط الولاية للفقير العادل الجامع للشرائط في زمن غيبة الإمام الحجة (عج) ، تكون في خط الانحراف والتحريف .

الخيانة العلنية وسرية

والخيانة قد تكون علنية وقد تكون سرية .

إن الخيانة العلنية هي أن يشتهر الإنسان بمخالفته لأوامر الله تعالى ، ويتخذ المواقف التي تضر بمصالح الأمة والمسلمين على المستوى الفردي أو العام .

أما الخيانة السرية فهي غالباً ما تكون خيانة للأمة وذات طابع سياسي أو أممي وقد تكون على المستوى الخُلقي (الذين يختانون أنفسهم) .

خيانة النفس وخيانة الغير

إن من مصاديق خيانة النفس أن يعرف الإنسان الحق ويقف ضده ، فيكون من المغضوب عليهم ، ومن انحرف عن الحق قصداً فهو خائن لنفسه ، وقد تكون الخيانة خلقية أو أسرية أو تربوية .

- أما خيانة الغير فذات مستويات :

- خيانة الأفراد من أصدقاء وأقرباء وجيران .

- وخيانة الأمة والجماعة المسلمة .

- وخيانة الإسلام والمبدأ .

- وهناك خيانة عقائدية فكرية وتسمى النفاق (المنافق يبطن الكفر ويظهر الإسلام) .

- وهناك خيانة إجتماعية كخيانة المسكين والفقير والمستضعف والوقوف ضد مصلحة هؤلاء ، ومعاونة ناهبي ثروات الشعب على فعلتهم ، والدخول في المنظمات أو اللجان التي ظاهرها العمل للمستضعفين والفقراء وباطنها الغصب لحقوقهم وحب الظهور والشهرة . . . ويأتي هنا موضوع منع الفقير حقّه ومنع الماعون والمساعدة .

قال تعالى : ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ [١] .

وجاء في الخبر : « أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو عند غيره أقامه الله يوم القيامة مسوداً وجهه مزرقة عيناه مغلوله يدها إلى عنقه فيقال : « هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به إلى النار » (٧٣) .

وفي خبر آخر : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع » (٧٤) .

[١] سورة المعارج : الآية ٢٥ .

بناء العلاقات الإجتماعية الفاسدة خيانة

لا تروج المفاسد إلا من خلال التقاليد البالية ، فإذا ما حوفظ على الأوضاع السائدة راجت العادات السيئة وأثمرت ثماراً سيئة ومضرة وإذا أريد للمفاسد أن تقتلع من المجتمعات فيجب محاربة الإنحراف الأخلاقي .

والكل يعلم أن المفاسد الرائجة ، وثبات التقاليد والأوضاع البالية يجلب الضرر والأذى وهذا شكل من أشكال الخيانة يدخل ضمن دائرة الخيانة للمجتمع .

إن التنسك حالة سلبية إذا ما اقترنت بعدم القيام بأي عمل إيجابي يدل على نية سليمة ، وممارسة مستقيمة فأني فائدة من تنسك وتعبد لا يوجب أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر ، والصلاة التي هي عمود الدين لا تقبل إلا بشرطها . ومن شروطها دفع الأموال المستحقة للفقراء والمعوزين (من خمس ، وزكاة ، ونحوها) .

وإلا ماذا يستفيد هؤلاء الفقراء المحتاجون من هؤلاء الأغنياء الذين لا يدفعون ما عليهم من حقوق ثم يصلون ويصومون . . . وكفى ! وهل تتحقق بذلك عدالة أو يقام حق . . .

الخيانة الإقتصادية والمالية

إن الخيانة الإقتصادية تتعلق بالنظام الإقتصادي المطبق من جهة صلاحه ، وفساده ، وبحقوق الأفراد في المجتمع وتأثير التطبيقات الإقتصادية على مستوى المعيشة . . .

ومن مظاهر الخيانة المالية والإقتصادية :

المافيا - لعبة الدولار - الحشيش - الأفيون - المساعدات المشبوهة والإحتكار .

المافيا : المافيا منظمات عالمية ، لها فروع إقليمية . . . وعناصرها مؤهلة تأهيلاً عالياً على مختلف أساليب الظلم وسرقة الشعوب ، وربما كانت بشكل مؤسسات صناعية أو تجمعات حزبية أو عصابات إرهابية تعمل وبشكل دقيق متقن على نهب ثروات الفقراء والشعوب المستضعفة لتجعلها بعد تجربتها من

قدراتها خاضعة للسياسة الإستعمارية . . .

لعبة الدولار : لعبة الدولار هي لعبة خبيثة مجرمة يقوم بها كثير من أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة بدعم من حكام البلاد الظالمين كما يحصل وحصل في لبنان وفي بلدان أخرى . واعتقادهم أن إسقاط قيمة العملة ورفع الأسعار بشكل جنوني كاف لتركييع المناهضين للأنظمة الظالمة الحاكمة ، والمتآمرة مع العدو خارج البلاد وهذه الإجراءات والأساليب الشيطانية في خانة الخيانة الإقتصادية والاجتماعية في آن معاً .

الحشيش والأفيون وكافة أنواع المخدرات : إنها مزروعات مضرّة ضرراً أكيداً وكبيراً على مستوى الأخلاق والأبدان ، يقوم بزراعتها جماعات لا تقيم للأخلاق وزناً ولا للدين قيمة ، واستعمالها يروج الفساد والانحراف ، ويقلل من الزراعات المشروعة التي هي جزء من غذاء الناس اليومي ، فإذا قلت هذه المزروعات المشروعة ارتفعت أسعارها بسبب زيادة الطلب عليها ، وبما أن معظم أفراد المجتمع ، فقراء وغير قادرين على تأمين حاجياتهم الضرورية فإن الشرخ يكبر بين فئات الشعب (الفقراء والأغنياء) .

المساعدات المشبوهة :

ويتعمق الإرباك والقلق الإجتماعي ، وتدخل الأصابع الخبيثة إلى صلب المجتمع وتنتشر فيه المفساد بحجة إنقاذه من آلامه وهمومه التي يزرع تحتها أو تجعله ينسى ولو شيئاً يسيراً من هذه الآلام والمتاعب ، أو تعتمد إلى استعمال هؤلاء الفقراء ضمن لعبتهم الخبيثة بإعطائهم بعض الأموال والمساعدات المشبوهة بحجة إغاثتهم ، إلا أن الهدف هو تركيع الشعب المستضعف ، وإذلاله وإبعاده عن خط الإسلام العزيز . . . وهذا كله خيانة إقتصادية ما بعدها خيانة . . .

الإحتكار : الإحتكار أسلوب تجاري لثيم يقوم به جماعات جشعة لا يقف طمعها وحدها للمال عند حد . وهذه الجماعات هي التي تتحكم برؤوس الأموال فتشتري السلع الإستهلاكية وتخزنها في مستودعاتها التي أعدتها لهذا الغرض ، وتعرض من هذه السلع الشيء القليل ومتى فقدت السلع واحتاج الناس إليها

رفعت أسعارها ، وتحكمت بالسوق وجمعت من ذلك الأموال الطائلة ، وهذا العمل خيانة إقتصادية وإجتماعية .

الخيانة السياسية : الخيانة السياسية تتمثل في الحكم الظالم والإستعانة بالأعداء ضد الأمة الإسلامية ، وتتمثل أيضاً باتباع مناهج سياسية غير مدروسة ، واعتماد أشخاص لا خبرة لهم ولا إخلاص أو عندهم الأخلاص ولكن ينقصهم الخبرة ، أو عندهم الخبرة ولكن ينقصهم الأخلاص ، وهذا يؤدي إلى ضرر كبير ، وبالتالي يؤخر المسيرة ويعرقل سيرها . . . مع أنه من الواضح أن المسيرة الإسلامية ليست حقل تجارب بهدف إجراء دورات لبعض الأشخاص ليتدربوا على الممارسة السياسية ، والفهم السياسي على حساب مصير الأمة ومستقبلها ، وهذا يدخل ضمن دائرة الخيانة السياسية .

الخيانة العسكرية : الخيانة العسكرية من أسوأ أنواع الخيانة وأضرها بالأمة ، وتعود الخيانة العسكرية إلى ضعف الإيمان وعدم الوعي والإخلاص ، مما يؤدي إلى تغلب العدو عسكرياً نتيجة خيانة أفراد أو قواد . . . إذا ما أغراهم العدو بالمال أو غيره فإنهم يبيعونه الأمة ، ويعطونهم معلومات تفيد في حربه وهذا قمة الخيانة .

خيانة الأعداء : إن خيانة الأعداء لبست مذمومة بل هي مطلوبة وتدخل ضمن دائرة الأمانة . فإن المؤمن الذي يقدر على خيانة العدو ويخونه لا يعد خائناً بل يعد من أهل الأمانة وينبغي أن يكافأ من قبل القيميين لأن عمله يصب في خيانة العمل الشريف ، المجاهد . . . لأنه كما قال (ص) : « الحرب خدعة » .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « الوفاء لأهل الغدر عند الله والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله » (٧٥) .

وخيانة الأنظمة الفاسدة ضرورة وعمل ثوري من أجل خدمة المستضعفين ونشر الأمن والأمان في المجتمع .

الأمانة من مواصفات القيادي المسلم : الأمانة والكناءة من صفات القيادة الإسلامية . . .

فالقائد الإسلامي أمين وكفوء ، لأن الأمانة ضرورة من ضروريات

الأخلاق ، والعمل الإسلامي . . . فالمسلم المؤمن لا يخون لا بقول ولا بفعل . .
ويقدم الإمام زين العابدين (ع) صورة رائعة للقائد الإسلامي أو القيادي
الإسلامي الرائد ، فيقول (ع) :

« إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه وتخاضع في حركاته وتساكن في
منطقه وتطامن في شخصه وشمر عن ثوبه وقصر من خطوته فرويداً لا يغرنكم فإن
كثيراً من يفعل ذلك لضؤولة شخصه وقصر همته فينصب الدين فخاً للدنيا
يستجذب به حطامها .

فإن وجدتموه يزهد في مال حرام وإن كثر ويرغب في مال حلال وإن نذر
فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا كيف حبه للدنيا وزينتها وزخارفها وشهواتها ، لأن
كثيراً من يترك ذلك كله ثم يحمل نفسه على شواء قبيحة فيأتي بها مجرماً فإن
شهوات الخلق مختلفة .

فإن وجدتموه لا يرغب بالدنيا ولا بزينتها ولا زخارفها ولا في شهواتها فرويداً
ولا يغرنكم حتى تنظروا كيف حبه للرياسة الباطلة حتى إذا قيل له : اتق الله
أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم وبش المهاد .

فإن وجدتموه يشنأ السمعة ولا يحب الرفعة ولا يحب الرياسة بالباطل ،
فرويداً لا يغرنكم حتى تنظروا ماذا عقد عليه عقله ، فإن كثيراً ممن ترك ذلك ثم
لا يرجع إلى عقل متين ولا رأي سديد ولا حكم رشيد . فيكون ما يفسده أكثر مما
يصلحه بفعله .

فإن وجدتموه يرجع إلى عقل متين ورأي سديد وحكم رشيد ، فرويداً لا
يغرنكم حتى تنظروا مع هواه يكون على عقله ، أم مع عقله يكون على هواه .

فإن وجدتموه مع هواه على عقله ، فعنه فانفروا ومن جهته فلا تقربوا وبه إلى
ربكم فلا ترغبوا .

وإن وجدتموه مع عقله على هواه فذلكم الرجل ، نعم الرجل ، كل الرجل
فيه تمسكوا وبسنه فاقتدوا وبه إلى ربكم فارغبوا فإنه والله لن يدخلكم في ردى
ولن يخرجكم عن هدى » .

نستنتج من ذلك أن الإنسان إذا نصب الدين لكسب الدنيا فهو خائن ،
وإن اتبع الشهوات المحرمة فهو خائن وإذا سعى للرياسة الباطلة وأحبها فهو
خائن ، وإذا كان ما يفسده أكثر مما يصلحه بعمله فهو خائن ، وإذا كان مع هواه
على عقله فهو خائن ضال مضل ، ومن كان مع عقله على هواه فذاك هو القيادي
الحقيقي والدليل على الهدى ، الأمين المؤمن . . .



مصادر ومراجع البحث

- (١) راجع المنجد .
- (٢) أساس البلاغة للزمخشري .
- (٣) البحار ج ٧٥ ص ١٧٢ .
- (٤) المصدر السابق .
- (٥) غرر الحكم .
- (٦) راجع أساس البلاغة .
- (٧) البحار ج ١٠٣ ، ص ١٧٥ .
- (٨) البحار ج ٧٥ ، ص ١٧٢ .
- (٩) الاختصاص ص ٢٤٨ .
- (١٠) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٠٦ .
- (١١) الاختصار ص ٢٣٦ .
- (١٢) الوسائل كتاب الوديعة ج ١٣ ص ٢١٨ .
- (١٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٠٦ .
- (١٤) الوسائل ج ١٣ ص ٢٢٦ .
- (١٥) غرر الحكم .
- (١٦) راجع المفردات للراغب .
- (١٧) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٠٦ .
- (١٨) راجع المفردات للراغب .
- (١٩) غرر الحكم .
- (٢٠) راجع المفردات للراغب .
- (٢١) غرر الحكم .

- (٢٢) راجع المفردات للراغب .
- (٢٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٥٠٦ .
- (٢٤) البحار ج ١٠٣ ، ص ١٤٣ .
- (٢٥) غرر الحكم .
- (٢٦) الوسائل ج ١٣ ص ٢٩١ .
- (٢٧) البحار ج ١٠٣ ، ص ١٧٥ .
- (٢٨) غرر الحكم .
- (٢٩) نور الثقلين ج ٢ ص ١٤٤ .
- (٣٠) نفس المصدر .
- (٣١) الوسائل ج ١٣ ص ٢٢٣ .
- (٣٢) المصدر السابق ص ٢٢٥ .
- (٣٣) نور الثقلين ج ٢ ص ١٤٤ .
- (٣٤) البحار ج ٧٨ ص ٣٦٤ .
- (٣٥) البحار ج ٧٥ ص ١٧٣ .
- (٣٦) الاختصاص ص ٢٤٢ .
- (٣٨) البحار ج ٧٥ ، ص ١٧٤ .
- (٣٨) غرر الحكم .
- (٣٩) تحف العقول ص ٥٤ .
- (٤٠) غرر الحكم .
- (٤١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٦٨ .
- (٤٢) غرر الحكم .
- (٤٣) نهج البلاغة كتاب ٢٦ .
- (٤٤) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ١٧٠ .
- (٤٥) آمال الصدوق ص ٢٥٣ .
- (٤٦) راجع كتاب الذنوب الكبيرة ، آية الله دستغيب .
- (٤٧) راجع كتاب الذنوب الكبيرة .
- (٤٨) نفسه ج ١ ص ٣٥٨ .
- (٤٩) الوسائل ج ٨ ص ٦٠٨ .
- (٥٠) البحار ج ٧٧ ص ٨٩ .
- (٥١) خصال الصدوق .
- (٥٢) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٤٦٥ .
- (٥٣) المصدر السابق .
- (٥٤) راجع معجم ألفاظ القرآن الكريم .

- (٥٥) الأصول من الكافي .
(٥٦) راجع الذنوب الكبيرة ج ١ .
(٥٧) المصدر السابق .
(٥٨) الوسائل ج ١٣ ص ٢٢١ .
(٥٩) نفسه ص ٢٢٢ .
(٦٠) نفسه ص ٢٢٣ .
(٦١) نفسه .
(٦٢) راجع : الذنوب الكبيرة .
(٦٣) الوسائل ج ١٣ ص ٢٢٦ .
(٦٤) نفسه ص ٢٢٧ .
(٦٥) نفسه ص ٢١٩ .
(٦٦) نفسه ص ٢٢٠ .
(٦٧) الخصال ج ١ ص ٤٢ .
(٦٨) الذنوب الكبيرة ج ١ ص ٣٤٧ .
(٦٩) الذنوب الكبيرة ج ١ ص ٣٦٢ .
(٧٠) تفسير الصافي .
(٧١) البحار .
(٧٢) لمزيد من التوسع : راجع الذنوب الكبيرة ج ١ ص ٣٤٧ - ٣٥١ .
(٧٣)(٧٤) الأصول من الكافي ج ٢ ص ٣٦٧ .
(٧٥) شرح نهج البلاغة .





الحسد

الحسد أصل الكفر

محتويات البحث

- ١ - آيات كريمات حول الحسد .
- ٢ - حديث شريف .
- ٣ - ماهية الحسد ، ومن هو الحاسد ؟ .
- ٤ - ماهية الغبطة ، ومن هو المغبوط ؟ .
- ٥ - ماذا نعني بالنصيحة ؟ .
- ٦ - ما هي علامة الحاسد ؟ .
- ٧ - أسباب الحسد .
- ٨ - أسباب الحسد الإقتصادية والمالية .
- ٩ - آثار الحسد على مستوى شخصية الحاسد وعلاقته بالآخرين .
- ١٠ - الحسد والإيمان لا يلتقيان .
- ١١ - آثار الحسد السلبية على المجتمع .
 - أ - على مستوى الحياة السياسية .
 - ب - على المستوى الفكري .
- ١٢ - للحاسد عقوبتان :
 - أ - العقوبة الأولى دنيوية :
 - ب - الحسد ما أعدله .
 - ج - الحسد والصحة الجسدية .

- الحسد والقدرة على فعل الخير .
- الحسد سبب للهبوط من المنازل الرفيعة .
- ب - العقوبة الثانية أخروية .
- ١٣ - الحسد والغبطة .
- ١٤ - أين يتفشى مرض الحسد .
- ١٥ - التربية والحسد .
- ١٦ - ماذا عن المجتمعات الرأسمالية والمجتمعات الاشتراكية .
- ١٧ - ونضرب لهم الأمثال .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل أعوذ برب الفلق * من شرِّ ما خلق . . ومن شرِّ حاسد إذا حسد ﴾ [١] .

﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾ [٢] .
 ﴿ ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير ﴾ [٣] .

* * *

قال الإمام محمد الباقر (ع) : « إن الحسد ليأكل الإيمان كما تاكل النار الحطب » [٤] .

وعن الصادق (ع) : « إياكم أن يحسد بعضكم بعضاً ، فإن الكفر أصله الحسد » [٥] .

[١] سورة الفلق : الآية ١ - ٢ - ٥ .

[٢] سورة النساء : الآية ٥٤ .

[٣] سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

[٤] بحار الأنوار : ج ٧٣ ص ٢٣٧ .

[٥] بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ٢١٧ .

وقال رسول الله (ص) : « دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد (ص) بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السلام »^(١) .

وفي خبر معاذ عنه (ص) : « إنَّ الحفظة تصعد بعمل العبد تزف كما تزف العروس إلى أهلها حتى إذا انتهوا إلى السماء الخامسة بذلك العمل الحسن من جهاد وحج وله ضوء كضوء الشمس فيقول الملك أنا الملك صاحب الحسد إنه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ويسخط ما رضي الله أمرني ربِّي أن لا أدع عمله يتجاوزني إلى غيره »^(٢) .

* * *

الحسد

إنَّ القيم كثيرة وتختلف باختلاف المجتمعات ، فالمجتمع الإسلامي يتبنَّى القيم على أساس الفطرة والطبيعة الإنسانية والمبادئ الثابتة في الحياة ، ويعتقد بوجود قيم ثابتة ومطلقة : كالعدل والخيانة والكذب وغير ذلك .

فالعدل : قيمة حسنة وثابتة في كل زمان ومكان .

والخيانة : قبيحة في كل مجتمع .

والكذب : شرٌّ أينما وجد وحلٌّ وفي أي مجتمع أو بيئة . . إلى آخر ما هنالك .

وانطلاقاً من وجود القيم الثابتة في النظرة الإسلامية يمكننا التحدّث عن الحسد ، لأنَّ النظرة الإسلامية متعارضة كلياً مع النظرات الأخرى من رأسمالية وشيوعية ، ففي المجتمع الأوروبي لا يلتفت إلى مسألة الحسد وباقي القيم السيئة ذات المساويء الخلقية - بل هي مرغوبة ومقبولة إجتماعياً ويدعى إليها بقوة .

فنحن لا نعجب إذا قرأنا عن (لينين) أنه كان يشجّع الشيوعيين على

الخداع ، فيقول : (يجب على المناضل الشيوعي أن يتمرس بشقّ ضروب الخداع والغش والتضليل ، فالكفاح من أجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية ويجب أن يكون مفهوماً أن الشيوعية غاية نبيلة ، وأن تحقيق الغاية النبيلة يتطلب في كثير من الأحيان استخدام وسائل غير نبيلة ، ولهذا فإنّ الشيوعية تبارك شقّي الوسائل المناهضة للأخلاق ما دامت هذه الوسائل تساعد على تحقيق أهداف الشيوعية)^(٣) . كل ذلك باعتبار أنّ الصدق والأمانة وعدم الخداع وغير ذلك أخلاق برجوازية ، وهكذا تصبح هذه المساويء في المجتمع الشيوعي محاسن ، وحديثنا عن الحسد من منظور حسيّ ، فطري ، ضمن إطار الفهم الإسلامي للنفس الإنسانية ، وضمن إطار المبادئ النازمة لأموال المجتمع الإسلامي ، ولا بدّ في هذا المقام من التفريق بين عدّة مفردات : بين الحسد والغبطة والغيرة والنصيحة .

ماهية الحسد ، ومن هو الحاسد ؟

يعرّف الحسد بأنه تمنّي زوال النعمة عن الغير ، والحاسد هو الذي لا يجب أن يرى نعمة عليه أبداً إلّا بزوالها عمّن يحسد ، ولا يفرح إلّا بالشرّ ، ولا يغتم إلّا بالسرور وكثيراً ما يظهر الحاسد الودّ في أقواله ، ويخفي بغضه في أفعاله ، فهو صديق إسمياً وعدوّ فعلاً .

ماهية الغبطة ، ومن هو المغبوط ؟

الغبطة أو المنافسة هي التمنيّ للنفس من النعمة التي فيها صلاح الإنسان مثل ما للغير ، والمغبوط هو من حسن يقينه وسلم دينه . وأولاهم بأن يغبط هو من ترك الدنيا نخفاً ، واستقرّ تحت التراب ، فأمن العقاب ورجا من ربّه الثواب .
عن جابر بن عبد الله قال : « دخلت على أمير المؤمنين (ع) يوماً فقلت له . . . ما تقول في دار الدنيا ؟ قال : ما نقول في دار أولها غمّ وآخرها الموت قال : فما أغبط الناس ؟ قال جسّد تحت التراب ، أمن من العقاب ، ويرجو الثواب »^(٤) .

قال علي (ع) : « أغبط الناس المسارع إلى الخيرات »^(٥) .

ماذا نعني بالنصيحة ؟

النصيحة هي أن تريد لغيرك ما تريد لنفسك ، وتكره له ما تكره لها .
والدين هو النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامة المسلمين ،
وأئمتهم . كما جاء في الخبر .

عن تميم الداري أن النبي (ص) قال : « الدين النصيحة ولكن لمن ؟
قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »^(٦) .

وقال رسول الله (ص) : « من يضمن لي خمساً أضمن له الجنة ، النصيحة
لله عز وجل ، والنصيحة لرسوله ، والنصيحة لجماعة المسلمين »^(٧) .

وقد توفرنّا على الحديث عن النصيحة ، بشكل واسع ، في موضع آخر من
هذا الكتاب فراجع .

وعلى هذا فالحاسد هو من يرغب لغيره ، ما يكره لنفسه ويكره له ما يرغب
لنفسه .

أما المؤمن فبخلاف الحاسد يحب لغيره ما يحب لنفسه .

وقد قال الصادق (ع) : « إن المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا
يغبط » .

وعن المجلسي رضوان الله عليه : « الحسد أن يرى الرجل لأخيه نعمة
فيتمنى زوالها عنه وتكون له دونه والغبطة أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه ،
واعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها
حالتان : إحداهما أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها سواء أردت وصولها إليك أم
لا ؟ فهذه الحالة تسمى حسداً ، والثانية أن تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها
ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذه تسمى غبطة وقد يخص باسم
المناقشة .. »^(٨) .

علامات الحاسد ؟

من علامات الحاسد : ١ - الغيبة ، ٢ - التملق ، ٣ - الشّاعة بالمصائب .

عن رسول الله (ص) : « أنه قال : أما علامة الحاسد فأربعة : الغيبة والتملق والشهامة بالمصيبة » .

وقال الصادق (ع) : « قال لقمان لابنه : للحاسد ثلاث علامات : يغتاب إذا غاب ويتملق إذا شهد ويشمت بالمصيبة » .

الحاسد مغتاب لأنه يكره الناس ، ويحب فقط نفسه ، وقد لا يجرؤ على انتقادهم وسبهم وجهاً لوجه ، فيعمد إلى غيبتهم ، وأكل لحومهم ، وهو متملق ، لأنه يتصف بالجن ، والخوف على مصالحه ، لذلك يمدح من يكره ، إذا حضر ، ويشتمه إذا غاب ، ويزيد في مدحه وثنائه إلى الحد غير المعقول ، خداعاً ، ومن العجب العجائب هذه الحالة التناقضية التي يعيشها الحاسد بين الكذب على نفسه ومدح من يكره ، وبين شتمهم في غيابهم . وأكثر ما يسره ، أن تنزل المصائب بمن يتملق لهم ، ويغتابهم ، فيشمت ، ويحس بالسعادة التي تغمره لأنه رأى نعمة تزول عن غيره ، وتأكد من ذلك .

أسباب الحسد

١ - خيانة النفس وبخلها : إن النفس الخبيثة المتعلقة بالدنيا والمحرمات ، والتي لم تتطهر بالطاعات ، والبعد عن المعاصي والتي أحضرت الشح ، عندها كامل القابلية لحسد العباد على نعم الله بهم .

٢ - العداوة والبغضاء : فالحاسد يرح إذا أصابت عدوه بلية ، أما لظنه أنها مكافأة من الله لأجله أو لحبه إضعاف عونه ، وهلاكه .

٣ - حب الرئاسة وطلب الجاه والمال :

فالحاسد يحب أن يتفرد في الثناء والمدح ، إذ يستفزه الفرح بما يمدح به من أنه وحيد الدهر ، وفريد العصر في عمله الإبداعي (شجاعة - علم - عبادة - صناعة ، وجمال) .

ويسوء الحاسد كثيراً أن يسمع بأقصى العالم بنظيره ، ويرتاح كثيراً لموته ، أو زوال النعمة التي يشاركه فيها ، وما ذلك إلا ليكون متفرداً في فنه ، وجمال عمله أو عمله .

٤ - الخوف من فوات المطالب :

وهذا الأمر يختص بمتراحين على مقصود واحد ، وكل منهما يحسد صاحبه على وصوله إلى المطلب المتراحم عليه ، كتراحم الأخوة على قلب الأب ، والتلامذة على أستاذ واحد لنيل المنزلة في قلبه ، والوعاظ والفقهاء (والمعمّمون) من عبدة الدنيا يتزاحمون على أهل بلد واحد ، لنيل القبول والمال عندهم . . .

٥ - التعزز

الحاسد يريد أن يكون وحده عزيزاً ، وهو يستصغر كل نعمة تعطى لغيره ، ويستكبر على المنعم عليه حقداً له وبغضاً ، لأنه لا يطيق ذلك لعزة نفسه فيحسده لو أصاب تلك النعمة .

٦ - التكبر

إنّ في طبع الحاسد التكبر ، والترفع على الآخرين ، وما ذلك إلاّ لخوفه وخشيته من الغيران يتفوق عليه فيصبح الحاسد خادماً بعد أن كان مخدوماً ، وهذه نفس خبيثة حاكمة ولثيمة .

ومن أمثلة التاريخ على ما نقول : حسد الكفار لرسول الله (ص) قالوا : كيف يتقدّم علينا غلام فقير ويقيم . . .

﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ [١١] .

وما هذا القول إلاّ كذب ونفاق منهم وتبرير لعدم القبول بما جاء به الرسول (ص) .

٧ - التعجب (العجب)

إنّ المحسود في نظر الحاسد الحاقداً ، حقير ، وإنّ النعمة في نظر الحاسد الجشع عظيمة ، لذلك يعجب من فوز المحسود بنيل هذه النعمة ولسان حال

[١] سورة الزخرف : الآية ٣١ .

الحاسد يقول ، كما في المثل الشعبي : « أن الله يرزق الجوز لمن ليس له أضراس » .

فالكل يعلم أن لا تحاسد بين علماء الآخرة لابتهاجهم بكثرة المشاريكن لهم في معرفة الله تعالى ، بينما التحاسد يكمن بين علماء الدنيا الذين يقصدون بعلمهم طلب المال والجاه^(١١) .

إنّ الخوف من فوت المقاصد ، وحبّ الرياسة (من أعظم الأسباب فساداً لتعلقها غالباً بعلماء السوء ، ونظرائهم . .) وقد كان علماء اليهود يعلمون صدق رسالة رسول الله ، وينكرونها ، وقد يجتمع بعض هذه الأسباب ، أو أكثرها أو جميعها في شخص واحد ، فيعظم فيه داء الحسد ، ويتمكّن في قلبه ، ويقوى قوة لا يقدر معها على الإخفاء والمجاملة ، بل ينتهك أستار المجاملة ، ويظهر العداوة بالمشافهة ، ولا يكاد يزول إلّا بالموت ، وقلّ أن يتفق بالحاسد سبب واحد من هذه الأسباب بل أكثر .

وأصل العداوة والحسد التزاحم على غرض واحد، والغرض الواحد لا يجتمع فيه متباعدان ، بل متناسبان . . . ومنشأ جميع ذلك حبّ الدنيا ، فإنّ الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين . أما الآخرة فلا ضيق فيها ، وإنما مثلها مثل العلم ، فإنّ من عرف الله تعالى وملائكته وأنبياءه وملكوته أرضه وسمائه ، لم يحسد غيره ، لأنّ المعرفة لا تضيق على العارفين ، بل المعروف الواحد يعرفه ألف ألف عالم ، ويفرح بمعرفته ، ويلتذّ به ، ولا ينقص لذة واحدة بسبب غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الإنس ، وثمرة الإفادة والاستفادة ، فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة ، لأنّ مقصدهم بحر واسع ، لا ضيق فيه ، وغرضهم المنزلة عند الله ، ولا ضيق أيضاً فيه ، بل يزيد الإنس بكثرتهم .

نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا ، لأنّ المال أعيان وأجسام ، إذا وقعت في يد واحد خلت عنه يد الآخر ، وكذلك الجاه ، إذ معناه ملك القلوب ، ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم ، انصرف عن تعظيم الآخر ، أو نقص منه لا محالة ، فيكون ذلك سبباً للمحاسدة .

أمّا العلم فلا نهاية له ، ولا يتصور استيعابه فمن بذل جهده في تحصيله ،

وأشغل نفسه في الفكر في جلاله الله وعظمته ، صار ذلك ألدّ عنده من كل نعيم ، ولم يكن ممنوعاً عنده ، ولا مزاحماً فيه ، فلا يكون في قلبه حسد لأحد من الخلق . . . » .

وقد قال (ص) : « ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة : الأمراء بالجرور ، والعرب بالعصبية ، والدهاقين بالكبر ، والتجار بالخيانة ، وأهل الرستاق بالجهل ، والعلماء بالحسد » (١٢) .

الدهقان : رئيس الإقليم .
الرستاق : القرى الصغيرة وما يحيط بها من الأراضي . (فارسية) .

أسباب الحسد الإقتصادية والمالية

من أسباب الحسد : الجانب المالي والإقتصادي ، إذ أنّ الحسود لا يألو جهداً في عمل أيّ شيء ، لتحصيل النعمة المادية وتأمين وسائل الكسب ولو على حساب إزالة النعمة أو تمني ذلك ، عن الغير ، وينسى هذا الحسود أنّ الرزق مقسوم له ولغيره من الله تبارك وتعالى ولن يحصل على أكثر مما له ، وإن حصل له ذلك بوسائل غير مشروعة فإنه سيخسر إن عاجلاً أو آجلاً ، بأن تنزل به مصيبة أو يصاب بمرض أو حادث أو سرقة أو غير ذلك فاعتبر واتعظ .

قال الصادق (ع) : « وعلمت أنّ رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت » .

فعندما يعلم الإنسان أنّ رزقه مقسوم له ويقتنع بذلك ، يتخلّى عن حسده وإضراره بالناس .

وقد أكدنا سابقاً أنّ الحسد يكون حالة مرضية ، تقوّيها وتنمّيها التربية الفاسدة ، فالحاسد يصبح شريراً ومؤذياً وخائناً وربما أصبح ثمّاماً وكاذباً ، وعلاجه يكون بالتربية والتوجيه في الوقت المناسب ، وإنزال العقوبة به ، من قبل الحاكم الشرعي عندما يسيء إلى الناس ، أو يؤذيهم .

وفي كل الحالات لا بدّ من دراسة الأسباب الموضوعية الذاتية ، لوضع دواء ناجع لشفاء الحاسد من حسده ، أو لتخفيف أثره على الأقل .

وإنطلاقاً من تصوّرات كل من الحاسد والمؤمن لمحيطه ، وببشّته ، يمكن وضع حدّ فاصل بين الإثنين ، فتمنّيات الحسود تتحوّل إلى أعمال تؤذي الأفراد والمجتمعات ، بينما تمنّيات المؤمن تجلب الخير والسعادة للآخرين . والحسود قد يبيع نفسه بحفنة من الدراهم أو (الدولارات) ، ويخون بلاده ، لصالح الأعداء ليكيد محسوديه ، ويمكن للدولة الإسلامية أن تعاقب الحاسد إن أساء التصرف ولكنها لا تستطيع المعاقبة على النوايا ، ويبقى التوجيه والتربية خير وسيلة .

آثار الحسد على مستوى شخصية الحاسد وعلاقته بالآخرين

إنّ تصرفات الحاسد تبدو بشكل عشوائي غير مدروس ، فهو يغضب في حين أنه ينبغي عليه أن يصرّ ، ويحزن في وقت ينبغي عليه أن يفرح ، وربما يصادق في وقت عليه أن يعادي ، وذلك لأنّه مضطرب دائماً ، ويعاني من أزمة ، هي أزمته المستمرة مع كل الآخرين . لأن لكل الآخرين نعماً أنعم الله عليهم بها . . . وهو شخص إنفعالي ، متوتر الأعصاب ، مرتبك ، قلق بعمق ، يعاني من الأرق في أكثر لياليه وعلاقته الأسرية غير مستقرة ، وكذلك علاقاته مع جيرانه ، وأقرانه سيئة . كما أنّ صداقاته قليلة ، وكل هذا ينعكس على وضعه الاجتماعي ، فهو يكره الناس ، ويعيش حياة إنعزالية عنهم ، وينعكس ذلك أيضاً على صحته الجسدية ، كما ينعكس على صحته النفسية ، وخصوصاً أن هناك علاقة واضحة وأكيدة بين النفس والجسد . وكيف لا يكون ذلك ؟ فالحاسد لا يشفيه إلاّ زوال النعمة عن الغير ، وهو قرين الشرّ ، يفرح به دائماً وعدوّ السعادة والهناء يظل دائماً مقطباً مغتماً عند رؤيته للآخرين في وضع لا يرضاه لهم .

وهو ظالم لنفسه دائماً ، لأنّه ، بالأقوال ، والأفعال ، والتصرفات مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بغيره .

فهو من جند إبليس الذي طرده الله من رحمته بسبب حسده فهو في قلق نفس دائم وقلب هائم ، وحزن لازم . . . فالحاسد في ضيق دائم في الدنيا والآخرة .

قال رسول الله (ص) : « ألا : لا تعادوا نعم الله ، قيل : يا رسول الله :

ومن الذي يعادي نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون « (١٣) » .

قال الصادق (ع) : « بينما موسى بن عمران (ع) يناجي ربّه ويكلمه ، إذ رأى رجلاً تحت ظل عرش الله فقال : يا ربّ من هذا الذي قد أظله عرشك ؟ فقال : يا موسى هذا ممن لم يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله » (١٤) .

الحسد والإيمان لا يلتقيان

إنّ الحسد والإيمان ضدان ، متنافران ، وإن وجد أحدهما ، غاب الآخر وانحسر ، ولا يمكن أن يكون بينهما أي توافق على الإطلاق ، إذا لا إيمان مع الحسد .

عن الإمام الباقر (ع) أنه قال : « إنّ الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب » (١٥) .

قال رسول الله (ص) « إياكم والحسد فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » (١٦) .

والحسد أليس كفراً ؟

إنّ الحسد بغي ، والبغي يعدل الشرك ، والشرك كفر ، وكلها من أصل واحد .

قال الإمام الصادق (ع) : « يقول إبليس لجنوده : ألقوا بينهم الحسد والبغي فإنّهما يعدلان الشرك » (١٧) .

وعنده أيضاً : « إياكم أن يحسد بعضكم بعضاً فإنّ الكفر أصله الحسد » .

آثار الحسد السلبية على المجتمع

على مستوى الحياة الإجتماعية :

فحالة الحاسد تنعكس سلباً على المجتمع ، وعلى علاقته معه ، لذلك تراه لا يتجاوب مع عمل فيه خدمة عامة ، خوفاً من أن تتضرر مصلحته ، أو أن

يحصل غيره على ما يمكن أن يحصل عليه هو ، في وقت آخر تراه يندفع إلى الخدمة العامة ، في حال أدرك أن الخير من هذه الخدمة ، سيناله وحده ، وينسحب بمجرد شعوره بأن ذلك لن يتحقق .

على مستوى الحياة السياسية :

وفي عالم السياسة : فإن شرّ الحسد كبير ، إذ أن للحسد آثاراً سياسية كبرى ، وشرّ الحسد هو ما يكون على مستوى القيادات العليا ، لأن ذلك يعني هلاك الناس ، وينتج عنه الصراع على السلطة ، والمناسب على حساب المصلحة العامة وكم من حاسد من هذه القيادات المنحرفة تحول إلى خائن عميل للعدو ، ليحصل مركزاً ، أو مالاً ، حسداً لآخر من ذوي النفوذ

على المستوى الفكري :

أما بالنسبة للوضع الفكري عند الحاسد فإنه مشوش ومرتبك وغير منوازن ، وغير منطقي ، وهو لا يستطيع أن يتطور أو أن ينمو معرفياً .
إن الحسد ينعكس سلبياً على حياة الحاسد الشخصية والعملية ، فليس لديه الوقت لينظم عمله ، واضطرابه النفسي الدائم لا يسمح له بالنجاح في أي عمل ، إذ أن عمله دون تخطيط ، ودون دراسة وهو دائماً في مباراة حاقدة مع المحسود ليسبقه .

وهذا الإنعكاس السلبي يصل إلى نفسية الحاسد وتفكيره ، فأفكاره لا تأخذ خطاً منظماً ، بل تختلط ببعضها البعض ، ويتعد عن الناس ، وهذا يجعل الآخرين يبادلونه نفس الموقف ، فيبتعدون عنه لأنه يشكل خطراً عليهم لأن الناس يخافون من الحسود ، فهو يعيش ضمن أفكار خاصة به باعتباره يعيش عزلة تكاد تحنقه ، ويعاني من عذاب نفسي ، وإجتماعي مستمر . . .

والحسد هو الصورة المخيفة لشعور الإنسان الأناني ، والإتكالي الذي يولد عنده الدوافع الشريرة . والحسود يشارك في نشر عيب خطير . . . فهو يطمع ويسعى لبناء مجده على أساس هدم أمجاد الآخرين ، وتخريب المجتمع .

ثم أن تمنى الحاسد زوال النعمة عن غيره تعود أسبابه إلى أمر أساسي ، وهو عدم إيمان هذا الإنسان لأنّ المؤمن يعتبر النعمة من الله إن أصابته أو أصابت غيره فهو يتمنى الخير للغير كما لنفسه ، ولا يمكن أن يوجد الحسد في مؤمن ، فإذا وجد تنفى عنه صفة الإيمان .

أمّا آثاره فتتلخص في إضمار الشرّ للمحسود ، وما يخطط له من إساءة لمحاولة إزالة هذه النعمة التي أنعمها الله عليه ، فيؤدي ذلك إلى ضرر المحسود إذا تمكّن الحاسد من ذلك ، أمّا إذا عجز عن إنزال الشرّ به فتكون النتيجة عكسية . ولأنّ الحقد يكمن في نفسه فيحوّله إلى حاقد يضرّ الشرّ والإساءة لكل الناس فقد قال سبحانه وتعالى في سورة الفلق ﴿ من شرّ حاسد إذا حسد ﴾ .

وذلك لعظم شرّه وأثره السيء على الناس والمجتمع .

ومن آثار الحسد أيضاً ارتكاب المفاسد الأخرى كالسرقة والكذب وغير ذلك .

وإذا ما استولى الحسد على الإنسان أوصله إلى حالة من الانحراف ، عن المسار الصحيح ، وجادة الصواب لا يحسد عليه .

للحاسد عقوبتان

العقوبة الأولى دنيوية ، والأخرى أخروية .

حزن وألم دائمان ، لرؤية النعم على غيره . ونعم الله لا تنقطع ، ﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ ، وضرر الحسد يعود على الحاسد ، أكثر ممّا يعود على المحسود .

وقد قال علي (ع) : « لا راحة مع حسد » (١٩) .

وبزيادة النعم على المحسود ، يزداد حسد الحاسد ويشتد حقه ، وشنّانه ، فيتحمّل بهذا الحقد أوزار المحسود ، فيظلم نفسه قبل أن يظلم غيره .

والحاسد هو دائماً في مقام المعاندة والمضادة لله سبحانه ، الذي أفاض النعم على الناس ، بمقتضى حكمته وهو يريد بقاءها على العبد ، والحاسد يريد زوالها ،

وهذه الإرادة ، وهذه الممارسة هي سخط على قضاء الله وآتاهم للمولى بالنقص .
والله سبحانه وتعالى حكيم ، وكامل وكل ما ينتج عنه متّصف بالحكمة
والكمال .

والحاسد مرید للشرّ ، يطلبه ، ويرغب أن ينزل بغيره ، والحاسد شرّ الناس
والحسد من أشدّ الرذائل .

قال تعالى : ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم من فضله ﴾^[١] .

وقال تعالى : ﴿ ودّ كثير من أهل الكتاب أن يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً
حسداً من عند أنفسهم ﴾^[٢] .

وقال عزّ وجلّ لموسى بن عمران : « يا بن عمران ، لا تحسّدنّ الناس على
ما آتيتهم من فضلي ولا تمدنّ عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك فإنّ الحاسد ساخط
لنعمي صادّ لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس
مني » .

لله درّ الحسد ما أعدله

قال الصادق (ع) : الحاسد يضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود ، كإبليس
أورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم عليه السلام الإجتباء والهدى والرفع إلى محل
حقائق العهد والإصطفاء .

فكن محسوداً ولا تكن حاسداً ، فإنّ ميزان الحاسد خفيف دائماً يقابل ثقل
ميزان المحسود . والرزق مقسوم ، فماذا ينفع الحسد الحاسد ، وماذا يضرّ
المحسود الحسد ، والحسد أصله من عمى القلب والجحود بفضل الله تعالى ، وهما
جناحان للكفر ، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكاً لا ينجو منه
أبداً ، ولا توبة للحاسد لأنّه مستمر عليه معتقد به مطبوع فيه ، يدوبلا معارض
مضرّ له ، ولا سبب والطبع لا يتغير من الأصل وإن عولج «^(٢٠)» .

[١] سورة النساء : الآية ٥٣ .

[٢] سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

الحسد والصحة الجسدية

قال الإمام علي (ع) :

- ١ - « الحسد يضني الجسد » .
- ٢ - « الحسد يذيب الجسد » .
- ٣ - « الحسد ينشيء الكمد » .
- ٤ - « الحسد لا يجلب إلا مضرّة وغيظاً يوهن قلبك ويمرض جسمك » .
- ٥ - « صحة الجسد من قلة الحسد » .
- ٦ - « العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد » .
- ٧ - « الحسود دائم السقم وإن كان صحيح الجسم » .
- ٨ - « الحسود أبداً عليل » .

الحسد والقدرة على فعل الخير

قال الصادق (ع) : « قال رسول الله (ص) : كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر » (٢١) .

الفقر (ضدّ الغنى) وهو ، يقرب من الكفر باعتبار أنه يفضي إلى ترك الرضا بقضاء الله والقدر هنا يعني الطاقة ، والمراد أن الحاسد كاد أن يخرج نفسه عن القدرة والطاقة لفعل الخير فلا يستطيعه .

الحسد سبب للهبوط من المنازل الرفيعة

عن داود الرقي قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : إتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً إن عيسى بن مريم (ع) كان من شرائعه السيّح في البلاد (الذهب في الأرض للعبادة) فخرج في بعض سيحه ، ومعه رجل من أصحابه قصير ، وكان كثير اللزوم لعيسى (ع) فلما انتهى عيسى إلى البحر : قال : بسم الله ، بصحة يقين منه فمشى على ظهر الماء ، قال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى (ع) جازه : بسم الله وبصحة يقين منه فمشى على الماء ، ولحق بعيسى (ع) فدخله العجب بنفسه فقال : هو عيسى روح الله يمشي على الماء ، وأنا أمشي على الماء فما

فضله عليّ قال : فرمس (غمس) في الماء فاستغاث بعيسى (ع) فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له : ما قلت يا قصير ؟ .

قال : قلت روح الله يمشي على الماء ، وأنا أمشي على الماء ، فدخلني من ذلك عجب ، فقال له عيسى (ع) لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت ، فتب إلى الله عز وجل مما قلت قال : فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها . فاتقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضاً » (٢٢) .

العقوبة الثانية : هي العقوبة الأخروية ، وذلك بإدخال الحسود نار جهنم ، وكفى بها عقوبة . . .

أثر الحسد على مستوى شخصية الفرد والجماعة

أين يتفشى مرض الحسد ؟

إن الحسد يتفشى في المجتمع المفكك ، الذي لا يراعى للمبادئ الرسالية حرمة ، ولا يلتزم بروح الإيمان الصحيح ، ومهما كان هذا المجتمع محصناً ضد الأمراض السارية ، فإنه يفقد المناعة ضد أمراض الأخلاق من حسد ، ونميمة وغيبة وغير ذلك ، والمجتمعات التي تخرج على قواعد الإيمان فإنها تفقد القدرة على معالجة أمراض النفوس والأخلاق . ومن الواضح أن الحسد مستشري في المجتمعات التي تدّعي التحضر ، وتبرز هذه الظاهرة على المستوى السياسي والممارسات السياسية ؟ .

فإن البعض يدعون التقدمية ، ويحاربون الإيمان والإسلام بغياً وحسداً ، فالحسد يجعلهم إنتهازيين . . وصوليين ، يريدون كل المنافع لهم ، وتحصيل المنصب والجاه وكذلك فإن الكثير من الأحزاب والتنظيمات السياسية تعيش ، باستمرار ، حالة من الحسد السياسي بسبب غيرتها من النجاحات التي يحققها الإسلام على المستوى السياسي ، وعالمياً ، وإقليمياً ومحلياً ، وهذا الحسد هو عامل تفكيكي ، ومدمر لمصالح الناس ، وحياتهم الإجتماعية . والحاسدون السياسيون ، يستخدمون كل الوسائل ، والإمكانات للوصول إلى السلطة أو

التسلط ، ولا مانع عندهم من إراقة الدماء ، وقتل الأبرياء ، وإثارة الفتن ، دون الإلتزام بأية مناقبية ، بل يساهمون مساهمة فعّالة في نشر المفاصد الإجتماعية لتحقيق أهدافهم الذاتية والأنانية ، وذلك على كل المستويات بدءاً من العمل الفردي أو حتى على صعيد الشارع أو الحي حتى يصل إلى درجة التضحية بمصير الأمة من أجل هذه الأهداف الزعاماتية ، أو التسلطية وهذا كله يؤدي إلى التخلف والصراع في المجتمع نتيجة الحسد السياسي .

أضف إلى ذلك ، أن روح الحسد . تستغل كل الأساليب والإمكانات لتدمير قدرة الآخرين .

التربية والحسد

أنّ للتربية أكبر الأثر في تأصيل الحسد ، أو التخلص منه ، لأن الإنسان يولد على الفطرة ، فإذا استخدمت الوسائل التربوية المدروسة والإنطلاق من مفاهيم الإسلام ، والفهم المعنوي القائم على الإيمان بالآخرين ، فربما يؤدي ذلك إلى أفضل النتائج في معالجة هذا المرض .

إنّ حبّ النعمة للذات متأصل في أعماق النفس البشرية ولا يمكن التخلص منه إلا بالتربية الإسلامية القادرة على خلق حالة توازنية ، تنسق بين حبّ الذات ، وحبّ الخير للغير .

وإنّ العيش ضمن بيئة إسلامية متطورة ، وملتزمة بالتعاليم الإسلامية ، يبعد عن الإنسان صفة الحسد بشكل تدريجي ، وكلّما تعمّق الإيمان في النفوس ، كلما أدى ذلك إلى الإنتقال من حالة الأنانية إلى حالة الغيرية ، مصداقاً للحديث القائل : « لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لغيره ما يحبّ لنفسه » .

ومن العجب أن الحسود ، من أجل الإضرار بغيره ، يضرّ بنفسه .

وإنّ أخفّ أنواع الحسد ما كان على المستوى القائم على أساس التمنيات بالإضرار بالآخرين ، ولكن لا يقوم بأي فعل تحقيقي لهذه النوايا .

وإذا كان الحسد يبتني على أساس قابلية وراثية (إن صحّ ذلك) فإنّ علاجه أكثر صعوبة ، ومثله في ذلك مثل الأمراض الوراثية الجسدية ، الصعبة الشفاء ،

والمداواة ، وفي كل الحالات فإن التركيز على التربية الإيمانية قادر على تحويل القابليات الشريرة إلى قابليات خيرة .

الطفولة والحسد

أن الطفولة عند الإنسان ، تمرّ بعدّة مراحل ، والطفل في بعض مراحل نموه يرغب في معرفة كل شيء ويعمل لإثبات ذاته وفي حال لم يدرك الأهل نفسية الطفل ، فإنهم يعاملونه معاملة ، قد تقتل شخصيته ، وتخلق عنده - حالات إحباط ، وربما حرم من بعض ما ينبغي أن يوفر له مادياً أو معنوياً ، فتكون ردّة الفعل حسداً وأنانية وكرهية للآخرين . والطفل - في مرحلة تفتح الوعي والتمييز عنده - يصطدم ببعض العقوبات الإجتماعية التي تمنعه من تحصيل رغبات وحاجات معينة ، وإنّ شفاء الحسد الذي يبدأ مع الطفولة يحتاج إلى معالجة مستمرة لأنّه أكثر عمقاً وتملكاً في نفس الإنسان ، أمّا الحسد الذي يبدأ مع مرحلة التمييز فإنّ احتمال شفائه يكون أكثر سهولة وذلك ، إذا عاش المرء في مجتمع مؤمن ملتزم ومنفتح ، وفي المرحلتين المذكورتين تكون آثار الحسد سلبية على المجتمع وخصوصاً إذا وصل الحسد إلى ارتكاب الجرائم على المستوى الفردي والإجتماعي .

وماذا عن المجتمعات الرأسمالية والمجتمعات الاشتراكية ؟

إنّ المجتمعات الرأسمالية تنمّي الجشع والطمع وبالتالي يؤدي هذا العمل إلى خلق الحسد في النفوس .

أمّا النظم الاشتراكية فتكبت المواهب والطاقات ، والمبادرات الخاصة ، وهذا الكبت ليس في صالح الفرد ولا في صالح المجتمع ولعل هذا كان من جملة أسباب إنهيار المعسكر الاشتراكي ، والمجتمع المؤمن الإسلامي يختلف عن الرأسمالي والاشتراكي ، حيث تطلق المواهب ، وتؤمن التربية الصالحة ، فيمكن بنشر المفاهيم الإسلامية الحدّ من الحسد ومضاره .

ونضرب لهم الأمثال :

١ - إلى أن يأتي الترياق من العراق . . . !

يقال أن أحد ملوك الفرس أصدر أمراً مفاده أنّ كل من يملك جملاً ينبغي أن يسخر لحساب المملكة ، فسمع ابن آوى بالخبر ، فهرب إلى خارج المدينة ، وعلى مشارفها التقى بجماعة من رفاقه فسألوه : إلى أين أنت هارب يا ابن آوى ؟ قال : أما سمعتم بأمر الملك . . . لقد سمعنا ولكن أية علاقة بينك وبين الجمّل قال : أيها الرفاق لو أن الحاسدين أمسكوني ، وأخذوني إلى الملك وقالوا : هذا جمّل . . . من يخلّصني ، إذا أدخلت السجن . . . وإلى أن تبحث الأوراق ، ويأتي الترياق من العراق . . يكون لديغ الحية قد فارق . .

٢ - عشرة فقراء وملك

- ويروى أنّ رجلاً كان عنده خمسة أولاد ، أربعة منهم على غاية فائقة من الجمال وواحد غاية في البشاعة ، لكن ذلك البشع كان أكثرهم قوّة ، وأشدّهم ذكاء ، واثمر الأخوة فيما بينهم بأن يقتلوه فدسّوا له السمّ ، فنبهته إليه أخته . . واجتمع مجلس العائلة برعاية الأب والأم وابتدأت المحاكمة ، وعندما وصل الكلام إلى المجني عليه ، التفت إلى والده وقال له : يا أبتى لا تأخذك الحيرة في الأمر ، ولا يأخذ العجب منك موضعاً ، إنّ سبب ما حصل هو الحسد .
وإنّ حماراً يحمل أثقال الناس . . . هو خير من أسد يمزقهم . . .

وإنّ عشرة فقراء تجبرهم على أن يناموا على فراش واحد ، لكنّ ملكين لا يسعها إقليم .

٣ - إصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله

من أعجب القصص في الحسد وهي من أعاجيب الدنيا ، أنّه كان أيام موسى الهادي ببغداد رجلاً من أهل النعمة ، وكان له جار في دون حاله وكان يحسده ويسعى بكل مكروه يمكنه ، ولا يقدر عليه قال : فلما طال عليه أمره

وجعلت الأيام لا تزيده فيه إلا غيظاً . اشترى غلاماً صغيراً فربّاه وأحسن إليه فلمّا شبّ الغلام واشتدّ وقوى غضبه قال له مولاه : يا بني إنّني أريدك لأمر من الأمور جسيم ، فليت شعري كيف لي أنت عند ذلك ؟ قال ، كيف يكون العبد لمولاه والمنعم عليه المحسن إليه والله يا مولاي لو علمت أنّ رضاك في أن أتقحم النار لرميت بنفسي فيها ولو علمت أنّ رضاك في أن أغرق نفسي في لجّة البحر لفعلت ذاك وعدّد عليه أشياء فسّر من قوله وضمّه إلى صدره وأكبّ عليه يترشفه ويقبّله وقال : أرجو أن تكون ممن يصلح لما أريد قال : يا مولاي إن رأيت أن تمنّ على عبدك بعزمك هذا ليعرفه ويضمّ عليه جوانحه قال : لم يأنّ لذلك بعد ، وإذا كان ذلك فأنت موضع سرّي ومستودع أمانتي .

فتركه سنة فدعاه فقال : أي بني قد أردت لك للأمر الذي كنت أرشحك له قال له : يا مولاي مرني بما شئت ، فوالله لا تزيديني الأيام إلا طاعة لك قال : إنّ جاري فلاناً قد بلغ مني مبلغاً أحبّ قتله قال : فأنا أقتك به الساعة : قال : لا أريد هذا وأخاف ألاّ يمكنك ، وإن أمكنك أحوالوا ذلك عليّ ولكني دبرت أن تقتلني أنت وتطرحني على سطحه فيؤخذ ويقتل بي .

فقال له الغلام : أتطيب نفسك بنفسك ؟ وما في ذلك تشفّ من عدوك وأيضاً فهل تطيب نفسي بقتلك ، وأنت أبرّ من الوالد الحذب والأم الرفيقة ؟ قال : دع عنك فإنما كنت أربيك لهذا ، فلا تنقض عليّ أمري فإنه لا راحة لي إلاّ في هذا ، قال الله الله في نفسك يا مولاي ، وأن تتلفها للأمر الذي لا يدري أيكون أم لا يكون ، فإن كان لم تر منه ما أمّلت وأنت ميّت قال : أراك لي عاصياً وما أرضى حتى تفعل ما أهوى . قال : أمّا إذا صحّ عزمك على ذلك فشأنك وما هويت لأصير إليه بالكراهة لا بالرضا ، فشكره على ذلك ، وعمد إلى سكين فشحذها ودفعها إليه ، وأشهد على نفسه أنّه دبره ودفع إليه من صلب ماله ثلاثة آلاف درهم ، قال : إذا فعلت ذلك فخذ في أي بلاد الله شئت ، فعزم الغلام على طاعة المولى بعد التمتع والإلتواء فلمّا كان في آخر ليلة من عمره ، قال له : تأهل لما أمرتك به ، فإني موقظك في آخر الليل ، فلمّا كان في وجه السحر ، قام وأيقظ الغلام ، فقام مذعوراً وأعطاه المدينة فجاء حتى تسوّر حائط جاره برفق واضطجع على سطحه ، فاستقبل القبلة ببدنه ، وقال للغلام : هيا وعجل-

فترك السكين على حلقه ، وفرى أوداجه ، ورجع إلى مضجعه وخلاه يتشحط في دمه .

فلما أصبح أهله خفي عليهم خبره ، فلما كان في آخر النهار أصابوه على سطح جاره مقتولاً فاخذوا جاره ، وأحضروا وجوه المحلة لينظروا إلى الصورة ورفعوه وجسوه ، وكتبوا بخبر إلى الهادي ، فأحضره فأنكر أن يكون له علم بذلك وكان الرجل من أهل الصلاح ، فأمر بجسسه ، ومضى الغلام إلى أصبهان .

وكان رجل من أولياء المحبوس وقرابته ، وكان يتولى العطاء للجند بأصفهان ، فرأى الغلام وكان عارفاً به فسأله عن أمر مولاه ، وكان قد وقع الخبر إليه ، فأخبره الغلام حرفاً حرفاً ، فأشهد على مقاتله جماعة ، وحمله إلى مدينة السلام وبلغ الخبر الهادي فأحضر الغلام فقص عليه كله فتعجب الهادي من ذلك وأمر بإطلاق الرجل المحبوس ، وإطلاق الغلام أيضاً (٢٣) .



مصادر ومراجع البحث

- (١) محاسبة النفس : الشهيد الثاني ص ٥٢ ، تنبيه الخواطر ج ١ ص ١٢٧ .
- (٢) محاسبة النفس ص ٥٣ ، عدة الداعي ص ٢٢٨ .
- (٣) راجع كتاب : إفلاس الأحزاب العلمانية / علي طه ص ١٩٩ .
- (٤) بحار الأنوار مجلد ٧٧ ص ٧٦ .
- (٥) غرر الحكم .
- (٦) صحيح مسلم : مجلد ١ ص ٧٤ .
- (٧) مشكاة الأنوار ص ٣١٠ .
- (٨) بحار الأنوار مجلد ٧٣ ص ٢٣٩ .
- (٩) تحف العقول ص ٢٣ .
- (١٠) بحار الأنوار مجلد ٧٣ ص ٢٥١ .
- (١١) راجع : جامع السعادات ج ٢ ص ٢٠٥ وما به .
- (١٢) كشف الريبة عن أحكام الغيبة ص ٢٦٠ - ٢٦١ 'شاهد الثاني .
- (١٣) بحار الأنوار مجلد ١ ص ٣١٥ .
- (١٤) بحار الأنوار مجلد ٧٣ ص ٢٥٥ .
- (١٥) بحار الأنوار مجلد ٧٣ ص ٢٣٧ .
- (١٦) بحار الأنوار مجلد ٧٣ ص ٢٥٥ .
- (١٧) بحار الأنوار مجلد ٨٥ ص ٣٨٨ .
- (١٨) بحار الأنوار مجلد ص ٢١٧ .
- (١٩) غرر الحكم .
- (٢٠) مصباح الشريعة ص ١٠٤ .
- (٢١) أصول الكافي مجلد ٢ ص ٣٧ .
- (٢٢) أصول الكافي مجلد ٢ ص ٤٥٣ .
- (٢٣) بحار الأنوار مجلد ٧٠ ص ٢٥٢ - ٢٦٠ .



تتبع عشرات المؤمنين

أدنى ما يخرج الانسان من الايمان ، أن يحصي على
أخيه المؤمن زلاته وعثراته وذنوبه لتعييره بها وفضحه
بين الناس .

محتويات البحث

- ١ - آيات كريمات .
- ٢ - حديث شريف .
- ٣ - أدنى الكفر .
- ٤ - ستر الذنوب .
- ٥ - التعبير بالخطيئة .
- ٦ - التخلق بأخلاق الله .
- ٧ - إشاعة الفاحشة .
- ٨ - الخطيئة الفردية والإضرار بالمجتمع .
- ٩ - توجيهات أساسية للتعامل بين المؤمنين .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَجْبُونَ أَنْ تُشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [١] .

﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ
مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [٢] .

* * *

قال الإمام الصادق (ع) : « أدنى ما يخرج الإنسان من الإيمان ، أن
يؤاخي الرجل على دينه ، فيخصي عليه عثراته وزلاته ليعتقه بها يوماً
ما » [٣] .

وعن رسول الله (ص) : « أدنى الكفر أن يسمع الرجل من أخيه
الكلمة فيحفظها عليه يريد أن يفضحه بها أولئك لا خلاق لهم » [٤] .

* * *

[١] سورة النور : الآية ١٩ .

[٢] سورة الحجرات : الآية ١٢ .

[٣] بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤٣٨ .

[٤] بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١٩٣ .

إنَّ الإسلام قد عني عناية كبيرة بموضوع الكلام ، وأسلوب أدائه ، لأنَّ الكلام الصادر عن إنسان ما ، يشير إلى حقيقة عقله ، وطبيعة خلقه ، وقدرته على التكيف مع المواقف ، فالإعراض عن الكلام حيث لا ضرورة له ، عبادة جزيلة الأجر ، موفورة النفع ، تؤمن صاحبها كثيراً من المزالق والمطبات . وأمَّا الذين تقوِّدهم ألسنتهم ، فلأنَّما تقوِّدهم إلى مصارعهم ، وتصل بهم إلى كل مهلك ، كما جاء على لسان أحد كتابنا .

ويقول أيضاً : إنَّ بعض المنتسبين إلى الدين ، يستسهلون أداء العبادات المطلوبة ، ويظهرون في المجتمع بمظهر الحرص على إقامتها ، وهم يرتكبون في الوقت نفسه أعمالاً ، ياباها الخلق الكريم ، والإيمان الحق . وفي هذا ورد عن رسول الله (ص) : « أن رجلاً قال يا رسول الله إنَّ فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال (ص) : في النار . . . »^(١) .

وهكذا نرى أنَّ لا قيمة لصلاة أو صيام أو تصدق مع أذى الآخرين ، والتشهير بهم ، لأنَّ اللسان السائب حبل مرخي في يد الشيطان ودمية يتلهَّى بها ، ويصرف صاحبها كيف يشاء ، فإذا لم يملك الإنسان أمره كان فمه مدخلاً لما يلوٲ قلبه .

ويقول رسول الله (ص) : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه »^(٢) .

وهذه الإستقامة لا تقوم إلَّا بعد أن ينفض يديه ممَّا لا شأن به له ولألَّا يقحم نفسه فيما لا يسأل عنه .

وقد جاء في الحديث : « من حسن إيمان المرء تركه ما لا يعنيه »^(٣) .

إنَّ من فضل الله على العباد أنه أحب ستر عيوب الخلق ، ولو صدق اتصافهم بها ، ولا يجوز لمسلم أن يتشقى بالتشنيع على مسلم ولو ذكره بما فيه . . فصاحب الصدر السليم ، والنفس الشريفة والأخلاق العالية يأبى لألام العباد ويجهد في تخفيفها . أما التلهي بسرذ الفضائح ، وكشف الستور وإبداء العورات فليس مسلك المؤمن الحق .

قال الرسول (ص) : « من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة »^(٤) .

وكثيراً ما يكون متتبعو العوزات لفضحها أشدّ إجراماً ، وأبعد عن الله قلوباً من أصحاب السيئات المنكشفة ، فإنّ التريص بالجريمة لنشرها أقبح من فعل الجريمة نفسها .

ليست الجريمة فقط أن يحصي المرء عثرات الآخرين ليفضحهم بها يوماً ما ، بل الجريمة أيضاً أن يشير الإنسان إلى عثرات غيره لإفشائها ، والتشنيع عليه بها ، وبالتالي الغمز من فئاته ، وتوجيه مرضى القلوب للنيل منه ، أمّا بالإفتراء عليه ، بأن ينسبوا إليه ما لم يفعل ، أو بذكر بعض نواقصه ، والتحريض على ذلك ، فالمحرّض على الجريمة كفاعلها لا بل أخطر .

أدنى الكفر

لقد أوضح الحديث الذي أورده ، في بداية هذا البحث ، أن أدنى الكفر أن يسمع الرجل من أخيه الكلمة فيحفظها عليه ، يريد أن يفضحها بها ، وأن أولئك لا خلاق لهم ، باعتبار أنّ هذا الإنسان قد عادى الله ، وارتكب ما يعتبر أدنى درجات الكفر ، بأذية مؤمن وذلك بالتشهير به ، فكمن له حافظاً عليه كلمة قد قالها ، وقد يكون فيها زلل ، أو انحراف عن خط الكلام السوي ، وربما عمد البعض إلى إحصاء أخطاء الغير ، معرضاً عن أخطاء نفسه ، مبيناً حال هذا الشخص ، وما سيحل به .

قال الصادق (ع) : « إذا رأيتم العبد متفقداً للذنوب الناس ، ناسياً لذنوبه فاعلموا أنّه قد مكر به »^(٥) .

وعن علي (ع) أنه قال : « يا عبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصية ، فلعلك معذب عليه ، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه . . »^(٦) .

أنّ الإنسان الذي يفكر بواقعية ، وخوف من الله سبحانه ، يعرف نفسه جيداً ، ويحاسبها ويؤدبها ، ويلجم غرائزه وأهواءه ، ويحارب نزعة العداوة

للغير ، أو الإعتداء على الآخرين ، فلا يتربّص بالآخرين الدوائر ، أو ينتظر منهم أدنى خطأ أو ذنب ، حتى يعيب عليهم ، وتنهال منه الإنتقادات القاسية ، يريد النيل من إخوانه ، والإرتفاع على حساب أذيتهم . . . ألا يعلم هذا أن الله تعالى قد يغفر لهؤلاء ، فيكون الإستعجال في عيب الآخرين ذنب قد لا يغفره الله ، ولما لا يتلفت المرء إلى نفسه ومعاصيه ، ولما يفتش عن التبريرات والأعذار إذا ما عصى ربه ، وخالف أمره . . . ألا يعلم أن العذاب قد يحيق به . نعم إن من يعرف نفسه وأخطاءه ، لا شك أنه ، إن أراد الله به خيراً ، وأراد لنفسه الصلاح ، يسكت عن غيره ويكفف حتى يسكت عنه .

ولكن الإنسان المنحرف عن تعاليم الإسلام ، الذي سلك طريق الكفر ، مبتدئاً بأذنه يعمد إلى كل ذلك لأنه ينوي في قلبه نية العداوة ، لا نية الأخوة للغير ، فهو يكر بصاحبه ان استطاع إلى ذلك سبيلاً والمكر والعداء والإعتداء صفتان تبعدان المرء عن الإيمان ، وتقربانه من الكفر .

ويقول علي (ع) : « لا تتبع عيوب الناس ، فإن لك من عيوبك ان عقلت ، ما يشغلك من أن تعيب أحداً » (٧) .

ويقول رسول الله (ص) : « ثلاث من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله : رجل لم يعيب أخاه المسلم ، إلا حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه ، فإنه لا ينتفي عنه عيب إلا بدا له عيب ، وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس » (٨) .

إن كل من يتفقد عيوب الناس ، ويلهو بها عن عيوب نفسه ، كما يفعل الكثيرون ، فإنه قد مكر به ، ومن يكر به يكون حليف الشيطان ، ومن كان حليف الشيطان كان ماله إلى خسران .

وإن أصحاب الأخلاق الفاضلة ، والعقول الراجحة ، يعملون بمضمون الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، التي تحض على الإشتغال بعيوب النفس ، قبل الإشتغال بعيوب الغير ، لأن الإلتفات والتنبه إلى الأقوال والأفعال ، وعدم القيام بأي تحرك إلا بعد دراسة طبيعته ، وقربه ، وبعده عن التعاليم الإسلامية ، لا شك أنه يقلل من الأخطاء والهفوات ، ويبعد الإنسان عن

مراقبة الناس وتتبع عيوبهم . وإن من يعمل لتنقية نفسه ، وأخلاقه ، وأعماله من النواقص ، والتعلق بالسفاسف ، يهتم بذنوبه ، وعيوبه فقط . لأنه يعلم أن الله سبحانه لا يسأله يوم القيامة إلا عن أخطائه هو ، ولا يتحمل أية مسؤولية أمام الله ، إذا ما أذنب غيره . وانحرف ، سوى مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإرشاد الضال .

يقول الإمام الصادق (ع) : « ومن مكر الله به فإنه من الخاسرين » .

إن خسران الذي يكر به ، يعود إلى أنه يسعى من خلال إحصاء ذنوب الآخرين عليهم يريسد فضحهم ، وشينهم بين الناس وإذلالهم والمكر بهم ، ويسعى كذلك بين الناس لإيذائهم ، والتفرقة بينهم ، فهو ثام يحاربه القريب ويمقتة البعيد .

وإن هذا الذي يفتش عن عيوب الآخرين ، لفضحهم بها ، وإن كان يقول الصدق عنهم ، فإنه مغتاب وأثيم وليس بمؤمن وهو كما يقول علي (ع) : « أسوأ الصدق النميمة » .

ويقول الباقر (ع) : « محرمة الجنة على الفتانين المشائين بالنميمة » .

وكيف يكون من المؤمنين من يحصي على الناس عيوبهم ، ويترك عيوب نفسه ، ويأكل لحم أخيه ميتاً .

يقول الرسول (ص) : « يبصر أجذكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه » (٩) .

ويقول الرسول (ص) : « طوي لمن منعه عيبه عن عيوب المؤمنين من إخوانه » (١٠) .

ويقول علي (ع) : « عجت لمن ينكر عيوب الناس ونفسه أكثر شيء معاباً ولا يبصرها » (١١) .

ويقول علي (ع) : « من أبصر زلته ، صغرت عنده زلة غيره » (١٢) .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « من استصغر زلة نفسه ، استعظم زلة غيره » (١٣) .

أليس من التفاهة ، وسوء التقدير ، أن يرى المرء القذى في عين غيره ، ولا يرى جذع الشجرة في عينه ؟ . .

وكيف يعقل أن يكون ذلك ؟ كيف يوثق بمن كان حاله كذلك ؟ .

إن القذى جسم صغير لا يرى إلا بصعوبة ، بينما جذع الشجرة مهما كان صغيراً فحجمه وجرمه مرئي بلا شك . . . فتدبروا يا أولي الألباب .

وإن الذي لا يرى عيوبه ، أو يتناساها مهما كبرت ، فهو من الذين ران على قلوبهم فهم لا يبصرون .

وكيف يذكر الإنسان عيوب وزلات غيره ، ويعمل على إفشاء عثرات وخطايا الآخرين ، وهو كثير العثرات والعيوب . . لا ريب أنه مات قلب هذا العبد ، وتلوثت نفسه ، وتلاشت عنده كل نخوة أو مروءة تدفع به إلى الخلاص مما هو فيه .

ومن الواضح أن أي عمل سوء يقرب الإنسان من الناحية العملية إلى الكفر، ويبعده عن الإيمان، لذلك فإن الرسول (ص) ينهانا عن مثل هذه الأفعال، وكذلك الأئمة (ع) يعلموننا كيف نعوذ أنفسنا على تجنبها ، بغية أن يصب اهتمامنا على محاسبة النفس ، والإبتعاد عن الانحرافات :

يقول رسول الله (ص) : « ليردك عن الناس ما تعلم من نفسك » (١٤) .

ويقول علي (ع) : « ليلهك عن ذكر مصائب الناس ، ما تعرف من مصائبك » (١٥) .

ويعلمنا علي (عليه السلام) فيقول : « من بدأ بعيوب الناس فليبدأ بنفسه » (١٦) .

ويقول الصادق (عليه السلام) : « لا تنظروا في عيوب الناس كالأرباب ، وانظروا في عيوبكم كالعبيد » (١٧) .

ويقول أمير المؤمنين (ع) : « أعقل الناس من كان بعيبه بصيراً ، وعن عيب غيره ضريراً » (١٨) .

ستر الذنوب

من المعلوم أن ستر الذنوب يدل على سَمَو الخلق ، والإلتزام بالإسلام الحق ، الذي يدعو إلى المحافظة على نظافة المجتمع من الآثام ، حتى لا يتجرأ المتجرؤون على فعل المنكرات ، بل لتستر الانحرافات الفردية ، وتصحح بطريقة النصيح سرّاً ، بدل النصيح العلني .

فقد ورد في الحديث : « من نصح أخاه سرّاً فقد زانه ، ومن نصحه علانية فقد شانه » .

والله تعالى هو الذي يحصي ذنوب العباد ، ويؤخرهم ، وينذرهم ، وهو الستار الذي لا يفضح ، وعلى المؤمن التخلّق بأخلاق الله تعالى ، لذا يقول الرسول (ص) : « من علم من أخيه سيئة فسترها ، ستره الله يوم القيامة »^(١٩) . ويقول (ص) : « من ستر أخاه في فاحشة رآها عليه ، ستره الله في الدنيا والآخرة »^(٢٠) ، « من ستر على المؤمن خزية ، فكأنما أحيا مؤودة من قبرها »^(٢١) .

ويقول (ص) : « يجب للمؤمن على المؤمن ، أن يستر عليه سبعين كبيرة »^(٢٢) .

ومن وصايا الخضر لموسى (ع) : « يا ابن عمران لا تعيّن أحداً بخطيئة ، وابك على خطيئتك »^(٢٣) .

ويقول الرسول (ص) : « من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمل »^(٢٤) .

ويقول (ص) : « من أذاع فاحشة كان كمبتدعها ، ومن عيّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يرتكبه »^(٢٥) .

ويقول الصادق (ع) : « أبعد ما يكون العبد من الله ، أن يكون الرجل يؤاخي الرجل ، وهو يحفظ عليه زلّاته ليعيّر بها يوماً ما »^(٢٦) .

إنّ ستر الذنوب الفردية لا يعني السكوت عن الانحرافات التي تسيء إلى الأمة والدولة الإسلامية ، بل تحتاج إلى مواجهة علنية مدروسة للحفاظ على مسيرة الإسلام ، والنظام الإسلامي ، من أجل عدم إفساح المجال أمام قوى الانحراف كي تلعب دوراً تخريبياً في المجتمع الإسلامي .

التعير بالخطيئة

إن التعير بالخطيئة ليس أسلوباً إنسانياً سليماً ، حتى لو كان يعبر عن حقيقة والذين يمارسون هذه الممارسة هم أصحاب نفوس قد عشعش فيها الشر ، والحق على الناس للنيل منهم لذلك لا يرون في الآخرين إلا الجانب المظلم ، مع العلم أن أي إنسان مهما كثرت أخطاؤه ، لا بد أن يمتلك بعض الإيجابيات ، فلما نركز على السلبيات ، ونندع الإيجابيات . . . ، إن هذا الأسلوب السيء النتائج على صاحبه ، وعلى الآخرين خطر ومؤذ ، ولا ينبغي استعماله وخصوصاً أن الذي يستعمله سوف يقع لا محالة - في نفس الأخطاء ، أو الذنوب التي يعير بها الآخرين . والحديث يقول :

« من غير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمل » (٢٧) .

وأفشاء العيوب ونشرها وإذاعتها كفعلها تماماً ، إذ أن الذي يعمل على إفشاء العيوب ، والشهير بأصحابها كفعلها أو مفترها .

ثم إن من يوصي أخطاء أخيه ، من أجل التشهير به في الوقت المناسب ، ليكيل له الضربات عن سابق تصور وتصميم ، عقوبته عند الله كبيرة ، لأنه معتد ، والله لا يحب المعتدين ، كيف لا ، وقد أمر أن يعيش مع الناس ، على أساس التآلف والتحابب والتعاون والرفقة .

قال علي (ع) : « خالطوا أخوانكم مخالطة إذا غبتم حنوا إليكم ، وإذا متم بكوا عليكم » (٢٨) .

والمعنى أن يكون الإنسان مثلاً أعلى لا يفكر بالإيذاء مطلقاً بل منهجه الإستقامة ، وخدمة الناس ، والمحافظة على سيادة الأخلاق الفاضلة في المجتمع ، أما إحصاء الزلات فهو بعيد عن الإستقامة ، لا بل هو خروج عن الإيمان ، لأن المؤمن هو من أمن الناس منه الأذى ، والمسلم من سلموا من يده ولسانه ، ومن يتجاوز كل هذا ، ويعتدي على غيره ، بهدف إظهار نواقصه ، والإساءة إليه ، فإن عقوبته من جنس جريمته ، كما جاء في الحديث :

« من تتبع عورات المؤمنين تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف داره » (٢٩) .

الله تعالى ستار ، فتخلّق بأخلاق الله

إنّ من جملة الصفات الإلهية ، الستّر ، فهو الستار ، فإذا أراد الله أن يستر على عبده ، فإنّه ينسي الملائكة ذنبه ، وينسي جوارحه والأرض ما اقترفه من خطأ . فسعة الرحمة الإلهية على المذنبين تدعو المؤمن لأن يراف على الخطاة ، لأنّه يعرف أنه يخطيء أيضاً ، وهو يحتاج إلى من يستر عليه ، فإنّه من ستر على غيره ستر الله عليه .

والستر هو من الأخلاق الإلهية العظيمة ، التي يجب على المؤمن أن يتّصف بها . وكما نوهنا في أكثر من موضع من هذا الكتاب ، فإنّه من المفروض أن يتخلّق الإنسان بأخلاق الله ، فتكون الصفات الإلهية مجال كسب وتحرّر ، فالله سبحانه ، ستار ، والمؤمن بالله ، المتخلّق بأخلاقه سبحانه ، عليه أن يكتسب ويربح صفة الستّر من الله ، وأن يتحرّر من الصفة المضادة وهي حبّ الفضيحة للآخرين .

ففي الحديث أنّ هناك تسعة وتسعين اسماً لله سبحانه فمن أحصاها دخل الجنة وقيل : أكثر من ذلك ، كما في بعض الروايات ، وأحصاها (أي تخلّق بها وعمل بمقتضاها) . وهذا يحقق الإتصال الحقيقي بين الخالق والمخلوق وذلك بتمثّل صفات الله ، في كلّ فعل صغير وكبير ، من خلال التقرب المعنوي ، أي التخلّق بأخلاقه سبحانه كما قلنا أنفا .

إشاعة الفاحشة

إنّ كل ما يحطّ من نفسية المؤمن ، يبعد الإنسان عن الإيمان ، بنسبة معيّنة باعتبار أنّ التباخي الإسلامي هو عملية ترابطية بين المؤمنين .

والمؤمن عندما يعيش جو الأخوة في الله ، لا يمكن أن يفكر بالإساءة إلى مؤمن أو أن يدفع باتجاه فضح مؤمن ، أو تشويه سمعته ، لأنّ هذه المؤاخاة تكون في حقيقتها عداوة وانحراف عن خط الله ، في شأن العلاقات بين المؤمنين ، فيضبح خارج إطار الإيمان الحق ، وغير مرتبط بالصراط المستقيم .

فالمؤمن الحق ، هو الذي يعيش للآخرين ومن أجلهم ، فإن خرج على هذا

النهج خرج عن دينه ، فصالح الجماعة هو من صميم الإيمان والدين ، والنصوص التي سنوردها تؤكد ذلك :

عن أبي المأمون الحارثي قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : « ما حقّ المؤمن على المؤمن ؟ .

قال : إنّ من حقّ المؤمن على المؤمن المودة له في صدره ، والمؤاساة له في ماله ، والخلف له في أهله ، والنصرة له على من ظلمه ، وإن كان نافلة في المسلمين (النافلة أي الغنيمة) وكان غائباً ، أخذ له بنصيبه ، وإذا مات الزيارة إلى قبره وأن لا يخونه ، وأن لا يخذله ، وأن لا يكذّبه ، وأن لا يقول له أفّ ، وإذا قال له : أفّ ، فليس بينها ولاية ، وإذا قال له : أنت عدوي فقد كفر أحدهما ، وإذا اتهمه ، إثبات الإيمان في قلبه كما ينهات الملح في الماء » (٣٠) .

٢ - عن معلّى بن خنيس عن أبي عبد الله (ع) قال : « قلت له ما حقّ المسلم على المسلم ؟ قال له : سبع حقوق واجبات ما منهنّ حقّ إلّا وهو عليه واجب ، إن ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله ، وطاعته ، ولم يكن لله فيه نصيب ، قلت له : جعلت فداك وما هي ؟ قال : يا معلّى إني عليك شفيق أخاف أن تضيّم ولا تحفظ ، وتعلم ولا تعمل قال : قلت له : لا قوّة إلّا بالله قال : أيسر حقّ منها : أن تحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك ، والحق الثاني أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره ، والحق الثالث : أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك ، والحق الرابع : أن تكون عينه ودليله وممرّاته ، والحق الخامس : أن لا تشيع ويحجوع ولا تروى ويظمأ وتلبس ويعرى ، والحق السادس : أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادماً فيغسل ثيابه ويضع طعامه ويمهّد فراشه ، والحق السابع : أن تبرّ قسمه (أي قبول قسمه لئلا يكسر قلبه) وتحيب دعوته ، وتعود مريضه ، وتشهد جنازته ، وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه أن يسألكها ، ولكن تبادره مبادرة ، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك » (٣١) .

٣ - وعن أبي عبد الله (ع) : « حق المسلم على المسلم أن لا يشيع ويحجوع أخوه ، ولا يروى ويعطش أخوه ولا يكتسي ويعرى أخوه ، وما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم ، ثم قال : أحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك وإذا احتجت

فسله ، وإن سألك لا تمله خيراً ، ولا يمله لك (أي لا تسأله من جهة إكثاره الخير ولا يسأله من جهة إكثاره الخير لك) وكن له ظهيراً فإنه لك ظهر ، وإذا غاب فاحفظه في غيبته ، وإذا شهد فزره وأجله وأكرمه فإنه منك وأنت منه فإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسأل سميحته (أي تستخرج غضبه برفق) وإن أصابه خير فاحمد الله وإن ابتلي فاعضده وأن تحك له (أي كيد له) فاعنه وإذا قال الرجل لأخيه أف انقطع ما بينهما من الولاية وإذا قال أنت عدوي كفر أحدهما فإذا اتهمه بلاث الإيثار في قلبه (أي ذاب) كما ينمات الملح في الماء وقال أيضاً: إن المؤمن ليزهر نوره لأهل السماء ، كما تزهر نجوم السماء لأهل الأرض وقال : إن المؤمن وليّ الله يعينه (أي الله يعينه) ويضع له ولا يقول عليه إلاّ عليه الحق ولا يخاف غيره » (٣٢) .

٤ - وعن عبد الأعلى بن أعين قال : كتب بعض أصحابنا يسألون أبا عبد الله (ع) عن أشياء فأمروني أن أسأله عن حقّ المسلم على أخيه ، فسألته فلم يجبني فلما جئت لأودعه فقلت : سألتك فلم تجبني ؟ فقال : إني أخاف أن تكفروا : إن من أشد ما افترض الله على خلقه ثلاثاً : إنصاف المرء من نفسه حتى لا يرضى لأخيه من نفسه إلا بما يرضى لنفسه منه ، ومؤاساة الأخ في المال ، وذكر الله على كل حال ليس سبحانه الله والحمد لله ولكن عندما حرم الله عليه فيدعه » (٣٣) .

٥ - عن أبان بن تغلب قال : « كنت أدلوف مع أبي عبد الله (ع) فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجة إليّ فكرهت أن أدع أبا عبد الله (ع) واذهب إليه فبينما أنا أطوف إذ أشار إليّ أيضاً ، فرأه أبو عبد الله (ع) فقال : يا أبان إياك يريد هذا ؟ قلت نعم قال : فمن هو ؟ قلت رجل من أصحابنا قال : هو على مثل ما أنت عليه (أي من الإيمان) قلت نعم : قال : فاذهب إليه قلت : فاقطع الطواف ؟ قال : نعم قلت : وإن كان طواف الفريضة ؟ قال : نعم ، قال فذهبت معه ؟ ثم دخلت عليه بعد فسألته ، فقلت : أخبرني عن حقّ المؤمن على المؤمن فقال : يا أبان دعه لا تردّه قلت : بلى جعلت فداك فلم أزل أردد عليه فقال : يا أبان تقاسمه شطر مالك ثم نظر إليّ فرأى ما دخلني ، فقال : يا أبان أما تعلم أن الله عز وجل قد ذكر المؤثرين على

أنفسهم ؟ قلت : بلى جعلت فداك ، فقال : أما إذا أنت قاسمته فلم تؤثره بعد ، إنما أنت وهو سواء إنما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر» (٣٤) .

وعلى هذا ، فإننا نرى أنه أية محاولة لفك الربط بين المؤمنين ، تعرض هذه العلاقة إلى الانتكاس ، وتبعد الإنسان عن خط الإيمان ، فإذا قال لأخيه المؤمن أف ، فليس بينهما ولاية (المؤمنون بعضهم أولياء بعض) وإذا قال له : أنت عدوي ، فقد كفر أحدهما .

فمن عادى مؤمناً ، فقد عادى المبدأ لأن المؤمن كان مؤمناً بإيمانه ، فمعاداته معاداة للإيمان ، ومن عادى الإيمان والدين ، فقد مال إلى الكفر والجحود ، وصادق أعداء الله ، وعادى أوليائه ، ومن وجه تهمة إلى أخيه المؤمن ، ذاب الإيمان في قلبه ، كما الملح في الماء أي أنه أيضاً يكون قد دخل في صراع مع الحق ، لأنه لا إيمان بدون مؤمنين ، والتهمة تعني عدم الثقة بأهل الإيمان ، وعدم ثقة بإيمانهم أما عدم الثقة بالإيمان فهو كفر وظلم وضلال . (راجع الحديث رقم ١ - ٣ .

ومن ضيّع شيئاً من حقوق المؤمنين خرج من ولاية الله وطاعته ، أي إنه خسر إيمانه ، وسلك غير طريق المؤمنين لأنه يقطع الروابط التي أمر الله بها بين المؤمنين فيما بينهم ، ولم يكن لله فيه نصيب ، بل أصبح ملك الشيطان ، ومن حزبه . (راجع الحديث رقم ٢) .

وقد رأينا كيف أن الإمام الصادق (ع) لم يجب من سألته عن حق المسلم على أخيه ، ولما سئل عن سبب امتناعه عن الجواب قال (ع) : إني أخاف أن تكفروا (أي بسبب ترككم القيام بحقوق المؤمنين) (راجع حديث رقم ٢) .

ويصل الأمر إلى درجة أن حق المؤمن على المؤمن من أكبر العبادة بمعناها الخاص ، ألا ترى إلى أن الإمام الصادق (ع) يأمر أحدهم بأن يقطع طوافه حول الكعبة ، استجابة لمؤمن سألته الذهاب معه في حاجة (راجع الحديث رقم ٥) ، الا يعني هذا أن خدمة الناس ، والنفع لعباد الله ، والإرتباط معهم وبهم ، لب الإيمان وروح الإسلام . . فتدبر .

إن الربط بين الفرد والجماعة أمر له مردوده الإيجابي والنافع من باب ، ان المسلم الفرد في خدمة الجماعة المسلمة . . . وذلك كما يأمر الله ويرضى ، والجماعة المسلمة تحفظ وتصون حقوق الأفراد وكل عمل بلا هدف خير ، لا مجال له في قاموسنا الإسلامي . . . وكل من يسعى للقفز فوق أشلاء الآخرين ، ليصل إلى مآرب شخصية ، مآله إلى ندامة ، وخيبة أمل في الدنيا والآخرة .

والشخص المدعي للإيمان والذي يقوم بإحصاء عثرات المؤمنين وأخطائهم من أجل نشرها وإذاعتها بين الناس ، ومن أجل إسقاطهم من أعين الناس والإساءة إليهم ، هو من محبي إشاعة الفاحشة ، لأن الفاحشة تشمل كل أنواع الذنوب من غيبة وثيمة وكذب وزور وزنا وقمار . . .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ﴾ [١٦] .

إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ويعملون على ذلك ، لهم عذاب أليم لماذا ؟ لأنهم يعملون على هدم المجتمع المؤمن ، وضرب استقراره والمساعدة على ترويع الإنحرافات ؟ . . . بالإضافة إلى أن عملهم يضاعف الأذى ، ضعف يقع على فاعل الفعل ، وضعف آخر يقع على المجتمع ، وأذى المجتمع أشد وأكثر إرباكاً لمسيرته الحياتية . وعلى هذا فإن مجموعة القيم والمفاهيم التي يعمل الإسلام على نشرها ، تهدف إلى خلق حالة تكامل بين الفرد والمجتمع ، لتحقيق مجتمع العدل والحرية .

فبالترية ونشر المفاهيم السليمة ، وبالقدره الحسنه تسير الأمور سيراً حسناً . ولو ألقينا نظرة سريعة على المجتمع الغربي ، نرى أن المجتمع الرأسمالي تشيع فيه الفاحشة دون حياء ، أو خجل ، ودون أن يفكر أحد بالحد من حجمها وتأثيرها لأن المآرب الشخصية ، والمصالح الذاتية هي التي تحرك الجميع ، الذين تربوا في ظل المجتمع الذي يطبق نظاماً وضعياً علمانياً فاسداً ، ففي مجال علاقات الأفراد تسود الروح النفعية والإنتهازية ، فعندما يتودد أحد إلى أحد فكثيراً ما يكون

[١٦] سورة النور : الآية ١٩ .

الهدف هو التعرف إلى نقاط الضعف فيه ، ليدخل منها من أجل تحطيمه ،
والتشهير به وصولاً إلى تحقيق مآرب خاصة . وكذلك الأمر في المجتمع
الشيوعي (المفلس) . . إن هذه الحالات لا يمكن أن توجد في مجتمع إسلامي
سليم لأنه يقوم على أسس مخالفة للأسس الرأسمالية والشيوعية .

الخطيئة الفردية والإضرار بالمجتمع

بينما أن ستر الذنوب هو باب من أبواب الصلاح ، والإصلاح ، للتركيز على
الإيجابيات ، ولجعل المجتمع سليماً معافى أخلاقياً ونفسياً .

إن الأحاديث الشريفة والآيات الكريمة تربط الأخوة بين الناس برابط
الإيمان وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ أَخَوَةٌ ﴾ [١] .

وصحيح أن المؤمن يخطيء لأنه ليس بمعصوم إلا أن خطاه يبقى على مستوى
فردى ، لا يؤثر سلباً على المجتمع ، إلا إذا عمل على إفشائه ونشره وجعله مؤثراً
وضاراً على الآخرين .

والإنسان المتلون ليس بمؤمن وإن صلى وصام ، إذ كيف يكون مؤمناً من
يظهر الإيمان وهو يفعل السيئات ؟ فالعاصي المستتر على عصيانه أقل ضرراً على
المجتمع من العاصي المجاهر .

فالذي يشرب الخمر سراً ، لا يؤذي المجتمع ، كما يؤذيه شارب الخمر
علانية ، والمتجاهر بشرها ، وقس على ذلك . أن الضرر والأذى يتضاعفان مراراً في
حال الإفشاء ، والنشر وعدم التقيد بقيود الأخلاق الحميدة ، أخلاق الأنبياء
والأولياء والصالحين في ستر العيوب .

أن التجاهر بالفسق ، قولاً وفعلًا ليس مقبولاً ، والمتجاهر بالفسق هو الذي
يعمل سوء فيخبر عنه ، دون خجل ولا حياء وأنه لا يهمنه أن يخبر عنه .

وكشف العيوب وإفشاء العثرات أمر منهى عنه أيضاً ، إن لم يكن أصحابها

[١] سورة الحجرات : الآية ٤٩ .

من المتجاهرين بها - أما إذا كانوا متجاهرين ، فيجب كشفهم أمام الناس لكي يحذروهم فهم يحدثون أكبر الأذى والضرر على المجتمع والناس ، لذلك تحرم غيبة المسلم (الفاسق) غير المتجاهر ، ويمكن لك أن تنصحه سراً أو تردعه دون التشهير به ، أما المعلن والمتجاهر بالفسق فتجوز غيبته ، بعكس سابقه ، لأن المسألة الأولى إشاعة للفاحشة بينما المسألة الثانية دفع ضرر عن المجتمع . مثلاً : إذا اطلعنا على إنسان وعرفنا أنه يشرب الخمر سراً ، فلا يجوز لنا التكلم عنه أمام الناس ، بل نأمره وننهاه ، أما من يمارس أعمالاً تضر بالأمة والمجتمع والرسالة ، علينا أن نحذر منه ونحذر ، رفعاً للضرر عن المجتمع ، ولولا ذلك ما كان أمير المؤمنين (ع) يقوم بمراقبة الموازين ، والأعمال التجارية ويرسبل مراقبين (محتسبين) للقيام بهذه المهمة . ومن الناحية السياسية فيجب على المؤمن أن يعلن عداؤه للمتأمرين على الأمة والدين ، ويعرهم أمام الرأي العام ، وأمير المؤمنين علي (ع) نراه عندما يتعلق الأمر بذنب فردي يقول : « لو وجدت مؤمناً على فاحشة لسترته بثوبي هذا » .

أما عندما يتعلق بمصير الرسالة ، فإنه يقف موقفاً تشهيرياً من العدو ، وما موقفه من معاوية إلا خير شاهد . ولنا في قضية نخلة سمرة بن جندب ما يبين حقيقة الموقف ، إذ أنه كان لسمرة نخلة في دار أحد الأنصار ، وكان يدخل على صاحب الدار ساعة يشاء ، بدون استئذان ، فتأذى وكلمه فلم يقبل بأن يستأذن ، فاشتكى إلى رسوله الله (ص) أمره ، فأمر الرسول (ص) سمرة بالإستئذان فأبى ، ورفض أن يبيعها أو أي حل آخر ، عندها أمر الرسول (ص) باقتلاعها ورميها إليه وقال له : إنك رجل مضار ، لا ضرر ولا ضرار في الإسلام ، وهكذا فإن الذي يشكل ضرراً عاماً ، يتخذ منه موقف علني بعد نصحه وإرشاده .

والإيمان هو صفة تلازم النفس ، وهو يكبر وينمو ويزداد بعمل الخير المتواصل ، وقد ورد في الحديث : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول : لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » . وهكذا نستنتج أن بين الدرجة العليا ، والدنيا مسافة بعيدة تحوي كل أمور الحياة وشؤونها ، والإيمان هو التعامل مع الآخرين بصدق وأمانة . وإن مقياس الإيمان ، الأمانة والسلوك الصحيح وقد ورد في الحديث :

« المؤمن من إئتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم » (٣٥) .

ولا يكون العبد مؤمناً إلا إذا إئتمنه الناس على أنفسهم وأموالهم أو لم يمانعوا في ذلك . . . وعمل البر سريع الوصول إلى رحاب الله ، ومأمون النتيجة . ولن تكون هذه إلا خيرة أما البغي فهو من الشرور الموصلة سريعاً إلى غضب الله ، وعقابه ونتيجته سيئة .

« وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس وفيهم ما يعمى عنه في نفسه ، وأن يعير الناس بما لا يستطيع تركه وأن يؤدي جليسه بما لا يعنيه » (٣٦) .

إن أدنى ما يخرج الإنسان عن إيمانه هو خيانة أخ له في الله . وهذه الخيانة تتمثل في إحصاء العثرات والزلات بهدف الفضيحة ، وبناء المجد الشخصي على أساس هدم شخصيات الآخرين .

توجيهات أساسية للتعامل بين المؤمنين :

إن الإسلام وضع قواعد ، وتوجيهات للتعامل بين الناس ، ويظهر ذلك في قول الإمام زين العابدين (ع) لرجل قال له :

« إن فلاناً ينسبك إلى الضلال والبدع فقال (ع) : « ما رعيت حق مجالسة الرجل ، حيث نقلت كلامه إلينا ، ولا رعيت حقي حيث أبلغتني عن أخي ما ليس أعلمه : إن الموت يعمنا ، والبعث محشرنا ، ويوم القيامة موعداً والله يحكم بيننا . إياك والغيبة فإنها كلاب النار واعلم أن من أكثر عيب الناس شهيد عليه الإكثار أنه إنما يطلبها بقدر ما فيها » .

وعن الإمام الصادق (ع) : « من روى عن مؤمن رواية ، يريد بها شينه ، وهدم مروته ليسقط من أعين الناس ، أخرجته الله تعالى من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان » .

« وروي أن حكيماً زاره بعض اخوانه ، وأجبره بخبر عن غيره ، فقال له الحكيم لقد أبطأت الزيارة وأتيتني بثلاث خيانات : بغضت لي أخي ، وأشغلت قلبي الفارغ ، واتهمت نفسك الأمانة » .

« وروي أن رجلاً تبع حكيماً سبعمئة فرسخ في سبع كلمات ولما قدم عليه قال : إني جئت لك الله من العلم أخبرني عن السماء ، وما أثقل منها ، وعن الأرض وما أوسع منها ، وعن الحجارة وما أقسى منها ، وعن النار وما أحر منها ، وعن الزمهرير وما أبرد منه ، وعن البحر وما أغنى منه ، وعن اليتيم وما أذل منه ، فقال الحكيم : البهتان على البريء أثقل من السماوات ، والحق أوسع من الأرض ، والقلب القانع أغنى من البحر ، والحرص والحسد أحر من النار ، والحاجة إلى القريب أبرد من الزمهرير ، وقلب الكافر أقسى من الحجارة ، والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم » .

« وقيل أن رجلاً استأجر شخصاً ليعلمه وسأل عنه ف قيل له : ليس فيه من عيب سوى أنه ثمام . قال رضيته فمكث أياماً ، ثم قال لزوجته الرجل أن زوجك يبغضك ، وهو يريد أن يطلقك ويتزوج بأخرى ، فخذي الموسى ، واحلقي من قفاه شعرات حتى أسحر عليها ، فيحبك .

ثم قال للزوج : إن امرأتك تبغضك وتريد الخلاص منك ، وهي تبغي قتلك ، فتناولها ، فجاءت المرأة بالموسى ، فظن أنها تقتله فقام وقتلها ، فجاء أهل المرأة وقتلوا الزوج فوق القتال بين القبيلتين .

وقال الصادق (ع) : « المؤمن أصدق على نفسه من سبعين مؤمناً » .

وقال الصادق (ع) : « يبلغني عن الرجل من أخواني ما أكره فأسأله فينكر وقد أخبرني عنه الثقات فقال (ع) : كذب سمعك وبصرك عن أخيك ، فإن شهد عندك خمسون قسامة فصدقه وكذبهم . تأول ما تستنكره منه سبعين تأويلاً » .

وقال (ع) : « لا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوء وأنت تجد لها من الخير محملاً » .

إن من أسباب خراب المجتمع وتفككه : الوشاية والغيبة والبهتان والتهمة . . .

١ - إن الوشاية ليست من فعل الأتقياء الورعين وليست من أخلاق المؤمنين ، فبالوشاية تشحن النفوس بالحقد ، والبغضاء ، وتملى القلوب بالغيظ والغضب ، وطالما أوقعت كلمة وشاية وبهتان خلافاً ، أو صداماً راح ضحيته

أناس من الأبرياء لا ناقة لهم ولا جمل في هذه المسائل .

أليس الموت هو الذي ينهي حياتنا وتكالبنا على حطام الدنيا ؟ .

أوليس البعث والنشور هو موعد جمعنا ، وسؤالنا والإقتصاص منا ؟ .

إنه لا بد من هذه المصائب الفظيعة ، التي سنرد إليها رغم أنوفنا والله الحاكم العادل هو الذي سيحكم بيننا ، وسيوصل كلاً منا إلى حقه ، وسيقضي ، وسيعاقب الظالم بالنار وسيدافع عن المظلوم ، وينيله ثواباً عظيماً .

٢ - والغيبة : التي هي طعمانا اليومي وفاكهتنا التي نتفكّه بها في أكثر مجالسنا ، هذه الغيبة ستقلب علينا في الآخرة كلاباً لا أشرس ولا أقبح ولا أشد ، تسمى كلاب النار ، والعيادة بالله من ذلك .

إنّ الغيبة وإفشاء زلات وعثرات الأخوة المؤمنين ، يخرج الإنسان من ولاية الله إلى ولاية الشيطان ؟ .

وهل تصدقون أن الشيطان لا يقبل في ولايته هذا الصنف من العباد ؟ .

ودليلاً على ذلك - الحديث الشريف الذي ذكرناه آنفاً فراجع إن شئت .

٣ - والنميمة والبهتان : خيانة بل خيانات لا يقبلها الله ورسوله ولا المؤمنون . فهي توقع البغضاء بين الناس ، وتشغل القلوب الفارغة ، وتبعد عن الله وتكون دليلاً على اتهام من يقوم بها ، بأن مسلكه وممارسته بعيدان عن الإنسانية والإيمان .

٤ - إنّ البهتان على البريء ثقيل جداً وهو أثقل من السموات . ولنتصور أنّ السموات أطبقت على إنسان واحد ماذا يحل به !! إنّ الذي يتهم بريئاً يكون كمن ألقي عليه بثقل السموات . والحق لا أرحب منه ، ولا أوسع ، فهو يسع كل شيء حتى أنه يسع هذا الكون على كبره واتساعه - لذلك قيل : إنّ الحق أوسع من الأرض - لأن الأرض جزء صغير من هذا الكون الكبير وعليها أن نلتزم دائماً جانب الحق وألا نجانبه أو نبتعد عنه . والقناعة كنز لا يفنى كما يقال ، وتأكيد ذلك أن القلب القانع غني جداً ، بل هو أغنى من البحر ، والبحر كما نعلم واسع جداً ، ويحوي من الأحياء والجمادات النفيسة ما لا يقدر أحد على عدّه أو حصره ،

لذلك قيل أن البحر غني جداً ، وما أجمل أن نكون قنوعين ، فنكون أغنياء
مكتفين بالله ورحمته .

والإيمان هو المفازة التي ينجوبها ومنها المؤمن ، ويتخلص بواسطتها من كل
كفر وإلحاد ، وهذا بحد ذاته فوز كبير . . . فقلب المؤمن رحيم شفوق لين .
وفضيلة الرحمة والشفقة صفة كل مؤمن ، بينما القساوة والصلابة وعدم الرحمة
صفة تلازم الكافر ، وتحول قلبه إلى صخر بل أقسى من الصخر والحجارة .

قال تعالى : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد
قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق منه الماء ، وإن
منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ [١] .



[١] سورة البقرة : الآية ٧٤ .

مصادر ومراجع البحث

- (١) الحديث ورد في عدة مصادر مع بعض الاختلاف في اللفظ .
- (٢) كنز العمال / خطبة ٢٤٩٢٥ . بحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٨٧
- (٣) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٣٦ .
- (٤) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٣٩ .
- (٥) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٢١٥ ، تحف العقول ص ٢٦٨ .
- (٦) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢١٥ ، نهج البلاغة خطبة ١٤٠ .
- (٧) غرر الحكم .
- (٨) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٣٨٩ .
- (٩) كنز العمال خطبة ٤٤١٤١ .
- (١٠) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١٢٦ .
- (١١)(١٢) غرر الحكم .
- (١٣) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢٠٢ .
- (١٤) كنز العمال خطبة ٤٣١٨٣ .
- (١٥)(١٦) غرر الحكم .
- (١٧) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢٨٤ .
- (١٨) غرر الحكم .
- (١٩) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٣٩ .
- (٢٠) كنز العمال خطبة ٦٣٩٢ .
- (٢١) كنز العمال خطبة ٦٣٨٧ .
- (٢٢) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٣٢٢ .

- (٢٣) الوسائل ج ٦ ص ٢٨ .
- (٢٤) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٣٩٦ .
- (٢٥) بحار الأنوار ج ٩٣ ص ٧ أيضاً مصباح الشريعة .
- (٢٦) الوسائل ج ٦ ص ٢٢١ .
- (٢٧) الوسائل ج ٦ ص ٢٢٠ .
- (٢٨) جامع السعادات ج ٣ ص ١٢٨ .
- (٢٩) نفسه ج ٢ ص ١٢٩ .
- (٣٠) الكافي ج ٢ ص ١٧١ .
- (٣١) الكافي ج ٢ ص ١٦٩ .
- (٣٢) الكافي ج ٢ ص ١٧٠ .
- (٣٣)(٣٤) المصدر السابق .
- (٣٥) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٣٠٩ .
- (٣٦) راجع جامع السعادات ج ٢ ص ٢٨٠ .



القسم الثاني

الباب الثاني في معالم الايمان



الفصل الأول

١. عبادة الله وحده
٢. تزكية النفس وزكاة المال
٣. الرخاء ... فتنة ، والبلاء .. نعمة
٤. كظم الغيظ و(الغضب)، من كمال الايمان



لا طعم للايمان إلا :

١. بعبادة الله وحده
٢. وتزكية النفس وزكاة المال

محتويات البحث

- ١ - آيات كريمات .
- ٢ - حديث شريف .
- ٣ - لا طعم للإيمان إلا بعبادة الله وحده .
- ٤ - ثمرات الإخلاص في العبادة :
 - ١ - الراحة النفسية .
 - ٢ - سعادة أسروية .
 - ٣ - صحة جسدية .
 - ٤ - سعادة إجتماعية .
 - ٥ - سعادة أخروية .
- ٥ - لا يجد طعم الإيمان إلا من أعطى زكاة ماله طيبة به نفسه .
- ٦ - الزكاة والتزكي في اللغة والمصطلح .
- ٧ - زكاة المال وطيب النفس .
- ٨ - الزكاة والضرائب .
- ٩ - من علل تشريع الزكاة وآثارها :
 - ١ - إداء الزكاة شرط لقبول الصلاة .
 - ٢ - شرعت الزكاة من أجل قوت الفقراء .
 - ٣ - الزكاة تزيد المال ولا تنقصه .

- ٤ - أداء الزكاة تحصيل للأموال ومحافظة عليها .
- ٥ - جزاء مانع الزكاة في الدنيا .
- ٦ - عقاب مانع الزكاة في الآخرة .
- ٧ - مانع الزكاة كافر .
- ٨ - طيب النفس بالزكاة كفارة وحاجز من النار .
- ٩ - في المال حق معلوم للفقراء غير الزكاة .
- ١٠ - الزكاة ظاهرة وباطنة .
- ١١ - لكل شيء زكاة فزك نفسك .
- ١٢ - زكاة الفطرة من تمام الصوم .
- ١٣ - سرّ وجوب الزكاة وفضيلة الإنفاق .
- ١٤ - طريقة جباية الزكاة :
- ١ - من مواصفات العاملين على الزكاة .
- ٢ - بعض أحكام وآداب الزكاة .
- ٣ - النصاب .
- ٤ - المستحقون للزكاة ثمانية أصناف .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [١] .
﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٢] .
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٣] .
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [٤] .
﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [٥] .
﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْطَعِفُونَ ﴾ [٦] .

* * *

[١] سورة طه : الآية ١٤ .

[٢] سورة هود : الآية ١٢٣ .

[٣] سورة البقرة : الآية ٢١ .

[٤] سورة الشمس : الآية ٩ - ١٠ .

[٥] سورة الحج : الآية ٧٨ .

[٦] سورة الروم : الآية ٣٩ .

قال رسول الله (ص) : « ثلاثة مَنْ فعلهن فقد طعم طعم الإيمان :
من عبد الله وحده وأنه لا إله إلا الله وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه . . .
وزكى نفسه » [١] .

* * *

لا طعم للإيمان إلا بعبادة الله وحده وأنه لا إله إلا الله
قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ،
لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ * مَنِينٍ
إِلَيْهِ وَأَتَّقُوهُ ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمَشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ
وَكَانُوا شِيعاً كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [٢] .

لا ريب إنَّ العقيدة هي الأساس لجميع ممارسات الإنسان المؤمن وأعماله ،
والإيمان ، كما قال الرسول (ص) ، ليس بالتحلي ولا بالتمني ، بل هو عقيدة
وعمل يترجم المبادئ والمفاهيم المنبثقة عن هذه العقيدة .

لهذا ، صار من الضروري أن نحدّد علاقتنا مع الخالق والمخلوقين ، ومع
الموجودات ومختلف الكائنات .

وعلى هذا ، نرى أن كل علاقاتنا تنبع من الارتباط الرئيسي القائم بين
الخالق والمخلوق ، والربّ والمربوب ، وهذا الارتباط هو ارتباط خضوع وطاعة
وانسجام ، في حال الإيمان ، وفي حال عدم الإيمان علاقة إنكار وجحود وعناد
وطغيان وكفر .

وبما أن الإنسان كائن من كائنات الكون ، عليه أن يخضع لسنن الكون
والتكوين ، ولقوانين الحياة الطبيعية والتشريعية ، فإنَّ ارتباطه بالله تعالى يعتبر
ارتباطاً ضرورياً ، والعلاقة قائمة على أساس العبادة للمعبود ، والمحبة
للمحبيب ، والخضوع للقهّار . . . إنها علاقة المحتاج بالغني ، والضعيف

[١] كنز العمال مجلد ١٠ خ ١١٠ .

[٢] سورة الروم : الآية : ٣٠ - ٣٢ .

بالقوي ، والدليل بالعزیز ، والجاهل بالعالم ، مع أن غناه وقوته وعزته وعلمه . . . ليس نسبياً بل مطلقاً . وواضح أن الله على الإنسان حقاً أكبر ، يحدده الإمام زين العابدين (ع) فيقول :

« فأما حقّ الله الأكبر عليك ، فأن تعبده لا تشرك به شيئاً ، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة ، ويحفظ لك ما تحب منها »^(١) .

وحقّ الله الأكبر هو أن نعبدّه - وحده - عبادة مخلصه ، إذ أن الإيمان بالله يعني التصديق به وبما وعد والتصديق برسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر ، والحساب والعقاب والثواب والجنة والنار والصراف والميزان . والناس ، في مواقفهم من هذه العقائد على درجات ، فمنهم من هو على مثل نور الشمس . . . وقد قال الإمام علي (ع) .

« لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً » .

وتتدنى الرتبة حتى تصل إلى درجة الطمأنينة ، وبعض الناس تصديقه تصديق ظني سريع التغير والتقلب بأقل شبهة .

وقد قال الصادق (ع) : « إنَّ للإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل ، فمنه التام المنتهي تمامه ، ومنه الناقص البين نقصانه ، ومنه الراجح الزائد رجحانه » .

إن نور اليقين ، وطمأنينة القلب ، لا تحصل بالتلقين ، ولا بالجدل الفارغ ، بل هي من انعكاسات العمل والجهاد المستمر في سبيل الله ، والتقوى السلوكية والسياسية ، والورع عن محارم الله ، والإشتغال بتلاوة القرآن وتدبر آياته ، وتفسيره ، ودراسة حديث الرسول (ص) وسيرته ، ومعاشرته الأخيار ، والإبتعاد عن معاشرته أهل السوء ، وجهاد النفس دوماً . . . ونسأل الآن :

ما معنى العبادة إذن ؟ .

إن عبادة الله لا تعني فقط سجوداً وركوعاً وصياماً وحجاً وربّ عابد لا يعبد إلا ذاته ، لأنّه لا يمارس إلا طقوساً فارغة من المضمون الصحيح للعبادة ، فتراه كما قال الإمام علي (ع) :

« يلعن إبليس في العلانية وهو صديقه في السر » .
فالعبادة الحقيقية ، هي الخضوع الكامل لله في كل شيء ، في حياتنا الفردية ، كما في حياتنا الاجتماعية ، وفي الجانب العقائدي ، كما في الجانب التشريعي ، وفي الجانب التربوي كما في الجانب الإقتصادي والسياسي ، ولما كان الدين الإسلامي - بالمعنى الثوري القرآني - هو المنهاج الرباني المكوّن من عقيدة إلهية ينبثق عنها نظام كامل للإنسانية ، يؤمن لها السعادة ، فإننا نعرف أنّ عبادة الله هي امتثال أمره في كل ما أمر ، فلا طاعة إلاّ لله ، ولا خضوع إلاّ له ، ولا خشية إلاّ منه ، ولا حرية إلاّ في العبودية له . فالمؤمن المؤمن الذي يحبّه الله ورسوله ، هو الذي لا يعبد إلاّ الله ، ولا يعبد إلاّ بما شرّع . . . لا بما شرّع الناس .

وقد قال تعالى : ﴿ فلا تحشوا الناس واخشون ﴾ [١٦] .

أي أن نخشاه إذا خالفنا أحكامه وقوانينه ، ومن أطاع غير الله ، فيما لا يرضى الله فقد أشرك بالله شركاً خفياً ، وإن الشرك لظلم عظيم .

يقول الإمام الصادق (ع) : « لو أنّ قوماً عبدوا الله - وحده لا شريك له - وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجّوا البيت وصاموا شهر رمضان ، ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه رسول الله ، ألاّ صنع بخلاف الذي صنع ، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين » .

والإخلاص لله في العبادة ، يستدعي نفي الشرك ، وتحصيل اليقين ، وقد قال (ص) : « اليقين الإيمان كله » .

فالمؤمن صاحب اليقين ، لا يرجع في أمور حياته إلاّ إلى الله ، ولا يتوكل إلاّ عليه ، وهو يعلم أنّ من وكل ربّه عنه لم يجب ، ولا يثق إلاّ بالله ، ولا يرى لنفسه ، أو لأيّ إنسان على الإطلاق ، قدرة على شيء مهما عظمت قوته ، وكبر جاهه ، فهو في جميع حالاته مطمئن ، لا يعرف القلق . . . في حالتي الغنى والفقر ، والزيادة والنقصان ، والمدح والذم ، والصحة والمرض ، ولا يحزن على ما فاتّه ، ولا يفرح بما آتاه ، إذ لا تبهره الأسباب القريبة ، لأنّ عقله وقلبه

[١] سورة المائدة : الآية ٤٤ .

يتوجهان إلى السبب الأول ، ربّ الأسباب وخالقها ومسخرها تحت إرادته . . .
ولقد قيل : « من ضعف يقينه تعلّق بالأسباب ، ورخص لنفسه بذلك
واتّبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة . . . مقرأ باللسان أنه لا مانع ولا معطي
إلاّ الله . . . وينكر ذلك بفعله وقلبه » .

قال الله سبحانه : ﴿ يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما
يكتمون ﴾ [١] .

والله تعالى يأمرنا في هذه الآيات التي أوردناها من سورة الروم ، بإقامة
الوجه للدين ، وذلك بالإقبال عليه وبالتوجه من غير غفلة ، حنيفاً ، أي مائلاً
عن الشرك لأنّ الحنف هو ميل القدمين إلى الوسط ، والمراد به الاعتدال ، وذلك
بلزوم الفطرة ، إذ أن هذا الدين الذي يجب إقامة الوجه له ، هو الذي تهدي إليه
الفطرة « الخلق » الإلهية التي لا تبديل لها ، فللإنسان فطرة خاصة تهديه إلى سنة
خاصة في الحياة ، وسبيل معينة ذات غاية مشخصة ، ليس له إلاّ أن يسلكها
خاصة ، وهو قوله :

﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ [٢] .

وليس الإنسان الذي يعيش في هذه النشأة ، إلاّ نوعاً واحداً لا يختلف ما
ينفعه وما يضرّه بالنظر إلى هذه البنية المؤلفة من روح وبدن ، فما للإنسان من جهة
أنه إنسان إلاّ سعادة واحدة وشقاء واحد فمن الضروري حينئذ أن يكون اتجاه عمله
سنة واحدة ثابتة ، يهديه إليها هاد واحد ثابت . . . وليكن ذاك الهادي هو الفطرة ،
ونوع الخلق ولذلك عقّب قوله :

فطرة الله التي فطر الناس عليها . بقوله : ﴿ لا تبديل لخلق الله ﴾ [٣] .

وليس المراد بهذا إنكار أن يكون لاختلاف الأفراد أو الأمكنة أو الأزمنة
بعض التأثير في انتظام السنة الدينية في الجملة ، بل إثبات أن الأساس للسنة
الدينية هو البنية الإنسانية التي هي حقيقة واحدة ثابتة مشتركة بين الأفراد ،

[١] سورة الروم : الآية ١٦٧ .

[٢] سورة الروم : الآية ٣٠ .

[٣] سورة الروم : الآية ٣٠ .

فللإنسانية سنّة واحدة ثابتة بثبات أساسها ، الذي هو الإنسان ، وهي التي تدبر رعى الإنسانية مع ما يلحق بها من السنن الجزئية المختلفة باختلاف الأفراد أو الأمكنة أو الأزمنة . وهذا هو الذي يشير إلى قوله بعد :

﴿ ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [١] .

وقوله تعالى : ﴿ منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾ [٢] .

تعميم للخطاب بعد تخصيصه بالنبي (ص) : فيؤول المعنى إلى نحو من قولنا : فأقم وجهك للدين حنيفاً أنت ومن معك منيبين إلى الله ، والإنابة الرجوع بالتوبة .

وقوله : ﴿ واتقوه وأقيموا الصلاة ﴾ [٣] .

التقوى بحسب دلالة المقام تشمل امتثال أوامره والإنتهاء عن نواهيه تعالى ، فاختصاص إقامة الصلاة من بين سائر العبادات بالذكر للإعتناء بشأنها فهي عمود الدين .

وقوله : ﴿ ولا تكونوا من المشركين ﴾ [٤] .

القول في اختصاصه من بين سائر المحرمات بالذكر نظير القول في الصلاة ، فالشرك من أكبر الكبائر الموبقة التي لا يغفرها الله ويغفر ما دونها لمن يشاء ، كما جاء في سورة النساء الآية (٤٨) وأخص صفات المشركين هو تفرقهم في دينهم ، بحيث يصبحون شيعاً متحاربة وأحزاباً متناحرة ، كل حزب بما لديهم فرحون ، والسبب في ذلك ما ذكره قبيل هذا بقوله : ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم فممن يهدي من أضلّ الله وما لهم من ناصرين ﴾ [٥] .

[١] سورة الروم : الآية ٣٠ .

[٢] سورة الروم : الآية ٣١ .

[٣] سورة الروم : الآية ٣٠ .

[٤] سورة الروم : الآية ٣٠ .

[٥] سورة الروم : الآية ٢٩ .

فبين - هنا - أنهم بنوا دينهم على أساس الأهواء وأنه لا يهديهم ولا هادٍ غيره^(٢) .

ثمرات الإخلاص في العبادة

ويمكن القول ، ان الإخلاص لله في العبادة ، والخضوع لأوامره يحقق للإنسان التحرر الداخلي ، والراحة النفسية والسعادة في الدنيا والآخرة ، ومن نتائج الإخلاص لله في السر والعلن ، هو أن الله يكفي المؤمن أمر الدنيا ، وأمر الآخرة .

ففي الدنيا يحقق المؤمن :

١ - الراحة النفسية : إذ أن حياة الكافر ، أو الفاسق ، أو المنافق حياة قلقه غير مستقرة ، يعيش وهو من الموت خائف ، ومن الفقر جازع ، وكذلك موقفه من المرض والمصاعب والمصائب ، لا يشعر براحة ، ولا يستقرّ على حال ، وهو يعلم أنه إلى التراب صائر ، ثم يأكله الدود في قبره . . انه إنسان يائس فاشل ، يحاول أن ينسى إلاّ كل ما في الحياة يذكره بمصيرة الأسود ، يتكالب على الدنيا وزخارفها في محاولة تعويض ، ولكن كيف يمكن ذلك ، وربما يستغرق في عالم المخدرات والمسكرات ، ولكنه لا يلبث أن يستفيق على مصيبته الكبرى . . .

أما المؤمن فإنه يعيش حالة شبه دائمة من الهدوء والراحة والإستقرار ، لا تبطره النعمة ، ولا يندم على ما فات كما قال تعالى : ﴿ لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾^[١] .

وهو يعلم أن ما لم يستطع تحصيله وإدراكه قد يكون أفضل له مما لو استطاع ذلك . . . كله أمل ورجاء برحمة الله وغفرانه ، وخوف من سخطه وغضبه في آن معاً ، إنه متوازن القوى ، يعلم أنه من التراب فلا يتكبر ، وإلى التراب فلا يطغى ولا يتجبر : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

٢ - سعادة أسروية : الأسرة المؤمنة - بصورة عامة - بلا مشاكل أساسية

[١] سورة الحديد : الآية ٢٣ .

لأنها تبني على التفاهم والمحبة والثقة ، باعتبار أن الله سبحانه خلق للناس : ﴿ من أنفسهم أزواجاً ، وجعل بينهم مودةً ورحمة ﴾ [١] .

٣ - صحة جسدية : إن امتناع المؤمن عن المحرمات ، من خمر وقمار وزنا وتعدّ على الآخرين وسرقة وغير ذلك من الممنوعات ، يكفيه شرّ أزمات تلك التصرفات ويريح معدته التي هي بيت الداء ، وكبدّه ، وأمعاءه ، فيقيه الله شرّ أسبابها ، ومن المعلوم أن نسبة الوفيات المتسببة عن شرب الخمر مرتفعة جداً . فينجو بذلك من شرور الأمراض وكثير من الآفات .

٤ - سعادة إجتماعية : المؤمن محبوب من الناس ، مرغوب منهم ، باستثناء أهل الفسق والكفر والنفاق ، وحتى هؤلاء فإنهم لا يستطيعون إلا أن يعترفوا باستقامته وجميل صفاته . والمؤمن يعيش حياة جهادية ، ويحمل همّ الرسالة ، ويرى أنه مسؤول عن إيصالها إلى الناس ، وهذا ما يدعوه لأن يجاهد نفسه لتحصيل المعرفة بهذه الرسالة ، وهكذا فإنه رابع على مستويين :

الأول : على المستوى العلمي والتثقيفي .

الثاني : على المستوى العملي والتطبيقي .

وإذا قدر للمؤمن أن يحقق ، مع غيره من المؤمنين ، شيئاً من الإنجازات الإيمانية على مستوى التطبيق ، فإنه ينال من خيرها خيراً ، وينال من خيرها غيره أيضاً ، ولما كان الجهاد ، والسعي من أجل تطبيق أحكام الله سعادة ، فإنه لن يربحها إلا المؤمن المجاهد .

والدين لا يمنع المؤمن من التمتع بطيبات الحياة ، إنما يحرم عليه عبادتها ، كما يفعل أهل الدنيا من الملحدين والمنحرفين .

قال تعالى : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة ﴾ [٢] .

[١] سور الروم : الآية ٢١ .

[٢] سورة الأعراف : الآية ٣٢ .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال ، يكف به وجهه ، ويقضي به دينه ، ويصل به رحمه » .

ويقول تعالى : ﴿ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك هم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ﴾ [١] .

٥ - سعادة أخروية : إنّ سعادة الآخرة مؤمنة لمن دفع الثمن . والتمن هو الإيمان الواقعي ، والجهاد بالمال والأنفس لأن « الجنة عروس ، مهرها النفوس » ، ومجاهدة الأهواء الذاتية ، والرغبات الخاصة ، المحرمة ، والسعي نحو الأفضل والأنفس بالمقياس الأخروي ، لأنّ الدنيا مزرعة الآخرة ، كما ورد في الحديث الشريف ، فهل سمعت أن أحداً زرع قمحاً فحصد شوكة . . . ولقد تكفل الله للعبد إذا عبده ، وأتقاه ولم يشرك به شيئاً ، لا في الظاهر ولا في الباطن ، وخضع له خضوعاً مخلصاً ، لا يشوبه ، حب جاه ، ولا حب مال ولا حب لذات محرمة ، أن يحفظ له نصيبه في السعادة الدنيوية والأخروية . ولا ريب أن كل إنسان سينتقل إلى عالم الآخرة سواء أحب أم كره وسواء آمن أم كفر ، وسواء صدق أم كذب ، وهو أمام خيارين :

إما أن يكذب بما وعد الله من الثواب والعقاب والجنة والنار .

وفي هذه الحالة فإنّ هناك احتمالاً كبيراً أن يكون تكذيبه مبنياً على أساس غير صحيح ، ويكون أمر الآخرة أمراً واقعياً ، فإنّ النتيجة أنّ هذا المكذب خاسر لا محالة ، إذ أنه سيكون من أهل النار بلا شك .

وإما أن يكون ما زعمه صحيحاً ، فهو في هذه الحال ، لن يخسر شيئاً لأنه سيكون والمؤمن سواء بسواء ، وسيحقق ربحاً في الحياة الاجتماعية من جانين :

الجانب الإنساني والاجتماعي والأخلاقي .

والجانب الصحي ، النفسي والجسدي .

إذن هو رابح في الحالتين (اقتبسنا ما ذكرنا من احتمالات من حوار دار بين

[١] سورة البقرة : الآية ٢٠٢ .

الصادق (ع) وابن أبي العوجاء) . والهدف الرئيس هو تحصيل السعادة الدائمة المستمرة ، ولا يكون ذلك إلا في الآخرة في عالم الجنة ، ومعلوم أنّ سلعة الله غالية ، وسلعة الله هي الجنة ، والطريق إلى السعادتين ، هو بأن نجعل رضى الله هدفنا ، من كل أعمالنا ، والجهاد في سبيل الله ثورتنا ، ولنتخذ من قول الإمام الحسين (ع) دليلاً ورائداً ، وذلك عندما توجّه إلى الشباب بقوله :

« يا معاشر الشباب ، عليكم بطلب الآخرة ، فقد والله ، رأينا قوماً طلبوا الآخرة فأصابوا الدنيا والآخرة ، والله ما رأينا من طلب الدنيا فأصاب الآخرة » .

وعلى هذا فإنّ تأمين السعادتين في الدنيا والآخرة لا يكون إلا بتأمين حقوق النفس وحقوق المجتمع .

يقول الإمام زين العابدين (ع) : « وأما حقّ نفسك عليك : أن تستعملها بطاعة الله عز وجل ، فتؤدي إلى لسانك حقّه ، وإلى سمعك حقّه ، وإلى بصرك حقّه ، وإلى يدك حقّها ، وإلى رجلك حقّها ، وإلى بطنك حقّه ، وإلى فرجك حقّه ، وتستعين بالله على ذلك » (٣) .

وحقّ نفس الإنسان ، على نفسه ، هو أن يكون منسجماً مع قواعد الحياة الأخلاقية والإنسانية والاجتماعية ، كما أن جسده وبشكل طبيعي ، كما ذكرنا ، منسجم مع القوانين التكوينية ، ولما كان الإنسان قد منح حرية الاختيار بين ما هو خير وبين ما هو شرّ ، وكانت هذه المنحة ، من الله له تكريماً وتعظيماً لشأنه ، لأنّ منح الحرية يعني القدرة على تقرير المصير وتصريف الأمور ، نستنتج أن الله تعالى قد أقدر الإنسان على أن يكون قادراً ، وأجبره على أن يكون حراً مختاراً فهو (مجبر على أن يختار) ، لذلك أصبح بإمكان الإنسان أن يستخدم جوارحه وأعضائه في طاعة الله تعالى .

ومن الواضح إنّ لكل عضو من أعضاء الجسد ، وظيفة من أجلها كان ، فإذا تجاوز حدوده ، فقد خرج عن الخط المرسوم له ، وإذا قصر عمّا هو مطلوب منه ، فمعنى ذلك أنّه لم يؤد دوره ، ويظهر أن المقصود بحقّ هذه الأعضاء هو استعمالها فيما خلقت له ، من أجل تأدية وظيفتها على أكمل وجه ، وأن أي عضو لا يمكن له أن يقوم بوظيفته إذا انفصل عن مصدر وجوده ، الذي منحه الطاقة

والقدرة . . . فلا بدّ للعقل الذي يدير هذه الأعضاء من الإتصال بمنبع القوة ، ليستمد منه قوة وانطلاقاً ، وبمصدر الإرادة ليتعلم منه كيف يريد .

وبمصدر العلم ليأخذ عنه كيف يفهم الأمور ، وليخطط لها ويحيط بها ويعلمها . . . ولهذا فإنّ الإستعانة بالله ، هي مبدأ أساسي في تحرك المؤمنين في جميع المجالات ، ومن شأن هذا المفهوم أن يبعث الثقة والأمل بتحقيق الأهداف ، بعكس الكفار الذين يعتمدون على مقدرتهم الذاتية ، التي تتلاشى أمام أدنى الصعوبات ، وتضمحل وتزول وتندم كلياً ، عندما تنزل بهم المصائب والبلايا ، وقد قال سبحانه : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ .

وقد قال الرسول (ص) : « من انقطع إلى الله كفاه كل مؤونة ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها » .

والتوكل على درجات ، إلّا أنه ينبغي ، في البداية ، أن نفرّق بين التوكل (على الله) ، والتوكل الذي يعني التكاسل والإنهمامية ، ونحن مأمورون بالعمل والتوكل على الله معاً (إعقلها وتوكل) . وقد قال الصادق (ع) :

« أوجب الله لعباده أن يطلبوا منه مقاصدهم بالأسباب التي سببها لذلك وأمرهم بذلك » .

وأدنى درجات التوكل هي أن توكل الله تعالى في أمورك ، وثق بحسن تدبيره ، وحال الإنسان المتوكل ، في هذه المرتبة ، حال الموكّل مع الوكيل .

وأوسط درجات التوكل هي التعلق بالموكل (أي الله سبحانه) ، ونسيان التوكل نفسه ، فالتوكل لا يعرف غير موكله ، ولا يعتمد إلّا عليه ، وحال صاحبه كحال الطفل مع أمه ، يتعلّق بها ويلهج بذكر اسمها . . .

أما أعلى درجات التوكل فهي أن يكون الإنسان أمام الله ، بحيث لا يشعر بذاته ، ولا بقدرته الشخصية ، ومثله كمثل الطفل الذي لا يتعلّق بثياب أمه لعلمه أنها سوف تحمله ، وإن لم يسألها اللبن فهي تسقيه .

وهوذا نبي الله إبراهيم الخليل (ع) ، عندما وضع في المنجنيق ليرمى به إلى النار ، أشار عليه الروح الأمين - كما ورد في الروايات - أن يطلب النجاة من الله

سبحانه . فقال : « حسبي من سؤالي علمه بحالي » . وهذه المرتبة هي مرتبة الصديقين .

وفي هذه الحالة ، فإن المؤمن المتوكل على الله ، يصل إلى درجات يسكت فيها لسانه ليتكلم واقع حاله ، والمتوكلون على درجات أيضاً ، فأعلاها : من يتوكل على الله في كل أموره ، ويرضي بما يحصل له من الله ، وهو مطمئن أن الله لا يريد به إلا الخير والدرجات الأخرى تختص بمن يتوكل على الله في بعض أموره دون البعض الآخر^(٤) .

وهكذا فإن الإخلاص لله في العمل هو الأساس والمرتكز ، وقد ورد في ذلك نصوص كثيرة نذكر منها :

قال الإمام علي (ع) : « طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ، ولم يشتغل قلبه بما تراه عيناه ، ولم ينسى ذكر الله بما تسمع أذناه ، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره » .

ويقول الإمام الصادق (ع) : « إن الله تبارك وتعالى أعطى محمداً (ص) من شرائع نوح ، وإبراهيم ، وموسى وعيسى (ع) ، التوحيد والإخلاص ، وخلع الأنداد ، والفسطرة الخفيفة السمحة ، ولا رهبانية ولا سياحة ، أحلّ فيها الطيبات ، وحرم الخبائث ، ووضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم » .

لا يجد طعم الإيمان إلا من أعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه

إن الواجب ألا تمتنع الزكاة ، ولو كانت قليلة في مقدارها - فربما كان هذا القليل وسيلة لإعانة طفل صغير أو شيخ مريض . إذ أن أداء الزكاة والصدقات والخمس هو الدليل على مدى ارتباط الإنسان بدينه وبقينه وهو التعبير الواضح عن سلوكه وانسجامه مع غاية وجوده وبروز عنصر الخير في نفسه وفي ذلك يجد الإنسان طعم الإيمان .

وهاكم بعض الآيات القرآنية التي تحض على الإنفاق في سبيل الله لمساعدة المحتاجين والمساكين .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا زَرْقَنَاهُمْ يَنْفَقُونَ ﴾^[١] .

﴿ وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إنَّ الله يحب المحسنين ﴾^[٢] .

﴿ ربَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾^[٣] .

﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإنَّ الله به عليم ﴾^[٤] .

﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يُتَّبَعُونَ ما أنفقوا مِنَّا ولا أذى لهم أجرهم عند ربِّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾^[٥] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمرنَّ والأذى ﴾^[٦] .

﴿ وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم ﴾^[٧] .

من الواضح أنَّ الإسلام دين يقوم على البذل والعطاء ، لذلك حَبَّبَ إلى المؤمنين به أن تكون نفوسهم سخية ، ووصَّاهم بالمسارعة إلى الإحسان ، ووجَّهه البر ، وأن يجعلوا خدمة الناس شغلهم الشاغل .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾^[٨] .

إذن من الواجب على المسلم أن يقصد في مطالب نفسه حتى يشرك غيره فيها أتاه الله من فضله .

[١] سورة البقرة : الآية ٣ .

[٢] سورة البقرة : الآية ١٩٥ .

[٣] سورة البقرة : الآية ٢٠١ .

[٤] سورة البقرة : الآية ٢١٥ .

[٥] سورة البقرة : الآية ٢٦٢ .

[٦] سورة البقرة : الآية ٢٦٤ .

[٧] سورة البقرة : الآية ٢٧٢ .

[٨] سورة البقرة : الآية ٢٧٤ .

قال (ص) : « يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه فشر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول ، واليد العليا خير من اليد السفلى » .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى حيث قرن النهي عن التبذير بأمر الإنفاق على القرابة والمساكين فقال الله تعالى :

﴿ وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا أَخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [١٦] .

عن الرضا (ع) عن الرسول (ص) أنه قال : « السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد عن النار . . . ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل » (٥) .

وهكذا فإن الأموال التي لم يدفع منها حق المسكين ، والبائس ، شرّ جسيم على صاحبها في الدنيا والآخرة .

وقد جاء في الحديث : « يقول العبد مالي ، مالي : وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأقنى (ملك) وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس » .

وإن الأموال التي تبذل من زكاة أو هبة أو نفقة ، فإنها تقوي صلة المسلم بدينه وبربه .

وقد قال (ص) : « حصّنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة » ، « ما نقص مال عبد من صدقة أو زكاة إلاّ زاده الله بها عزاً » .

الزكاة والتزكي في اللغة والمصطلح

إنّ الزكاة ، كما هو معلوم ، إسم لفريضة تعد فرعاً من فروع الدين ، ويجب على المسلم إذا ما بلغ ورشد أن يبذلها إذا بلغت أمواله وغلاته النصاب

[١] سورة الإسراء : الآية ٢٦ - ٢٧ .

المعين في الشريعة السمحاء وهي تشمل : القمح والشعير والزبيب والتمر وكذلك في البقر والإبل والماعز والضأن وسيأتي تفصيل ذلك .

والزكاة من : زكا يزكوزكاء ، والنعت منه : زكي وزكية ، وصيغة المبالغة : (أزكى) .

والمعنى اللغوي للزكاة له مدلولان :

الأول : يدل على النماء والزيادة (غما وزاد) .

الثاني : يدل على الطهر والصلاح (طهر وصلح) .

ولقد وردت آيات وأحاديث كثيرة ، تحض على هذه الفريضة ، وتبأمر بالقيام بها دون تردد ولا إبطاء ، وذلك لخير الإنسان ، وتنفيذاً لأمر الله المعطي ، والذي وعد بالزيادة أضعافاً .

من الآيات التي ورد فيها ذكر الزكاة قوله تعالى : ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً ﴾ [١] .

﴿ ذلكم أزكى لكم وأطهر ﴾ [٢] .

﴿ فلينظر أيها أزكى طعاماً ﴾ [٣] .

﴿ قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً ﴾ [٤] .

﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ [٥] .

﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن أتقي ﴾ [٦] .

﴿ يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ﴾ [٧] .

[١] سورة النور : الآية ٢١ (أي طهر وصلح) .

[٢] سورة البقرة : الآية ٢٣٢ .

[٣] سورة الكهف : الآية ١٩ (أي أطهر وأصلح) .

[٤] سورة مريم : الآية ١٩ (أي طاهراً وصالحاً)

[٥] سورة الشمس : الآية ٩ (أي طهرها وأصلحها) .

[٦] سورة النجم : الآية ٣٢ (أي فلا تخذعوها وتنسبوا إلى الطهر والصلاح) .

[٧] سورة البقرة : الآية ١٥١ ﴿ يزكيهم ﴾ سورة البقرة : الآية ١٢٩ .

﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ﴾ [١] .

﴿ فقل هل لك إلى أن تزكى ﴾ [٢] .

﴿ ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ﴾ [٣] .

﴿ الذي يؤتي ماله يتزكى ﴾ [٤] .

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصلّ عليهم إنّ صلواتك سكن لهم ، والله سميع عليم ﴾ [٥] .

ولقد نقلت كلمة الزكاة ، لتأخذ معنى إصطلاحياً ، يتعلق بإخراج قدر معروف من المال ، باعتباره صدقة أي زكاة - وكل موضع في القرآن تقرر فيه الزكاة بالإيتاء ، فهي بمعنى المال المراد إخراجها .

قال تعالى : ﴿ وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ، فأولئك هم المضعفون ﴾ [٦] .

﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ [٧] .

زكاة المال وطيب النفس

إنّ سعادة الإنسان لا تكتمل ، إلّا إذا اكتملت سعادة من حوله من البشر ، لأنّه كائن إجتماعي ، فإن سعدوا سعد ، وإن شقوا شقي .

فلا بد من تأمين الحاجات الإنسانية للناس ، ورفع ما يسبب لهم الشقاء والتعاسة ، كالعوز والفقر . من هنا كان تشريع الخمس والزكاة في الإسلام ،

[١] سورة البقرة : الآية ١٧٤ (ومعنى ذلك أنه لا يمدحهم ولا ينسبهم إلى الطهر والصلاح) .

[٢] سورة النازعات : الآية ١٨ .

[٣] سورة فاطر : الآية ١٨ (أي يتطهر ويصلح) .

[٤] سورة الليل : الآية ١٨ (أي يتطهر ويصلح) .

[٥] سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

[٦] سورة الروم : الآية ٣٩ .

[٧] سورة البقرة : الآية ٤٣ .

لتأخذ من الغني المستطيع ، وتعطي للفقير المحتاج ، وبذلك تذوب الفروقات الاجتماعية ، والمالية أو تتقارب ، وقد شرّعت هذه الحقوق من أجل تأمين الحاجات الحياتية للناس ، مع أن تشريع الزكاة وفلسفتها يختلفان عن الأنظمة الوضعية ، لأن الضرائب تؤخذ في هذه الأنظمة من كل الناس ، الأغنياء والفقراء ، وحتى المساكين لا يعفون منها أما الإسلام فإنه يمتاز عنها فهو لا يأخذ مالاً من إنسان ، إلا بعد تدقيق ، كما ان الزكاة تؤخذ من القادر وفق شروط معينة .

والدارس للقرآن الكريم ، يرى أن فريضة الزكاة ، كعبادة مالية ، قد ارتبطت بالصلاة في كثير من المواضع :

قال الله تعالى : ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [١] .

وهذا الإرتباط بين الصلاة والزكاة يدل على الأهمية الكبرى للزكاة ، فالصلاة هي عمود الدين ، إِنْ قُبِلَتْ قُبِلَ ما سواها وإِنْ رُدَّتْ رُدَّ ما سواها ، وإرتباط الزكاة بها يدل على أن الزكاة من ركائز التشريع الإسلامي الذي يجعل الإنفاق في سبيل الله عظيماً ومباركاً ، والزكاة أحد وجوهه .

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [٢] .

وقد وردت الزكاة أيضاً ، عنواناً لفلاح المؤمن ، ونيله رضى الله ، وثوابه في الدنيا والآخرة ، وترك الزكاة ، أو الإنفاق في سبيل الله ، صفة من صفات المجرمين ، الذي يسكنون النار ، وينزل بهم العذاب الشديد ، وما ورد في سورة المدثر يدل على ذلك .

قال تعالى : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلُومِينَ وَلَمْ نَكُ نَطْعَمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَخْوَضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينَ ﴾ [٣] .

[١] سورة الحج : الآية ٧٨ .

[٢] سورة البقرة : الآية ٣ .

[٣] سورة المدثر : الآية ٤٢ - ٤٧ .

أما الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، وعن طيب خاطر فسيجزون
الجزاء الأوفى ، وسيضاعف لهم هذا الجزاء .

قال تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ، كمثل حبة أنبتت
سبع سنابل في كل سنبل مئة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع
عليم ﴾ [١] .

وهكذا نرى بأن كمال إيمان المسلم ، يتم بدفع الزكاة والإنفاق مما يملك ،
وذلك لتأمين سعادته التي هي جزء من سعادة المجتمع .

وموضوع الزكاة يتعلق بجزء من النظام الإسلامي ، الذي يعمل المبلّغون
لنشر مفاهيمه ومبادئه في العالم ، وعلينا مقارنة مبادئه ومفاهيمه مع المبادئ
والمفاهيم الأخرى لنعرف عظمة الإسلام ، وعظمة تشريعاته ونظمه التي تشكل
حلاً للمعضلة الاجتماعية في جميع مستوياتها ، وخصوصاً أن الإسلام نظام إلهي
يتفوق على جميع الأنظمة الوضعية لأنه من الله الخالق العالم بما يصلح للبشرية ،
ويصلحها ، بعكس الأنظمة البشرية الوضعية ، التي هي نتيجة فكر قاصر ،
وتجارب محدودة ، وآفاق ضيقة .

الزكاة والضرائب

ومن الملاحظ بأن التهرب من دفع الضريبة سمة الأنظمة الوضعية ،
وخصوصاً في النظام الرأسمالي ، أما في الاشتراكي [*] فيتم التهرب من دفع الضرائب
ولكن بشكل آخر ، فالحزب يجمع الضريبة ويحصلها ، والمتنفع هو الجهاز
الحاكم . أما في الإسلام فيقف الفرد المؤمن أمام خالقه ، ويحاسب نفسه بدون
تفكير بالتحايل على الزكاة ، التي هي بالمعنى القانوني تعد ضريبة ، فالمسألة هنا
مسألة تربوية ، باعتبار أن الإسلام يغير المجتمع من خلال تغيير نفوس الأفراد ،
وذلك بجعل الفرد يحس بالرقابة الإلهية من جهة ، ورقابة القانون الإسلامي من
جهة أخرى .

[١] سورة البقرة : الآية ٢٦١ .

[*] ولعل هذا من أسباب إنهيار هذا النظام .

ومانع الزكاة عمداً يعتبر مرتداً عن الإسلام ، وإذا أثبت عليه ذلك من قبل الحاكم الشرعي ، فإن جزاءه القتل ، لأنه يسيء إلى أسس النظام الإقتصادي الإسلامي ، وبالتالي فإنه يتآمر على معيشة الناس ومستقبلهم لا بل على الأمة والمبدأ . وإنطلاقاً من تحقيق ركن الزكاة ، يصبح المجتمع الإسلامي خالياً من الفروقات الطبقية ، وينعم الناس في ظلال النظام الإسلامي العادل .

إن التكافل والتكامل الاجتماعي قد ضمنه المجتمع الإسلامي ، ويتم ذلك بتطبيق كافة الأحكام : من زكاة وخمس وصدقة . . وغير ذلك ، ونستخلص من هذا بأن الزكاة هي جزء من حركة الإنسان المسلم في المجتمع ، وإذا أخل أحد الأفراد بشرط من الشروط المطلوبة ، فإنه يخلّ بنظام المجتمع ككل وينحرف به عن غايته ، وينتفي فيه التكافل ، خصوصاً في حركته الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والثقافية وغيرها .

والزكاة هي لمصلحة الآخرين ، وفي ذلك إرتباط بهم ، وعندما أعطي زكاة مالي ، فأنا أرتبط بالمؤمنين (في الدنيا وفي الآخرة) لأن الله أوصى بالعمل لخير المجتمع من خلال التوصية بالعمل لخير الفرد وبذلك يرتبط الفرد بالمجتمع ، والمجتمعات الإسلامية بعضها ببعض الآخر .

وإنّ عدم التزام المسلم بالقيام بالواجبات ، ومنها الزكاة أحدث خللاً في مجتمعا ، ونقصاً في تماسك المجتمع الإسلامي وتكامله .

وإنّ الخلل الموجود ، والمتسبب عن ضعف العلاقات الاجتماعية ، يعود إلى عدم الالتزام المبدئي بالإسلام . فإسلامنا هو إسلام ظاهري . . لا يلزمنا بالالتزام بأوامر الله والابتعاد عن نواهيه ، وعندما يصل المسلم إلى درجة عالية من الإيمان ، عليه أن يؤدي ما عليه من حقوق شرعية وأن يحسن وضعه الإنتاجي ما أمكنه ذلك ، لتزداد مساعدته للمستحقين ، وبذلك يعيش المجتمع في حالة من الكفاية والاستقرار .

إنّ الزكاة تطهير للأموال وتزكية للنفوس وليست مجرد معونة للفقراء ، بل هي واجب إلهي ، وقد قال تعالى :

﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ [١]

[١] سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

ثم أنّ تطبيق النظام الإسلامي يستدعي عدم فصل الدين عن الدولة كما يرى عملاء الغرب الفكريين لأن ذلك إخلال بالأنظمة التي تؤمن السعادة في المجتمع .

والزكاة جزء من كلّ مترابط ، فكيف نؤمن ببعض الكتاب ونكفر بالبعض الآخر . لذلك لا ينبغي أن ينظر للزكاة كأمر منفصل عن غيرها ، ويجب أن تُفهم على أساس استخلاف الله للإنسان في الأرض مع وجود التكليف الخاص له ، وهو ما أراد الله له ، وأوجبه عليه من خلال الشرائع ، ومنهاج العمل الذي رسمه كتاب الله تعالى .

والإنسان المسلم الذي يعيش في هذا العصر ، يتميز عن الأوائل من المسلمين ، وذلك لوجود الأنبياء بينهم أما اليوم فلا وجود للأنبياء بين الناس ، إنما الشرائع هي الموجودة ، وفي حال صدق الإيمان يحصل التكامل في جميع الأمور المطلوبة من الفرد ، وذلك يؤدي إلى تكامل المجتمع بشكل عام .

فارتباط الزكاة بكل تفاصيل التشريع ، يجب أن يعود بنا إلى جميع ما يطلب الله منا لتطبيقه قولاً وفعلاً ، كما ينبغي الرجوع إلى أصالة النفس والعقيدة ، لتحقيق رضا الله دون إجبار أو فرض .

الحرب الاقتصادية والاستعمار

إنّ الزكاة هي من مقومات النظم المالية والاقتصادية في الإسلام ، لذلك فإنّ الدعوة إلى عدم إيتاء الزكاة يخدم المخطط الاستعماري ضد الإسلام .

ومن الواضح أن الاستعمار الغربي ، يحارب الإسلام ، وأنّ الحرب الأساسية التي تشن على المسلمين في العالم ، هي من خلال الوضع الاقتصادي ، لتجويعهم وتركيعهم وكذلك فإن محاربتهم للجمهورية الإسلامية هي حرب إقتصادية في خدمة الحرب العسكرية ، لذلك فإن الزكاة تعتبر عاملاً أساسياً لقيام دولة إسلامية كبرى (على يد المهدي (ع)) نحلم بوجودها ونهوضها تكون دولة الإسلام في إيران الممهدة لها . ثم ان نفقات الجمهورية الإسلامية في معركتها مع قوى الاستكبار ، إنما كانت نسبة مهمة من هذه النفقات مقدمة من قبل الشعب مباشرة .

ولقد أراد الإستعمار أن يضرب إقتصاد الدولة الإسلامية ، من خلال الحصار الإقتصادي والمعارك العسكرية ، ولكن الشعب المسلم ، وخزينة الدولة الإسلامية في أمان ، فالشعب المسلم كما قلنا هو أساس في تمويل المعركة ، وإيران الإسلام - مع ذلك - تساعد المستضعفين في كل أنحاء العالم ، مع كونها خاضت معركة طويلة الأمد ولا تزال ناهضة بأعباء هذه المعركة المستمرة ضد أعداء الله والإنسانية .

الزكاة عن طيب نفس

والزكاة ينبغي أن تكون عن طيب نفس لأنها ، كالصلاة واجب شرعي ، فالله ليس بحاجة إلى صلاتنا ، ولكنها شكر وعرفان بالجميل ، وطاعة وخضوع ، وكذلك فقد أمر الله بالزكاة لينقذ الفقير من براثن الجوع والمرض . . . وهذا بحد ذاته مطلب تشريعي ، وهو بالتالي إمتحان للإنسان ، فالؤمن يعطي عن طيب نفس ، لأنه يعلم أن المال الذي بين يديه هو مال الله ، وإن تملكه لهذا المال تملك إعتباري ، وليس حقيقياً ، وأنه مستخلف عليه ، فليؤد الأمانة كما يريد الله تعالى ، ومن ناحية أخرى - فإن الزكاة تشكل مبدءاً أساسياً في النظام المالي الإسلامي ، الذي هو جزء من النظام الإقتصادي ، كما قلنا آنفاً والذي يشكل الأساس في الوضع الإجتماعي ككل .

ومن مقومات النظام الإسلامي :

١ - الشعب الذي يعيش في كنف الدولة الإسلامية (من مسلمين وغير مسلمين) .

٢ - الضمان الإجتماعي الإسلامي لفئات المجتمع أي أن الدولة الإسلامية ، تكفل حياة ، ومستقبل كل من يعيش في كنفها ، على أساس أن بيت ملك المسلمين والذي تشكل الزكاة جزءاً كبيراً منه ، إنما كان لخدمة المسلمين جميعاً ، وجميع من يعيش على أرض الدولة الإسلامية من معاهدين وذميين (من أهل الكتاب) .

إن الإقتصاد الإسلامي يهتم كثيراً بموضوع التكافل الإجتماعي ، بحيث أن

الإسلام جعل كل إنسان في المجتمع مسؤولاً عن غيره ، في عملية إنسجامية متكاملة ، وهوذا رسول الله (ص) ، ينفي الإيمان عن الذي يشبع ، ويدع جاره جائعاً فيقول :

« ما آمن من بات شعبان وجاره جائع وهو يعلم » .

إنّ التكافل الإجتماعي في الإسلام هو شعور الفرد بالمسؤولية تجاه الآخرين . فالإسلام دين غيري ينطلق من النفس إلى الغير على أساس أن نشاط الفرد ، يفترض أن يكون من أجل الجماعة .

ولا شك أنّ الزكاة هي القنطرة التي يعتبر من عبرها أنه وصل إلى مبتغاه ، والذي يمنعها يسقط دون هذه القنطرة .

والزكاة إن أديت فإنها تطفيء غضب الرب ، وتوصل إلى رحمته ورضوانه ، أما إذا منعت فعقابها كبير ، والحساب عليها عسير .

وقد ورد عن رسول الله (ص) أنه قال : « الزكاة قنطرة الإسلام ، فمن أداها جاز القنطرة ومن منعها احتبس دونها وهي تطفيء غضب الرب »^(٦) .

من علل تشريع الزكاة وآثارها

١ - أداء الزكاة شرط لقبول الصلاة :

عن الصادق (ع) أنه قال : « لما أنزلت آية الزكاة : ﴿ خذ من أموالهم . . . ﴾ في شهر رمضان ، أمر رسول الله (ص) مناديه فنادى في الناس : إنّ الله تبارك وتعالى قد فرض عليكم الزكاة ، كما فرض عليكم الصلاة ، ثم لم يتعرض لشيء من أموالهم ، حتى حال عليهم الحول من قابل ، فصاموا وأفطروا فأمر (ص) مناديه فنادى في المسلمين : « زكوا أموالكم تقبل صلاتكم »^(٧) .

٢ - شرعت الزكاة من أجل قوت الفقراء :

إن في أداء الزكاة تحصيلين لأموال الأغنياء وشكر نعم المولى وطلب الزيادة ،

والرحمة والرفقة لأهل الضعف ، والعطف على أهل المسكنة ومعونتهم .

ولو علم الله أن القدر المفروض لا يسع الفقراء ، لزادهم ولو أدى الناس زكاة أموالهم ، لا غنى كل فقير .

عن الإمام الرضا (ع) أنه قال : « علة الزكاة من أجل قوت الفقراء ، وتحسين أموال الأغنياء لأن الله تبارك وتعالى كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة والبلوى كما قال عز وجل : ﴿ لتبلىون في أموالكم ﴾ بإخراج الزكاة ، ﴿ وفي أنفسكم ﴾ بتوطين الأنفس على الصبر ، مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عز وجل ، والطمع في الزيادة ، مع ما فيه من الرحمة ، والرفقة لأهل الضعف ، والعطف على أهل المسكنة ، والحث لهم على المواساة ، وتقوية الفقراء ، المعونة لهم على أمر الدين ، وهم عظة لأهل الغنى ، وعبرة لهم ليستدلوا على فقر الآخرة بهم » (٨) . . .

٣ - الزكاة تزيد المال ولا تنقصه :

عن رسول الله (ص) : « إذا أردت أن يثري الله مالك فزكّه » (٩) .

وعن الباقر (ع) : « الزكاة تزيد في الرزق » (١٠) .

٤ - أداء الزكاة تحسين للأموال ومحافظة عليها :

عن الصادق (ع) أنه قال : « ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بتضييع الزكاة فحصنوا أموالكم بالزكاة » (١١) .

وعن الباقر (ع) أنه قال : « وجدنا في كتاب رسول الله (ص) : « إذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزرع والثمار والمعادن كلها » (١٢) .

وعن الرضا (ع) أنه قال : « إذا حبست الزكاة ماتت المواشي » (١٣) .

٥ - جزاء مانع الزكاة في الدنيا سؤال الرجعة
عند الموت والقتل ، واعتباره سارقاً :

عن الصادق (ع) أنه قال : « من منع الزكاة سأل الرجعة عند الموت ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ﴾ » (١٤) .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « إذا قام القائم أخذ مانع الزكاة فضرَب عنقه » (١٥) .

عن الصادق (ع) أنه قال : « السراق ثلاثة : مانع الزكاة ، ومستحل مهوور النساء ، وكذلك من استدان ولم ينو قضاءه » (١٦) .

٦ - عقاب مانع الزكاة في الآخرة : التطويق بما بخل ،
وأن يجر أمعاءه في النار ، وشد الأيدي إلى الأعناق :

عن الباقر (ع) أنه قال : « الذي يمنع الزكاة يحوّل الله ماله يوم القيامة شجاعاً ، من نازله ريمتان ، فيطوقه إياه ، ثم يقال ألزمه كما لزمك في الدنيا وهو قول الله : ﴿ سيطوقون ما بخلوا به ﴾ » (١٧) .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « مانع الزكاة يجرقصبه في النار ، (يعني أمعاءه في النار) ومثل له ماله في النار في صورة شجاع أقرع ، له زبيبان أوزيبتان يفر الإنسان منه وهو يتبعه حتى يقضمه كما يقضم الفجل ويقول : أنا مالك الذي بخلت به » (١٨) .

عن الباقر (ع) أنه قال : « إنّ الله عزّ وجل يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم ، لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيد أنملة ، معهم ملائكة يعيرونهم تعبيراً شديداً ، يقولون : « هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً ، من خير كثير ، هؤلاء الذين أعطاهم الله عزّ وجل ، فمنعوا حقّ الله عزّ وجل في أموالهم » (١٩) .

٧ - مانع الزكاة كافر :

عن رسول الله (ص) أنه قال : « من منع قيراطاً من زكاة ماله فليس بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة » (٢٠) .

عن الصادق (ع) أنه قال : « من منع قيراطاً من الزكاة ، فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً » (٢١) .

٨ - طيب النفس بالزكاة كفارة وحاجز من النار :

عن علي (ع) أنه قال : « إنَّ الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام ، فمن أعطاهها طيب النفس بها فإنها تجعل له كفارة ؛ ومن النار حجازاً ووقاية ، فلا يتبعها أحد نفسه ، ولا يكثرن عليها هفوة ، فإن من أعطاهها غير طيب النفس بها ، يرجو بها هو أفضل منها ، جاهل بالسنة ، مغبون الأجر ضال العمل ، طويل الندم » (٢٢) .

وخلاصة المعاني الواردة في الأحاديث السابقة هي كالآتي :

١ - إنَّ الزكاة مدعاة لقبول الصلاة ، لأنَّ مانع الزكاة لا تقبل صلاته .

٢ - وهي وسيلة للعطف على أهل المسكنة ومعونتهم ، وهي لو أدت كما يجب ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً .

٣ - ودفعها عن طيب نفس توأم الإيمان الصادق ، والنفس الزكية الطاهرة .

٤ - والزكاة حصن المال فلا يضيع مال إلا بتضييع الزكاة .

٥ - وإذا بخلت السماء بمائها ، والأرض بنباتها ، كان ذلك بسبب منع الزكاة وعدم إعطاء الفقير حقه .

٦ - ومنع الزكاة يؤدي إلى موت المواشي ، باعتبار أن الأرض تمنع بركاتها من الزرع والثمار ، فيقل غذاء هذه المواشي وفي ذلك موتها ، وانتشار للأوبئة والأمراض التي تقضي عليها .

٧ - والذي يمنع الزكاة في حياته ، سيندم في آخرته ندماً ولا أكبر وهيهات

أن ينفع ندم بعد فوات الأوان ، لأن الحياة عمل ، والاخرة حساب - وإذا سأل مانع الزكاة العودة إلى الدنيا لكي يعمل عملاً صالحاً يرفض طلبه ويقرّع تقريراً مهيناً .

٨ - ومانع الزكاة يستحق ضرب العنق ، والقائم (عج) سيضرب عنق كل مانع زكاة . وهذا المانع يسمى سارقاً لأنه سرق حقّ الفقراء والمساكين ولم يؤد ما عليه .

٩ - والزكاة الممنوعة ستتحول في الآخرة إلى شجاع أقرع (ثعبان مخيف المنظر) يلاحق هذا المانع للزكاة ، حتى يلحق به ، فيبدأ بقضم أطرافه كما يقضم الفجل ، أعاذنا الله من هول ذلك اليوم .

١٠ - والأنكى من ذلك وأدهى ، أن الذي يمنع الزكاة وينكر وجوبها يرتد كافراً ، ويعامل يوم القيامة معاملة الكفار، الذين لا مصير لهم إلا النار ، وبش القرار لأنه ليس بمؤمن ولا مسلم .

كما أنّ مانع قيراط واحد من الزكاة ، إن مات مات يهودياً أو نصرانياً ، ولا محيص أمام من أراد النجاة إلا دفع الأخماس والزكوات ، حتى ينجو من شجاع أقرع يطارده ، كما جاء في الرواية ، هذا عدا عن أن عمله يضل ، وندمه يطول .

٩ - في المال حق معلوم للفقراء ، غير الزكاة :

يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ [١] .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « . . ولكن الله عزّ وجل فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة ، فقال عزّ وجل ﴿ والذين في أموالهم . . . ﴾ فالحقّ المعلوم غير الزكاة ، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله فيؤدي الذي فرض على نفسه إن شاء في كل يوم وإن شاء كل جمعة وإن شاء كل شهر . . . » (٢٣) .

[١] سورة المعارج : ٢٤ - ٢٥ .

إنّ الزكاة والخمس فروض معينة ، ومعلومة القيمة في مال الإنسان الغني ، وهي واجبة وإلاّ عدّ مانعها مخالفاً للتشريع السماوي ، أو سارقاً أو كافراً مرتدّاً كما بيّنا آنفاً .

وإنّ هناك حقوقاً أخرى يجب على الإنسان الغني دفعها إلى الفقراء المحتاجين ، وربما كانت هذه الحقوق (مستحبات) مثل الصدقات والمعونات والهبات ونحوها ، وهذه دفعها سرّاً خير من دفعها علانية ، لأن صدقة السر تطفئ غضب الرب .

١٠ - الزكاة ظاهرة وباطنة :

عن المفضل قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل في كم تجب الزكاة من المال ؟ فقال له : « الزكاة الظاهرة أم الباطنة ؟ » قال أريدهما جميعاً . فقال : « أما الظاهرة ففي كل ألف خمسة وعشرون درهماً ، وأما في الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك » (٢٤) .

١١ - لكل شيء زكاة فزك نفسك :

قال الإمام علي (ع) :

١ - زكاة القدرة : الإنصاف .

٢ - زكاة الجمال : العفاف .

٣ - زكاة الظفر : الإحسان والعفو .

٤ - زكاة اليسار : برّ الجيران ، وصلة الأرحام .

٥ - زكاة الصحة : السعي في طاعة الله .

٦ - زكاة الشجاعة : الجهاد في سبيل الله .

٧ - زكاة النعم : اصطناع المعروف .

٨ - زكاة العلم : بذله لمستحقه وإجتهاد النفس .

٩ - زكاة العقل : احتمال الجهل .

١٠ - زكاة الأبدان : العمل ، وما أدبت زكاته فهو مأمون السلب .

١١ - زكاة الجاه : الشفاعة .

وقال الصادق (ع) : « على كل جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عز وجل ، بل على كل شعرة ، بل على كل لحظة .

١ - فزكاة العين : النظر بالعبرة ، والغض عن الشهوات ، وما يضاهاها .

٢ - وزكاة الأذن : إستماع العلم والحكمة والقرآن ، وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة ، وما فيه نجاتك بالإعراض عما هو ضده من الكذب ، والغيبة وأشباههما .

٣ - وزكاة البدن : الصوم ، والجهد ، وأن تصاب بأفة أو علة ، وتنكب النكبة ، وتعثر العثرة ، وتمرض المرضة ، وتشاك الشوكة وأن تحدش الحدش . . . وإختلاج العين .

٤ - وزكاة اللسان : النصيح للمسلمين ، والتيقظ للغافلين ، وكثرة التسبيح والذكر ، وغيره .

٥ - وزكاة اليد : السذل والسخاء بما أنعم الله عليك ، وتحريكها بكتابة العلوم ، ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله ، والقبض عن الشرور .

٦ - وزكاة الرجل : السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين ، ومجالس الذكر ، وإصلاح الناس ، وصلة الرحم ، والجهد ، وما فيه صلاح قلبك ، وسلامة دينك .

هذا ما تحمل القلوب فهمه ، والنفوس استعمله ، وما لا يشرف عليه إلا عباده المقربون المخلصون أكثر من أن يحصى ، وهم أربابه وهوشعارهم ودثارهم» (٢٥) .

١٢ - زكاة الفطرة من تمام الصوم :

عن الإمام الصادق (ع) أنه قال : « إن من تمام الصوم إعطاء الزكاة يعني الفطرة . كما أن الصلاة على النبي (ص) من تمام الصلاة لأنه من صام ولم يؤد الزكاة فلا صوم له إذا تركها متعمداً » (٢٦) .

وعن علي (ع) أيضاً أنه قال : « من أدى زكاة الفطرة تمم الله بها ما نقص من زكاة ماله » (٣٧) .

وعن أبي عبد الله قال : « إنَّ الله أشرك بين الأغنياء والفقراء في الأموال فليس لهم أن يصرفوا إلى غير شركائهم » .

وقال الصادق عليه السلام : « إنَّما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء ، ولو أن الناس أدوا الزكاة من أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ولا مستغن بما فرض الله له ، وأن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء . . .

وحقيق على الله أن يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله - وأقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرزق - أنه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاة - وما صيد صيد في بر ولا بحر إلا بتركه التسبيح في ذلك اليوم وأنَّ أحبَّ الناس إلى الله تعالى أسخاهم كفاً ، وأسخى الناس من أدى زكاة ماله ، ولم ييخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله » (٣٨) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنَّما هي شيء ظاهر حقن بها دمه وسمي بها مسلماً ، ولولم يؤدها لم تقبل له صلاة » .

١٣ - سر وجوب الزكاة وفضيلة الإنفاق

يقول العلامة النراقي :

إنَّ السر في إيجاب الزكاة ، بل فضيلة مطلق إنفاق المال ، ثلاثة أمور :

الأول : إنَّ التوحيد التام ألا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد إذ المحبة لا تقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى ، وإنَّما تتمحن درجة الحب بمفارقة سائر المحاب ، والأموال محبوبة عند الناس لأنها تتمتعهم بالدنيا ، ولأجلها يأنسون بهذا العالم ويخافون من الموت ، ويتوحشون منه ، مع أن فيه لقاء المحبوب - فامتحنوا في دعواهم الحب التام لله تعالى بمفارقتهم عن بعض محابهم ، أعني المال ، ولذلك قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴿١١﴾ .

ولفهم هذا السر في بذل الأموال إنقسم الناس بحسب درجاتهم في التوحيد والمحبة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : صدقوا التوحيد ، ووفوا بعهده ، ولم يجعلوا قلوبهم إلّا محلاً لحب واحد . فنزلوا عن جميع أموالهم ، ولم يدخروا شيئاً من الدرهم والدينار ، وغير ذلك من أنواع المال ، حتى قيل لبعضهم في شأن الزكاة : كم يجب من الزكاة في مائتي درهم ؟ فقال : أما العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم ، وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع وسئل الصادق (ع) : وفي كم تجب الزكاة من المال ؟ فقال : أمّا الزكاة الظاهرة ففي كل ألف ، خمسة وعشرون ، وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك » .

القسم الثاني : درجتهم دون هذا ، وهم الذين أمسكوا أموالهم ولكنهم راقبوا مواقيت الحاجات ، ومواسم الخيرات ، ويكون قصدهم من الإمساك الإنفاق على قدر الحاجة ، دون التمتع وصرف الفاضل عن قدر الحاجة إلى وجوه أكبر - وهؤلاء لا يقتصرون على إعطاء مجرد ما يجب عليهم من الزكاة والخمس - بل يؤدون جميع أنواع البر والمعروف أو أكثرها .

القسم الثالث : اقتصروا على أداء الواجب فلا يزدون عليه ولا ينقصون منه ، وهو أدون الدرجات ، وأقل المراتب وهو درجة العوام الراغبين في المال ، لجهلهم بحقيقته وفائدته وضعف حبهم للآخرة .

الثاني : تطهير النفس عن رذيلة البخل ، فإنه من المهلكات وإنما تزول هذه

[١١] سورة التوبة : الآية ١١ .

الرذيلة ببذل المال مرة بعد أخرى حتى يتعود الإنسان على ذلك ، إذ أن حب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقتها حتى يصير ذلك عادة وعلى هذا ، فالإنفاق يطهر صاحبه من خبث البخل ، المهلك وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى .

الثالث : شكر النعمة ، فإن لله سبحانه على عبده نعمة في نفسه ، ونعمة في ماله : فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن ، والمالية شكر لنعمة المال ، وما أقبح بالغني المسلم أن ينظر إلى فقير مسلم ، وقد ضيق الرزق عليه وأحوج إليه ، ثم لا تسمح نفسه أن يؤدي شكر الله تعالى على إغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه ، بإعطاء عشر أو ربع عشر من ماله ﴿٢٩﴾ .

إن للزكاة جانبين : إلزامي وتطوعي .

فالجانب الإلزامي : هو الفرض الواجب على كل مسلم مستطيع ، وهي كما هو معلوم من فروع الدين ، ومن قطعها أو منعها عامداً منكراً لوجوبها عدو كافراً .

والجانب التطوعي : وهو ما سمي بالصدقات المندوبة ودفع الزكاة جهراً خيراً من دفعها سراً ، بينما تأدية المستحب سراً خير من تأديته جهراً ، وقد تحدثنا سابقاً عن هذا فراجع إن شئت . والسؤال الآن : لماذا شرعت الزكاة ؟

والجواب : لقد شرعت الزكاة لأمر كثيرة منها :

١ - من أجل قوت الفقراء كما مر .

٢ - الربح المادي والمعنوي من الله ، فالله يربي المال المزكى فيضاعفه ، ومن الملاحظ أن من لا يدفع الزكاة أو الخمس عن طيب نفس فسيدفعها مرغماً ، وذلك متسبب عن الحوادث والنكبات التي تصيبه في حياته ، والتي تضطره لأن يدفع أكثر بكثير من ماله ونفسه ، للتطبيب أو إصلاح شأنه ، أو دفع الديات والغرامات لمن تسبب في أذيتهم أو غير ذلك .

ومن لا يؤدي زكاة أو خمس ماله فهو سارق لأموال الآخرين ، لذلك كانت صلاته بثوب مغصوب وهي غير مقبولة لأن جزء من ثمن هذه الثياب مال حرام ،

قد سرق من الفقراء ، على أساس أن فيه الخمس أو الزكاة .

الزكاة والمؤلفة قلوبهم :

ولا بأس هنا بالحديث عن معالجة الإسلام لضعاف النفوس ، وضعاف الإيمان عن طريق الزكاة ، فقد جعل تعالى أحد مصارف الزكاة ، للمؤلفة قلوبهم ، وباعتبار أن طبائع الناس مختلفة ، إذ أن بعضهم يهيمه فقط تحصيل المال ، ولو أن الصلاة مثلاً كلفتهم شيئاً من أموالهم لتركوها كما تركوا أشرف الأعمال وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جاء في الخبر ، والوصول إلى عقول وقلوب هؤلاء ، لا يكون إلا عن طريق الجيوب أو البطون لتحبيدهم أو استمالتهم إلى الإسلام ، ومنعهم من أذى المجاهدين والعاملين في سبيل الله .

وبهذه الطريقة يعالج الإسلام هؤلاء الناس ، فيعطيه من الزكاة ، ويقربهم من نهج الإسلام الصحيح ، بحيث لا يقفون بوجهه إن لم يلتزموا به التزاماً كاملاً .

وقد قال تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ﴾ [١] .

إن الله تعالى قد قرن تأدية الزكاة بالإيمان بالله واليوم الآخر ، وإقامة الصلاة ، كما أنه ربطها أيضاً بكثير من الصفات الخاصة بالمؤمنين ومنها : الوفاء بالعهد - التقى - الأخوة في الدين - طاعة الله ورسوله - فعل الخيرات - التمكين في الأرض - عدم اللهو بالبيع والتجارة عن ذكر الله - التوبة وإقراض الله القرض الحسن . . . وهذا ما يظهر من بعض النصوص المقدسة .

طريقة جباية الزكاة

قال بريدة سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : بعث أمير المؤمنين (ع) (مصدقاً) من الكوفة ، إلى باديتها فقال له : يا عبد الله انطلق وعليك بتقوى الله

[١] سورة البقرة : الآية ١١٠ .

وحده ، لا شريك له ، ولا تؤثر دينك على آخرتك ، وكن حافظاً لما ائتمنتك عليه داعياً لحق الله فيه ، حتى تأتي نادي بني فلان ، فإذا قدمت فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم . ثم أوح إليهم بسكينة ووقار حتى تقوم بينهم ، فتسلم عليهم ، ثم قل لهم : يا عباد الله أرسلني إليكم وليّ الله ، لأخذ منكم حقّ الله ، في أموالكم ، فهل في أموالكم من حقّ فتؤدوه إلى وليّهِ ؟ فإنّ قال لك قائل لا ، فلا تراجع . . . وإن أنعم لك منهم منعم ، فانطلق معه من غير أن تخيفه ولا تعدّه إلّا خيراً . . . فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلّا بإذنه ، فإن أكثره له ، فقل يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالك ؟ فإن أذن لك فلا تدخله دخول متسلط عليه فيه ولا عنف له . . . فاصدع المال صدعين ، ثم خيره فأيهما اختار فلا تعرض له ثم أصدع الباقي صدعين ثم خيره فأيهما اختار فلا تعرض له ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحقّ الله في ماله فإذا بقي ذلك فاقبض حقّ الله منه - وإن استقالك فأقله . .

ثم أخلطهما واصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حقّ الله من ماله - فإذا قبضته فلا توكل به إلا ناصحاً أميناً حفيظاً غير معنّف بشيء منها ، ثم أصدر كل ما اجتمع عندك من كل ما عاد إلينا وصيّره حيث أمر الله عزّ وجلّ فإذا انحدر بها رسولك ، فأوعد إليه أن لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ، ولا يفرق بينهما ولا يصرن لبنها فيضر ذلك بفصيلها ، ولا يجهد بها ركوباً وليعدل بينهما في ذلك ، وليوردن كل ماء يمر به ، ولا يعدل بهن عن نبت الأرض أي جوار الطرق في الساحة التي فيها تريح وتعبق ، وليرفق بهنّ جهده حتى تأتيننا بإذن الله سبحانه صحاحاً سهناً ، غير متعبات ولا مجهدات فيقسمن بإذن الله على كتاب الله وسنة نبيه وأوليائه ، فإنّ ذلك أعظم لأجرِك وأقرب لرسول الله (ص) ، ينظر الله إليها وإليك وإلى جهدك ونصيحتك لمن بعثك وبعثت في حاجته فإنّ رسول الله (ص) قال ما ينظر الله إلى عبد يجهد نفسه بالطاعة والنصيحة له ولا حاجة إلّا كان معنا في الرفيق الأعلى .

إنّ الحديث الذي أوردناه يقدم المثال الأعلى في الأخلاق والتربية الإجتماعية الراقية وتطبيق التعاليم المستفادة منه تنشر جواً من الرحمة والعدل والمساواة بين الناس في التعامل والتعاطي الرسالي .

بالإضافة إلى أن الحديث الأنف الذكر ، يبين مواصفات وميزات العامل على الزكاة أي الجابي ، كما يريد الإسلام ، بعكس جباة الضرائب في الدول ذات الأنظمة الوضعية ، الذين ينطلقون عادة من منطلقات مادية وقانونية ، لا تراعي المشاعر الإنسانية في أكثر الأحوال .

من مواصفات العاملين على الزكاة (الجباة) :

١ - أن يكون مُصَدِّقاً - أي موثقاً - لأنه لو كان غير ذلك لما ائتمنه الناس ، ولما أدوا إليه ما عليهم من حقوق .

٢ - أن يكون تقياً - أي يخاف الله - لأنه لو كان غير ذلك لخان ما ائتمن عليه .

٣ - أن لا يؤثر الدنيا على الآخرة ، لأن الذي يؤثر الدنيا على الآخرة ، لا يرى إلا نفسه ولا يسعى إلا لمصلحته الخاصة ، ولو على حساب مصالح الآخرين .

٤ - أن يكون أميناً محافظاً على الأمانة وغير مستهتر ولا مهمل ، وإلا ضاع العمل وانتهكت الأمانات . . .

٥ - أن يكون لين المعشر سهلاً فيه سكيناً ووقار . .

٦ - أن يكون قادراً على استعمال الأسلوب المنطقي المقنع ، وإلا لفشل في مهمته الصعبة .

٧ - أن يكون قادراً على استيعاب الأمور ، حتى لا يضيق صدره أمام أصغر مشكلة تعترضه باعتبار أن سعة الصدر آلة الرياسة والسياسة .

٨ - أن يكون حليماً لا يغضب ولا ينفعل ، لأن الغضب مرض عضال ، لا يستقيم معه أمر .

٩ - أن يكون عنده القدرة على التعامل مع الناس ، بدون تسلط ولا تجبر ولا عنف .

- ١٠ - أن يكون عارفاً أنّ دخول بيوت أو أرزاق الناس لا يصح ولا يجوز إلاّ بإذن أصحابها .
- ١١ - أن يكون عارفاً بطريقة تحصيل الزكاة بالشكل الذي يرضي صاحب المال ولا ينفره .
- ١٢ - أن يكون قادراً على اختيار الرجال الأكفاء لمساعدته في حفظ الزكاة وعدم التفریط بها أو إضاعتها .
- ١٣ - أن يكون رحيماً حتى مع الحيوانات ، لأنّ من لا يرحم الحيوان ، لا يرحم الإنسان .
- والرحمة تكون في حال الركوب عليها وفي سقيها ، وفي أطعامها ، وعدم منع صغارها من الحليب .

بعض أحكام وآداب الزكاة :

- ١ - يروي رجل من ثقيف ، استعمله الإمام أمير المؤمنين (ع) على سواد من سواد الكوفة يقول :
- قال الإمام عليه السلام : « إياك أن تضرب مسلماً ، أو يهودياً ، أو نصرانياً في درهم خراج أو تبيع دابة عمل في درهم فإنما أمرنا أن نأخذ منهم (العفو) وأشار إلى قوله تعالى : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین ﴾ [١] » .

إنّ ما نستفيده من كلام الإمام (ع) هو الآتي :

- ١ - استعمال الرحمة مع الناس .
- ٢ - إعطاؤهم الفرصة لتمكينهم من الأداء .
- ٣ - أخذ العفو ممّن لا يستطيع الأداء .

[١] سورة الأعراف : الآية ١٩٩ .

ويعنى آخر : إن إعطاء المهلة أمر مطلوب ، والأخذ وتحصيل الحقوق الشرعية لا يكون إلا حسب الإستطاعة ، فمن لا يستطيع أداءها ، لا يضرب حتى يدفع ، ولا تباع دابته . والأفضل أن يترك الأمر لهم ، وأن يعفى عنهم عند عدم الإستطاعة ، على أن يبين لهم النفع من عملية أداء الزكاة ، وماله من دور هام في سد حاجة المحتاجين من الفقراء والمعوزين . . . وغير ذلك .

٢ - قال أبو عبد الله عليه السلام : « كان رسول الله (ص) يقسم صدقة أهل البوادي في أهل البوادي ، وصدقة أهل الحضر في أهل الحضر ، حتى أنه لو وجد في بلدة مستحق يندب (يستحب) ألا تنقل الزكاة إلى مكان آخر .

فقال محمد بن مسلم قلت لأبي عبد الله عليه السلام : رجل بعث بركة ماله لتقسم فضاعت هل عليه ضمانها حتى تقسم ؟ .

فقال : إذا وجد لها موضعاً فلم يدفعها إليه فهو لها ضامن حتى يدفعها ، وإن لم يجد لها من يدفعها إليه فبعث بها إلى أهلها ، فليس عليه ضمان لأنها قد خرجت من يده .

٣ - ولصاحب الزكاة أن يدفعها بنفسه إلى المستحق بدون الرجوع إلى الحاكم الإسلامي ، قال جابر : أقبل رجل إلى أبي جعفر (ع) وأنا حاضر فقال : يرحمك الله أقبض مني هذه الخمساية درهم فضعها في مواضعها فقال أبو جعفر (ع) : بل خذها أنت فضعها في جيرانك ، والأيتام ، والمساكين ، وفي أخوانك من المسلمين .

إن المبادئ والأحكام المستفادة من هذا الحديث هي :

- أ - عدم إخراج الزكاة من بلد وفيه مستحق .
- ب - عدم ضمان الزكاة المرسلة إلى بلد آخر إذا لم يكن في بلده مستحق .
- ج - وضمان الزكاة إذا كان هناك مستحقون في البلد ولم يدفعها إليهم . . .

٤ - وقال عثمان بن عمران لأبي عبد الله (ع) إني رجل موسر ويحيي الرجل ويسألني الشيء وليس هو إبان زكاتي ؟ فقال له أبو عبد الله (ع) : القرض عندنا بثمانية عشر والصدقة بعشرة وماذا عليك إن كنت كما تقول موسراً أعطيته فإذا كان إبان زكاتك احتسبت بها من الزكاة يا عثمان لا تردّه فإنّ رده عند الله عظيم .

أ - إن القرض الحسن خير من الصدقة ، لأن القرض بثماني عشرة حسنة بينما الصدقة بعشر حسنات .

ب - وإن الزكاة وإن لم تكن في وقت أدائها تقرر إلى المحتاج والمستحق لها ثم تحسب عندما يأتي الوقت المناسب .

٥ - وقال أبو بصير قلت لأبي عبد الله (ع) : الرجل يموت ويترك العيال يعطون من الزكاة ؟ قال : « نعم حتى ينشأوا ويبلغوا يحفظ فيهم ميتهم » .
إن رحمة الله تطل الجميع ، والتشريع الإسلامي يتسع لكل جوانب الحياة ، ومن ذلك :

- أن الزكاة تعطى للعيال إذا مات عائلهم .

- لأنه بحفظ العيال الصغار ، حتى يكبروا حفظ للميت .

٦ - ولصاحب الزكاة أن يشتري العروض حيث يراه خيراً للفقير .

قال يونس : قلت لأبي عبد الله (ع) : عيال المسلمين أعطيهم من الزكاة ، فاشترى لهم منها ثياباً وطعاماً وأرى أن ذلك خير لهم ؟ فقال (ع) : « لا بأس » .
إن الزكاة تعطى ثياباً وطعاماً لمستحقيها إذا لزم الأمر ، وذلك خير لأن الهدف إيصال ما ينفع ويقيم أود المحتاجين .

٧ - وإذا غيّر المالك بعض النصاب فراراً من وجوب الزكاة لم تجب عليه ، وإن كان فراره مرغوباً عنه :

قال زرارة : قلت لأبي جعفر (ع) : رجل كانت عنده دراهم أشهراً فحوّلها دنائير ، فحال منذ ملكها دراهم حولاً أيزكيها ؟ قال (ع) : « لا » .

إذن لا تزكى الأموال دنائير كانت أو دراهم أو غير ذلك من ذهب أو فضة إلا إذا حال عليها الحول ، وحتى ولو حوّلها صاحبها (من دراهم إلى دنائير مثلاً) أو بالعكس خلال المدة وإن كان الأمر فراراً من الزكاة .

٨ - ولا يجب على المالك الإخراج من العين بل بما تيسر :

قال البرقي : كتبت إلى أبي جعفر الثاني (ع) هل يجوز أن أخرج عما يجب في

الحرث من الحنطة والشعير وما يجب على الذهب دراهم قيمة ما يسوى ، أم لا يجوز إلا أن يخرج من كل شيء ما فيه ؟ فأجاب أيما تيسر يخرج .

٩ - وما الحكم إذا دفع الزكاة إلى شخص ، ثم تبين أنه غير مستحق لها :

قال زرارة لأبي عبد الله (ع) في حديث فإن لم يعلم أهلها فدفعتها إلى من ليس هو لها بأهل وقد كان طلب واجتهد ثم علم بعد ذلك سوء ما صنع ؟ قال : ليس عليه أن يؤديها مرة أخرى .

(هذا إلى مئات الأحكام التسهيلية المذكورة في كتب الفقه ، والتي لا تكاد تجد عشر معشارها في قانون أو ضريبة أو دين أو نظام ، أوليس من السخف أو العناد أن يقول الغرب الماكر ومؤيدوه الغفلة أن نظام الإسلام غير قابل للتطبيق ؟ أمثل هذا النظام (العاطفي - الإنساني - الواقعي) ، في الضريبة مثلاً غير قابل للتطبيق ، والضرائب المجحفة التي ترهق كواهل الشعوب قابلة للتطبيق . .) .

إن المتأمل في هذه النصوص يخلص إلى ما يلي :

١ - وجوب إخراج العين أو ما بقيمة العين .

٢ - يجب أن تدفع الزكاة إلى مستحقيها ، ويجب الاجتهاد في معرفة هؤلاء المستحقين ، حتى لا يحصل أي اشتباه .

٣ - إذا أعطيت الزكاة لغير مستحقيها جهلاً ، وعلم بعد إعطائها أنها في غير محلها ، وأن صاحبها قد اجتهد لمعرفة المستحق ولكنه أخطأ ففي هذه الحال ليس عليه أن يدفعها مرة ثانية .

وهناك الكثير من الأحكام الموجودة في بطون الكتب الفقهية نقف - فيما يلي - عند أهمها :

تجب الزكاة في الأنعام الثلاث : الإبل - البقر - الغنم - (الماعز والضأن) .

وفي النقدين : الذهب والفضة .

وفي الغلات الأربع : الحنطة والشعير والتمر والزبيب .

ولا تجب في غيرها - بل تستحب :

النصاب (أي المقدار أو العدد المطلوب)

أ - في الإبل اثنا عشر نصاباً :

- ١ - كل خمسة من الإبل فيها - شاة واحدة .
- ٢ - كل عشرة من الإبل فيها - شاتان .
- ٣ - كل خمسة عشر من الإبل فيها - ثلاث شياه .
- ٤ - كل عشرين من الإبل فيها - أربع شياه .
- ٥ - كل خمسة وعشرين من الإبل فيها - خمس شياه .
- ٦ - كل ستة وعشرين من الإبل فيها - بنت مخاض .
- ٧ - كل ستة وثلاثين من الإبل فيها - بنت لبون .
- ٨ - كل ستة وأربعين من الإبل فيها - حقة واحدة .
- ٩ - كل إحدى وستين من الإبل فيها - جذعة واحدة .
- ١٠ - كل ستة وسبعين من الإبل فيها - بنتا لبون اثنتان .
- ١١ - كل إحدى وتسعين من الإبل فيها - حقتان إثنتان .
- ١٢ - كل مئة وإحدى وعشرين من الإبل فيها - في كل خمسين حقة أو في كل أربعين بنت لبون .

ملاحظة : بنت مخاض (إبل أكملت من العمر سنة واحدة ودخلت في السنة الثانية) .

بنت لبون (إبل أكملت من العمر سنتين إثنتين ودخلت في السنة الثالثة) .

حقة (إبل أكملت من العمر ثلاث سنوات ودخلت في السنة الرابعة) .

جذعة (إبل أكملت من العمر أربع سنوات ودخلت في السنة الخامسة) .

ب - في البقر ومنه الجاموس نصابان :

١ - كل ثلاثين من البقر وفيها - تبيع أو تبعة .

٢ - كل أربعين من البقر وما زاد وفيها - مسنة .

ملاحظة : تبيع أو تبعة (بقرة أكملت من العمر سنة واحدة ودخلت في السنة الثانية) .

- مسنة (بقرة أكملت من العمر سنتين اثنتين ودخلت في السنة الثالثة) .
- ج - في الغنم خمسة أنصبه أو نصب :
- ١ - كل أربعين وفيها - شاة واحدة .
 - ٢ - كل مئة وإحدى وعشرين وفيها - شاتان اثنتان .
 - ٣ - كل مئتين وواحدة وفيها - ثلاث شياه .
 - ٤ - كل ثلاث مئة وواحدة وفيها - أربع شياه .
 - ٥ - كل أربع مئة فصاعداً وفيها - في كل مئة شاة بالغاً ما بلغ (أي ١٪) .

أحكام إضافية

- ١ - إنَّ الشاة إذا كانت ماعزاً فلا بدّ أن تكون قد دخلت في السنة الثالثة .
- أما إذا كانت من الغنم فلا بدّ أن تكون قد دخلت في السنة الثانية .
- ٢ - لا زكاة إلاّ على السائمة وهي التي تعتمد على نفسها في الرعى طيلة سنة كاملة ، أمّا إذا علّفت في أثناء السنة بما يخرجها عن إسم السائمة فتصبح معلوفة فلا شيء عليها ، نعم لا يؤثر تناولها للعلف في يوم أو يومين .
- ٣ - يتحقق الحول بتمام الأحد عشر شهراً .
- وتصبح الزكاة ملك أصحابها بدخول الشهر الثاني عشر . وإن كان هذا الحقّ أو الملك يبقى متزلزلاً ولا يحقّ التصرف منه تصرفاً متلفاً في نهاية الشهر الثاني عشر ، وذلك في الحول الأول على أقل تقدير .
- ٤ - لو فقد أحد الشروط ، كعدد النصاب مثلاً ، في الشهر الثاني عشر لا يجب على المالك دفع الزكاة .
- ٥ - أن لا تكون عاملة في تمام الحول أو أثناؤه فإن كانت كذلك فلا زكاة فيها وإن كانت سائمة ، ولا يؤثر استعمالها في الفلاحة أو النقل مثلاً لمدة يوم أو يومين . . .

الذهب	
الأنصبة (كمية الذهب)	مقدار الزكاة
- عشرون ديناراً/ ١٢, ٦٩ غراماً - لا زكاة في أقل من عشرين ديناراً - كلما زاد المبلغ ٤ دنانير ففيها (أي في كل أربعة) - أما إذا زاد أقل من أربعة دنانير	- نصف دينار/ ١, ٧٢٨ غراماً/ - عشر الدينار $\frac{1}{10}$ - ٠, ٣٤٠٦ غراماً/ - فلا زكاة عليها
الفضة	
الأنصبة (كمية الفضة)	مقدار الزكاة
- مثنتا درهم/ ٤٨٤ غراماً/ - وكلما زاد أربعين درهماً/ ٩٦, ٨ غراماً/ - فففيها خمسة دراهم/ ١٢, ١ غراماً/ - فففيها درهم واحد/ ٢, ٤٢٠ غراماً/	

أحكام أخرى

- ١ - لا زكاة فيما دون المثني درهم .
- ٢ - ولا فيما زاد عليها حتى يبلغ الأربعين درهماً .
- ٣ - المقدار المتوجب إخراجه من الزكاة في الذهب والفضة هو (ربع العشر) أي ٢, ٥٪ شرط أن يتحقق النصاب كما ذكرنا آنفاً .
- ٤ - والذهب يخرج ذهباً والفضة فضة .
- ٥ - لا تجب الزكاة في غير المسكوك ، أما إذا كانت مسكوكة أي منقوشة من قبل حاكم ، مؤمناً كان أو كافراً ، فتجب ولو مسحت بالعارض .

- ٦ - وإذا استعمل المنقوش (المسكوك) حلية للزينة فلا تجب الزكاة فيه .
- ٧ - الحول ويعتبر أن يكون النصاب موجوداً فيه أجمع ، فلو نقص عنه في أثناؤه أو تبدلت أعيان النصاب بجنسه أو غيره أو بتحويله إلى سبائك ولو بقصد الفرار من الزكاة لم تجب فيه الزكاة .

الغلات الأربع :

- (الحنطة - الشعير - التمر - الزبيب) .
- ١ - تجب الزكاة في الغلات الأربع إذا بلغت النصاب / وهو ٢٠٥, ٨٤٧ كلغ / فصاعداً ، ولا تجب في الأقل من النصاب .
- ٢ - مقدار زكاة الغلات : ١٠٪ إن كانت مروية بالمطر أو نحوه مما لا كلفة فيه . ٥٪ إن كانت مروية بوسائل الري : يدوية أو آلية .
- ٣ - تجب زكاة الغلات عند صدق التسمية (حنطة - شعير - تمر) ولا يترك الإحتياط في الحصرم .
- وقت وجوب الإخراج حين تصفية الغلة ، واجتذاذ التمر ، واقتطاف الزبيب ، وذلك في حال الجفاف - أما إذا كان في حال الجفاف ناقصاً فلا تجب الزكاة .
- التملك بالزراعة إن كان تماً يزرع أو انتفال الزرع أو الثمرة مع الشجرة أو منفردة إلى ملكه قبل تعلق الزكاة فتجب عليه الزكاة على الأقوى فيما إذا نمت مع ذلك في ملكه وعلى الأحوط في غيره .
- ولو ملكه بالشراء ، كما إذا اشترى القمح مثلاً بعد حصاده لا تجب فيه الزكاة .
- تجب الزكاة في الغلات بعد إخراج المؤن أي التكاليف ، أي على القسم المتبقي فقط .

المستحقون للزكاة ثمانية أصناف :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [١] .
من هذه الآية الكريمة نستنتج أن المستحقين للزكاة هم الأصناف التالية :
الأول : الفقير ، وهو من لا يملك مؤنة (مصاريف) سنته لا بالقوة ولا بالفعل .

الثاني : المسكين ، وهو من كانت حاله أسوأ من حال الفقير ، على قول .
الثالث : العاملون عليها ، أي جباة الزكاة يأخذون رواتبهم منها ، وهؤلاء تعينهم الدولة الإسلامية .

الرابع : الغارمون ، وهم الذين تراكت الديون عليهم من حلال ، تؤدي عنهم من الزكاة .

الخامس : في سبيل الله ، وهو كل عمل فيه مصلحة للمسلمين عامة ، كبناء المستشفيات ، والمدارس وشق الطرق الخ

السادس : ابن السبيل ، وهو المسافر الذي انقطع بحيث أنه لا يملك مالا يرجع به إلى بلده فيعطى من الزكاة ولو كان غنياً في بلاده .

السابع : المؤلفة قلوبهم ، وهم على قسمين :

- ١ - الكفار الذين يراد إلفتهم إلى الإسلام أو الجهاد .
 - ٢ - المسلمون من أصحاب العقائد الضعيفة ، يعطون من الزكاة لتأليف قلوبهم ، وقد بينا سابقاً فلسفة هذا الحكم فراجعه إن رغبت .
- الثامن : في الرقاب ، وهم العبيد ، وذلك إن قسماً من الزكاة كان يصرف لتحرير العبيد من الرق (أما في زمننا فلا موضوع لذلك) .
وللتذكير نكرر ما قلنا سابقاً إنَّ الزكاة هي من ضروريات الدين ،

[١] سورة التوبة : الآية ٦٠ .

ومنكرها ، الذي يرجع إنكاره إلى إنكار الرسالة ، أو عدم تصديق النبي (ص)
هو من الكفار ، وقد ورد عن أهل البيت (ع) ، « إنَّ مانع قيراط منها ليس من
المؤمنين ولا من المسلمين . . . وليمت إن شاء يهودياً ، وإن نصرانياً . . . » .

أما فضلها فعظيم ، فقد ورد في فضل الصدقة وهي منها : ان الله يربّيها
كما يربّي أحدكم ولده حتى يلقاه الله يوم القيامة وهو مثل أحد ، وإنها تدفع ميتة
السوء . . . وصدقة السر تطفئ غضب الرب « والله هو أرحم الراحمين ، ورب
المستضعفين ولا قوة إلا به والحمد لله رب العالمين .



مصادر ومراجع البحث

(١) رسالة الحقوق الإمام زين العابدين (ع) .

(٢) راجع : تفسير الميزان : ج ١٦ ، ص ١٧٨ وما بعدها .

(٣) رسالة الحقوق : الإمام زين العابدين (ع) .

(٤) راجع : جامع السعادات للنراقي .

(٥) بحار الأنوار : ج ٧٣ ، ص ٣٠٨ .

(٦) بحار الأنوار : م ٧٧ ، ص ٤٠٥ .

(٧) الوسائل : مجلد ٦ ، ص ٣ .

(٨) الوسائل : ج ٦ ص ٥ .

(٩) بحار الأنوار : ج ٩٦ ، ص ٢٣ .

(١٠) بحار الأنوار : ج ٧٨ ، ص ١٨٣ .

(١١) بحار الأنوار : ج ٦٩ ، ص ٣٩٢ .

(١٢) بحار الأنوار : ج ٧٣ ، ص ٣٦١ .

(١٣) بحار الأنوار : ج ٧٣ ، ص ٣٧٣ .

(١٤) بحار الأنوار : ج ٩٦ ، ص ٢٢١ و ٢٢٢ .

(١٥) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ٢١ .

(١٦) بحار الأنوار : ج ١٢ .

(١٧) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ٨ .

(١٨) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ١٥ .

(١٩) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ٢١ .

(٢٠) بحار الأنوار : ج ٧٧ ، ص ٥٨ .

(٢١) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ٢٠ .

- (٢٢) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ٢٣ .
(٢٣) الوسائل : ج ٦ ص ٢٨ .
(٢٤) بحار الأنوار : ج ٧٤ ، ص ٣٩٦ .
(٢٥) بحار الأنوار : ج ٩٣ ، ص ٧ أيضاً مصباح الشريعة .
(٢٦) الوسائل : ج ٦ ، ص ٢٢١ .
(٢٧) الوسائل : ج ٦ ، ص ٢٢٠ .
(٢٨) راجع . جامع السعادات : ج ٣ ص ١٢٨ .
(٢٩) راجع : جامع السعادات : ج ٢ ص ١٢٩ .





الرّخاء والبلاء ... فتنة ونعمة

من كمال الايمان أن تعدّ الرخاء فتنة ، والبلاء نعمة .

محتويات البحث

- ١ - آيات كريمات .
- ٢ - حديث شريف .
- ٣ - ماهية الرخاء والبلاء .
- ٤ - مفردات البحث في اللغة :
 - ١ - الرخاء .
 - ٢ - الفتنة .
 - ٣ - البلاء .
 - ٤ - النعمة .
 - ٥ - المحنة .
 - ٦ - النقمة .
- ٥ - الموقف من الرخاء والبلاء .
- ٦ - أشد الناس بلاء .
- ٧ - الخير والشرّ فتنة واختبار .
- ٨ - فتنة المال .
- ٩ - المال له وجهان :
 - ١ - الوجه المذموم .

- ٢ - الوجه الممدوح .
- ١٠ - الحرب لمنع الفتنة .
- ١١ - الفتنة في الأمور الدينية .
- ١٢ - الفتنة في الأمور الحياتية .
- ١٣ - الفتنة على المستوى الفردي .
- ١٤ - الفتنة على صعيد الأمم والحضارات .
- ١٥ - من مظاهر الفتنة :
 - ١ - المنّ بالدين على الله .
 - ٢ - تمني رحمة الله بلا عمل .
 - ٣ - الأمان من سطوة الله .
 - ٤ - استحلال حرم الله .
 - ١٦ - استحلال الربا بالبيع .
 - ١ - البيع .
 - ٢ - الربا .
 - ١٧ - استحلال الخمر بالنبيذ .
 - ١ - الخمر .
 - ٢ - النبيذ .
- ١٨ - الإبتلاءات طريق التكامل ، وتحصيل الثواب .
- ١٩ - البلاء في الدنيا .
- ٢٠ - ما من بلية إلا وتحيط بها نعمة من الله .
- ٢١ - الحذر عند تتابع النعم .
- ٢٢ - الصبر على البلاء .
- ٢٣ - البلايا تورث رضا الله .
- ٢٤ - البلايا غذاء المؤمن .
- ٢٥ - البلاء المتتابع إيقاظ من الغفلة .
- ٢٦ - لا يجمع الله على مؤمن عقوبتين .
- ٢٧ - درجات لا تبلغ إلا بالبلاء في الجسد .

- ٢٨ - البلاء في طاعة الله ، أحبّ للمؤمن من صحة في معصيته .
- ٢٩ - القدر الإلهي والعمل البشري .
- ٣٠ - الحمل والعمر . . . وكل شيء بقدر وقضاء وعلم من الله .
- ٣١ - من آمن بالقدر استخفّ بالمصائب .
- ٣٢ - العقل ومكانته في عمل الإنسان .
- ٣٣ - الرخاء والكسب الحلال .
- ٣٤ - القيادة الإسلامية لا تعرف الرخاء مواساة للشعب المستضعف .
- ٣٥ - بيت الإمام الخميني (قده) .
- ٣٦ - مصروفات الإمام الخميني (قده) .
- ٣٧ - البلاء واستقرار حالة المؤمن النفسية .
- ٣٨ - البلاء والدعاء .
- ٣٩ - قصة النبي موسى (ع) والخضر (ع) . . فتن ونعم .
- ٤٠ - القصة من الروايات .
- ٤١ - أبعاد قصة الخضر مع موسى (ع) حسب نظرية المفروغ والمستأنف .
- ٤٢ - توضيح حول نظرية المفروغ والمستأنف .



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [١] .

* * *

وقال رسول الله (ص) : « لا يكمل إيمان المؤمن حتى يعدّ الرخاء فتنة والبلاء نعمة » [٢] .

وعن الرسول (ص) أيضاً : « لا تكون مؤمناً حتى تعدّ البلاء نعمة ، والرخاء محنة ، لأنّ بلاء الدنيا نعمة في الآخرة ، ورخاء الدنيا محنة في الآخرة » [٣] .

* * *

ماهية الرخاء والبلاء

إنّ الرخاء والفتنة والنعمة هي مفردات تدخل ضمن إطار مفهوم

[١] سورة البقرة : الآية ١٥٥ .

[٢] غرر الحكم ، كنز العمال خطبة ٧٢٩ .

[٣] بحار الأنوار مجلد ٦٧ ص ٢٣٧ .

الابتلاءات والاختبارات التي يجرب بها الإنسان ليثبت - من خلال هذه التجارب التي يمر بها - نجاحه وجدارته ، أو انهزامه وسقوطه .

ومع النجاح في الاختبارات تحصيل رضا الله ، ورضوانه ، وجنة عرضها السموات والأرض ، ومع السقوط غضب الله ، وناره التي لا تطفى ولا تدر .

ثم إن كمال إيمان الإنسان ، أو عدم كماله ، ونقصه يتحدد طرداً ، وعكساً ، حسب نتائج هذه الابتلاءات .

فإذا اعتقد الإنسان بأن الرخاء الذي أعطيه ، والنعم التي أفاضها الله عليه ، ما هي إلا فتنة ينبغي ألا يفتن بها ، وإن عليه أن يتعامل معها بما يتلاءم مع إرادة الخالق ، ومشئته ، وما يتوافق مع إطاعة أوامره ، والإنهاء عن نواهيهِ . . . وإذا أيقن الإنسان أن البلاء ، أي بلاء ، كبيراً كان أم صغيراً ، هو نعمة أنعمها الله عليه ليصبر ويتحمل ، وينال الثواب من الله ، ويبني بذلك شخصيته ، حتى يصبح قادراً على تحمل الصعاب والمشقات ، مستوعباً لما يراد منه ، عارفاً بكل حيثيات مهمته ورسالته ، في هذا الكون الفسيح . . . إن أيقن بذلك وأدركه ، فإن هذا الإنسان ينجح وينال الجائزة الكبرى التي أعدها الله للصابرين ، وإلا كان الفشل والسقوط والخسران من نصيبه ، وجوزي الجزاء الوفاق ، على ما قدمت يداه في هذه الحياة الدنيا .

مفردات البحث في اللغة والمصطلح

١ - الرخاء	٢ - الفتنة	٣ - البلاء
٤ - النعمة	٥ - المحنة	٦ - النعمة

١ - الرخاء

قال الراغب في المفردات : « الرخاء يعني اللين ، وشيء رخوي يعني شيء لين » .

قال تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رِخَاءً حَيْثُ أَصَاب ﴾ [١] .

[١] سورة ص : ٣٦ .

والمصدر : رخاء ورخاء ، الرجل في رخاء : في نعمة وسعة عيش .
وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « يقال إن فلاناً لفي عيش رخي ، وفي رخاء من العيش ، وهو رخي البال »^(١) .

٢ - الفتنة

يقول الراغب : إن أصل الفتن هو إدخال الذهب النار لإظهار جودته من ردائه . .

واستعمل الفتن في إدخال الإنسان النار . ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾
﴿ ذوقوا فنتنكم ﴾ أي عذابكم .

ومن معاني الفتنة : العذاب ، ﴿ ألا في الفتنة سقطوا ﴾ .
وكذلك من معانيها : الاختبار ﴿ وفتنناك فتوناً ﴾ .

والفتنة كالبلاء في انها يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء ،
وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً ، قال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ .

« الفتنة أشد من القتل » .

والفتنة تعني الوقوع في البلية والعذاب قال تعالى : ﴿ فتنتم أنفسكم ﴾ .
والفتنة تكون لتمييز الخبيث من الطيب . قال تعالى : ﴿ ليميز الله الخبيث من الطيب ﴾ .

وهكذا فالفتنة من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية
والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريمة ومتى كان الأمر من الله
يكون على وجه الحكمة ، ومتى كان من الإنسان وبغير أمر الله لا يكون كذلك .
وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم : والفتين من الأرض يعني الحرة
السوداء ، كأنها محرقة ، وكذلك الأمة السوداء تسمى مفتونة ، كأنها محرقة ولأنها
كالحررة السوداء .

ومن المعنى الحسي في الإحراق تستعمل الفتنة فيما هو إهاجة أو إحراق

معنوي قلبي كالحب والوله وما هو منه بسبيل الإعجاب والإغراء .
 ويقول الزمخشري : يقال : أعوذ بالله من الفتان (الشيطان) ويقال
 كذلك : استغوثهم الفتان (الشياطين) .
 ويقال : هو مفتون بالدنيا ومُفْتَن وقد فتنته الدنيا .
 والفتنة تعني الحرب ، قيل : بنو ثقيف يتفانون معناه يتحاربون .
 والناس عبيد الفتانين ، يعني الدرهم والدينار . جاء في الحديث :
 « ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وستبتلون بفتنة السراء » وهذا يعني فتنة السيف ،
 وفتنة النساء .
 وجاء كذلك : « إن كنتم من أهل الفطن فلا تدر حول الفتن » (٢) .

٣ - البلاء

قال الراغب : إذا قيل : بلي الثوب بلى وبلاء أي خُلِقَ .
 ويقال لمن يسافر كثيراً : بلاء السفر وأبلاء .
 وبلوته يعني اختبرته كأي أخلقته من كثرة اختباري له .
 وسمي الغم بلاء من حيث أنه يبلي الجسم : قال تعالى : ﴿ وفي ذلك بلاء
 من ربكم عظيم ﴾ ولنبلونكم بشيء من الخوف ﴿ وقال عز وجل : ﴿ إن هذا هو
 البلاء المبين ﴾ .
 وسمي التكليف بلاء من أوجه :

الوجه الأول : أنّ التكليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا
 الوجه بلاء .

الوجه الثاني : أنّ التكليف اختبارات ، ولهذا قال الله عز وجل :
 ﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾ .

الوجه الثالث : أنّ إختبار الله تعالى للعباد ، تارة يكون للعباد بالمسار
 ليذكروا وتارة أخرى بالمضار ليصبروا فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء ، فالمحنة

مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، ولذلك صارت المنحة أعظم البلاءين وبهذا قال أحدهم :

بلىنا بالضراء فصبرنا وبلىنا بالسراء فلم نصبر .

وقال أمير المؤمنين (ع) في هذا المجال : « من وسَّع عليه ديناه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله » وقال تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ﴾ .

وإذا قيل ابتلى فلان كذا أو أبلاه فذلك يتضمن أمرين : أحدهما تَعَرُّفُ حاله والوقوف على ما يُجهل من أمره ، والثاني ظهور جودته ورداءته .

وجاء في أساس البلاغة : يقال أللهم لا تَبْلُنَا إِلَّا بِالَّذِي هُوَ أَحْسَن .

وفي الحديث : أعوذ بالله من جهد البلاء إِلَّا بلاء فيه علاء ، أي علو منزلة عند الله .

ويقال : لا أباليه : أي لا أخبره لقلة اكتراثي له - وهذا أفصح من لا أبالي به .

وقيل : هو قلب لا أباوله (من البال) أي لا أخطره ببالي ولا ألقى إليه بالاً .

وأبليتة عذراً إذا بَيَّنَّته له بياناً لا لَوْمَ عليك بعده بمعنى آخر : جعلته بالياً لعذري : أي خابراً له علماً بكنهه .

ويقال أيضاً : أبلى في الحرب بلاء حسناً إذا أظهر بأسه حتى بلاء الناس وخبروه ، وابتليت الأمر أي تَعَرَّفْتُهُ (٣) .

٤ - النعمة :

قال الراغب : إِنَّ النعمة تعني الحالة الحسنة وبنائها بناء الجلسة والركبة وإنَّ النعمة (التنعم) بناؤها كبناء المرة من الفعل كالضربة والشتمة ، والنعمة للجنس تقال للقليل والكثير .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾ ، ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ ، ﴿ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ ، ﴿ فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ ﴾ .

وفي معجم الفاظ القرآن الكريم أنّ النعمة معناها : الخير يصل إلى المرء في دينه ودنياه ، فالمال نعمة ، والجاه نعمة ، والإيمان نعمة ، والسمع والبصر نعمتان ، والعلم والحكمة نعمة والقرآن نعمة . . .

والإنعام يعني إيصال الإحسان إلى الغير - ولا يقال إلا إذا كان الموصل إليه من جنس الناطقين فلا يقال : أنعم فلان على فرسه - قال تعالى : إذ تقول للذي أنعم الله عليه .

والنعماء نقض الضراء ، قال تعالى : ﴿ وَلِئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسَّتْهُ ﴾ .

وفي المعجم أيضاً : النعماء تعني النعمة والنعيم ، هو كل ما يتلذذ به ، ويتنعم من مطعم ، ومفرش ، ومركب وغير ذلك .

والنعيم نقض البؤس ، قال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ .

والنعيم معناه النعمة الكثيرة : قال تعالى : ﴿ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ وفي المعجم : ومن النعيم الصحة والأمن . . . وقد يأتي بمعنى التلذذ بالنعم والتمتع بها .

وتنعم معناه تناول ما فيه النعمة وطيب العيش .

ونعمه تنعياً فتنعم أي جعله في نعمة وفي لين عيش وخصب ، قال تعالى : ﴿ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ﴾ .

ويقال طعام ناعم معناه طيب وسائغ وسهل الهضم .

والنعم يختص بالإبل وجمعه أنعام وسمي كذلك لأن الإبل في البادية من أعظم النعم .

وتقال (الأنعام) للإبل والبقر والغنم ، ولكن لا يقال لها (أنعام) حتى يكون في جملتها الإبل .

قال تعالى : ﴿ وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ، ومن الأنعام حمولة وفرشاً ﴾ .

وقال كذلك : ﴿ فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام ﴾ .

فالأنعام هنا عام في الإبل وغيرها .

والنَّعامى : الريح الجنوب الناعمة الهبوب .

وسمَّيت (النعامة) باسمها تشبيهاً بالنَّعم في الحلقة .

وإنَّ النعامة المظلة في الجبل وعلى رأس البئر تشبيهاً بالنَّعامة في الهيئة من البعد - وقولهم (تنعم فلان إذا مشى مشياً خفيفاً في النعمة) .

ونَعَمَ : كلمة تستعمل في المدح بإزاء بُس في الذَّم .

قال تعالى : ﴿ نَعَمَ العبد إنه أواب ﴾ * فنعم أجر العاملين ﴾ .

ونَعَمًا : يقال : فيها ونَعَمَت أي نعمت الخصلة هي .

فعل كذا وأنعم أي زاد وأصله من الإنعام .

وفي المعجم قال : نَعِمَ يَنْعُمُ نَعْمَةً فهو ناعم وهي ناعمة كان في رفاهية من العيش وترف ولذاذة وحياة فَتَمَتَّعَ بذلك وقرَّت عينه .

وقال تعالى : ﴿ وذري والمكذِّبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ وجوه يومئذٍ ناعمة لسعيها راضية ﴾ [٢] .

نَعِمَ يَنْعُمُ نُعُومَةً فهو ناعم كان لينَّ العيش ناضراً - وجه ناعم - ناضر ذو بهجة ورُواء .

وَأَنْعَمَ عليه : أوصل إليه خيراً وأَحْسَنَ إليه أو دفع عنه ضرراً ، أو عفا عنه فلم يصبه بسوء^(٤) .

[١] سورة المزمل : الآية ١١ .

[٢] سورة الغاشية : الآية ٨ .

٥ - المحنة

قال الراغب : المَحْنُ والإِمْتِحَانُ يعني الإِبتلاء .
 قال تعالى : ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ﴾ أي ابتلاهم
 بالاختبار . وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم :
 يقال : إمتحن فلان الذهب والفضة إذا أذا بهما في النار حتى تخلص من
 الخبث وتصفى وتُنقى .
 كما يقال : إمتحن فلاناً يعني اختبره ليعلم حقيقة أمره .
 وامتحان الله للعبد يكون بتكليفه ما شاء أو إنزال ما شاءه من المكروه
 ليظهر صدق إيمانه بالإمتثال أو الصبر .
 وقال الزمخشري : مَحَنَ أي وقع في محنة ومحن . ومُحِنَ فلان وامْتَحِنَ
 ويقال : رجل مُمَحَّنٌ ومُتَحَنٌ ومن المجاز : ثوب ممحون أي خلق - ومُحِنٌ هذا
 الثوب إذا مُحِقَ بطول اللبس .
 وَمَحَنَ الأديم أي مدده حتى وسَّعه ، وبه فُسِّرَ قوله تعالى : ﴿ امتحن الله
 قلوبهم ﴾ أي شرحها ووسَّعها . . . (٥) .

٦ - النعمة

في المفردات للراغب : يقال : نَقِمْتُ الشيء ونَقَمْتُهُ إذا نكرته إما باللسان
 وإما بالعقوبة .
 قال تعالى : ﴿ وما نقموا منهم إلا أن أغناهم الله ﴾ وما نقموا منهم إلا أن
 يؤمنوا بالله - هل تنقمون منا ؟ .
 وقال الراغب : والنَّقْمَةُ تعني العقوبة قال تعالى : ﴿ فانتقمنا منهم
 فأغرقناهم في اليم ﴾ فانتقمنا من الذين أجرموا * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان
 عاقبة المكذبين ؟ .
 وفي معجم الألفاظ : إِنْتَقَمَ منه : عاقبه على ذنب صدر منه ، ويأتي الإنتقام

في الكتاب مضافاً إلى الله سبحانه في قصة من أذنب من عباده .

قال تعالى : ﴿ ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ﴾ [١] .

قال تعالى : ﴿ إنا من المجرمين مُتَتَقِمُونَ ﴾ [٢] .

ويقال ، كما في معجم ألفاظ القرآن الكريم : نَقَمَ الشيء نَقْماً ونَقُوماً ، كرهه أشدَّ الكراهية وَسَخَطَهُ ، ويقال : نَقَمَ من فلان أو على فلان الشيء عَابَهُ عليه وأنكره .

ونقول : فلان لا يَنْقَمَ من فلان إلا أنه يحسن إليه ، أي أنه يكرهه ولا باعث على ذلك ، فإن التمس لذلك سبباً فلن يجد إلا الإحسان وهو بلا ريب ليس سبباً للكراهة .

الموقف من الرخاء والبلاء :

قال تعالى : ﴿ قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني كريم ﴾ [٣] .

إنَّ بعض البشر يتعرضون لصنوف من الإبتلاء ، ربما انتهت بمصارعهم ، وليس أمام الفرد إلا أن يستقبل البلاء النازل به بالصبر والتسليم ، وما دامت الحياة بما فيها ، تشكّل امتحاناً للناس فلنكرّس كل جهودنا للفوز بهذا الإمتحان . . . ومن يرغب في أن يشقَّ طريقه في الحياة ، فعليه أن يعلم أن دربها مفروش بالأشواك ، لذلك فالأولى بالمؤمن أن يعدّ البلاء نعمة ، وانه هو كذلك حقيقة في الآخرة ، وأن يدرّب نفسه على تحمّل ذلك ، والقاعدة المستنتجة من النصوص الشريفة أنّ البلاء ينزل حسب مستوى الأشخاص ، ويقدر ما آتاهم الله من قدرات ومواهب ، وما أتوا به من أعمال .

[١] سورة المائدة : الآية ٩٥ .

[٢] سورة السجدة : الآية ٢٢ .

[٣] سورة النحل : الآية ٤٠ .

أشدّ الناس بلاء

سئل رسول الله (ص) : « أي الناس أشدّ بلاء قال (ص) : الأنبياء ثم الأمثل ، فالأمثل » .

نعم ، يبتلى الناس على قدر دينهم وتقواهم ، فمن قوي دينه ، اشتدّ بلاؤه ، ومن ضعف دينه ، ضعف وقلّ بلاؤه ، وإنّ الرجل ليصيبه البلاء ، حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة ، كما ورد في بعض الروايات .

وقد أكرم الإسلام المصابين بالأمراض والأوجاع ، وواسى المتعبين ، مواساة تطمئنّ بالهم وتخفّف آلامهم .

الخير والشرّ فتنة واختبار :

إنّ كلّ نعمة من مال ، أو صحة ، أو جاه ، أو كلّ بلاء من مرض ، أو مصيبة ، أو كارثة ، أو غير ذلك يعتبر فتنة ، واختباراً لإيمان الإنسان ، وبلورة لشخصيته ، وصهرها لها ، حتى يعلم موقفه ، الواضح العميق ، من النعم والابتلاءات .

قال رسول الله (ص) : « من يرد الله به خيراً يصب فيه » ، « إذا أحبّ الله قوماً ابتلاهم » .

وقال تعالى : ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴾ [١] . ﴿ واعلموا إنّما أموالكم وأولادكم فتنة ، وإنّ الله عنده أجر عظيم ﴾ [٢] .

فتنة المال

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ [٣] .

[١] سورة الأنبياء : الآية ٣٥ .

[٢] سورة الأنفال : الآية ٢٨ .

[٣] سورة المنافقون : الآية ٩ .

﴿ واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وإن الله عنده أجر عظيم ﴾ [١] .

إنَّ المال من وجهة النظر الإسلامية هو وسيلة وليس غاية . . . وسيلة لتأمين الحاجات المعيشية حتى يستطيع الإنسان الإستمرار ، لتأدية وظيفته في الحياة ، لذلك وضع الإسلام قواعد وأسس الإنفاق . ومن أجل تحصيل المال من حلال ، أمر بالعمل والكد ، ونهي عن التكاثر وسؤال الناس .

وقد ورد في الحديث : « ملعون ملعون من ألقى كُله على الناس » .

وأما اعتبار المال غاية وهدفاً ، فإنَّ في ذلك معنى العبادة للمال ، بحيث يتحوَّل إلى صنم ، ويتحوَّل الناس إلى عبدة للدرهم والدينار أو الدولار ، فيجمعون المال من أجل المال ، لا من أجل تسهيل الحياة وتأمين الحاجات .

وقد قيل : « الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه ، فإنه إن لدغك قتلك سمّه ، قيل وما رقيته ؟ قال أخذه من حلّه ، ووضعه في حقّه » .

إن المال فتنة واختبار ، والمؤمن عليه أن يعلم ذلك ، ويتعلَّم كيف يتعامل مع المال ، حتى لا يميل عن خط الله ، وذلك يقتضي :

١ - أن يكون الموقف الشعوري من المال موقفاً حيادياً ، أو كارهاً ، أو محباً بدرجة دنيا ، إن استطاع إلى ذلك سبيلاً .

٢ - وإن لم يستطع فليكن الموقف العملي من المال موافقاً للشرع بحيث يؤدي المرء الحقوق الشرعية الواجبة ، وينفق إنفاقاً مستحجاً .

المال له وجهان :

الأول : الوجه المذموم :

١ - جاء في الروايات : قال رسول الله (ص) : « حبّ المال والشرف (الجاه) ينبتان النفاق ، كما ينبت الماء البقل » .

[١] سورة الأنفال : الآية ٢٨ .

- ٢ - « ما ذئبان ضاريان أرسلان في زريبة غنم بأكثر فساداً من حبّ المال والجاه في دين الرجل المسلم » .
- ٣ - ويقول الله تعالى في الحديث القدسي : « يا ابن آدم : مالي ، مالي ، مالي . وهل لك من مالك إلا ما تصدّقت فأمضيت ، أو أكلت فأفنيته ، أو لبست فأبليت ؟ » .
- ٤ - « أخلاء ابن آدم ثلاثة : واحد يتبعه إلى قبض روحه ، وهو ماله ، وواحد يتبعه إلى قبره وهو أهله ، وواحد يتبعه إلى محشره وهو عمله » .
- ٥ - « يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها ، وماله بين يديه ، كلّما يكفأ به الصراط ، قال له ماله : إمض وقد أديت حقّ الله فيّ ، ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها ، وماله بين كفيّه ، كلّما يكفأ به الصراط قال ماله : ويلك ألا أديت حقّ الله فيّ . . . فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور » .
- ٦ - « إنّ الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم » .
- ٧ - « ولكلّ أمة عجل ، وعجل هذه الأمة الدينار والدرهم » .
- ٨ - « يؤق برجل يوم القيامة ، وقد جمع مالاً من حرام ، وأنفقه في حرام ، فيقال : اذهبوا به إلى النار ، ويؤق برجل قد جمع مالاً من حرام وأنفقه في حلال فيقال : اذهبوا به إلى النار ، ويؤق برجل قد جمع مالاً من حلال وأنفقه في حلال فيقال له : قف ، لعلك قصّرت في طلب هذا بشيءٍ ممّا فرضت عليك من صلاة لم تصلّها لوقتها ، وفرّطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول : « لا يا رب . . كسبت من حلال وأنفقت في حلال ، ولم أضع شيئاً ممّا فرضت ، فيقال لعلك أختلت في هذا المال في شيء من مركب أو ثوب باهيت به . فيقول يا رب : لم أختل ولم أباه في شيء فيقال لعلك منعت حقّ أحد أمرتك أن تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول : لا يا رب لم أضع حقّ أحد أمرتي أن أعطيه ، فيجيء أولئك فيخاصمونهم فيقولون : يا ربّ أعطيتهم وأغنيتهم وجعلتهم بين أظهرنا ، وأمرته أن يعطينا فإن كان قد أعطاهم وما ضيّع من ذلك شيئاً من الفرائض ، ولم يختل في شيء فيقال : قف الآن ، هات شكر نعمة أنعمتها عليك من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذة . . فلا يزال يسأل » .
- ٩ - وروي : إنّ أوّل ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما

على جبهته ثم قبلهما وقال : من أحبكما فهو عبدي حقاً .
 ١٠ - وقال عيسى عليه السلام : « لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا ، فإنَّ
 بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم »^(٦) .

الثاني : الوجه الممدوح :

- ١ - جاء في الروايات : قال رسول الله (ص) : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » .
- ٢ - قال تعالى في مقام الإمتنان : ﴿ ويمدّكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾^[١] .
- ٣ - وقال الإمام الصادق (ع) : « لا خير في من لا يحبّ المال من حلال فيكفّ به وجهه ، ويقضي به دينه »^(٧) .
- ٤ - « نعم العون الدنيا على الآخرة »^(٨) .
- ٥ - وقال علي (ع) : « الغنى في الغربة وطن ؛ والفقر في الوطن غربة »^(٩) .
- ٦ - قال رسول الله (ص) : « سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه من معصية الله وحرمة ماله كحرمة دمه »^(١٠) .

الحرب لمنع الفتنة :

قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾^[٢] .
 يقول أحد الكتاب الإسلاميين ما مضمونه : الحرب التي يقرّها الإسلام هي القتال حتى تكون كلمة الله هي العليا .
 وكلمة الله هي التعبير عن إرادته الظاهرة ، المتفقّة مع ناموسه الذي وضعه للكون والحياة والناس .

[١] سورة نوح : الآية ١٢ .

[٢] سورة البقرة : الآية ١٩٣ .

هذا الناموس الذي يعني التناسق الذي يمنع الفساد والإضطراب ، والذي يسمح للحياة بالبرقي الدائم والإرتفاع والذي يحقق الخير العام للبشرية في جميع العصور .

قال تعالى : ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [١] .

إنّ إرادة الله ومشيتته ، هي أن يصل الخير إلى جميع الناس وألاّ يحول دون وصوله حائل وكل من يحول دون وصوله بقوة ونحوها فهو معتدّ على الله وكلمته ، فالإسلام لا يكره أحداً على اعتناقه (لا إكراه في الدين) ، ولكن لا يقبل أن يقف أحد في طريق انتشاره ، حتى يعمّ أكبر مساحة من هذا العالم ويصل إلى أكبر عدد من ساكنيه ، والإسلام جاء لتحقيق العدالة بين جميع الناس إجتماعية كانت أو قانونية أو دولية ، لذلك كان كل من يخالف هذه العدالة ، ببغي أو ظلم يكون قد خالف كلمة الله وسعى في الفتنة . . . (١١) .

قال تعالى : ﴿إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم﴾ [٢] .

وقال رسول الله (ص) : « كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة : إلى أن قال (ص) والساعي في الفتنة » (١٢) .

في معاني الفتنة العرفية :

إنّها إحداث الشغب ، وسلب أمن واستقرار وحرية الآخرين فرداً أو جماعة ، وإيجاد الفرقة بين الناس عن طريق خلق صراعات عقائدية أو مذهبية أو مصلحة أو سياسية .

[١] سورة المائدة : الآية ٢ .

[٢] سورة البروج : الآية ١٠ .

الفتنة في الأمور الدينية

وتتمثل بسعي أصحاب الفتن في تضليل الناس ، وإبعادهم عن طريق الحق ، بشبهات وشكوك يطرحها هؤلاء بأقلامهم وألسنتهم .
كما تتمثل ، أيضاً ، بمنع الآخرين من الإستجابة للدين بالقوة ، وذلك بإيذائهم وتعذيبهم وأمثلة التاريخ كثيرة : (قريش ، بنو أمية ، صدام ، الشاه) ونحوهم . . .

ومن كلام لأمر المؤمنين (ع) في خطبة له :

« ألا وإن أخوف الفتن عندي فتنة أمية ، فإنها فتنة عمياء مظلمة عمّت خطتها ، وخصت بليتها ، وأصحاب البلاء من عمي عنها »^(١٣) .

إنّ الفتن هي ابتلاءات واختبارات ، بها يتميّز الخبيث من الطيّب ، والصادق من الكاذب ، والعامل المجاهد ، من المدّعي القاعد .

قال تعالى : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ﴾^[١] .

ومن مثيرات الفتن التي اجتاحت العالم ، وابتلي بها الناس في عصرنا الحاضر ، المبادئ الوضعية العلمانية والمادية ، كالشيوعية والرأسمالية ، والفلسفات الوجودية ، والمذاهب العنصرية ، والقومية المتعصبة ، والطائفية المتحجرة .

إنّ هذه المبادئ الوضعية ، تحاول أن تقتلع من قلوب ونفوس معتنقيها ، العقيدة بالمبدأ والمعاد ، لتغرس مكانها بذور المادية ، والشهوانية ، والذاتية ، وحبّ الدنيا .

وقد قال تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ﴾^[٢] .

[١] سورة العنكبوت : الآية ٢ .

[٢] سورة مريم : الآية ٥٩ .

والشغل الشاغل لأتباع هذه الأنظمة الوضعية ، أن يسلبوا الجوانب الإنسانية والمعنوية من المجتمع البشري ، ويمنعوهم من ذكر الله ، والإيمان بالآخرة بواسطة التربية الفاسدة ، وأن يشغلوهم بأنواع الشهوات والفسق والفجور .

وبحلول الذاتية والأنانية ، وقساوة القلب ، وفقدان الرحمة ، يزول من المجتمع البشري ، التعاون والتعاقد ، والحنان ، والشعور بالرحمة ، وطلب الخير ، والعفو وأمثاله ، وهذا ما جناه المجتمع البشري من الأنظمة الوضعية .

وبتأثير كل ذلك شاع الكذب في القول والعمل ! وكذلك الخداع والغش والتحايل والتلاعب ، في معظم جوانب المجتمع ، كما شاع بين الناس موضوع التجسس لصالح الكفار ضد المسلمين ، وهذا الأمر من آفات الفتن والبلايا وأخطرها .

قال تعالى : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ﴾ [١] .

ولإفشاء أسرار المؤمنين ، من أسباب الفتن ، وكثيراً ما نكل بأهل الإيمان - عبر التاريخ - لأخذهم بتعاليم الأنبياء ، والتمسك بمناهجهم ، فأق من يفشي أسرارهم ، ويظهر إلى العلن خفي أعمالهم ، مما أوغر صدر الظالم ، فانتقم منهم . . .

وقد قال تعالى : ﴿ ويقتلون الأنبياء بغير الحق ﴾ .

وقال علي (ع) في تفسير هذه الآية : « أمّا والله ، ماقتلوهم بأسيا فهم ولكن أذاعوا سرهم ، وأفسوا عليهم فقتلوا » [١٤] .

الفتنة في الأمور الحياتية :

إنّ الفتنة الدنيوية أسوأ من القتل ، لأنّ ذلك يؤدي إلى إشعال نار الحقد ، والكراهية بين الناس ، وسلب راحتهم ، واطمئنانهم وهو بمثابة قتلهم على الدوام ، والفتن تجرّ إلى التقاتل والقتل .

[١] سورة النساء : الآية ٨٣ .

ويقول الشهيد الثاني وهو يعدد الكبائر : « والقتل بغير حق » .

وفي كثير من الأحيان تفسر الفتنة بالكفر والشرك :

وقال الإمام الباقر (ع) في تفسير آية ﴿ حتى لا تكون فتنة ﴾ « إنه الشرك » .

والمؤمن الحقيقي لا يدخل في عالم الفتن ، لا من قريب ولا من بعيد ، بل هو في الفتنة كابن اللبون ، لا ظهر فيركب ، ولا ضرع فيحلب ، كما قال علي (ع) .

وكما قال أمير المؤمنين (ع) أيضاً ، في صفات المتقين « الخير منهم مضمون والشرّ منهم مأمون » (١٥) .

الفتنة على المستوى الفردي :

إنّ كل ما يرد على الإنسان في حياته الدنيا ، من خير أو شرّ ، مادي أو معنوي ، له تأثيرات شتى على مستوى بلورة شخصيته ، واكتشاف إمكاناته ، وإظهار حقيقته ، والله سبحانه وتعالى ، قد جعل الحياة ، بما فيها الموت ، والمصائب ، والمال ، والأولاد ، والنعم ، مواد امتحان للإنسان ، ليعرف نفسه ، ويعرفه الناس ، وحتى لا يكون له على الله حجة . . .

على صعيد الأمم والحضارات :

إنّ الترف سبب واقعي في هلاك الدول والحضارات والمدن وهلاك أصحابها ، ودمارها ودمارهم ، وذلك لأن الترف يعني تفككاً في الروابط الاجتماعية ، كما أن انتشار الفساد والرذيلة ، مدعاة لنزول العقوبة القاضية بتدمير البلاد ، والمجتمعات التي لا تأمر بالعدل والإحسان ، وتطبيق نظم العدالة ، والتي فسقت عن أمر ربها ، وانحرفت .

قال تعالى : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ

عليها القول فدمرناها تدميراً ﴿١٦﴾ .

الفتنة . . وفقدان المقاييس الشرعية :

لقد ورد في رواية أنه : « قام رجل إلى أمير المؤمنين (ع) فقال له : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الفتنة ، وهل سألت رسول الله (ص) عنها ؟ فقال عليه السلام : إنه لما أنزل الله سبحانه قوله : ﴿ أم حسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ، وليعلمن الكاذبين ﴾ ﴿١٦﴾ .

علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله (ص) بين أظهرنا ، فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها ؟ « فقال يا علي إن أمتي سيفتنون من بعدي . . . يا علي إن القوم سيفتنون بأموالهم ، ويمنون بدينهم على ربهم ، ويتمنون رحمته ، ويأمنون سطوته ، ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة ، والأهواء الساهية ، فيستحلون الخمر بالنبيذ ، والسحت بالهدية ، والربا بالبيع » ، قلت يا رسول الله : فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك ؟ أم بجزلة أم بجزلة فتنة ؟ فقال (ص) : « بجزلة فتنة » ﴿١٦﴾ .

من الملاحظ أنه عندما يفتقد الناس الموازين الشرعية ، نظراً لكثرة الطروحات التي تحاول أن تقرب بين المفاهيم البعيدة عن الإسلام ، والمفاهيم الإسلامية الحقة ، أو بين المبادئ والنظم الإسلامية ، وغيرها من علمانية وإلحادية وتقليدية ، تختلط الأمور ، ويلتبس الحق بالباطل فيعمد أصحاب الطروحات المناقفة ، لتشويه الصورة ، وتشويش الرؤية ، فيظن البعض أن باطلهم حق وينقلب المنكر إلى معروف ، والمعروف إلى منكر في نظر هؤلاء ، ويحارب الإسلام باسم الإسلام . . . والمخرج من كل ذلك هو التمسك بشرع الله ، من خلال المرجعية الرشيدة التي تبين عن طريق الاجتهاد أحكام الشريعة ، وتحدد وتصوب النظرات المختلفة إلى الأمور .

[١] سورة الإسراء : الآية ١٦ .

[٢] سورة العنكبوت : الآية ٢ .

من مظاهر الفتنة :

١ - المن بالدين على الله فتنة :

بالإضافة إلى الفتنة بالأموال التي سبق وتحدثنا عنها ، فإن من مظاهر الفتنة على الصعيد الفردي ، أن يمين الإنسان على ربه بأن أسلم ، وأدى واجباته ، أو بعضها تجاه هذا الدين ، والذي يعيش هذه المفاهيم ، وهذه المشاعر بعيد عن الفهم الحقيقي للدين والعقيدة ، لأن المن والفضل على الناس أجمعين ، هو الله رب العالمين فلولاً الرحمة الإلهية التي قضت بإرسال الرسل ، وإنزال الشرائع ، وكذلك الحكمة الإلهية المتمثلة بخلق الإنسان ، وجعله خليفة في الأرض وإعطائه إمكانيات الإهتمام ، لما تمكن أي إنسان من أن يدخل ضمن إطار الإيمان والتدين .

ومن الواضح لكل ذي عقل ، أن الله سبحانه لا مصلحة له مع أحد ، ولا فائدة له من عبادة أحد ، لأنه الفرد الصمد الغني عن العالمين ، فكيف يجوز لعبد ضعيف أن يتجراً على الله سبحانه ، فيمن عليه بدينه .

قال تعالى : ﴿ يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ، قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [١] .

ولا شك أن من يقع في هكذا مأزق شعوري وعقدي يكون قد وضع نفسه في موضع الفتنة ، ولعب الشيطان بعواطفه وأفكاره ، فأذله ، لذلك لا بد للمؤمن الحق ، من أن يتواضع لله ، وأن يشكره على هدايته له .

وقد جاء عن الإمام زين العابدين (ع) في الصحيفة السجادية قوله : « يا إلهي لو بكيت إليك حتى تسقط أشفار عيني ، وانتحبت حتى ينقطع صوتي ، وقمت لك حتى تنتشر قدمي ، وركعت لك حتى ينخلع صليبي ، وسجدت لك حتى تتفقا حذقتاي ، وأكلت تراب الأرض طول العمر ، وشربت ماء الرماد آخر دهرتي ، وذكرتك خلال ذلك حتى يكلّ لساني . ثم لم أرفع طرفي إلى آفاق السماء استحياء منك . . . ما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيأتي ، وإن كنت

[١] سورة الحجرات : الآية ١٧ .

تغفر لي حين استوجب مغفرتك ، وتعفو عني حين أستحقّ عفوك ، فإنّ ذلك غير واجب لي باستحقاق ، ولا أنا أهل له باستيجاب ، إذ كان جزائي منك في أول ما عصيتك . . . النار ، فإنّ تعذبي فأنت غير ظالم لي « (١٧) .

٢ - تمنّي رحمة الله بلا عمل فتنة :

من الإبتلاءات العظمى التي يتلى بها بعض المتديّنين ، هو تمنّي الحصول على الجنّة والثواب ، والرحمة الإلهية بدون عمل عملوه ، أو جهاد للنفس وبالنفس أو المال . إنّ من يفكّر بهذه الطريقة قد غشّ نفسه وخدعها ، لأنّ الجنّة سلعة الله ، وسلعة الله غالية ، كما في بعض النصوص ، لا يصل إليها إلّا من عمل عملاً يرضي الله ، يجعله من أهل الجنّة شرط الإستمرار والأصرار على ذلك دون الالتفات إلى غير الله في التوجّه ، والنية والممارسة ، وذلك لأنّ الجنّة كما قيل عروس مهرها بذل النفوس .

٣ - الأمان من سطوة الله وغضبه فتنة :

إنّ بعض المتديّنين البسطاء ، وكذلك الذين ظنّوا أنّ الدين يكون بالتحلي والتمني ، فلم يتعمّقوا في حقيقة وجوه الإيمان ، بل غرّتهم الأمانى واطمأنوا إلى ما يعتقدون من أنّ لهم كرامة من الله ، تحوّلهم النجاة من عقابه ، فعاشوا وهم يفكرون بالرحمة الإلهية ، ولم يعلموا بأنّ الله يهب رحمته ، لمن خاف سطوته ، وإنّ من أمن عذابه ناله هذا العذاب ، وسطوة وغضب الله في حال مخالفة أوامره . إنّ من يأمن عذاب الله ، اعتماداً على أعماله التي مهما كثرت وتنوّعت ، لا تعدّ شيئاً ، ولا تنيله شيئاً من الآخرة ، إلّا برحمة من الله وفضل ، ولا شكّ ، أنّ ذلك ينعكس عليه قلة في الطاعة ، وابتعاداً عمّا يرضي الله ، وارتكاباً للذنوب لأنّ من أمن عذاب الله ، تجرّأ على حرّماته ، وهل بعد هذا من فتنة ؟؟ .

٤ - استحلال حرام الله بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية فتنة :

وقد يقع الناس في هذه المحرمات ، وذلك بسبب الأهواء التي تقودهم إلى الوقوع فيما حرّم الله ، وإلى حسابان الباطل حقّاً ، لعدم معرفتهم بأمور الدين

والحدود بين الحلال والحرام معرفة تامة ، فهم يخلطون بين البيع والربا ، وبين الخمر والنبيذ ، والسحت والهدية . . إلى غير ذلك من الأمور .

استحلال الربا ، بالبيع فتنة :

١ - البيع : البيع أخذ وعطاء ، بطريقة شرعية أقرها الدين والعرف ، والتجارة من بيع وشراء عملية إحتراف ، والله يحب المحترف الأمين ، والبيع (التجارة) يزيد في العقل والتجارة عز لصاحبها ، وغنى عما في أيدي الناس . كما ورد في بعض الروايات .

والبيع مبادلة مال بمال ، فيقال : باعه يبيعه بيعاً - كما يقال بايعته أبياعه - وتستعمل لفظة البيع في المعاوضة لما فيها من مبادلة الحقوق^(١٨) .

والبيع كما الشراء ، أعطاء الثمن وأخذه (وشروه بثمن بخس) وكذلك المبايعه والمشاركة^(١٩) .

قال تعالى : ﴿ وأحلّ الله البيع وحرم الربا ﴾^[١] .

٢ - الربا

الربا معناه النماء ، والتكاثر بطريقة غير شرعية ، وهي سحت ومن الكبائر وقد وعد الله مرتكبه النار ، وهو محرم على لسان كل نبي مرسل ، وفي كل كتاب منزل ، والربا من أخبث المكاسب ، والله تبارك وتعالى ، يلعن أكل الربا وموكله وكاتبه ، وشاهده ، كما في الحديث .

والربا تعني الزيادة على رأس المال ولكن خصّ في الشرع بالزيادة على وجه دون وجه ، ونَبّه الله بقوله : « يحقّ الله الربا ، ويربي الصدقات » .

فالزيادة المعقولة ، والمعبر عنها بالبركة ليست ربا^(٢٠) .

ويقال ربا الشيء ربوا ورباء : زاد وثما فهو راب وهو رابية^(٢١) .

[١] سورة البقرة : الآية ٣٧٥ .

وفي التجارة الحلال قال علي (ع) : « وتعرضوا للتجارات فيها غنى عما في أيدي الناس ، وإن الله عز وجل يحب المحترف الأمين » (٢٢) .

وفي التجارة الحرام قال الإمام الرضا (ع) : « اعلم يرحمك الله أن الربا حرام ، سحت من الكبائر ، ومما قد وعد الله عليه النار فنعوذ بالله منها وهو محرم على لسان كل نبي وفي كل كتاب » (٢٣) .

١ - السحت

يقال سحته يسحته سحتاً : قشره ، وبالسح في قشره ، وسحته يعني استأصله .

والسحت : المال الذي يكتسب من وجه حرام سمي بذلك لأنه يحق الحلال ويستأصله .

قال تعالى : ﴿ فيسحتكم بعذاب ﴾ أكالون للسحت .

أي لما يسحت دينهم قال عليه السلام : « كل لحم نبت من سحت ، فالنار أولى به » (٢٤) .

قال تعالى : ﴿ سمّاعون للكذب ، أكالون للسحت ﴾ [١] .

وقال علي (ع) : « أبواب السحت ثمانية : رأس السحت ، رشوة الحكم ، وكسب البغي ، وعسب الفحل ، وثمان الميثة ، وثمان الخمر ، وثمان الكلب ، وكسب الحجام ، وأجر الكاهن » (٢٥) .

٢ - الهدية

الهدية : ما يقدمه المرء من مال ونحوه إلى غيره بقصد الإكرام والإلطف مهما كان ما يقدم ثميناً أو بخساً بلا مقابل والهدية تذهب الضغائن ، وتسهّل السخائم ، وتجلي ضغائن العداوة ، والأحقاد ، وتورث المودة وتجذر الأخوة .

[١] سورة المائدة : الآية ٤٢ .

قال تعالى : ﴿ وإني مرسله إليهم بهدية - بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾ .

استحلال الخمر بالنبذ فتنة :

١ - الخمر

الخمر هو الاسم المتخذ من العنب والتمر لما روي عنه (ص) : « الخمر من هاتين الشجرتين : النخلة والعنب » . فالخمر هو الشراب المسكر الذي لا يبقى صفة فاضلة إلاّ وذهب بها ، وهو لا يترك في شاربهِ قوّة بدنية ، ولا جرأة إلاّ على الحرام ، ولا مروءة^(٢٦) .

فعن المفضل قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : « لم حرّم الله الخمر ؟ قال : « حرّم الله الخمر لفعالها ، وفسادها ، لأن مدمن الخمر تورثه الإرتعاش ، وتذهب بنوره ، وتهدم مروءته ، وتحمله على أن يجترىء على ارتكاب المحارم ، وسفك الدماء ، وركوب الزنا ، ولا يؤمن إذا سكر أن يشب على حرمه ، وهو لا يعقل ذلك ولا يزيد شاربها إلاّ كل شر »^(٢٧) .

٢ - النبذ

وبعض الناس ظنّوا أن النبذ ليس بخمر فشرّبوه ، وبعضهم شرّبه ، ممّوهاً على نفسه وعلى الناس وهو يعلم ، فوقع في الفتنة . . . أجل ، إنّ من الفتنة ارتكاب المحرمات ، واعتبارها حلالاً بالشبهات الكاذبة ، وخلط الهدى بالضلال كما أن ممارسة الباطل باسم الحقّ ، هو الفتنة التي ينبغي الوقوف أمامها ، وقفة واعية متبصرة ، حتى لا يقع فيها ، ولا ينحرف عن الخط الواضح المستقيم .

الإبتلاءات طريق التكامل وتحصيل الثواب :

قال علي (ع) : « . . . كلّما كانت البلوى والإختبار أعظم ، كانت المثوبة والجزاء أجزل ، ألا ترون أنّ الله سبحانه وتعالى إختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه وإلى الآخرين من هذا العالم ، بأحجار لا تضرّ ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ، فجعلها بيته الحرام الذي جعله الله للناس قياماً . . . ولكن الله

يختبر عباده بأنواع الشدائد ويتعبد بهم بأنواع المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره ، إخراجاً للتكبر من قلوبهم ، وإسكاناً للتدلل في نفوسهم ليجعل ذلك أبواباً إلى فضله «(٢٨) .

وكلما صبر الإنسان على البلوى ، وتحمل مشاقها وآلامها كلما ناله أجر أكبر ، ومثوبة أعظم . وهذا قانون رباني ، لا يخرج عنه أحد من الناس ، منذ أن كان آدم عليه السلام وإلى أن تقوم الساعة . ومن جملة ما اختبر الله به الناس من الأولين والآخرين ، من عهد آدم حتى آخر الزمن هو الأحجار التي بني بها بيت الله الحرام ، وكعبته المشرفة ، مع العلم أن هذه الأحجار لا تنفع ولا تضر ولا تبصر ولا تسمع ولكن الله سبحانه جعل التوجه إليها وزيارتها والحج إليها ، عبادة له وامثالاً لأمره . . . هذه الأحجار جعلت كذلك للاختبار ، كما النعم الجليلة والمصائب الكبيرة ، والبلايا المهلكة ، التي تنزل بالإنسان . فكل من صبر على البلايا ، كان كريماً عند الله ، وحظي برحمته ورضوانه . أما الذين لم يصبروا على الشدائد ، التي حطت بكلكلها عليهم ، كانوا من الخاسرين ، والذين حبطت أعمالهم فلن يجدوا من الله نصيراً .

إن هذه التجارب الاختبارية ، تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان ، لذلك فالرخاء ، والغنى ، والفقر والبلاء هي مادة للتجربة :

وقد قال علي (ع) : « لا تفرح بالغناء والرخاء ، ولا تغتم بالفقر والبلاء ، فإن الذهب يجرب بالنار ، والمؤمن يجرب بالبلاء » «(٢٩) .

وفي خبر آخر : « إن البلاء للظالم أدب ، وللمؤمن امتحان ، وللأنبياء درجة » «(٣٠) .

يوصي أمير المؤمنين (ع) الناس ألا يفرحوا إذا ما أقبلت الدنيا عليهم ، وكانوا أغنياء ، مترفين يعيشون في رخاء لا يعكر صفوهم معكر ، ولا تشوب حياتهم شائبة ، لأن هذا الغنى ، والرخاء فتنة وابتلاء يقتضي حساباً ، يتبعه عقوبة إلهية ، ونار حامية .

وعلى الناس ألا يغتتموا إذا ما أدبرت الدنيا عنهم ، وكانوا فقراء معوزين ، لأن الفقر والعوز نعمة تنزل بساحتهم إذا ما صبروا ، لأنها تبلور شخصياتهم ،

وتعطيهم قوة ، ومناعة وقدرة على مواجهة الصعاب وبشر الصابرين .

ولا يعني هذا عدم السعي لتحسين الوضع المعيشي بتهيئة فرص العمل والإنتاج للجميع بل والعمل على تغيير الأنظمة الاقتصادية الفاسدة التي تؤدي إلى إفقار الشعب .

البلاء في الدنيا نعمة في الآخرة والرخاء فيها محنة في الآخرة :

قال رسول الله (ص) : « لا تكون مؤمناً حتى تعد البلاء نعمة والرخاء محنة ، لأنَّ بلاء الدنيا نعمة في الآخرة ، ورخاء الدنيا محنة في الآخرة » (٣١) .

وقال الكاظم (ع) : « لن تكونوا مؤمنين ، حتى تعدّوا البلاء نعمة ، والرخاء مصيبة ، وذلك أنَّ الصبر عند البلاء أعظم من الغفلة عند الرخاء » (٣٢) .

إنَّ الرسول (ص) لا ينطق عن الهوى ، لذلك فكلامه أنَّ الإنسان لا يكمل إيمانه ، حتى يسلم تسليماً كاملاً لمشية الله ، ويتساوى لديه ، البلاء والرخاء من الناحية الشعورية ، فيصبر على البلاء ، ويعده نعمة ، ويشكر على الرخاء ويستعدُّ للحساب . . . وبهذا يوضح (ص) أن حسابات الدنيا والآخرة مختلفة ، والميزان فيهما مغاير . فبلاء الدنيا ودواهيها والصبر عليه نعمة في الآخرة ، بينما الرخاء في الدنيا ، والعيش الرغيد ، من دون شكر عليه هو في الآخرة محنة لا يعدلها محنة ، وذلك لأنَّ هذه الدنيا في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب .

ما من بلية إلا وتحيط بها نعمة من الله :

قال الإمام العسكري (ع) : « ما من بلية إلا والله فيها نعمة تحيط بها » (٣٣) .

إنَّ من نعم الله على خلقه ، أنه إذا أحبَّ بعضاً منهم ، لإخلاصهم وحسن عملهم ، وأراد أن يخلصهم من عيوبهم وذنوبهم ، ابتلاهم بالنفس والمال والولد ، حتى إذا نجحوا وتحملوا وصبروا كانت النتيجة نعماً وخيرات ورضى من الله أكبر . . .

إحذر ربك عند تتابع النعم عليك :

قال علي (ع) : « إذا رأيت ربك يوالي عليك البلاء فاشكره ، إذا رأيت يتابع عليك النعم فاحذره » (٣٤) .

إنّ الشكر على البلاء يعني عملياً الصبر عليه ، والثناء على الربّ باللسان ، فإذا ما ابتلي عبد ببلاء ما ، وصبر على هذا البلاء ، يكون قد قام بفعل الشكر الذي هو من مظاهر الإيمان ، وطاعة للخالق وتسليماً لمشيئته وإرادته .

وإنّ الحذر من تتابع النعم وتواليها على العبد مطلوب ، لأنّ في النعم حساباً ، وفي الحساب عقاباً ، وضرورة الحذر تأتي من تقصير الإنسان في أعماله المطلوبة منه ، وعلى الوجه الذي يريده ويرضاه الله عز وعل ، فعلينا أن لا ننسى القاعدة التي وضعها لنا أمير المؤمنين (ع) ، وهي الشكر عند البلاء والحذر عند الرخاء .

الصبر على البلاء يصحح نسبة الإيمان :

قال الإمام الصادق (ع) : « البلاء زين للمؤمن ، وكرامة لمن عقل ، لأنّ في مباشرته ، والصبر عليه ، والثبات عنده ، تصحيح نسبة الإيمان » (٣٥) .

زينة الرجال الأكفاء ، تكمن في عقولهم الراقية وأخلاقهم العالية ، ولا يظهر ذلك إلّا بنزول البلاءات ، واشتداد الصعاب ، واستفحال الخطوب ، والصبر عليها والثبات عندها ، ومباشرتها بشكل يجعل الإنسان يتعالى فوق كل هذا البلاءات ويستوعبها ويحوّلها إلى قوّة ، يتقوّى بها بدل أن يستسلم لها فتحوّلها إلى حطام ، وتجعله بلا إرادة ولا رأي ولا معرفة لذلك كان البلاء زيناً للمؤمن ، وكرامة لمن يعقل .

البلايا تورث رضا الله وقربه وكرامته :

وقد قال الإمام الصادق (ع) : « إعلم أن بلاياه ، محشوة بكراماته الأبدية ، ومحنة مورثة رضاه ، وقربه ، ولو بعد حين » (٣٦) .

إنّ البلى التي في ظاهرها الألم والحزن والهَمّ والخسران ، محشوة في الداخل بالكرامات الإلهية الأبدية وموصلة دون أدنى شكّ ولا ريب إلى رضا الله وقربه ، مهما طال الأمد .

وهذا القول الجميل ، موعظة لكل معتبر ومتعظّ ، فكما أنّ تعاطي الدواء المرّ ، والذي تعافه النفس نتيجة الشفاء من الأمراض والعلل والأدواء . التي لو تركت بلا علاج لاستعجل ضررها ، ولأودت بصاحبها ، فكذلك الصبر على البلاء والشكر على الرخاء فيه شفاء النفوس ، والعقول المريضة وفيه الأمان والأمن ، والراحة والسلام .

البلاء غذاء المؤمن :

قال رسول الله (ص) : « إنّ الله ليغذي عبده المؤمن بالبلاء ، كما تغذي الوالدة ولده باللبن » (٣٧) .

إنّ الغذاء هو قوام الحياة ، فلا تستمر حياة إلاّ بغذاء .

وإنّ لبن الوالدة هو غذاء لولدها ، وهي تغذّيه ، وكلّها حبّ له ، وعطف عليه ، ولولا هذا اللبن ، وهذه الشفقة والعناية ، لما ترعرع الوليد ، ولما اشتدّ عوده وصلب ، والخالق عزّ وعلا أرحمّ بالناس من أمهاتهم لذلك فهو يغذي عبده المؤمن بالبلاءات لكي يتكامل ، وتتسع مداركه ، ويسمو ويثبت .

البلاء المتتابع إيقاظ من الغفلة والنعم المتتابعة مع المعاصي استدراج :

قال تعالى : ﴿ ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾ [١] .

يستفاد من الآية الكريمة أنّ العذابات التي تصيب العبد في مسيرته الحياتية ، هي خير له لتقويم مساره المعوج ولتصحيح أعماله الخاطئة ، وإلاّ إذا استمر العبد في عناده ، وتمردّه على أوامر الله ، والتنكر لرسله وكتبه أصابه العذاب

[١] سورة السجدة : الآية ٢١ .

الأكبر ، الذي هو أضعاف العذاب الذي هو العذاب الأدنى . وهذا الأمر من نعم البلاء على الناس فهو يذكرهم بالرجوع إلى الله ، وإطاعة أوامره .

قال علي (ع) : « إذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك البلاء فقد أيقظك ، إذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك النعم ، مع المعاصي فهو استدراج لك » (٣٨) .

إن تتابع البلاء على العبد إيقاظ له ، من غفوته ، وتمحيص لذنوبه وتصويب لخط سيره ، وإن تتابع النعم مع المعاصي استدراج لهذا العبد ، وإيصاله إلى نهاية سوداء إذا لم يتنبه ويتعظ .

وقد قال الإمام الصادق (ع) : « إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً فأذنب ذنباً تبعه بنعمة ، ويذكره الاستغفار وإذا أراد الله عز وجل بعبد شراً فأذنب تبعه بنعمة ، لينسيه الاستغفار ويتأدى به وهو قول الله عز وجل : ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾ (٣٩) .

إن الله سبحانه يعلم المصلح من المفسد ، والمؤمن من الفاسق ، فإذا وقع المؤمن في ذنب ، وأراد الله به خيراً لصالح نيته ، ذكره بالاستغفار ، والتوبة والندم على ذنبه ، بأن يتبع ذنبه بنعمة ، أو أذى أو مصيبة ، فيكون ذلك دافعاً له للتراجع عن أخطائه ، وأما إذا كان هذا الإنسان مصراً على انحرافه ، ولا يريد العودة عن ذنوبه ، استكباراً عن عبادة الله ، وطاعة للشيطان ، واعتداداً بالنفس واغتراراً ، أي إذا كان هذا الإنسان - بعلم الله - لا يستحق المغفرة ، نظراً لعناده في الكفر ، والبعد عن الله ، فإن القانون الإلهي قضى أن يتبع الذنب بنعمة ، ومن طبيعة النعم أن تنسي الإنسان أنه مذنب ، فيستغرق في ذلك ، ويتأدى به ، ويقترب من العذاب ، وبهذا يكون الاستدراج الإلهي لأهل الباطل من المنافقين ، والفاسقين ، والضالين .

وجاء في الرواية : خرج مولانا أمير المؤمنين (ع) للإستسقاء فقال : « إن الله ليبتلي عباده عند الأعمال السيئة ، بنقص الثمرات ، وحبس البركات ، وإغلاق خزائن الخيرات ، ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر » (٤٠) .

إن النقص في الثمرات ، وحبس البركات ، وإغلاق خزائن الخيرات ، هو

عطف من الله على عباده المسيئين ، وذلك ليقطع عن عادة سيئة ، أو ذنب قبيح ، وليتذكر متذكر أنّ الله مطلع على أعمال عباده ، ما خفي منها وما ظهر فيستحي هذا المتذكر فيتوب عن هذه الأعمال السيئة ، وليزدجر مزدجر عن قبائح الأعمال ، وخبائث الأقوال ، والنوايا التي لا ترمي إلّا إلى ما يغضب الله ولا يرضيه . وهكذا نستنتج أنّ الكثير من الصعوبات الإقتصادية ، والمعيشية التي يواجهها الأفراد والمجتمعات تعود أسبابها في حالات كثيرة إلى الانحراف السلوكي للمجتمع والأفراد ، وإلى العلاقات غير القائمة على أساس التعاليم الإلهية ، فينعكس ذلك على المستوى المعيشي ، والإقتصادي لأنّه يؤثر سلباً على الوضع الإنتاجي (إحتكار ، استغلال ، سرقة) فتتقص الثمرات وتغلق خزائن الخيرات .

لا يجمع الله على مؤمن عقوبتين :

قال علي (ع) : « ما عاقب الله عبداً مؤمناً في هذه الدنيا ، إلّا كان الله أحلم وأجود وأكرم من أن يعود في عقابه يوم القيامة . . . » (٤١) .

يبين أمير المؤمنين (ع) في كلامه هذا ، أن عقاب الدنيا ينفي عقاب الآخرة عن المؤمن . فالله تبارك وتعالى يعاقب المؤمن مرة واحدة ، إنّ في الدنيا أو في الآخرة . فطوبى لمن يرعوي عن أفعاله الشائنة في حياته ، ويصبر على بلاءات الله النازلة حتى يوفر على نفسه عذابات الآخرة ، التي لا يقوى عليها أحد . . . وتبقى التوبة هي باب الفرار إلى الله من عذابه إلى رحمته .

قال الإمام الباقر (ع) : « إنّ الله تبارك وتعالى ، إذا أحبّ عبداً غتّه بالبلاء غتّاً ، وثجّه ثجّاً ، فإذا دعاه قال : لبيك عبدي لئن عجلت لك ما سألت إنني على ذلك لقادر ، ولكن إدّخرت لك ، فما ادّخرت لك خير » (٣٢) .

غتّه بالبلاء غتّاً ، وثجّه ثجّاً ، معناه غمره بالبلاء ، بشكل كلي وبقوة ، ودفعه دفعاً إليه ، تماماً كالماء الشّجاج المتدافع . والعبد الذي يُغت بالبلاء وبشجّ به ، هو قريب من الله وضمن دائرة رضاه .

درجات لا تبلغ إلا بالبلاء في الجسد :

قال رسول الله (ص) : « إنَّ الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمله ، يتلى ببلاء في جسمه ، فيبلغها بذلك » (٣٣) .

إنَّ الدرجة الكريمة عند الله ، التي لا يبلغها المؤمن بعمله ، وقد يبلغها إذا ابتلى بجسمه فصبر ، فابتلاءات الجسم والأمراض التي يتلى بها الإنسان ، والصبر عليها بخلوص نية والتوجه إلى الله بالدعاء للتخلص من هذه الابتلاءات قد توصل الإنسان إلى درجات رفيعة ، في جنات عالية . مع العلم أن أسباب الأمراض قد تكون راجعة إلى تصرف الإنسان وقد تكون عائدة إلى عوامل خارجية ، لا يتحمل المريض مسؤوليتها ، وفي الحالتين ، فإنَّ الصبر عليها يورث رفيع الدرجات .

البلاء في طاعة الله ، أحب إلى المؤمن من الصحة في معصيته :

عن شعيب العرقوقي قال : قلت لأبي عبد الله (ع) : شيء يروى أن أبي ذر رحمه الله أنه قال : « ثلاثة يبغضها الناس وأنا أحبها : أحب الموت ، وأحب الفقر وأحب البلاء ، فقال (ع) : هذا ليس على ما يروون إنما عني : الموت في طاعة الله ، أحب إليّ من الحياة في معصية الله ، والفقر في طاعة الله أحب إليّ من الغنى في معصية الله ، والبلاء في طاعة الله أحب إليّ من الصحة في معصية الله » (٤٤) .

إنَّ المؤمن الحقّ ، هو من وضع طاعة الله ، فوق كل أمر ولو كان فيها الموت والفقر والبلاء ، إذ أنَّ من يطع الله ، يجعل له من أمره مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب .

ولفهم مسألة البلاء والنعمة ، فهماً جيداً ينبغي الإكثار من النصوص التي تتحدث عن هذه المسائل ، واستيعابها بشكل تام ، وفي هذا خير كثير وعميم لكل من فهم واستوعب . فالمؤمن يحب الموت ، لأنَّه تحفة له ، إذا كان في سبيل الله ، ولكن لا يتمناه ، ولقد جاء عن الإمام زين العابدين (ع) : « لا يتمنى أحدكم الموت ، فإن كان لا بد فاعل فليقل : أللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي ، وأمتني إذا كان الموت خيراً لي » .

وذلك لأن الحياة نعمة إلهية ، وتمني الموت أو طلبه في غير رضا الله ، رفض للنعمة الإلهية العظمى .

والمؤمن يحب الفقر في طاعة الله ، ويفضله وذلك لأن الغنى في معصية الله ، معناه توقع العذاب الإلهي ، والسقوط في جهنم ، فالصبر على الفقر في الدنيا ، ربح الآخرة ، لذلك فإن المؤمن لا تغريه مغريات الدنيا ، لا مالا ولا جمالا ، ويحافظ على موقفه المستقل والحر في كل حين .

والمؤمن يفضل البلاء في طاعة الله ، على الصحة في معصيته ، لأن الصحة في معصية الله في الدنيا ، تعني البلاء الذي لا نهاية له في الآخرة ، والبلاء المؤقت في الدنيا ، يعني الصحة الدائمة في الآخرة .

القدر الإلهي والعمل البشري :

« قال رجل لعلي بن الحسين عليهما السلام : جعلني الله فداك أبقدر يصيب الناس أم بعمل ؟ » .

فقال عليه السلام : « إنَّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد ، فالروح بغير جسد لا يحسّ والجسد بغير روح صورة لا حراك بها فإذا اجتمعا قويا وصلحا ، كذلك العمل والقدر فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل ، لم يعرف الخالق من المخلوق ، وكان القدر شيئاً لا يحس ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر ، لم يمض ولم يتم ، ولكنهما باجتماعهما قويا ، والله فيه العون لعباده الصالحين » (٤٥) .

هناك علاقة جوهرية بين القدر والعمل ، تشبه العلاقة بين الروح والجسد ، فالله تعالى يقدر ، والتقدير هو التخطيط الإلهي ، الذي لا يحتاج إلى أعمال فكر ، تعالى الله عن ذلك ، ويأمر سبحانه أن تكون الأشياء بمقدار معين ، وحتى الإنسان وقواه ، وإمكاناته قد جعلت بمقدار ، حسب قوانين ربانية ، حاکمة لوجود الإنسان ، وحركته في الحياة ، وكذلك فإن الطاقة ، والقوة التي بها يتحرك ويسعى الإنسان ، ممنوحة له من قبل الله وبمقدار ، وحرية الاختبار والقدرة على التنفيذ ، والفعل بتقدير من الله ، وهنا يتداخل القدر والعمل ، وإذا

بالإنسان محبر على أن يختار ، على قاعدة لا جبر ولا تفويض وإنما ، أمر بين أمرين كما جاء عن الصادق (ع) ، وهكذا فإن الأعمال التي تصدر عن الإنسان ، لم تكن إلا بقدر وتقدير من الله ، وإمضاء منه ، أي أن أعمال الإنسان ، معلومة لله قبل أن يقوم بها صاحبها ، والقائم بها ليس بإمكانه القيام بذلك لولا أقدار الله له على الفعل بشكل عام ، وفعلها بشكل خاص ، والإنسان يتحمل مسؤولية عمله ، لأن عمله كان باختياره ، الذي مكّنه الله منه .

إن الترابط والتداخل بين القدر والعمل ، مثله كمثّل الروح التي تخلق الحركة في الجسد ، والجسد بلا روح لا يحسّ ، كذلك فإن القدر يقع على العمل ، وإلا كان القدر غير متحقق في عالم الواقع لولا العمل ، والموافقة بين القدر (المخطط الإلهي) والعمل ضرورة لتنفيذ المشروع الإلهي (البشري) في بناء وإعمار الحياة ، ولا يمكن أن يكون الأمر على غير ما هو عليه ، لأن الانفصال بين القدر والعمل ، يجعل العمل في إطار عدم التحقق ، والقدر أيضاً بدون العمل ، يدور في عالم فراغي ، وباجتماعهما وتكاملهما يقويان وينفذان .

وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [١] .

وقال الصادق (ع) : « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً قَدَرَهُ ، فَإِذَا قَدَرَهُ قَضَاهُ ، فَإِذَا قَضَاهُ أَمْضَاهُ » [٤٦] .

إن الله تعالى محيط بكل شيء ، وهو مقدر ومهندس الأحياء والحياة (القدر هندسة) ، ومخرجها إلى حيّز الوجود بقضائه (القضاء إبرام) وبهذا يكون الخلق والإيجاد ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

وبكلمات أخرى نقول : الخلق هو الأيجاد والإحداث الأول .

والقدر هو القدر اللازم لخلق الشيء المراد إيجاده .

فالتقدير أو المقادير المطلوبة أولاً .

ثم القضاء ثانياً ، وهو الإبرام والتثبيت ، وبعد التقدير والقضاء يأتي دور

[١] سورة القمر : الآية ٤٩ .

الإمضاء ، وهذه هي المرحلة الثالثة من مراحل الخلق الثلاث (تقدير ، فقضاء ، فإمضاء) كل ذلك بلا فاصل زمني بل الفواصل اعتبارية .

الحمل والعمر والحياة والموت وكل شيء بقدر ، وقضاء ، وعلم من الله :

قال تعالى : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ، وما يعمر من معمر ، ولا ينقص من عمره إلا في كتاب ﴾ [١] .

إنّ حمل المرأة بوليد : ذكر أم أنثى ، لا يكون إلا بعلم الله ومشيتته .

وكذلك الأعمار ، ونقصها ، وزيادتها ، بتقدير الله ، وعلمه السابق ، وكل ذلك وما يشبهه يخضع للقوانين الإلهية ، المقننة والمنظمة لكل شيء في الحياة ، وبعدها ، وقبلها ، وهذا كله ، يتقوّل ، ويتحرك ، ضمن إطار القدر والقضاء الإلهيين .

قال تعالى : ﴿ والله خلقكم ثم يتوفاكم ، ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إنّ الله عليم قدير ﴾ [٢] .

من آمن بالقدر استخفّ بالمصائب والغير :

قال علي (ع) : « كلّما ازداد عقل الرجل قوّي إيمانه بالقدر واستخفّ بالغير » [٣] .

« لن يبطيء عنك ما قدّر لك » [٤] .

« من أيقن بالقدر لم يكثرث بما نابه » [٥] .

« الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن » [٦] .

إنّ العبد إذا ازداد عقله قوّي إيمانه بالقدر ، واستخفّ بالغير .

[١] سورة فاطر : الآية ١١ .

[٢] سورة النحل : الآية ٧٠ .

والغير هي الحوادث والنوازل والمصائب التي تحدث للإنسان ، أو تنزل به . وعلى هذا ، فكل زيادة في العقل يستتبعها قوة في الإيمان ، بما قدّر الله وقضى واستخفاف بالغير والحداثات ، لأنه لا رادّ لحكم الله .

وأنّه لمن الوهن والسخف ، أن يتجنّد الإنسان لمقارعة حوادث الأيام معتقداً القدرة على النيل منها ، والتغلب عليها ، لأنّ ما يحصل لا بدّ أن يحصل ، وحصوله معلوم لله سبحانه قبل وقوعه ، ووقوعه كان بأسباب سببته ، بعضها من صنع الإنسان فيما يتعلّق بدائرة اختياره ، وبعضها من فعل الله مباشرة ، حسب قوانين إلهية تحكم مجريات هذه النوازل ، كما نوهنا آنفاً .

ففعل الإرادة البشرية ، والوصول إلى النتائج ، هي بمشيئة الإنسان التي أرادها الله فيه ، لتكون امتحاناً له وخبرة في هذا الوجود ، وبذلك يكون الإنسان حيث يضع نفسه . . فكم من مستسلم في هذه الحياة غير فاعل ، ومؤثر فيها ، قد يصل إلى فتنة تجرّ إليه البلاء وكم من إنسان أوقعته الحياة في ظروف صعبة فصفلته فقوي فعل الخير والجمال فيه فكانت النعمة . والإيمان صلة بين الإنسان وبين الله ، والله سبحانه لم يجعل الدنيا دار راحة ، وقرار ، بل جعلها دار تمحيص وامتحان للإنسان ، والإنسان قد يمتحن بالشيء وضده مثلما يصهر الحديد في النار ثم يرمى في الماء .

العقل ومكانته في عمل الإنسان :

جاء في الحديث القدسي : « إنّ الله عندما خلق العقل قال له : أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال سبحانه وتعالى ، وعزّتي وجلالي ما خلقت شيئاً أحبّ إليّ منك ، ولا أكملك إلاّ فيمن أحبّ ولكن إياك أمر وإياك أنهي وإياك أعاقب وإياك أئيب » .

إن الله تبارك وتعالى ، يعلم أنّ الإنسان سيخطيء ، وأنه سيعاند ، وسينكر لأنعم الله ، وبما أن الله عادل رحيم ، لا يظلم أحداً ، لم يترك هذا الإنسان تائهاً بلا دليل ، ولا هاد يهديه بل زوده ببوصلة تنجيه من الغرق في هذه البحار المتلاطمة ، وبها يوجه سفينته إلى شاطئ السلامة ، ألا وهي العقل .

وقد يبطل الإنسان فعل العقل بإرادته ، فيأخذه التيار الجارف إلى حيث لا رجعة فيغرق في لججه ، أوروبما يأوي إلى جبل زاعماً أنه سيعصمه من الماء كما فعل (ابن نوح) . . ولكن لا نجاة ، ولا حول ، ولا قوة لمخلوق إلا بالله .

قال تعالى : ﴿ ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني إركب معنا ولا تكن من الكافرين ، قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾ [١] .

وواضح أن الله لم يأمر الإنسان بذلك ، ولكنه يعلم أنه سيفعل وعندها يحق عليه العذاب ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ [٢] .

والرسول هنا يعني الرسول الظاهري (الأنبياء والرسل) ، أما العقل فهو الرسول الباطني الذي يهدي إلى سواء السبيل كما يعلم كل ذي عقل صاف ، غير مشدود برباط أهوى والشهوات .

الرخاء والكسب الحلال :

قال الإمام الصادق (ع) : « لا خير في من لا يحب جمع المال من حلال ، يكفّ به وجهه ، ويقضي دينه ، ويصل به رحمه » [٥١] .

وعن الصادق (ع) أيضاً : « إذا أقبلت الدنيا فالؤمن أحقّ بها من الكافر » .

ويروى ما مضمونه أن أخوين جاء رسول الله (ص) يحملان أحمالاً لهما لا يستطيع المشي ، فقالا له إنه قد هجر الناس وذهب إلى جبل ليعبد ربه ، فقال لهما أيكم يكفيه طعامه وشرابه قالوا : نحن قال (ص) أنتما أعبد منه .

ويروى كذلك أن رسول الله (ص) وبعض الصحابة التقوا بشخص مفتول العضلات يحمل مسحة ، فقالوا ويح هذا لو أن جلده وصبره كانا في سبيل الله ، لكان أفضل فنظر إليهم رسول الله (ص) وقال : إنه إن كان يسعى على نفسه

[١] سورة هود : الآية ٣٢ - ٤٣ .

[٢] سورة الإسراء : الآية ١٥ .

ليُكفها عن الناس فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى على أبوين شيخين فهو في سبيل الله ، وإن كان يسعى على ذرية ضعاف فهو في سبيل الله ومن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان .

وهكذا صحَّح الرسول الأعظم (ص) مفهوم القوم عن العمل عند من ظنَّ عكس ذلك .

وعن أبي يعفور : قلت لأبي عبد الله (ع) : إنا لنحب الدنيا فقال لي تصنع بها ماذا ؟ قلت أتزوج منها وأحجَّ وأنفق على عيالي وأنيل أخواني وأتصدق قال لي : « ليس هذا من الدنيا بل من الآخرة » (٥٢) .

إنَّ حبَّ الدنيا لقضاء حوائج أمر الله بها ، وحثَّ عليها ، هو ليس للدنيا والترف والرخاء ولكنه للآخرة وهو عمل محمود وليس مذموماً . فالذي يسعى ليحصل على المال ليحجَّ به هو من المؤمنين والعاملين لرضا الله . والذي يتصدق بمال سعى به فجمعه . على مستحقه ، والمحتاجين إليه فهو عبد من عباد الله الصالحين .

والذي يسعى جاهداً لينفق على عياله وعلى والديه ، وليساعدهم فإنه يعمل بعمل من عرف مهمته في الحياة ونفذها لرضا الله تعالى ، فعلينا أن نُميّز بين الرخاء ، وبين الكسب الحلال وجمع المال ، لا حباً بالمال ، بل لخدمة الأهل والعيال والمساكين وقضاء الحوائج .

القيادة الإسلامية لا تعرف الرخاء ، مواساة للشعب المستضعف :

من المعلوم أن أمير المؤمنين (ع) كان يكتفي بخبز الشعير يكسره على ركبته ، ويأكله ، مع أنه كان باستطاعته أن يأكل أطايب الطعام كيف لا ويده بيت المال ، وهو الأمير ، فقيل له ، لم تفعل بنفسك هذا يا أمير المؤمنين فقال : أأفنع أن يقال لي أمير المؤمنين ولا أشاركهم مكاره الدهر . وباعتبار أنه ما دام هناك فقراء فعلى أميرهم أن يعيش عيشهم ، ويتحمَّل المشاق حتى يرتفع مستوى معيشتهم ، أليس هو القائل :

« ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به ، ويستضيء بنور علمه ، ألا وإنَّ

إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه (الثوب الخلق) ، ومن طعامه بقرصيه . ألا ولأنكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفة وسداد ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ، (فتات الذهب) ، ولا ادخرت من غنائمها وفراً (المال) ، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً .

ولأنما هي نفسي أروضها بالتقوى (أذلها) لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر ، وتثبت على جوانب المزلق (مواضع الإنزلاق) ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ، ولباب هذا القمح ونسائج هذا القرز ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جسعي (شدة الحرص) إلى تخيير الأطمعة . ولعلّ بالحجاز أو اليمامة (منطقة في اليمن) من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع . أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي وأكباد حرّى ؟ أو أكون كما قال القائل وحسبك داء أن تبيت ببطنه ، وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ . أفنزع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر ، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش (خشونة) . فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها ، أو المرسلة شغلها تقمّمها (تناول الأوساخ) ، تكثرش من أعلافها وتلهو عما يُرادّ بها . أو أترك سدىً أو أهمل عابثاً ، أو أجُرّ حبل الضلالة ، أو اعتسِف طريقَ المتهمة (موضع الحيرة) .

وكأنّي بقائلكم يقول إذا كان هذا قُوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان .

ألا وإن الشجرة البرية أصلبُ عوداً ، والروائع الخفّيرة (الأشجار اليافة) أرقّ جلوداً ، والنباتات البدوية أقوى وقوداً (حطب) وأبطأ خُوداً ، وأنا من رسول الله كالصينو (الند - المثل) والذراع من العضد . والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وُلّيت عنهم ، ولو أمكنتِ القرص من رقابها لسارعت إليها ، وسأجهدُ في أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المَرَكوس (المقلوب) حتى تُخرُج المذرة من بين حبّ الحصيد (حب النبات المحصود) .

إليك عني يا دنيا حبلك على غاربك (الكاهل) ، قد انسللت من مخالبك ، وأقلت من حباتك ، واجتنبت الذهاب في مداحضك ، أين القرون

الذين غررتهم بمداعبك (المزاح) ، أين الأمم الذين فتنهم بزخارفك . ها هم رهائن القبور ومضامين اللحد . والله لو كنت شخصاً مرثياً وقالباً حسيّاً لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأمان ، وأمم ألقيتهم في المهاوي ، وملوك أسلمتهم إلى التلف وأوردتهم موارد البلاء إذ لا ورد ولا صدر (عودة) هيهات من وطىء دحضك زلت (زلت قدمه) ، ومن ركب لججك غرق ، ومن أزوّر (مال) عن حباتك وفق . والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه زواله . اعزني عني (ابعدني) فوالله لا أذل لك فتستذليني ، ولا أساس لك فقوديني . وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشبهة الله لأروضن نفسي رياضة تمش معها إلى القرص إذا قدرت عليها مطعوماً ، وتقنع بالملح مادوماً ، ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب (مصدر) مستفرغة دموعها ، أتمتليء السائمة من رعيها فتبرك ، وتشيع الربيعة من عشبها فتريض (تبرك) ويأكل علي من زاده فيجمع ؟ . قرت إذا عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالهيمه الهاملة والسائمة المربعة .

طوى لنفس أدت إلى ربه فرضها ، وعركت بجنبها بؤسها (الضر ، ذل وهم) . وهجرت في الليل غمضها (نوم) حتى إذا غلب الكرى افترشت أرضها وتوسدت كفها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجاغت عن مضاجعهم جنوهم . وهممت (صوت الصدر) بذكر ربهم شفاههم ، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ (٥٣) .

نعم . . وهذا ما كان يمارسه إمام الأمة الخميني قدس سره ، الذي تخرّج من مدرسة أمير المؤمنين علي (ع) ، حيث كان يعيش في بيت متواضع يجلس على الأرض ، مقتدياً بأمره علي (ع) وهذه صورة سريعة عن حياة الإمام الخميني قدس سره ينقلها بعض العلماء :

بيت الإمام « قدس سره »

يقول أنصاري كرماني ، في بيت الإمام الخميني ، مظهراً تواضعه الذي يستمدّه من تواضع أمير المؤمنين (ع) يقول : طلب الإمام من السيد رسولي قائلاً : اذهبوا وابحثوا لي عن بيت مثل بيت والدك فذهبنا للعشور على بيت في

المنطقة الشمالية من طهران ، ولكن يجب أن يكون بناؤه من الأجر والطين ، ولم يكن ذلك أمراً هيناً ، وهدد الإمام بالذهاب إلى قم إن لم يتهيأ البيت ، فتعباً للجميع وسعينا كثيراً لإيجاد بيت بسيط يتناسب مع ما يريده الإمام من جانب ، ويكون هناك مجال لمقابلاته من جانب آخر ، وهذا ما تحقق لنا في البيت الذي عرض علينا ، وهو المجاور لحسينية جماران التي يمكن أن تستخدم للمقابلات العامة . إن مجموع مساحة بيت الإمام ومكتبه ١٦٠ متراً مربعاً . أما بيت الإمام فيشتمل على غرفتين ، واحدة لمقابلة الشخصيات والأخرى خاصة للنوم ، وعندما كان يزداد عدد الضيوف في بعض الأحيان ، كنا نضطر إلى استخدام الغرفة الثانية ، أما حالة مكتبه فليست بأحسن من بيته إذا ليس فيه سوى بعض الكراسي . . .

جاء الإمام يوماً إلى الحسينية ولاحظ مجموعة من العمال والبنائين مشغولين بطلاء جدران الحسينية بالكلس فقال لنا كلمة عجيبة : اتركوني أموت ، وبعدها بادروا إلى هذا العمل . بالرغم من أن مبالغ إيجار البيوت (بيت الإمام ومكتبه) كان يعطي إلى مالكيها ، ومع ذلك فقد أمرنا الإمام - وكان ذلك قبل شهر رمضان المبارك - أن نرسل من يخبر مالك هذه البيوت وأفراد عائلته ، ليقابلوه ويسألهم ، فهو : (غير مطمئن إلى رضا أصحاب هذا البيت في بقائه هنا) ، فجاء جماراني وأخوه وأفراد عائلته ، فتكلم الإمام مع الرجال أولاً وقال لهم : « إنهم راضون (في بقائي) هنا أم لا ؟ أجابوه : (إنه من دواعي الفخر والإعتزاز لنا ولعائلتنا أن تكونوا هنا وهذه نعمة إلهية نشكر الله عليها إلى يوم القيامة » . قال الإمام : « اتركوا هذه المجاملات جانباً وأجيبوني بصراحة » فكروا ما قالوه أولاً ، مظهرين رضاهم ، فقال الإمام : لتأت النساء فجاءت النسوة ، فقال الإمام : لعلكن تحبين العودة إلى بيوتكن ولا ترغبين في الذهاب إلى مكان آخر » وسألهن إن كن راضيات بسكنه في دارهن ، فأظهرن رضاهن أيضاً . عندئذ قال الإمام : حسن سألني هنا .

ويضيف كرمانى وإني لأتمنى لو كانت معي الرسالة التي بعثها الإمام إلى المرحوم الشهيد آية الله بهشتي والتي يذكر فيها ما يملك الإمام من أموال وممتلكات ، لتبين ما يملكه قائد الثورة في هذه الدنيا ، فكما تعلمون ، إن على

قائد الثورة ورئيس الجمهورية وبعض المسؤولين الآخرين في الدولة أن يقدموا قائمة بممتلكاتهم إلى مجلس القضاء الأعلى كما ورد في القانون الأساس لدستور الجمهورية الإسلامية . وبالرغم من أن بني صدر لم يقدم تلك القائمة أبداً ، ولكن الإمام ومن خلال سطرين أو ثلاثة ذكر كل ما يملك ، ومن الطريف أن نذكر أن الإمام قام بتسجيل حتى عدد الكتب التي يملكها وما لديه من مال يرجع إلى بيت المال وغيره ، ولم يتجاوز كل ذلك الثلاثة أسطر وحينها أيضاً أمر ابنه أن يفعل كما فعل .

مصرفات الإمام

يقول آية الله ناصري : . . . إن رأيي بالمرحوم الشهيد السيّد مصطفى الخميني (ابن الإمام) أنه شخص لا نظير له . كان يأتي إلى الإمام في نهاية كل أسبوع ليأخذ مصروفه الأسبوعي ، ولا يزيده الإمام بأي شكل من الأشكال ، وعندما أراد المرحوم مصطفى أن يحج إلى بيت الله الحرام ، باع بيته في قم وأضاف إليه مقداراً من المال أخذه من زوجته وحينها سافر إلى مكة المكرمة .

. . . ويوصينا الإمام (عندما كنا في النجف) . لا يحق لأحد أن يستعمل الهاتف كثيراً وكان أجاز لنا أن نستعمله داخل مدينة النجف ولكنه حرم استعماله للاتصالات الخارجية مثل كربلاء أو أماكن أخرى ، حتى أن الإمام كان يقول للسيد أحمد : لا يحق لك أن تتصل بطهران أو بأي مكان آخر إلا إذا كانت المكالمات خاصة بالثورة كأن يراد نقل منشور أو بيان

وأذكر لكم هذه الحادثة حول إقتصاد الإمام باستعماله الورق ، كتب الأخ رضواني للإمام (وهو المسؤول المالي له) شيئاً ما خلف كيس ورقي ، أجابه الإمام على ورقة صغيرة ، وكتب له هذه الملاحظة : بإمكانك أن تستفيد من هذه الورقة .

ولهذا كان الأخ رضواني يجمع قصاصات الأوراق ويحتفظ بها ، ويستعملها عندما يريد أن يكتب شيئاً للإمام ، وكان الإمام يكتب الجواب عليها . في بداية مجيء الإمام إلى النجف الأشرف ، لم يوافق على شراء مبردة

حاولت أن أتطفل وأدخل المطبخ لأرى ما الذي تشتمل عليه ثلاجة الإمام ؟
فتحت باب الثلاجة فلم أجد سوى إناء يحتوي على الجبن وقطعة من الرقي
(البطيخ) .

في صباح اليوم الذي قررنا فيه أن نذهب إلى الكويت ، توقفنا في الطريق
عند أحد المقاهي لتناول الفطور وحينها تناول الإمام (الخبز والجبن والشاي) وفي
ليلة اليوم نفسه عند عودتنا من الحدود الكويتية ، ذهبنا إلى أحد الفنادق وبعد أن
نزلنا فيه قلنا للإمام لنطلب منهم أن يأتوا لك بالطعام فرفض ، فخرج أحدنا إلى
السوق واشترى قطعتي كعك مع علبة لبن فأكل الإمام منها . . . (٥٤) .

* * *

وهكذا نستنتج مما سلف إنَّ الإنسان في مسيرته الحياتية يترقى رتباً :
المرتبة الأولى : الإنسان الذي يكتفي بالأدنى من حياة عادية وهو قادر على
الأكثر ولكنه لا يفعل .

المرتبة الثانية : الإنسان الذي يقبل على الدنيا إذا أقبلت عليه ولكن في
الحلال .

المرتبة الثالثة : هي مرتبة المسرفين والمترفين ، ولتفصيل ذلك نقول :
إنَّ المرتبة الأولى تخص من يريد أن يتخفف من أثقاله كأبي ذر (رضي)
حيث دخلوا إلى بيته ، فوجدوه فارغاً إلّا من بعض الحاجيات الضرورية جداً ،
ولما سئل عن سبب ذلك قال : نقلنا أثاثنا إلى دار إقامتنا الدائمة لأننا عما قريب
سنسافر . . (يقصد إلى عالم الآخرة) .

ومن المعلوم - كما ورد في الخبر (أوردناه سابقاً) : أنَّ الإنسان يوم القيامة
يسأل عن ثلاث : عن عمره فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أفناه ، فحتى لا يطول
وقوفه يوم الحساب ، فإنَّ عليه أن يتخفف من حمل ثقل المتاع ، أما المرتبة
الثانية : فهي مرتبة المؤمن العادي الذي يراعي السنن والقوانين الشرعية ،
ويخاف الله فيما ينتج وفيما يستهلك .

أما المرتبة الثالثة ، فهي مرتبة عباد المال والدنيا ، الذين يعيشون من أجل

الدنيا ، وهدفهم جمع المال ، للذة وإزواء الشهوات .
قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِ نَفْسِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ۚ ﴾ [١] .

البلاء واستقرار حالة المؤمن النفسية :

إن من كمالات المؤمن وصوله إلى حالة تجعله يعيش استقراراً نفسياً تجاه الإبتلاءات التي يتعرض لها في حياته ، ويعيش حالة الحذر والتفحص والانتباه تجاه الرخاء والنعم .

وشرط هذه الحالة أن تكون مستمرة ، حتى يتعامل مع الرخاء في كل مصاديقه : مع المال ، والجاه ، ومع القوة الجسدية والنفسية الممنوحة له . . . يتعامل مع الرخاء على أساس أنه اختبار له ، وعليه أن ينجح في هذا الإمتحان .
وإذا تحول الرخاء إلى فتنة يصبح ضرره كبيراً ، وتصبح نفسية المصاب بهذا الرخاء في عناء وتعب ، أما الذي ينزل به البلاء ، فيستسلم لمشية الله ، ويعد نفسه لهذا البلاء حتى يحوله إلى نعمة ، فإنه يريح الدنيا والآخرة ، وذلك بالتعامل مع هذه البلاءات بفرح وسرور وسعادة .

١٠

ويمكن أن نميز بين عدة حالات :

١ - إن من البلاءات ما لا يمكن تغييره ، كمن يفقد عزيزاً ، فهذا بلاء ينزل بالإنسان فلا يستطيع أن يفعل شيئاً تجاهه .

٢ - وهناك نوع من البلاءات يمكن تغييره ، كالمرض العادي فهو يتعامل معه على أنه فتنة ، وفي نفس الوقت يعمل للتداوي لمعالجة هذا المرض ، فلا يجوز للمسلم أن يهمل نفسه لأنه يتحمل عاقبة هذا الإهمال .

٣ - وهناك قسم ثالث من البلاءات يحتمل تغييره ، أو أن تغييره يحتاج إلى فترة طويلة كبعض الأمراض المزمنة المستعصية ، وفي هذه الحالة عليه ألا يئأس من

[١] سورة القصص : الآية ٧٧ .

رحمة الله ، وأن يسعد في بلاء الله هذا ، وأن يوطن نفسه على الألم ويعلم أن أوجاعه وآلامه ، إنما هي حسنات في ميزان يوم القيامة ، فيشعر بالغبطة والراحة النفسية ، كما أن الإيمان يتعمق ويكمل عندما يصل الإنسان إلى وضعية نفسية ، بحيث لا تؤثر فيه البلاءات ولا يبطره الرخاء .

البلاء والدعاء

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [١] .

وفيما أوحى الله إلى موسى (ع) : « يا موسى . . . اتخذوني جنة للشدائد وحصناً للملمات الأمور » .

وفي فقه الرضا (ع) قال : « رأيت أبي عليه السلام فقال : يا بني إذا كنت في شدة فأكثر من أن تقول : يا رؤوف يا رحيم والذي نراه في النوم كما نراه في اليقظة » (٥٦) .

وقال رسول الله (ص) : « إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله ولا تسمعونهم فإن ذلك يحزنهم » .

وعن الباقر (ع) : « تقول ثلاث مرات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسمعه : الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به ، ولو شاء فعل ، قال : من قال ذلك لم يعصبه ذلك البلاء أبداً » (٥٧) .

وقال الصادق (ع) : « إذا رأيت الرجل قد ابتلي وأنعم الله عليك ، فقل : اللهم إني لا أسخر ولا أفخر ولكن أحمدك على عظيم نعمائك علي » (٥٨) .

بعد هذا نقول : إلى من يتوجه المؤمن في الملمات والصعاب والشدائد ؟ .

إلى من ينصب وجهه ، ويفتح قلبه ، ويرفع كفيه ؟ .

[١] سورة البقرة : الآية ١٥٦ .

أليس الله هو الرب الرؤوف ، الرحيم ، الذي منه البداية وهو الغاية ،
وإليه المصير ، والرجوع ؟ .

من يكشف السوء ، ويجيب المضطر إذا دعاه . . . أليس هو الله ، رب
العالمين ، الرؤوف ، الرحيم ؟ .

ومن لأهل البلاء ، غير الله ؟ وما هو موقف المعافي إذا رأى مبتلى ؟ .

ألا يشعر بأن الله قادر على أن يصنع به ما صنع بهذا الذي ابتلى ؟ .

أليس من واجبه أن بسمو بنفسه وأخلاقه وإيمانه ، فلا يسخر ولا يفخر ،
ولا ينظر إلى صحته ، وعافيته ، فرب عافية صارت بلاء ، ومرضاً عضالاً ، ورب
سلامة صارت سقماً ؟ .

. . . الحمد - على العافية ، يفولها في سره ، حتى لا يحزن مبتلى ، ولا يشعر
معافي بالفخر ، أو الإعتزاز ، لأن من عافاك ، وعليك أنعم ، إن عنك تحلى ،
فلا تدري ساعته ، ما دهاك ، وأصابك من بلاء .

وذلك لأن الشعور مع الناس ، وتحسس آلام المتألمين ، صفة إنسانية
إيمانية ، لا يدركها إلا أهل الله ، من الذين أنعم الله عليهم ، بنعمة العقل ،
والإيمان ، والمعجبة لخلق الله ، بالرفقة والرحمة ، لأن الله رؤوف رحيم .

قصة النبي موسى (ع) والخضر (ع) ، فتن . . . ونعم

لقد وردت في القرآن الكريم ، قصة النبي موسى والخضر عليهما السلام ،
ونظراً لما تحويه هذه القصة العجيبة من عناصر الإبتلاءات والنعم ، وتوجيه من
معان عميقة ، نشبتها كما جاءت في القرآن الكريم :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً *
فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ
آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي
نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا *
قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ، فَارْتَدَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ

رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا
عَلَّمْتَ رُشْداً * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ
خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا
تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ
خَرَقَهَا قَالَ ، أَخَرَقْتُهَا لِتُفَرِّقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ
تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تَأْخُذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا *
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ
بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ
اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَبِأَوَّلِهَا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ ، قَالَ
لَوْ شِئْتُ لَتُخَدَّتْ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ
تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ
أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ
مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً
وَأَقْرَبَ رُحْمًا * وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا
وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ
وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ، ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿١١﴾ .

القصة من الروايات :

أوحى الله سبحانه إلى موسى (ع) ، أنَّ هناك عبداً من عباده عنده من
العلم ، ما ليس عند موسى (ع) ، وأخبره أنه إن انطلق إلى مجمع البحرين وجده
هناك ، وهو في المكان الذي يحى فيه الحوت الميت أويقتقد فيه الحوت .

عن الصادق عليه السلام : أنَّ الخضر (ع) كان نبياً مرسلًا ، وتقول الرواية
ان اسمه كان : ثاليا بن مالك بن عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح .

وفي رواية أنَّ الخضر وذو القرنين لم يكونا نبيين بل كانا عالمين ، فتأمل .

[١١] سورة الكهف : الآية ٦٠ إلى ٨٢ .

وعن أهل البيت عليهم السلام أن الخضر لا يزال حياً ، وهذا ليس مستحيلاً عقلاً وليس بمعجز لخالق الكون وهو الذي يقول للشيء كن فيكون .

ومن المعروف أن موسى عليه السلام كان نبياً ورسولاً ، وهو من أولي العزم ، وعن جعفر بن محمد (ع) في خبر قال : « ان موسى (ع) كلمه الله تكليماً ، وأنزل عليه التوراة وكتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء ، وجعل عصاه آية في يده ، وفي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وفتح البحر وأغرق الله فرعون وجنوده ، فقال موسى في نفسه : ما أرى الله عز وجل خلق خلقاً أعلم مني ، فأوحى الله إلى جبرائيل : ادرك عبيدي قبل أن يهلك وقل له : إن عند ملتقى البحرين البحرين رجلاً عابداً فاتبعه وتعلم منه . وإن جبرائيل (ع) هبط على موسى بما أمره به ربه عز وجل ، فعلم موسى أن ذلك لما حدثته به نفسه .

فمضى موسى وفتاه (يوشع بن نون) حتى انتهيا إلى ملتقى البحرين فوجدا هناك الخضر (ع) يعبد الله عز وجل كما قال الله في كتابه : ﴿ فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علماً ﴾ إلى آخر القصة .

لقد اختلفت الروايات في مكان مجمع البحرين .

ففي رواية ابن بابويه والقمي أن مجمع البحرين من أرض الشامات ، وفلسطين ، بقرينة أن القرية التي ورداها هي الناصرة التي ينسب إليها النصاري .

وفي رواية أخرى أن الأرض كانت أذربيجان ، وهو يوافق رواية السدي في الدر المنثور وأن البحرين هنا : الكر والرس ، وقيل أنها بحرا الروم والفرس . أما الحوت فهو نوع من السمك الكبير ، يعيش في البحار والمحيطات^(٥٤) .

فعزم موسى (ع) أن يلقي العالم ويتعلم منه بعض ما عنده إن أمكن ، وأخبر فتاه عما عزم عليه ، فخرجوا قاصدين مجمع البحرين ، وقد حملا معها حوتا ميتاً وذهبا حتى بلغا مجمع البحرين ، وقد تعبوا وكانت هناك صخرة على شاطئ البحر فأويا إليها ليستريحاً هنيهة ، وقد نسيا حوتيهما ، وهما في شغل منه ، وإذا

بالحوت اضطراب ووقع في البحر حياً ، أو وقع فيه ، وهو ميت وغار فيه ، والفتى يشاهده ، ويتعجب من أمره غير أنه نسي أن يذكره لموسى ، حتى تركا الموضوع وانطلقا حتى جاوزا مجمع البحرين ، وقد نصبنا (تعباً) فقال له موسى : آتينا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ، فذكر الفتى ما شاهد من أمر الحوت ، وقال لموسى إنا إذا آوينا إلى الصخرة حيي الحوت ، ووقع في البحر يسبح فيه حتى غار وكنت أريد أن أذكر لك أمره ، ولكن الشيطان أنسانيه ، (أو إني نسيت الحوت عند الصخرة فوقع في البحر وغار فيه) .

قال موسى : ذلك ما كنا نبغي ، ونطلب فلنرجع إلى هناك فارتدا على آثارهما قصصاً ، فوجدا عبداً من عباد الله ، آتاه الله رحمة من عنده ، وعلمه علماً من لدنه فعرض عليه موسى ، وسأله أن يتبعه فيعلمه شيئاً ذا رشد ، مما علمه الله - قال العالم : إنك لن تستطيع معي صبراً على ما تشاهده من أعمالي ، التي لا علم لك بتأويلها وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ؟ فوعده موسى (ع) أن يصبر ولا يعصيه في أمر إن شاء الله تعالى فقال له العالم : بانياً على ما طلبه منه ووعده به - فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً .

فانطلق موسى والعالم حتى ركبا سفينة ، وفيها ناس من الركاب وموسى خالي الذهن عما في قصد العالم ، فخرق العالم السفينة خرقاً لا يؤمن معه الغرق ، فأدهش ذلك موسى وأنساه ما وعده ، فقال للعالم : أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأ ، قال له العالم : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً ؟ فاعتذر إليه موسى بأنه نسي ما وعده من الصبر قائلاً : لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً .

فانطلقا فلقيا غلاماً ، فقتله العالم فلم يملك موسى نفسه ، دون أن أنكر عليه ذلك قائلاً : أقتلت نفساً زكية بغير نفس ؟ لقد جئت شيئاً نكراً . فقال له العالم ثانياً : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ؟ فلم يكن عند موسى ما يعتذر به ويمتنع به عن مفارقتة ونفسه غير راضية بها فاستدعى منه مصاحبة مؤجلة بسؤال آخر إن أتى به كان له فراقه واستمهله قائلاً : إن سألتك عن شيء بعدها ، فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً ، وقبله العالم وانطلقا حتى أتيا قرية وقد بلغ

بهما الجوع فاستطعما أهلها فلم يضيفهما أحد منهم ، وإذا بجدار فيها ، يريد أن ينقض ويتحذر منه الناس ، فأقامه العالم : قال له موسى : لو شئت لاتخذت على عملك منهم أجراً ، فتوسلنا به إلى سد الجوع فنحن في حاجة إليه ، والقوم لا يضيفوننا فقال له العالم : هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ، ثم قال : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر ويتعيشون بها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً ، فخرقتها لتكون معيبة لا يرغب فيها .

وأما الغلام فكان كافراً ، وكان أبواه مؤمنين ، ولو أنه عاش لأرهقهما بكفره وطغيانه فشملتها الرحمة الإلهية فأمرني أن أقتله ليبدلها ولدأ خيراً منه ، زكاة وأقرب رحمة فقتلته .

وأما الجدار فكان لغلामين يتييمين في المدينة ، وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحاً فشملتها الرحمة الإلهية ، لصلاح أبيهما فأمرني أن أقيمه فيتسقى حتى إيلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ولو انقض لظهر الكنز وانتهبه الناس ، قال : وما فعلت الذي فعلت عن أمري بل عن أمر من الله وتأويلها ما أنبأتك به ثم فارق موسى (ع) (٥٩) .

من هذه القصة القرآنية ، نرى أهمية الوعي للتعامل مع الأحداث ، ومجريات الأمور بتفكير ، وصبر ، لأن الرخاء فتنة ، ومحنة ، والبلاء نعمة ، كما جاء في الحديث ، فتدبر .

أبعاد قصة الخضر مع موسى (ع) في حوار يعتمد نظرية المفروغ والمستأنف للشهرستاني

يقول الشهرستاني : (للأجساد تربية بالغذاء الجسماني . . . بالطعام والشراب ، وللأرواح تربية بالغذاء الروحاني . . . بالتزليل والتأويل .

الأجساد مخلوقة من « التراب » و « الماء » ، وغذاؤهما مصنوع من ذلك أيضاً ، والأرواح مخلوقة من « الأمر » و « الكلمة » ، وغذاؤهما مصنوع من الكلمة .

إن أكلت عشرة أمتان من الطعام لا تصبح عالماً ، وإن تعلمت عشرة علوم لا تصبح بديناً .

الجوع للأنبياء مفيد والشبع مضر : (أجوع يوماً وأشبع يوماً ، لأنهم يربّون الروح لا البدن) .

الشبع لأهل الدنيا مفيد والجوع مضر : « يأكلون الأنعام » لأنهم يربّون البدن لا الروح .

إذا بلغ الأجل تودع جسدك القبر ، فما فائدة السمينة ؟ وتذهب الروح إلى العالم الروحاني ، فما ضرر النحافة ؟ هنالك النحافة ليست بعيب للرجل العالم .

موسى عليه السلام كان يجد طعام الملوك ، مدّة بقائه جوار فرعون ، بذلك يسمن .

قيل له : إن أردت علم شعيب فضع قدمك على الطريق ، اجلس تحت شجرة جائعاً حائراً مردداً : ﴿ ... ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير فقير ﴾ ، عليك أن تقضي عشرة أعوام في العمالة لتتعلم عشر مسائل علمية ، إن أردت علم الخضر - عليه السلام - فابحث حول العالم عاماً كاملاً : ﴿ ... آتنا غداً لنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً ﴾ قال : ما كان عندي غير حوت ، وهذا أيضاً نسيت أنه ﴿ ... اتخذ سبيله في البحر عجباً ﴾ قال : قد وجدنا علامة الرجل العالم ، انفض لنأتي منزله .

ما لم يتسرّب غذاؤه الجسمي منه في البحر ، لم يحصل على غذائه الروحي : ﴿ فوجدا عبداً من عبادنا ﴾ قد آتيناها رحمة خاصة ، وعلمناه علماً خاصاً . فما تلك الرحمة ؟ إنها « الصبر على ما لا يعلم حتى يعلم فيعلم » وتلك ميزته التي لم تكن عند موسى .

يقول موسى : ﴿ ... هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾ ... ستة آداب في التواضع عمل بها ليعلم عن تلمذته .

أولاً : « هل » تفيد الإستفهام لا الجزم ، « اتبعك » تفيد المتابعة لا المصاحبة ، « على أن تعلمن » تعني أن الأستاذية والمعلمية لك ، والتلمذة والتعلم لي ، « ممّا » تفيد التقييد لا التكميل « علمت » أي مما علموك ، لا ممّا علمت ، « رشداً » أي اقبلي على قدر لياقتي ، لا على قدر قوتك وقدرتك ... أدّى ستة ألوان من أدب التواضع ، لكنه تلقى جواباً خشناً : ﴿ ... إنك لن تستطيع معي صبراً ﴾ وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً ؟ ﴿ ... »

ومرة أخرى عبر عن تواضعه : ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً ﴾ .

عجباً ! خشونة موسى ، أين ذهبت ؟ نعم ، حينما كان يجب أن أتحدث مع هارون فانا مُعلّم وهو متعلم : ﴿ وأخذ برأس أخيه يجره إليه ﴾ ، كنت معه خشناً وهو يصبر . وها أنا ذا متعلم والخضر معلّم ، فمنه الخشونة ومنه الصبر ... ﴿ ستجدني إن شاء الله صابراً ﴾ دون أن أعصي لك أمراً .

﴿ قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴾ وفي ثلاثة أحوال أدى ثلاثة أعمال :

الأول - خرق سفينة مساكين البحر ، بدون سبب .

الثاني - قتل غلام ، دونما ذنب .

الثالث - إقامة جدار قديم ، دون أجر .

موسى يقول : خرق السفينة دون سبب تصرف في مال الآخرين بدون استحقاق ، ولا يجوز ذلك في الشريعة ، وقتل غلام دون ذنب تصرف في دم شخص بدون قصاص ، وهذا أيضاً لا ينبغي في الشريعة ، وعمارة جدار مكسور بدون أجر ، إقحام للنفس في عمل لا طائل تحته وهذا أيضاً محظور في الشريعة .

يقول الخضر : لأن غاصباً أراد أن يغتصب السفينة ، فخرقتها ليركها الغاصب ، وفي شريعتك يجوز الإحتفاظ بالكلي بواسطة فساد جزئي ، كما تقطع اليد المجذومة ليبقى الجسد كله . وهذا جواب خرق السفينة .

وأما الحادثة الأخرى ، فلأن الغلام سيكفر بعد بلوغه ، سيتعدى كفره لوالديه المؤمنين ، فجاز قتل الغلام للإحتفاظ بالأصل عن طريق هلاك الفرع ، كما أن الغصن يقطع حين يبس لتفرع الشجرة غصناً آخر ، وهذا جائز في العقل والشرع .

وأما الحادثة الثالثة : فإن اختيار مصلحة الآخرين ونفعهم على حساب تعبي وضرري من مكارم الأخلاق ، فذلك الجدار كان علامة كنز ليتيمين ، وإن إنهار ذهبت العلامة وضاع الكنز ، وحرمت اليتيمان ، وكان لهما أب صالح .

يقول موسى : الأول ، تصرف في مال شخص بدون إذنه في (الحال) ، والغصب الذي سيأتي هو في (ثاني الحال) ، وأنت في هذا الحال غاصب ، بل ظالم ، فربما جاء ذلك الغاصب وربما لم يأت ، والثاني تصرف في نفس شخص بريء في الحال ، والكفر الذي سيعتقه ، هو في ثاني الحال ، وأنت في هذا الحال قاتل وظالم ، فذلك الكفر قد يحصل وقد لا يحصل والثالثة : تصرف في النفس وإيذاؤها بالرغم مما تعانيه من جوع وحيرة ، وهو عمل لا طائل تحته ، ومن

الممكن أن لا يسقط ، وإن اتخذت عليه أجراً فذلك أولى .

يقول الخضر : (لعل) و (لعل) بك لأنك في عالم (لعل) و (رب) ، في عالم الشك والشبهة ، وأنا في عالم اليقين : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ .

كل ما هولك شك فهو لي يقين ، كل ما هولك ممكن لي واجب . أنت تقول : لعل الغاصب لا يأتي ، وإذا أتى قد لا يأخذ السفينة ، لعل هذا الغلام يبلغ ولا يكفر ، وإن كفر فقد لا يتعدى كفره لوالديه ، لعل هذا الجدار لا يسقط ، وإن سقط فقد يعمره آخر . وأنا أرى بعين اليقين أن الغاصب يأتي ، واعلم يقيناً أن ذلك الجدار ينقض . حكمي على أساس اليقين ، وحكمك على الشك ، عليك أن تنتظر ليتبدل شكك إلى يقين ، وعلي أن لا أنتظر .

موسى يقول : هذه الأحكام التي تطلقها هي أحكام المستقبل ، وأنا أحكم بحكم الحال . وحادثة اليوم يجب أن نحكم فيها بحكم اليوم ، ولغد حكم الغد . ما زال الغاصب لم يأت فكيف نحكم بمجيئه ؟ الغلام لم يبلغ رشده ولم يكفر ، فكيف نحكم عليه بالكفر ؟ الحائط لم يسقط فكيف نحكم عليه بالسقوط ؟ .

الخضر يقول : أمس واليوم وغد . . . زمان ، وأنت رجل زمان ، عليك أن تحكم بمقتضى الزمان . وأنا لست برجل زمان ، أمس واليوم وغد بالنسبة لي على سواء . كل ما سيقع قد وقع بالنسبة لي . والغاصب ، الذي سيأتي ، قد اقترب مني . وكفر الغلام ، الذي سيقع ، قد وقع لي . والحائط الذي سينقض ، قد انقض لي . وأنا لا أحكم زمانياً لأن حكمي فوق الزمان ، لا بد أن تمر عليك سنة لتجدني ، أنا أجدك في لحظة ، أصل بلحظة واحدة من المشرق إلى المغرب . والزمان والمكان تحتي . وأنا فوق الزمان وفوق المكان . كل حكم أصدره ليس بزمني .

موسى يقول نعم صحيح ، لكن أسباب الأعمال يجب أن تسبق ، لنصدر الأحكام بناء على الأسباب ، لم يظهر السبب إلى الوجود ، فكيف تصدر الحكم ؟ الغلام لم يكفر فكيف تصدر بحقه الكفر ؟ وما دام الجدار لم يسقط فكيف تصدر عليه حكم الساقط ؟ لم ير أحد قط إطلاق الأحكام قبل الأسباب .

يقول الخضر : في عالم الأسباب تتقدم الأسباب على الأحكام ، ولكن في عالم انعدام الأسباب تطلق الأحكام دونما سبب . تطلق الأحكام بالأمر . تطلق الأحكام بالعمل ، ويطلق الحكم بالمشيئة : « فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة ، وبإرادتك دون وحيك منزجرة » .

ما هو معلوم محكوم ، وما يراد محتوم .

يقول موسى : فعلام التكليف ؟ لم إرسال الأنبياء عليهم السلام ؟ ولما الأوامر والنواهي ؟ كيف تطبق الشرائع والأحكام ؟ وأين العدل والشرعية ؟ أنت - دونما سبب - تتلف أموال الفقراء ، وبدون موجب تسفك دماً غير مباح ، وبدون أجر تؤذي أعمال الآخرين ، وتقول : احكم بالعلم . احكم بالإرادة والمشيئة . ﴿ فأردت أن أعييها ﴾ ، ﴿ فأردنا أن يبدلها ربها خيراً منه زكاة ﴾ ، ﴿ فأراد ربك أن يبلغنا أشدها ﴾ هل يبقى لي تكليف ؟ وكيف يصبح حكم الشريعة وإلى أين يتجه الأمر والنهي ؟

يقول الخضر : يا موسى لقد أخطأت حيث اعتبرت الحكم واحداً ، والله تعالى في مجاري الأحكام حكمان :

أحدهما : مفروغ ، والآخر مستأنف .

الأول : قد انتهى ، والآخر : يبدأ .

أحدهما : قد قُدر ، والآخر يتجه للتكليف .

أحدهما : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته ... ﴾ والآخر : ﴿ ... وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ﴾ .

أحدهما : ﴿ ما يبدل القول لدي ... ﴾ ، والآخر : ﴿ وإذا بدلنا آية مكانة آية ... ﴾ .

ولما كان ثمة حكمان ، فثمة حاكمان ، قاضيان ، أحدهما قاضٍ يقضي بحكمه ، والآخر قاضي يقضي بشاهدين وقسم .

أحدهما قاضي الشريعة والآخر قاضي القيامة .

حكم قاضي الشريعة : العدل في الشريعة . وحكم قاضي القيامة : العدل

في القيامة ، عدل الشريعة شاهد وقسم ، وعدل القيامة علم ومشية .

أنت قاضي الشريعة ، لا تحكم ما لم تر أو تسمع ، وأنا نائب قاضي
القيامة ، حكمت إذ علمت وعملت إذا أردت . أنت تعمل على قاعدة (اعملوا
تؤجروا) ، وما لم تعمل لا تؤجر ، وما لم تؤجر لا تعمل . وأنا عامل بدون أجر ،
وأؤجر بدون عمل : « وكل ميسر لما خلق » .

يقول موسى : لما كان الحال كذلك ، فما فائدة التكليف ؟ ولما كانت الأعمال
مفروغة فما فائدة (لا تكفر) ؟ لما جاء : ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم
لا يؤمنون ﴾ ، فما فائدة ﴿ قم فأندر ﴾ ؟ .

كانت الكلمة قد قضيت ، ولا يكون غير الذي قضى ، فما فائدة الحكم ؟
إذا لم يرفع هذا الحكم ذاك الحكم فيستلزم في التكليف الظلم .

الخضر يقول : التكليف مظهر التقدير ، والتقدير مصدر التكليف ، ما
كان في التقدير لا يظهر إلا بالتكليف ، وما كان في التكليف لا يظهر إلا بتقدير
الفائدة .

المفروغ يظهر في المستأنف ، والمستأنف يظهر من المفروغ . فالمفروغ
والمستأنف إذن كلاهما مفروغ ، ومع ذلك فالمفروغ مفروغ والمستأنف مستأنف .

أنا حاكم المفروغ ، وأنت حاكم المستأنف ، أنا رجل التأويل ، وأنت رجل
التنزيل ، أنا أحكم على الباطن وأنت على الظاهر . وكلا الحكمين حق : (وكل
مجتهد مصيب) .

اتضح من هذا أنه لا حكمي يرفع حكمك ، ولا حكمك يرفع حكمي .
لا يستلزم حكمي عجزاً ، ولا يستلزم حكمك ظلاً قوله : ﴿ ما يبذل القول
لديّ ﴾ يعلمك أنه ليس ثمة عجز ، قوله : ﴿ وما أنا بظلام للعبيد ﴾ يعلمك أنه
ليس ثمة ظلم .

لما كان في العالم خير مطلق ، وشرّ مطلق ، وخير وشرّ بالإضافة ، فإن ما
هو خير مطلق جوهر لا يتغير أبداً ، وما هو شرّ مطلق جوهر أيضاً لا يتغير أبداً وما
هو خير وشرّ بالإضافة فهو في حالة دوران . من هنا فكل ما هو خير ولا يتغير ،
مفروغ ، وما يتغير مستأنف .

اليتيمان اللذان لهما كنز كانا من الخير المطلق ، فلا جرم أن يقوم بعملهما رجلان كبيران على ما فيهما من حيرة وجوع ، كيلا يضيع أثر الكنز ، وذلك الطفل كان من حيز الشر المطلق : (كان الغلام الذي قتله الخضر (ع) مطبوعاً على الكفر) فلا جرم أن يقطع رأسه في الطفولة : وانظر إلى علامته المكتوبة عليه : (كافر مطبوع) ، وتلك سفينة مساكين البحر التي أراد أن يستولي عليها الغاصب كانت على حدّ الإمكان ، من حيز الخير الإضافي والشرّ الإضافي : ﴿ وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ .

يقول موسى عليه السلام : هذه الثنائية في الحكم والشكل التي ذكرتها قد اتضحت . ويبقى السؤال : أي حكم هو الأصل وأيها الفرع ؟ وأي القوانين متقدم وأيها متأخر ؟ وأي حكم يهيمن على الحكم الآخر ويحيط به ، وأيها محاط ؟ ومن منهما كلي والآخر جزئي ؟ أم هل الحكمان متساويان ؟ .

الخضر يقول : الأسئلة تتوالى حتى يعلم الرجل (كلمة الفصل) . إن أذعنت أني معلم وجئتني متعلماً ، فلا بد - على كل حال - أن أجعلك تستسلم إنني أعلم شيئاً لا تعلمه ، وأعمل شيئاً لا تستسيغه ، فإن اعترضت يبطل التسليم ، وإن سكت تبقى محروماً من علم ذلك الشيء . وصعب هو (الصبر على ما لا يعلم حتى يعلم) ، إنه عمل الرجال .

وهنا حيث اعتبرت نفسك متعلماً وأنا معلم ، وذكرت المفروغ والمستأنف ، فالمفروغ كمال والمستأنف نقصان متجه إلى الكمال . المفروغ رجل كامل الخلقة ، والمستأنف نقطة متجهة إلى الكمال . المفروغ العالم ، والمستأنف المتعلم . المفروغ النبي ، والمستأنف الأمة . العالم محيط والمتعلم محاط . النبي كل ، والأمة جزء . والكل متقدم على الجزء . والجزء متأخر عن الكل .

إفهم التنزيل والتأويل والأول والآخر والظاهر والباطن على هذا الميزان . وتعلم الترتب بينهما كي يرتفع كلّ إشكال . وفي كل حال . وفي كل مسألة لا يعرف الشخص فيها الحكمين والحالتين يبقى في ظلمات الشبهات . قد ينجر إلى التشبيه وقد ينجر إلى التعطيل ، وقد ينجر إلى حالة الجبر والمفروغ وقد ينجر إلى حالة القدر والمستأنف ، وقد ينجر إلى انتهاج السمع ، وقد ينجر إلى انتهاج العقل .

وشبهات العالمين ليست أكثر من هذه المسائل الثلاث : تشبيه أو تعطيل ، وجبر أو قدر ، وسمع أو عقل . ومن هذه الثلاث انطلقت كل الشبهات والعلوم ، ومن حكم بواحدة فله عين واحدة ، (أعور بأي عينية شاء نظر) .

وبعد أن جرت هذه المناظرة بتفاصيلها بين موسى والخضر - عليهما السلام - وأرادا أن يفترقا ، جاءت غزالة من البر ووقفت بين الرجلين ، نصفها مطبوخ ، ونصفها نيء ، المطبوخ باتجاه الخضر والنيء باتجاه موسى . قال الخضر : يا موسى إن أردت أن تأكل من لحمها فانفض واوقد النار ، وهات الحطب واشعله ، واطبخ اللحم النيء ، لتستطيع أن تأكل . والخضر مَدَّ يده وأكل المطبوخ .

كنت أقرأ ذلك في التفسير أيام الشباب ، وأقول : ما معنى هذا المثل ؟ حتى سمعت بخبر الجبر والقدر الذي دار بين أبي بكر وعمر ، حيث أنكر عليهما النبي (صلى الله عليه وآله) ، وقال « أبهذا أمرتم ؟ » هلا تكلمتم في ملك خلقه الله تعالى نصفه من النار ونصفه من الثلج ، فلا النار تذيب الثلج ، ولا الثلج يطفىء النار ، تسبيحه سبحانه من جمع بين النار والثلج » .

وذلك الملك الذي خلق نصفه من النار ونصفه من الثلج هو نفسه نصفه مطبوخ ونصفه نيء .

يا موسى : لما كنت في عالم الأسباب فأنت موكل بالنيء ، موكل بالمستأنف ، قم وأت بالنار واطبخ اللحم النيء لتأكل . ولما كنت في عالم انعدام الأسباب فأنا موكل بالمطبوخ ، موكل بالمفروغ ، يجب أن أكل المطبوخ ، في دنيائي كل شيء مطبوخ ، وكل الأشجار مثمرة ، وكل الأثمار ناضجة ، وكل الكينونات كائنة ، وكل العقول كاملة ، وكل النفوس تامة ، وكل الأمزجة معتدلة .

أنا - إن خرقت السفينة - فقد حافظت عليها ، وإن قتلت الطفل فقد حافظت على الحياة ، وإن أعدت بناء الجدار فقد حافظت على الكنز .

وأنت يا موسى . قد شاهدت هذه الحالات الثلاث في نفسك . سفيتتك كانت جسمك . ألواح السفينة أعضاء جسمك . مساكن السفينة المعاني الموجودة في بدنك . كان الغاصب فرعون ، والخضر جبرائيل الذي مَدَّ يدك إلى النار لتضعها في فمك ، وليحترق لسانك ، واللسان كان لوحاً من ألواح السفينة

للمساكين . وحادثة قتل الغلام كقتل ذلك القبطي الذي وكزته بدون ذنب وقتلته ، مما أدى إلى فرارك وإلى أن تصل إلى مرتبة النبوة ، والحادثة الثالثة الحائط . وأنت أيضاً قطعت طريقاً طويلاً ، ووصلت جائعاً ضنكاً إلى بئر حيث الرعاة يسقون ماشيتهم ، وعلى تعبك وجوعك ساعدت ابنتي شعيب كي يسقيا ماشيتها ، ولم تطلب أجراً فلم فعلت ذلك ؟ عبارة ﴿ وأبونا شيخ كبير ﴾ هي عبارتي نفسها ﴿ وكان أبوهما صالحاً ﴾ . ولما كانت تلك الحالة قد مرت عليك فلماذا أنكرتها عليّ .

وهذه الحالات الثلاث تمر على كل شخص ، قلب المؤمن مكسور : « أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي » ، والقلب المكسور يتركه الشيطان ليبقى لسكنة القلب ، النفس الأمارة يجب أن تقتل ، وإن استفحلت تُبِيد الأبوين : العقل والنظر . وتجرّ إلى الأهواء . والنفس الأمارة إن قتلت تحل النفس المطمئنة . وهكذا جدار حول الإنسان وقوته قابل للهدم وإعادة البناء فتحتة كنز : « لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة » ولذلك الكنز كلمتان وكلاهما يتيها هذا العالم . أحدهما : كلمة التوحيد ، والأخرى : كلمة النبوة . أحدهما : لا إله إلا الله والأخرى : محمد رسول الله (ص) . وأبوهما : الأمر الأول . وإن قلت أبوهما فالقلم واللوح . أحدهما رجل والآخر قابل . أحدهما فاعل والآخر منفعل .

ومرة أخرى ، الكنز الثمين هو القرآن ، والجدار الكائن علامة للكنز هو الإنسان ﴿ الرحمن ، علّم القرآن ، خلق الإنسان ﴾ . ومتى ما أراد الجدار أن ينقضّ يتصدى له عظيمان ليعيدا بناءه .

أحياناً الإنسان علامة للقرآن ، والقرآن هو الكنز . وأحياناً القرآن علامة للإنسان والإنسان هو الكنز .

أمير المؤمنين علي - عليه السلام - كان يجمع القرآن الذي تحته كنز ليتيمين : أي الحسن والحسين عليهما السلام . « وكان أبوهما صالحاً » « وأبوهما خير منهما » .

أحدهما : كنز التنزيل ، والآخر كنز التأويل . كنز ساكن . والآخر كنز متحرك ؟؟ هما إمامان قاما أو قعدا . « وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

توضيح حول نظرية المفروغ والمستأنف

يقول الشهرستاني في (الفصل العاشر) من مقدمة تفسيره المخطوط : « إن لفظ المفروغ والمستأنف إنما أخذ من (أبي بكر وعمر) : « حيث تكلمنا في القدر وارتفعت أصواتهما حتى بلغ النبي - صلى الله عليه وآله - صوتهما ، وهو في الحجرة ، فخرج إليهما ووجنتاه كأنهما رمانة شقت بنصفين فقال عليه وآله السلام : « فيم أنتم ؟ » قالوا : « نتكلم في القدر » فقال : « هلا تكلمتم في ملك خلقه الله تعالى نصفه من نار ونصفه من ثلج ، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار . تسبيحه سبحانه من جمع بين النار والثلج » فقام إليه عمر حتى جلس عنده وقال : « يا رسول الله ، أنحن من أمر مبتدأ أم نحن في أمر مفروغ » . وفي رواية « الأمر أنف ؟ » فقال (ص) : نحن في أمر مفروغ عنه .

فقال عمر : « إن كان الأمر قد فرغ منه ففيم العمل إذن ؟ فقال عليه وآله السلام : « يا عمر اعملوا وكلّ ميسرّ لما خلق له » ، فأخذ لفظ المفروغ والمستأنف من ذلك المجلس . . . » .

من النص المذكور يتبين أن الإصطلاحين مشتقان من هذه الرواية الأنفة الذكر والرواية وردت بألفاظ مختلفة في الصحاح والمسانيد وكتب التفسير ، من ذلك ما رواه الطبري في تفسيره عن عمر قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ فممنهم شقي وسعيد ﴾ ، سألت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت : يا نبي الإسلام ، فعلام العمل ؟ على شيء قد فرغ منه أم على شيء لم يفرغ منه ؟ قال :

فقال رسول الله (ص): « على شيء قد فرغ منه يا عمر وجرت به الأقلام ولكن كل ميسر لما خلق » .

ثم يواصل الشهرستاني حديثه عن هذين المصطلحين مبيناً الآثار التي ترتبت على عدم وضوحهما لدى المتكلمين المسلمين ، يقول : وذهب قوم إلى أن الأحكام كلها مفروغة مقدرة في الأزل ، والخلق مجبورون تحت مجاري الأقدار لا يملكون تأخراً عما قدّمهم إليه ، ولا يستطيعون تقدماً إلى ما أخرهم عنه ، حتى بلغوا حد التفريط في نفي الإستطاعة وإثبات تكليف ما لا يطاق .

وذهب قوم إلى أن الأحكام كلها مستأنفة مقدرة على اختيار العبد ، والمكلفون كلهم مختارون في مجاري التكليف بما يكون النفع والضرر ، ويحدثون الإيمان والكفر حتى بلغوا في حد الإفراط إلى إثبات الإستقلال ونفي الإستعانة في جميع الأفعال .

والمذهبان محمولان على طرقي الإفراط والتفريط . ومصدرهما اختلاف أبي بكر وعمر في الحكمين لو عرفوا أن القول فيه أمر بين أمرين ، لا جبر ولا تفويض ، وأن المفروغ والمستأنف على مثال ملك نصفه من نار ونصفه من ثلج ، والنار جانب المفروغ ، والثلج جانب المستأنف ، وكما لا يذيب النار الثلج ولا يطفىء الثلج النار ، كذلك لا يبطل حكم المفروغ حكم المستأنف ، ولا يبطل حكم المستأنف حكم المفروغ . ولذلك أحال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نظرهما إلى ذلك الملك ، ولما عاودوه على إقامة الحجة بعد الحكم : إن كان الأمر قد فرغ فقيم العمل إذا ؟ قال « اعملوا وكل ميسر لما خلق له » . فقد أفتى بالحكمين . فإن قوله : (اعملوا) إشارة إلى حكم المستأنف . وقوله : « وكل ميسر لما خلق له » إشارة إلى حكم المفروغ .

مبدأ (المفروغ والمستأنف) في رأي الشهرستاني يجري في الخلق والأمر ، يقول : « وأنت إذا لاحظت الخلفيات وجدتها على قسمين : إحداهما موجودات حاصلة بالفعل ، كاملة في الذات منزهة على المادة والزمان والمكان ، كالقدسيات من الملائكة والمقرّين من الروحانيات . والثاني : موجودات حاصلة بالقوة متوجهة إلى الكمال ، مخلوقة من مادة ، وفي زمان ومكان .

كذلك إذا لاحظت الأموريات وجدتها على قسمين : أحدهما ، أحكام مفروغة قد تمتت ، وكلمات تامة قد كملت ، كما قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ . . . ﴾ ، والثاني ، أحكام مستأنفة قد توجهت إلى التهام والكمال .

فمن حكم المفروغ : « جرى القلم بما هو كائن » وقيل « فرغ ربكم عن الخلق والرزق والأجل » .

وصدق الخبر « السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه » . ودلت عليه آيات الختم ، والطبع والأقفال . وحملت عليه آيات اليأس من إيمان الكفار : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ و﴿ . . . وَسَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴾ و﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا . . . ﴾ إلى أمثال ذلك .

ومن حكم المستأنف : « جرى قلم التكليف بما سيكون » ، وتوجه الخطاب إلى المختارين بفعل الخير واعتقاد الحق وقول الصدق ، وتقدير الجزاء على الأفعال خيرها وشرها ، وإيمانها وكفرها ، وطاعتها وعصيانها ، ودلت عليه آيات التكليف والتعريف والإنذار والتحريف ، مثل قوله تعالى : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ و﴿ أَنْذِرْهُمْ ﴾ و﴿ وَلْتَنْذِرْ قَوْمًا ﴾ و﴿ وَلْتَنْذِرْ بِهِ ﴾ و﴿ ذَكِّرْ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ و﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ و﴿ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سِيذَكِّرْ مِنْ يَخْشَى ﴾ . . . إلى أمثال ذلك .

ومن لم يعرف الحكمين تعذر عليه الجمع بين آيات الثابتين على الإنذار وبين آيات الأمر بالإنذار وذلك هو سر الأسرار .

مصادر ومراجع البحث

- (*) راجع : مجلة التوحيد / عدد ٢٧ / السنة الخامسة ص ٦٨ وما بعدها .
- (١) راجع المفردات للراغب ومعجم ألفاظ القرآن وأساس البلاغة .
- (٢) المصادر السابقة .
- (٣) نفس المصادر .
- (٤) نفس المصادر .
- (٥) نفس المصادر .
- (٦) أخذت هذه النصوص من جامع السعادات .
- (٧) بحار الأنوار : ج ٣ ص ٧ .
- (٨) فروع الكافي : ج ٥ ص ٧٢ .
- (٩) بحار الأنوار : ج ٧٢ ص ٤٦ .
- (١٠) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٣٠٠ .
- (١١) راجع كتاب السلام العالمي والإسلام سيد قطب .
- (١٢) راجع الوسائل : باب الجهاد .
- (١٣) نهج البلاغة خطبة ٩٣ .
- (١٤) راجع الأصول من الكافي .
- (١٥) الذنوب الكبيرة : ج ٢ ص ٣٠٤ بتصرف كبير .
- (١٦) نهج البلاغة خطبة ١٥٦ .
- (١٧) الصحيفة السجادية من دعائه في الإستقالة من الذنوب .
- (١٨) راجع معجم ألفاظ القرآن الكريم .
- (١٩)(٢٠) راجع المفردات للراغب .
- (٢١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ج ١ ص ٤٥٣ .

- (٢٢) الوسائل ج ١٢ ص ٤ .
- (٢٣) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٤٧٨ .
- (٢٤) راجع معجم ألفاظ القرآن الكريم .
- (٢٥) كنز العمال خطبة ٤٣٥٨ .
- (٢٦) المفردات للراغب .
- (٢٧) بحار الأنوار : ج ٧٩ ص ١٣٣ .
- (٢٨) شرح نهج البلاغة ج ١٣ ص ١٥٦ .
- (٢٩) غرر الحكم .
- (٣٠) بحار الأنوار : ج ٨١ ص ١٩٨ .
- (٣١) بحار الأنوار : ج ٦٧ ص ٢٣٧ .
- (٣٢) المصدر السابق .
- (٣٣) بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ٣٧٤ .
- (٣٤) غرر الحكم .
- (٣٥) بحار الأنوار : ج ٦٧ ص ٢٣١ .
- (٣٦) بحار الأنوار : ج ٧٨ ص ١٠٠ .
- (٣٧) بحار الأنوار : ج ٨١ ص ١٩٥ .
- (٣٨) غرر الحكم .
- (٣٩) البحار : ج ٦٧ ص ٢٣٠ .
- (٤٠) البحار : ج ٩ ص ٧٦ .
- (٤١) البحار : ج ٨١ ص ١٧٩ .
- (٤٢) البحار : ج ٨١ ص ١٧٤ .
- (٤٤) المصدر السابق .
- (٤٥) التوحيد : ص ٣٦٧ .
- (٤٦) البحار : ج ٥ ص ١٢١ .
- (٤٧) غرر الحكم .
- (٤٨) نهج البلاغة : حكم ٣٧٩ .
- (٤٩) غرر الحكم .
- (٥٠) كنز العمال : خطبة ٤٨١ .
- (٥١) فروع الكافي : ج ٥ ص ٧٢ .
- (٥٢) البحار : ج ٧٣ ص ١٠٦ .
- (٥٣) نهج البلاغة : ج ٣ ص ٧٠ .
- (٥٤) الإمام قدوة/ راجع البحث التاريخي في تفسير الميزان ج ١٣ ص ٣٥٤ وما بعدها .
- (٥٥) البحار : ج ٨٤ ص ٢٥٠ .

- (٥٦) البحار : ج ٩٣ ص ٢٧٢ .
(٥٧) البحار : ج ٧١ ص ٣٤ .
(٥٨) نفس المصدر السابق .
(٥٩) تفسير الميزان : ج ١٣ ص ٣٥٠ وما بعدها .





من كمال الايمان

عدم شفاء الغيظ

محتويات البحث

- ١ - آيات كريمات .
- ٢ - حديث شريف .
- ٣ - الغضب والغيط في اللغة .
- ٤ - قالوا في الغضب .
- ٥ - أسباب الغضب .
- ٦ - الأنبياء والغضب .
- ٧ - كظم الغيظ : عظمة واتزان وأمن وإيمان .
- ٨ - الغضب جمره شيطانية توقد في القلوب .
- ٩ - الغضب يبعد عن الصواب فاحذره .
- ١٠ - الغضب جنون وندم .
- ١١ - الآثار السلبية للغضب .
- ١٢ - جاهد غضبك بكظمه .
- ١٣ - متى ينبغي أن تغضب ؟ .
- ١٤ - شفاء الغيظ والفتن الداخلية .
- ١٥ - صفات علاجية للغضب .
- ١٦ - طرق معالجة الغضب .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ [١] .
﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ [٢] .

* * *

وقال رسول الله (ص) : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يحسن خلقه ، ولا يشفي غيظه ، وأن يؤد للناس ما يؤد لنفسه ، فليقد رجال الجنة بغير أعمال ولكن بالنصيحة » [٣] .

* * *

تفاوت درجات الناس في الثبات أمام المشاكل والمصاعب . فمنهم من تسحقه المشاكل البسيطة فيشتعل غضباً ، وينفعل ، ومنهم من لا تستفزّه الشدائد والمخاطر والتحديات ، فيبقى محتفظاً برجاحة عقله ، وهدوء أعصابه . ويحسن بنا هنا أن نذكر ما قاله الشاعر :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

[١] سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

[٢] سورة الشورى : الآية ٣٧ .

[٣] كنز العمال : خطبة ٥٢٤٤ .

والإنسان ، الإنسان ، هو الذي كلّمَا حلق في آفاق الإيمان ، اتّسع صدره ، وزاد حلمه ، وعذر الناس من أنفسهم ، والتّمسّ المبررات لأخطائهم

الغضب والغيظ في اللغة

جاء في مفردات الراغب : أنّ الغضب هو : « ثوران دم القلب وإرادة الإنتقام ، وإذا وصف الله تعالى به ، فالمراد به الإنتقام دون غيره .

وقوله : ﴿ فبأؤوا بغضبٍ على غضبٍ ﴾^[١] .

وقوله : ﴿ وبأؤوا بغضبٍ من الله ﴾^[٢] .

وقال : ﴿ ومن يحلل عليه غضبي ﴾^[٣] .

وقوله : ﴿ غضب الله عليهم ﴾^[٤] .

وقوله : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾^[٥] .

والغضبة كالضجرة والغضوب : الكثير الغضب . وتوصف به الحية ، والناقة الضجور : وقيل : فلان غضبة : سريع الغضب . وحكي أنه يقال : غضبت لفلان إذا كان حياً ، وغضبت به ، إذا كان ميتاً .

وجاء في فروق اللغات : (أنّ الغضب ضد الرضا ، وهو إرادة العقاب المستحق بالمعاصي) .

والغيظ : « هيجان الطبع لكثرة ما يكون من المعاصي ، ولذلك يقال : غضب الله على الكفار ، ولا يقال : اغتاظ منهم »^(١) .

وفي مفردات الراغب ورد أن الغيظ هو :

« أشدّ الغضب ، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان في فوران دم قلبه » .

[١] سورة البقرة : الآية ٩٠ .

[٢] سورة آل عمران : الآية ١١٢ .

[٣] سورة طه : الآية ٨١ .

[٤] سورة المجادلة : الآية ١٤ .

[٥] سورة الفاتحة : الآية ٧ .

﴿ قل موتوا بغيظكم ﴾ [١] .

﴿ ليغيظ به الكفار ﴾ [٢] .

وقد دعا الله الناس إلى إمساك النفس عندما يعتريهم الغيظ ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ [٣] .

وإذا وصف الله سبحانه به ، فإنه يراد به الإنتقام ، كما أشرنا آنفاً :
﴿ وإنهم لنا لغائظون ﴾ [٤] .

أي داعون بفعلهم إلى الإنتقام منهم ، والتغيظ : هو إظهار الغيظ ، وقد يكون ذلك مع صوت مسموع ، كما قال : ﴿ سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ﴾ [٥] .

قالوا في الغضب

١ - لقد عرّف الأخلاقيون الغضب فقالوا : الغضب حركة نفسية يحتاج لها الدم في القلب ، فيثور وينتشر في العروق ، ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار ، إذا شبت ، والماء في القدر إذا غلا ، ويحكي الدماغ إذ ذاك كهفاً اضطربت فيه النار ، فأظلمت نواحيه ، وتكاثف دخانه ، وفيه مصباح ضئيل فانطفأ فيحمر الوجه والعينان . . .

٢ - وقالوا : إنه إذا اشتدّ الغضب ، فإنه يوجب حركة عنيفة فيمتليء الدماغ وسائر الأعصاب بالدخان المظلم فيستر نور العقل ، ويضعف فعله ، حتى ينعدم تأثيره على صاحبه .

٣ - وقال فيه البعض : « الغضب شعلة نار ، اقتبست من نار الله الموقدة ، إلا أنها لا تطلع على الأفتدة ، وأنها لمستكينة في طي الفؤاد ، إستكانة الجمر تحت الرماد ، وتستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين ، أو حمية الجاهلية والكبر

[١] سورة آل عمران : الآية ١١٩ .

[٢] سورة الفتح : الآية ٢٩ .

[٣] سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

[٤] سورة الشعراء : الآية ٥٥ .

[٥] سورة الفرقان : الآية ١٢ .

الدفين من قلوب الجبارين ، التي لها عرق إلى الشيطان حيث قال : « خلقتني من نار وخلقته من طين » .

إنَّ الغضب إذا استفحل تحوّل إلى عدو ، يعطل عقل صاحبه ، فتهون الكرامات أمام الغاضب ، وقد يفقد صوابه ، فيعمد إلى سفك الدماء ، دون تفكيرٍ أوروية .

وقال بعض الحكماء : « السفينة التي وقعت في اللجج الغامرة ، واضطربت بالرياح العاصفة ، وغشيتها الأمواج الهائلة ، أرجى إلى الخلاص من الغضبان الملتهب » .

وقد قال أمير المؤمنين (ع) : « بش القرين الغضب ، يبدي المعاييب ، ويدني الشر ، ويباعد الخير »^(٢) .

وعن الصادق (ع) يقول : « كان أبي (ع) يقول : أي شيء أشدّ من الغضب ؟ إنَّ الرجل يغضب ، فيقتل النفس التي حرّم الله ، ويقذف المحصنة » .

أسباب الغضب

من أسباب الغضب كما يعددها بعض علماء النفس :

- ١ - ضعف النفس حتى صارت تتأثر بأقل مؤثر .
 - ٢ - تأثر النفس من شعورها بالإهانة .
 - ٣ - المرض الذي يضعف قوى الإنسان العقلية .
 - ٤ - الإنهاك بسبب العمل الشاق ، والمتواصل ، ومداومة السهر ، وإشغال الذهن بالمطامع ، التي تبذر في الجسم والنفس بدور هذا الداء الخبيث .
- وأضاف بعضهم فقال : « إنَّ من الأسباب المهيجة للغضب : الزهو - العجب - المزاح - الهزل - الممارسة - المضادة ، والغدر - وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وهي بأجمعها أخلاق رديّة مذمومة شرعاً ، ولا خلاص من الغضب مع بقاء هذه الأسباب فلا بد من إزالة هذه الأسباب بأضدادها »^(٣) .

الأنبياء والغضب

إنَّ الإهانات الغاضبة تسقط على قاذفها ، قبل أن تصل إلى مرماها البعيد ، وتصيب المتفوّه بها قبل أن تصيب من تطلق نحوه ، والإنسان العاقل ، الذي تمرّس على استعمال هذه السلاح القاتل ، وعرف نتيجة استعماله ، لا يقوم بتصويبه نحو نفسه لأنّه هو المتضرر الأساسي من ذلك .

وقصة النبي هود (ع) مع قومه ، لا تبعد كثيراً عن هذه المعاني ، وهي مثال نضربه على حلم النبي هود (ع) ، وغيره ، من الأنبياء ، في معالجتهم للمشاكل التي اعترضتهم مع أقوامهم . فقد دعا هو (ع) قومه إلى توحيد الله وعبادته ، ولكنهم ركبوا رؤوسهم ولم يستمعوا له ، بل رموه بالسفاهة ، فتجاوز (ع) تعنّت قومه ، واستعمل الحلم والعقل معهم ، وقد قال تعالى على لسان هود (ع) :

﴿ يا قومي ليس بي سفاهة ، ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾^[١] .

فشتائم الشائمين من قوم هود (ع) وجهالة الجاهلين منهم ، لم تؤثر عليه ، ولم يذهب كل ذلك بحلمه ، بل ردّ على سفههم ، وتعنتهم بحلم الحليم ، ومعرفة العارف بعواقب الأمور .

كظم الغيظ : عظمة ، واتزان ، وأمن ، وإيمان :

وعن حفص قال : « بعث الصادق (ع) غلاماً له في حاجة فأبطأ ، فخرج عليه السلام في أثره ، فوجده نائماً فجلس عند رأسه ، يروحه حتى انتبه ، قال له أبو عبد الله (ع) : يا فلان ، والله ما ذلك لك تنام الليل والنهار ، لك الليل ، ولنا منك النهار » .

ويقول أمير المؤمنين (ع) : « أعظم الناس سلطاناً مع نفسه ، من قمع غضبه وأمات شهوته »^(٤) .

« لا يقوم عز الغضب بذلّ الاعتذار »^(٥) .

[١] سورة الأعراف : الآية ٦٧ .

فإذا كان الإنسان ، لا يقدر على قمع غيظه ، ولا على إماتة شهوته فإنه لا يتمكن من أن يكون سيّد نفسه الأمانة ، ولا يكون عظيماً ، لأنّ العظيم من قمع غضبه ، وأمات شهوته ، وكان سلطاناً مع نفسه كما قال الأمير (ع) .

ثم أنّ الشخص الغضوب ، يذهب به غضبه ، مذاهب حمقاء . ومعلوم أن آثار وسلبيات الغضب كثيرة جداً ، وبعضها خطير لذلك فإنّ ضبط النفس عند ثورتها ، هو دليل قدرة محمودة ، وتماسك كريم ، وكلّما ربا الإيمان في النفس ، ربت معه الساحة وازداد الحلم ، وابتعد عن طريق الهلاك .

يقول الإمام الباقر (ع) : « من كظم غيظاً ، وهو يقدر على إمضائه ، حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة » (٦) .

إنّ العظمة تظهر عند القادر على فعل السيئة ، والذي يحجم عن ارتكابها ، وينشط في تنفيذ الأعمال الإيجابية الخيرة ، ولا فضل لمن يترك ما لا يقدر عليه ، لأنّ العظمة تتحقق بالقيام بالأعمال العظيمة ، التي ينبغي القيام بها ، وترك ما لا ينبغي ، كما تظهر بالتهاوس الذي يعيشه ، ويبديه الإنسان عند الغضب ، حيث لا يشفي غيظه ، ويعمد إلى إطفاء غضبه ، بماء الحلم ، ويقبض يده ، فلا يقتصّ ، ويعفو عنّ أساء إليه من المؤمنين ، ويعطي من منعه شكراً لله الذي منحه القدرة ، على أن يأخذ حقّه إن شاء .

الغضب جمره شيطانية توقد في القلوب :

يقول الإمام علي (ع) : « إن هذا الغضب جمره من الشيطان ، توقد في قلب ابن آدم ، وإن أحدكم إذا غضب إحمرت عيناه ، وانتفخت أوداجه ، ودخل الشيطان فيه » (٧) .

نعم ، إنّ الغضب جمره من الشيطان ، توقد في قلب ابن آدم ، وهذه الجمره تتحوّل إلى نار تحرق ما حولها ، إذا لم يعمل على إطفائها ، والغضوب هو من تحكّم به الغضب ، فاستجاب له ، لذلك يعمل على إزكاء هذه النار ، بطرق مختلفة . والنفس الأمانة ، تدفع لإضرار نار الغضب ، وهنا لا بدّ لقدرات الإنسان الخيرة ، أن تتدخل لكبح جماح الغضب ، باتجاه ما ينفع ، والعقل هو

خير ما وهب الله للإنسان ، ليقود قوى النفس . والوعي هو السبيل إلى لجم الغضب ، وتحاشي آثاره السلبية على الحياة الفردية والاجتماعية .

يقول الشاعر :

أرى بين الرماد ، وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن لم تطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
فإن النار بالعودين تزكو وإن الحرب أوله كلام
والمطلوب توفير الإدراك ، والقدرة على المواجهة الداخلية ، مع النفس ، قبل المواجهة الخارجية مع الأعداء ، وذلك بجهد النفس ومحاسبتها ، وردعها عن الانحراف ، والهوى ، وإبعادها عن المساويء في التعاطي مع الغير ، فإذا رغب الإنسان في التصدي لأخطاء الآخرين تجاهه ، عليه أن يتدرب على التصدي لأخطائه تجاه الآخرين ، فمحاسبة النفس تكون قبل محاسبة الغير ، ثم إن عليه ألا يترك الغضب يتفاعل في نفسه ، ويتفاقم ، مهما كان حجم الإساءة ، بل عليه أن يحول هذا الغضب ، إلى تسامح ، وعفو ، وغفران ، وإصلاح ، بذلك يكون قد وضع نفسه في رحاب الإيمان الصحيح ، فيجعل غضبه على مناهج الانحراف ، والفسق ، وعلى البدع وأتباعها فيغضب الله ، ومما يغضبه ، ويرضى الله ، ولما يرضيه . . .

الغضب يبعد عن الصواب فاحذره :

يقول أمير المؤمنين (ع) : « أقدر الناس على الصواب من لم يغضب »^(٨) .
وعن الصادق (ع) : « من لم يملك غضبه ، لم يملك عقله »^(٩) ، « الغضب محقة لقلب الحكيم »^(١٠) .

ولا شك أنه ينبغي على المؤمن ، أن يكون قدوة للناس ، كي يكسب الآخرين ويقر بهم من الإيمان فإذا فعل ذلك ولم يغضب ، مهما اعترضه من صعوبات ، كان مصيباً لا بل كان أقدر الناس على فعل الصواب لأنه ملك نفسه ونأى بعقله ، عن رياح الغيظ ، التي تطفئ مصباح العقل وتقتلع أشجاره أما إذا غضب فقويت عنده غريزة الانتقام ، والتشفي ، فإنه بفعله هذا يكون قد أبعد الناس عن الحق والإسلام ، وهذا العمل ليس دليل إيمان راسخ واع ، بل يدل

على عدم التزام بالمفاهيم ، والمبادئ الإسلامية ، الداعية إلى عدم شفاء الغيظ ،
والخاصة على التسامح والحلم والإحسان .

الغضب جنون ، وندم :

يقول أمير المؤمنين (ع) : « إيتاك والغضب ، أوله جنون ، وآخره ندم » (١١) .
ويقول الباقر (ع) : « الحدة ضرب من الجنون ، لأن صاحبها يندم ، فإن
لم يندم فجنونه مستحكم » (١٢) .
وعن رسول الله (ص) : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك
نفسه عند الغضب » (١٣) .
وعن علي (ع) : « الغضب يفسد الأبواب ، ويبعدها عن الصواب ،
وأقوى الناس من قوي على غضبه بحلمه » (١٤) .
والصرعة هو الرجل القوي الشديد .
وسئل عيسى (ع) ما بدء الغضب ؟ قال : « الكبر ، التجبر ، ومحقرة
الناس » (١٥) .

إنّ الإنسان عندما يغضب تتعطل إمكانيات العقل عنده ، ويتصرف
تصرف من لا عقل له ويكون بمثابة المجنون ، وهذا مصداق قول علي (ع) :
« الغضب أوله جنون » .

وإذا أفلت العنان لهذا الغضب ، فعل الأفاعيل ، فخرّب ، ودمّر ،
وحطّم ، وقطع كل علاقة موصولة بين الأفراد والجماعات .

... ثم يهدأ الغضب ، ويرجع الغاضب إلى رشده ، ويكتشف آثار ما
قال ، وما فعل ، فيندم ولات ساعة مندم ولهذا قال علي (ع) :
« الغضب آخره ندم » .

الآثار السلبية للغضب

يقول رسول الله (ص) : « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل
العسل » .

وعن علي (ع) : « من طلب شفاء غيظ بغير حق ، أذاقه الله هواناً بحق » (١٦) .

وعن علي (ع) : « إنّ من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب ولها يرضى ويسخط أنّه لا ينفع عبداً وإن أجهد نفسه وأخلص فعله أن يخرج من الدنيا لاقياً ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها - أن يشرك بالله ، فيما افترض عليه من عبادته ، أو يشفي غيظه بهلاك نفس » (١٧) .

المؤمن لا يشفي غيظه ، لأنّه فوق غريزة الإنتقام ، يعيش الإسلام في تسامحه ، وإحسانه ، ويتصدّق على من ظلمه من أخوانه بمظلمته ، هذا إذا كان على حق ، أما إذا كان عكس ذلك ، فإنّه لا يفكر أصلاً في شفاء غيظ ، أو ثار من عبّد مسلم لله ، لأنّه يعلم أن شفاء الغيظ بدون حق ظلم للغير ، واعتداء ، وإنّ الله تعالى يعاقب من يفعل ذلك هوان في دنياه يستحقّه ، نتيجة بعض أعماله أو تصرفاته ، لذلك فالمؤمن يكظم غيظه ، ويحبسه ويمسك ما في نفسه منه ، لأنّ الغضب يردي صاحبه ، ويبيدي معاييه ، ومن أطلق غيظه فقد تعجّل حتفه ، وهو مفتاح كل شرّ .

جاهد غضبك بكظمه :

عن علي (ع) : « احترسوا من سَوْرَةِ الغضب ، وأعدّوا له بما تجاهدونه به من الكظم » (١٨) .

« الغضب نار موقدة ، من كظمه أطفأها ، ومن أطلقه ، كان أوّل محترق بها » (١٩) .

وعن رسول الله (ص) « ما تجرّع عبد جرعة ، أفضل عند الله من جرعة غيظ كظمها الله ابتغاء لوجه الله » (٢٠) .

وعن الصادق (ع) : « نعم الجرعة الغيظ ، لمن صبر عليها ، فإن عظيم الأجر لمن عظيم البلاء ، وما أحبّ الله قوماً إلّا ابتلاهم » (٢١) .

وعن علي (ع) : « إنّ لجهنم باباً لا يدخلها إلّا من شفي غيظه بمعصية الله تعالى » (٢٢) .

وعن الصادق (ع) : « من كظم غيظاً ، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه » (٢٣) .

وعنه (ع) قال رسول الله (ص) : « ما أعزَّ الله بجهل قط ، ولا أذلَّ بحلم قط » (٢٤) .

ولقد أوحى الله تعالى إلى داوود (ع) : « إذا ذكرني عبدي حين يغضب ذكرته يوم القيامة في جميع خلقي ولا أحقه في من أحق » .

وسئل عيسى (ع) : « أي الأشياء أشدُّ فقال : أشد الأشياء غضب الله عز وجل ، قالوا : فيما يتقى غضب الله فقال : ألا تغضبوا وسئل (ع) عن منشأ الغضب فقال : الكبر ، والتجبر ، ومحقرة الناس » (٢٥) .

عن الصادق (ع) : قال : « إنَّ في التوراة مكتوباً : ابن آدم اذكرني حين تغضب ، أذكرك عند غضبي ، فلا أحقك فيمن أحق وإذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك ، فإنَّ انتصاري لك ، خير من انتصارك لنفسك » (٢٦) .

وقال رسول الله (ص) لعلي (ع) : « يا علي لا تغضب ، فإذا غضبت على من تقدر ، ففكر بقدرة الربِّ على العباد ، وحلمه عنهم ، فإذا غضبت اتق الله ، في نبذ غضبك ، وراجع حلمك » (٢٧) .

متى ينبغي أن نغضب ؟

وهنا سؤال يحتاج إلى جواب وهو : متى ينبغي أن يغضب الإنسان ويغتاز ؟ .

إنَّ المرء قد يعتدى عليه بدون حقٍّ ، أو يغتصب حقّه ، أو يتعرض لإهانة لا تحتمل . . . فيغضب محاولاً استعادة حقّه ، أو ردَّ هذه الإهانة . . . هذا في التعامل مع غير المؤمنين من إخوانه ، أما مع المؤمنين والأرحام ، فالحلم أو التحلم هو المطلوب أما إذا كان الأمر يتعلق بأهل الفسق ، أو الكفر ، فالؤمنون ، أشداء على الكفَّار ، رحماء بينهم ، وبذلك يكون قد أخذ بمنطوق القول التالي :

« من أغضب ولم يغضب فهو حمار » .

إلا أن هذا الغضب ، ينبغي ألا يجانب العدل حتى مع الأعداء .
قال تعالى : ﴿ ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب
للتقوى ﴾ [١] .

وعلى المؤمن أن يترث ، ويدرس الأمر بموضوعية ، ليتعرف على نتائجه ،
على مستوى الفرد والجماعة ، وبهذا التريث ، وبالعودة إلى التعاليم الإلهية ،
يتجنب الوقوع في الظلم ، فلا يعتدي على أحد ، ولا يهين أحداً بغير حق .
أجل ، المؤمن يغضب ، ولكن لا يغضب لنفسه ، بل لله ، وفي سبيل الله ،
وتقرباً إلى الله ، . . . يغضب إذا أهين المبدأ والرسالة والشرعة ، أو أبعد
الإسلام عن التطبيق ومنع من ممارسة دوره في الحياة . . .

يغضب إذا غصب حق ، وظلم ضعيف . . . لأنه يغضب لإحقاق الحق
وإزهاق الباطل ، ولكن غضبه ليس مجرد انفعال بل هو فعل مدروس هدفه التغيير
للمفاسد .

وهذه الصفة من مميزات رسول الله (ص) ، ولنا فيه أسوة حسنة ، فلنتأسي
ونقتدي فإذا أغضبه الحق ، لم يعرفه أحد ، ولم يقم لغضبه شيء ، حتى ينتصر
له .

ومن المسلمات أن غريزة الغضب ، لا بد أن تتمظهر ، وأن تعلن عن
نفسها ، بشكل من الأشكال ، لذلك علينا أن نوجهها في الاتجاه ، الذي يخدم
الإسلام ، والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وبهذا نكون قد حققنا
الهدف من وجود هذه الغريزة ، ونفعنا الناس ، وحرسنا المبدأ .

وهوذا أمير المؤمنين (ع) في غزوة الأحزاب ، نراه يتراجع عن قتل عمرو بن
ود العامري بعدما ضربه فوق أرضاً ، لأن عمرواً شتم علياً وسبّه ، فتراجع عنه
قليلاً ، ثم عاد وقتله ، وعندما سئل عن سبب ذلك ، أجابهم أنه عندما شتمه
عمرو غضب وانزعج ، فتراجع حتى يهدأ ، ثم عاد إليه ليقنتله ، بعد ذلك ، حتى
لا يكون عمله انتقاماً لنفسه ، بل غضباً لله سبحانه .

[١] سورة المائدة : الآية ٨ .

وعن علي (ع) أنه قال : « من أحد سنان الغضب لله ، قوي على قتل أشداء الباطل »^(٢٨) ، « من شتا الفاسقين وغضب لله ، غضب الله له ، وأرضاه يوم القيامة »^(٢٩) .

وعن الصادق (ع) : « المؤمن إذا غضب لم يخرج غضبه من حق ، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، والذي إذا رضي لم يأخذ أكثر مما هو له »^(٣٠) .

إنَّ الشَّانَ هو البغض الشديد ، وهي صفة مذمومة إلّا إذا كانت باتجاه الفاسقين ، فالذي يشتا الفاسقين ، والمارقين غضباً لله ، وحباً به ، يغضب الله له ، يوم القيامة ويرضيه ، ويكون الرضا بإعطائه ما يريد ، وأقله أن يدخله الجنة . فلا بدّ إذاً من قتال الباطل وأهله ، بلا تراجع ولا إحجام ، لأنّه أمر رباني ، إذ لا تعايش مع أعداء الله مهما اختلفت أهدافهم ، ومشاربهم ، إلّا من أمر الله بالتعايش معهم من أهل الكتاب على أساس عقد الدمة ، ومن كان بيننا وبينهم عهد أو ميثاق .

وقد قال تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ، أن تبرّوهم وتقسطوا لهم ، إنّ الله يحبّ المقسطين ﴾^[١] .

ومن كتاب لأمر المؤمنين إلى أهل مصر حين ولى عليهم الأشتر قال : « من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا حين عصي في أرضه وذهب بحقه »^(٣١) .

إننا نرى أن أمير المؤمنين (ع) يمدح ، في كتابه هذا ، هؤلاء القوم ، لأنّ غضبهم ، كان لله ، عندما تجاوزت أحكامه ، وذهب بحقه وعصيت أوامره .

وفيما قال موسى (ع) : عن ربّه سبحانه وتعالى أنه قال : « من أهلك الذين تظللهم في ظل عرشك يوم لا ظل إلّا ظلك ، فأوحى الله إليه : « الطاهرة قلوبهم ، والبريّة أيديهم ، الذين يذكرون حلالى ، ذكر آبائهم إلى أن قال : . . . والذين يغضبون لمحارمي ، إذا استحلّت ، مثل النمر إذا جرح »^(٣٢) .

[١] سورة الممتحنة : الآية ٨ .

شفاء الغيظ والفتن الداخلية

وإذا وقعت فتن داخلية ، واشتعلت نار الخلافات بين الفرقاء في الساحة الواحدة ، أو أبناء الصف الواحد ، والعقيدة الواحدة ، ماذا يجب أن نفعل ؟ هل يفكر كل منا بشفاء غيظه ، والإنقاذ من أخيه ؟ .

سؤال يطرح نفسه في هذه الظروف العصيبة ، التي تتكالب علينا فيها ، كل قوى الشر والإستكبار ، والجواب واضح وصريح : ينبغي حل الأمور حلاً إسلامياً ، أخوياً ، لأن الحروب الداخلية تدخلنا في مآهات ، لا خروج منها إلا بخسارات فادحة ، وتلهينا عن العدو الأساسي الذي هو إسرائيل وأميركا والإستكبار العالمي . فعدم شفاء الغيظ في هذه الأحوال ، هو الحل الواقعي والأمثل ، ويجب اتباع الطرق التي تبعدنا عن الفتن فيما بيننا ، على الصعيدين الفردي والإجتماعي ، على أن نعصم جميعاً بحبل الله ، ونتبع مناهج الإسلام ، فلا نوالي أعداء الله ، ونعادي أوليائه ، وبذلك نحقق أهداف الإسلام في الحياة ، ونتوحد على أساس التوحيد ، والنبوة ، والولاية لله ولرسوله ولأئمة ، وللفقيه العادل الجامع للشرائط . وهذا أمر مطلوب ، ولا مناص منه ، والذي يفعل غير ذلك ، لا يعدّ من العقلاء ، وسيخسر خسراناً مبيئاً ويندم . . .

وصفات علاجية للغضب

إنّ العودة إلى حديث النبي (ص) ضرورية ، لإعطاء وصفات علاجية ، سريعة للغضب ، وإليكم ما قاله الطبيب الإلهي رسول الله (ص) إذ يقول :
« إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع » (٣٣) .

وعن علي (ع) : « إذا غضب أحدكم فليتوضأ ، ويغتسل فإن الغضب من النار » (٣٤) .

وعلياً أن نأخذ بهذه الوصفة النبوية ، فنعمل على استيعابها وتطبيقها لأنها تتضمن علاجاً ناجعاً للغضب والغيظ ، كما أنها تبين العلاقة بين الأوضاع النفسية ، والأوضاع الجسدية ، من وقوف وجلس واضطجاع ، ولها الأثر الكبير

في التقليل من حدّة الغضب وخلق حالة هدوء للنفس .

فالجُلوس يخفّف من الغضب ، والإضطجاع يزيله ، إذا أريد لهذا الغضب أن يزول .

وصفات أخرى

عن ميسر قال : ذكر الغضب عند أبي جعفر (ع) فقال : « إنّ الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار ، فأما رجل غضب على قوم ، وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فإنّه سيذهب عنه رجز الشيطان ، وأما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه ، فإن الرحم إذا مست سكنت » .

وعن علي (ع) : « دواء الغضب الصمت » .

نستنتج من كل ما سبق ، إنّ من العلاجات الأساسية ، لدفع الغضب ، وتهذئة الغاضب ما يلي :

- ١ - الإستعاذة بالله من شرّ الشيطان الرجيم .
 - ٢ - إذا كان الغاضب قائماً فليجلس من فوره .
 - ٣ - إذا لم يذهب عنه الغضب فليضطجع .
 - ٤ - إذا غضب يمكن أن يتوضأ فيذهب عنه الغضب أو ليغتسل .
 - ٥ - إذا غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه فيسكن غضبه .
 - ٦ - أن يصمت ولا يتكلّم .
- ويمكن معالجة الغضب بأمور عدة أخرى :

الأول : إزالة الأسباب المثيرة للغضب بأضدادها

- ١ - إماتة الزهو ، بالتواضع ٢ - والعجب ، بالمعرفة بالنفس ٣ - والفخر بمعرفة أنه يكون بالفضائل ، وليس بالردائل ، ٤ - ويزال الهزل ، بالجد في طلب الفضائل ٥ - والهزؤ بالترفع عن إيذاء الناس ، وبصيانة نفسك من أن يستهزأ

بك . . . ٦ - والتعير بالحذر عن قول القبيح ، وصيانة النفس عن مرّ الجواب
٧ - وأما شدة الحرص على مزايا العيش ، فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلباً لعز
الإستغناء ، وترفعاً عن ذل الحاجة (٣٥) .

الثاني : أن يتذكر قبح الغضب ، وسوء عاقبته ، والنصوص الدائمة له .

الثالث : تذكر ما ورد من النصوص الذاكرة للثواب ، على دفع الغضب :

١ - وإن كفّ الغضب عن الناس ، مدعاة لكفّ عذاب الله يوم القيامة .

٢ - وإن من كفّ غضبه ، ستر الله عورته .

الرابع : تذكر فوائد مضادات الغضب (من الحلم ، وكظم الغيظ) .

الخامس : أن يفكر ويتروى ، في كل فعل ، أو قول يصدر عنه ، ويتنبه
لنفسه ، حتى لا يغضب .

السادس : الإحتراز من مصاحبة أرباب الغضب ، ومجالسة أرباب
الحلم ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس .

السابع : أن يعلم أن ما وقع إنما هو بعلم الله ، وقضائه وقدره وإنّ ما
أصابه لم يكن ليخطئه ، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه وربما كان صلاح المرء فيما
وقع ، وخيره فيما حلّ ، وإنّ سخطه على ما هو واقع ، لا يغير من الأمر شيئاً ،
فليرض وليعمل ، في هذا الجانب النفسي ، على أساس الكلمة التالية :

« إذا لم يكن ما تريد ، فأرد ما يكون » .

الثامن : أن يتذكر أنّ الغضب ، مرض قلب ونقصان عقل ، وأنه صادر
عن ضعف النفس ونقصائها ، لا عن شجاعتها وقوتها ، ولذا يكون المجنون
أسرع غضباً من العاقل ، والمريض أسرع غضباً من الصحيح ، والهرم أسرع
غضباً من الشاب . . .

التاسع : أن يتذكر أن قدرة الله عليه ، أقوى من قدرته ، على هذا
الضعيف ، الذي يغضب عليه ، وهو أضعف في جنب قوته القاهرة ، بمراتب غير
متناهية ، من هذا الضعيف في جنب قوته ، فليحذر ، ولا يأمن إذا مضى غضبه

عليه ، أن يمضي الله عليه غضبه ، في الدنيا والآخرة . وقد روي :

(أنه ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم ، إذا غضب أعطاه صحيفة فيها : إرحم المساكين ، واخش الموت ، واذكر الآخرة) ، فكان يقرأها حتى يسكن غضبه .

العاشر : أن يتذكر أن من أمضى عليه غضبه ، ربما قوي وقابله ، وجرد عليه لسانه ، وأظهر معائبه ، وشمّت بمصائبه ، وآذاه في نفسه ، وأهله ، وماله وعرضه .

الحادي عشر : أن يتفكر في السبب الداعي للغضب والغضب ، وبعد التأمل يعلم أن الغضب لا ثمرة له سوى التألم في العاجل ، وعقوبة الأجل ، وحينئذ لا يغضب ، وإن غضب يدفع الغضب عن نفسه بسهولة .

الثاني عشر : أن يعلم أنّ الغضب مبغوض إلى الله تعالى ، وما ييغضه الله ، ييغض العامل به ، فلا بدّ من تحصيل رضا الله ومحبته .

الثالث عشر : أن يتفكر في قبح صورته وحركاته عند غضبه ، بأن يتذكر صورة غيره ، وحركاته عندما يغضب^(٣٦) .



مصادر ومراجع البحث

- (١) فروق اللغات في التمييز بين مضاد الكلمات ص ١٨٢ .
- (٢) غرر الحكم .
- (٣) المحجة البيضاء : ج ٥ ص ٣٠٤ .
- (٤)(٥) غرر الحكم .
- (٦) الكافي ج ٢ ص ١١٠ .
- (٧) بحار الأنوار ج ٥ ص ٢٦٧ .
- (٨) غرر الحكم .
- (٩) بحار الأنوار ج ٧٧ ص ٣٨١ .
- (١٠) بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٢٦٢ .
- (١١) غرر الحكم .
- (١٢) بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٦٦ .
- (١٣) تنبيه الخواطر ص ٩٩ .
- (١٤) غرر الحكم .
- (١٥) مشكاة الأنوار ص ٢١٩ .
- (١٦) بحار الأنوار ج ٧٩ ص ٤٥ .
- (١٧) نهج البلاغة خطبة ١٥٣ .
- (١٨) غرر الحكم .
- (١٩) غرر الحكم .
- (٢٠) كنز العمال خطبة ٥٨١٩ .
- (٢١) الكافي ج ٢ ص ١٠٩ .

- (٢٢) تنبيه الخواطر ص ٩٨ .
(٢٣) الكافي ج ٢ ص ١١٠ .
(٢٤) المحجة البيضاء ج ٥ ص ٣١٤
(٢٥) بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٢٦٣ .
(٢٦) المحجة البيضاء ج ٥ ص ٢٩٣ .
(٢٧) تحف العقول ص ١٨ .
(٢٨) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٣٦٢ .
(٢٩) نهج البلاغة حكم ٣١ .
(٣٠) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٢٠٩ .
(٣١) نهج البلاغة كتاب ٣٨ .
(٣٢) الوسائل ج ١١ ص ١٧ ط .
(٣٣) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٤٥ .
(٣٤) المصدر السابق .
(٣٥) راجع الأخلاق : للسيد عبد اشبر ص ١٤٥ - ١٤٦ .
(٣٦) راجع : جامع السعادات / للنراقي .



الفصل الثاني

١. الكلمة المسؤولة
٢. النصيحة لأهل الاسلام
٣. ترك الكذب في الهزل والجد



الكلمة المسؤولة

الصمت إلا من خير

من كمال إيمان العبد أن يخاف الله في مزاحه وجدّه ،
ويصمت لسانه إلا من خير .

محتويات البحث

- ١ - آيات كريمات .
- ٢ - حديث شريف .
- ٣ - الصمت إلا من خير .
- ٤ - الكلمة المسؤولة .
- ٥ - فوائد الصمت .
- ٦ - الصمت هو بترك فضول الكلام .
- ٧ - الصمت الممدوح .
- ٨ - مخافة الله في الجدل والمزاح .
- ٩ - المؤمن يمزح ولكن لا يقول إلا حقاً .
- ١٠ - إن الحياة سر من أسرار الله .
- ١٢ - المزاح الإعلامي .
- ١٣ - المزاح السياسي .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ [١] .

﴿ إذا تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ﴾ [٢] .

* * *

وقال رسول الله (ص) : « لا يستكمل عبد الإيمان حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه وحتى يخاف الله في مزاحه وجدّه » [٣] .
وعن الإمام علي (ع) : « الصمت آية النبيل وثمر العقل » [٤] .

* * *

الصمت إلّا من خير

لقد خلق الله تعالى الإنسان ، وجعل له لساناً متكلاً ، به يتفاهم مع

[١] سورة النحل : الآية ١١٦ .

[٢] سورة النور : الآية ١٥ .

[٣] كنز العمال / خطبة ١٠٦ .

[٤] غرر الحكم .

الآخرين ، وبه يتوصّل إلى غاياته ، فيعرف غيره ما يريد بكلمة واحدة ، أو جملة مفيدة وبما أن لكل شيء - إن لم يستعمل فيما وجد له ، وضمن الحدود المطلوبة - سلبيات ، فإن آفة اللسان ، الكلام غير المسؤول ، الذي ربما أحدث ما لا تحمد عقباه ، أو أضاع وقت العاملين ، فيما لا نفع منه ، لذلك فإن الإسلام أوصى بالصمت كوسيلة للحدّ من الكلام غير الهادف أو المنتج .

وفي هذا الصدد يقول الرسول (ص) : « عليك بطول الصمت ، فإنه مطردة للشيطان ، وعون لك على أمر دينك »^(١) .

ويقول تعالى : ﴿ واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ﴾^[١] .

وأول مراحل هذه الإستقامة ، أن يستقيم قلب العبد ، كما جاء في الحديث ، ولا يستقيم قلبه ، إلّا باستقامة لسانه ، بأن يسكت عندما يجب ، ويخاف الله في مزاحه وجده ، وبذلك يستقيم إيمان الإنسان :

ومن باب المعالجة للمساوىء الناتجة عن كثرة الكلام نورد باقية من الأحاديث ، والأخبار التي تنصح بالصمت إلّا من خير .

١ - عن الصادق (ع) أنه قال : « إن من كان قبلكم كانوا يتعلمون الصمت ، وأنتم تتعلمون الكلام ، كان أحدهم إذا أراد التعبد يتعلّم الصمت قبل ذلك بعشر سنين ، فإذا كان يحسنه ، ويصبر عليه ، تعبّد وإلّا قال : ما أنا لما أروم بأهل »^(٢) .

٢ - وعن رسول الله (ص) أنه : قال لرجل أتاه : « ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة ؟ قال بلى يا رسول الله : قال أنلّ بما أنالك الله قال : فإن كنت أحوج ممن أنيله ؟ قال : فانصر المظلوم ، قال : فإن كنت أضعف ممن أنصره ؟ قال فاصنع للأخرق (يعني أشر عليه) قال : إن كنت أخرج ممن أصنع له ؟ قال : فأصمت لسانك إلّا من خير - أمّا يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرّك إلى الجنة »^(٣) .

٣ - وقال الإمام علي(ع) في وصف المؤمن التقي : « إن صمت لم يغمه

[١] سورة الشورى : الآية ١٥ .

صمته وإن ضحك لم يعلُ صوته»^(٤) .

« كثير صمته ، مشغول وقته »^(٥) .

« وعلى هذا فإنه على كل عاقل ، أن يبتعد عن اللغو والمزاح إلا أن يقول حقاً ، وقد كره الإسلام اللغو لأنه إسفاف وتفاهة ومضيعة للوقت والعمر وإبعاد للإنسان عما خلق له .

« إذ بقدر تنزّه المؤمن عن اللغو تكون درجته عند الله » .

« فمن الضروري أن يحتاط المرء في حديثه ، وإن يخاف الله في مزاحه ، وجده كي لا يؤدي ذلك إلى فتنة فيوقع الشيطان العداوة بين الناس في المزاح والجد .

إن الخوف في الجسد هو إيمان كله ، لأن ذلك من آثار الاعتقاد بالله ، وقدرته ، وعلمه ، وإحاطته بكل شيء ، وخشية الله تعالى تترتب على العلم به ، وبشريعته ، فكلما تدرج الإنسان في مسالك الرقي ، كلما خاف الله وخشيه أكثر .

قال تعالى : ﴿ فقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ﴾^[١] .

الكلمة المسؤولة

إن الإيمان هو معيار القيمة الحقيقية للإنسان ، وهو المقياس لحياته ، وسلوكه وعلاقاته الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والتربوية وغيرها ، وعلى هذه القاعدة ، أصبح للكلمة قيمتها ، ومعناها والكلمة المقصودة هي الكلمة المسؤولة ، وهي تعبر عن حقيقة المرء ، فأما أن يكبر شأنه ويسمو ، وأما أن يهبط ، فربّ كلمة مزاح أو جدّ ، لا يخاف الله فيها تقوده إلى التهلكة .

وكل ما يقوم به المرء ، لا بد أن يكون مبرمجاً ، ومنسقاً ، وهادفاً ، حتى يكون كل ما ينطق به ، ويفعله في خدمة المجتمع ، لذلك فإن على المؤمن

[١] سورة الإسراء : الآية ٥٣ .

الواعي ، أن يراقب ذاته ، وكلماته ، وحركاته ، وسكناته ، ليؤكد على خوفه من الله تعالى ضمن إطار الموقع الإيماني الصحيح .

فوائد الصمت

هناك سؤال يطرح نفسه : ماذا نستفيد من الصمت مع العلم أن الله تبارك وتعالى خلق اللسان وسيلة للتعبير عما نريد ، ونحتاج ومن أجل الإتصال والتعارف مع الآخرين ؟

والجواب واضح ، وذلك لأن للصمت ثمرة نافعة ، ومفيدة ، قد ركزت عليها الأحاديث في أكثر من مجال ، وقد بينا فيما سبق ، أن الصمت ، يطرد الشيطان ، لأنه لا يجد ما ينفذ منه ، وبالصمت يستعين المرء على أمر دينه وآخرته . .

وعن الإمام الرضا (ع) أنه قال : « إن الصمت باب من أبواب الحكمة ، إن الصمت يكسب المحبة ، إنه دليل على كل خير »^(٦) .

ومن فوائد الصمت : ١ - الهيبة للصامت ، ٢ - والسلامة له ، ٣ - وأنه الحكمة البالغة ، ٤ - وهو الحافظ من كل عثار ، ٥ - والصمت كنز وزينة تزين الحكيم ، وتستتر الجاهل ، ٦ - وهو الحل الناجح لكثير من المشكلات ، ٧ - والصمت وقار لذلك فإن الصامت لا يحتاج إلى الاعتذار ، في أي موقف من المواقف ، ٨ - والصمت خزان الفكر ومنار القلب وسلامة الناس والنفس .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « إذا رأيت المؤمن صموتاً فادنوا منه ، فإنه يلقي الحكمة »^(٧) .

الصمت هو بترك فضول الكلام :

فقد جاء على لسان الرسول (ص) قوله : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »^(٨) .

« طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وأنفق الفضل من ماله »^(٩) .

والحق يقال أن أكثر الناس يفعلون العكس تماماً ، فهم يسكون فضل المال ، وينفقون فضل الكلام .

وفي رواية عن رسول الله (ص) أنه قال ذات يوم : « إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة ، فلما دخل هذا الرجل قالوا له : أخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجوه فقال : إنني رجل ضعيف العمل ، وأوثق ما أرجو الله به ، سلامة الصدر ، وترك ما لا يعني » (١١) .

وفي رواية أخرى أن رسول الله (ص) قال لأبي ذر (رض) : « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ، ثقيل في الميزان . قال : بلى يا رسول الله ، قال (ص) : هو الصمت ، وحسن الخلق ، وترك ما لا يعنيك » (١١) .

وعن ابن عباس قال : « خمس هن أحسن من الدراهم المونقة : لا تتكلم فيما لا يعنيك ، فإنه فضل ، ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعنيك ، حتى تجد له موضعاً ، فإنه رب متكلم في أمر يعنيه ، قد وضعه في غير موضعه ففتن ، ولا تمار حليماً ولا سفيهاً ، فإن الخليم يغلبك بصمته ، وإن السفیه يؤذيك بمنطقه ، واذكر أخاك إذا تغيب عنك ، بما تحب أن يذكرك به ، واعفه بما تحب أن يعفبك منه ، واعمل عمل رجل يرى أنه مجازي بالإحسان مأخوذ بالإجرام » (١٢) .

وقيل للقيمان ما حكمتك ؟ قال : « لا أسأل عما كفيت ولا أتكلف ما لا يعني » (١٣) .

الصمت الممدوح :

١ - الصمت الذي لا يكون عن قصور ، بل نتيجة قرار بعدم الكلام ، والتدخل فيما لا يعني وإن لم يكن كذلك ، كان العي أفضل منه .

٢ - الصمت الذي يقابل الهذر ، لأن المهذار كثير السقطات ، مع العلم أن القول الذي يدافع عن الحق أو يبينه هو خير من الصمت .

٣ - لا فائدة ترجى من الإكثار أو الإقلال ، لأن في الإكثار هذراً ، وإن في الإقلال عياً وحسراً ، بل خير الأمور أوسطها . . . هذا إذا كان الكلام في خير .

وعن علي (ع) يصف أهل البيت (ع) : « هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم ، وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الدين ، ولا يختلفون فيه ، فهو بينهم شاهد ، صادق وصامت ناطق » (١٤) .

إن عدم الثثرة هي الصمت المطلوب وهو حالة عيش مع النفس عندما لا يجب الكلام ، والصمت نقيصة عند لزوم الكلام ، فإذا لم يرافق الكلام خوف من الله ، فالصمت أولى وأجدي ، وهذا يحتاج إلى قدرة على تقدير الأمور ، بأن تزان بميزان حساس ، رائده ذكر الله والخوف منه ، وتحليل المسائل المطروحة ، حتى يدرك الإنسان ما ينبغي ، وما لا ينبغي وبالتالي اتخاذ الموقف المناسب ، الذي فيه لله رضي ، وللناس فائدة ومنفعة ، واختيار الكلمات المعبرة عن هذا الموقف المدروس ، بلا زيادة أو نقصان ، وهذا يتطلب تدريباً للعقل ، والمشاعر واللسان ، حتى يكون السلوك مستقيماً ، بحيث يصبّ ضمن دائرة النفع الاجتماعي العام .

فمن يتذكر أن الله يراه ، ويراقبه ، وسيحاسبه ، يتذكر أن عليه أن يخاف الله في مزاحه ، فلا يؤدي أحداً بلسانه ، ولا يكذب ليضحك الآخرين بحجة المزاح ، وكذلك عليه أن يكون جدياً في طرحه للمسائل التي تدعوا إلى الخير ، وتساهم في تقدّم المجتمع وازدهاره .

المزاح :

وقبل الحديث عن المزاح ، لا بد من ذكر بعض الأحاديث التي وردت بشأنه :

« كثرة المزاح تذهب البهاء وتوجب الشحناء » (١٥) .

« لا تمار فيذهب بهاؤك ، ولا تمارح فيجتراً عليك » (١٦) .

في هذين الحديثين نرى أن الإسلام ينهى عن كثرة المزاح ، ولكن ليس بشكل كلي ، لأن الإسلام يسمح بالترويح عن النفس .

وقد جاء في الحديث : « رَوِّحُوا القلوب ساعة بعد ساعة » .

فعلى من يعمل لوجه الله ، وفي أي مجال ، عليه أن يروّح عن نفسه في بعض الأوقات ليأخذ قسطاً من الراحة ، كي يستعد للقيام بعمل جديد همة أقوى ونشاط أكبر .

وفي المزاح القليل ، على المؤمن أن يتوخى رضا الله سبحانه ، فلا يتجاوز الحدود ، فيظلم الآخرين ويقع في غضب الله تعالى .

مخافة الله في الجد والمزاح :

قال الله سبحانه : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [١٦] .

إن الدعوة إلى الله تعالى ، تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد ورد .

عن الرضا (ع) قوله : « رأس الحكمة مخافة الله » (١٧) .

فعندما يخاف المؤمن ربه ، فإنه يجعل نصب عينيه رضاه ، في كل عمل يقوم به ، وبهذا يكتمل إيمانه .

ونسأل أي خوف هو المطلوب في الجد والمزاح ؟ وما هي آثاره ؟ .

الخوف المطلوب هو الشعور بأن الله يراك ويسمعك ، وهو أقرب إليك من حبل الوريد ، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فمن شعر بكل هذا ، فإنه يتجلبب بالخوف من معصية الله ، وأذية الناس ، بيده أو لسانه ، لأنه يعرف عاقبة هذا الأمر ويدرك سرّه .

وفي هذا يقول أمير المؤمنين (ع) : « الخوف جلباب العارفين » (١٨) .

وعن الإمام زين العابدين (ع) : « ابن آدم لا تزال بخير ما كان الخوف لك شعاراً والحزن دثاراً » .

وعن الرسول (ص) : « خف الله في السر ، كأَنَّكَ تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » (١٩) .

وعن رسول الله (ص) : « من كان بالله أعرف كان في الله أخوف » (٢٠) .

[١] سورة النحل : الآية ١٢٥ .

وعن الباقر (ع) « في حكمة آل داوود ، يا ابن آدم ، أصبح قلبك قاسياً ، وأنت لعظمته ناسياً ، فلو كنت بالله عالماً وعظمته عارفاً لم تزل منه خائفاً » (٢١) .

أجل أن الخوف من الله جلابب العارفين ، وشعار المتقين ، والحزن يلزم الخوف ، إلا أن الحزن من أجل الآخرة ، هو السرور الحقيقي . والمؤمن العارف ، هو من يكون خوفه في السر كخوفه في العلن ، لأن الخوف على قدر المعرفة ، وهذا الخوف بعيد عن أهل الجهالة ، والغفلة ، وأعداء الحق والدين ، وكيف يحدث هذا الخوف ، في قلوب لا تعيش الإيمان ، وفي نفوس لا تعرف ولا تريد أن تعرف الله ، وإن القلوب القاسية لا نصيب لها من الخوف ، الذي هو سبيل السعادة ، وكيف يكون ذلك وأصحاب هذه القلوب ناسون أنهم عباد الله ، وأنهم إليه راجعون لا محالة ، وسيحاسبون على كل صغيرة وكبيرة ، وإن المنزلة الأعلى ، والأقرب إلى الله هي : للذين يعرفون ، فيخافون ، فيقترّبون ، فيسعدون . . . فبالعلم والمعرفة نتقرب إلى الله ، ورأس المعرفة الحكمة ، ورأس الحكمة مخافة الله ، ورأس المخافة معرفة الله .

وقال علي (ع) : « لا تخافوا ظلم ربكم ، ولكن خافوا ظلم أنفسكم » (٢٢) .

وهذا الخوف هو ممحاة الذنوب ، ومطهر النفوس ، والحاجز عن المعاصي والموبقات ، فالذي يوقن أن الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم أنه يعلم ما يعمل من خير وشر ، فإن ذلك يحجزه عن القبيح من الأعمال ، ويكون بذلك من الذين يخافون الله حقاً .

المؤمن يمزح ولكن لا يقول إلا حقاً :

إن الأحاديث والأخبار ، تصنف المزاح إلى صنفين ، أحدهما ممدوح ، والآخر مذموم :

فعن رسول الله (ص) أنه قال : « إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً » (٢٣) .
« المؤمن دعب لعب ، والمنافق قطب غضب » (٢٤) .

وعن الإمام الصادق (ع) : « ما من مؤمن إلا وفيه دعاية ، قيل له ، وما الدعاية ؟ قال المزاح » (٢٥) .

وعن يونس الشيباني قال : « قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) : كيف مداعبة بعضكم بعضاً ؟ قلت قليل ، قال : أفلا تفعلون ، فإن المداعبة من حسن الخلق وأنتك لتدخل بها السرور على أخيك ، وقد كان رسول الله (ص) يداعب الرجل يريد أن يسره » (٢٦) .

إن الأحاديث الشريفة المذكورة ، تشجع على شيء من المزاح ، وهو الذي يخلق نوع من الدعابة ، والمرح ، حتى لا يكون الإنسان في حالة من الكآبة ، تشيع حوله جواً من التعاسة ، المثبطة للعزائم ، المانعة من العمل المنتج والمزاح الممدوح هو الذي لا يعاقب الله عليه ، بل يحبه ويرضاه .

وطبعاً إن قول الحق بطريقة فرحة ، مريحة فيها دعابة ، أمر مسموح به شرعاً لا بل مطلوب في بعض الحالات ومن الإيمان أن يكون العبد هساً ، بشاً ، لأن العبوس ، والتقطيب ، والغضب من علامات المنافق . وينبغي أن لا ننسى ، أن الدعابة من حسن الخلق ، وأنها تدخل السرور على قلوب الآخرين ، والرسول (ص) كان يفعل ذلك .

إِيَّاكَ وَالْمَزَاحُ الَّذِي يورث الضغينة :

عن رسول الله (ص) أنه قال : « يا علي لا تمزح فيذهب بهاؤك ولا تكذب فيذهب نورك » (٢٧) .

وعن علي (ع) أنه قال : « ما مزح امرؤ مزحة إلا مسج من عقله مجة » (٢٨) . « المزاح يورث الضغائن » (٢٩) . « لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح » (٣٠) .

وعن الصادق (ع) أنه قال : « إِيَّاكَ وَالْمَزَاحُ ، فإنه يذهب بهاء الوجه ومهابة الرجال » (٣١) . « إذا أحببت رجلاً فلا تمازحه ولا تمارة » (٣٢) .

إن المزاح يذهب بهاء الوجه ، ويدعو إلى الإستهفاف بصاحبه ، والتجروء عليه ، وهذا أمر لا يقبله الإسلام وينهى عنه .

وكذلك ، كل مزاح يهون من أمر العقل ، أو يوقع بين الإخوان أو يورث

الضعائن والعداوات ، فهو مرفوض بحكم العقل والشرع . ولا يقبل مزاح لا يبقى هية ، ولا مروءة ، ولا قدر صاحبه ، وكذلك المزاح الذي لا يبقى حباً ، ولا مودة بين الأحباء وخلان الصفاء .

الحياة تبنى على أساس الجدد :

ويمكن لنا أن نقول :

إن الإيمان هو الحياة ، والإسلام هو دين الحياة .

والذي نراه في هذه الكلمة ، إنها تشكل في الحقيقة ميزان التعاطي اليومي مع الناس ، وهي تتعلق بشخصية الفرد ، قبل كل شيء ، وتضع مقياساً للكلمة ، إذ أن لكل عضو من أعضاء الإنسان وظيفة ، ووظيفة اللسان الكلام ، والكلام المطلوب هو الكلام المسؤول ، كما سبق وبيننا .

والشخصية الإسلامية المتوازنة هي الشخصية ، التي تجمع بين المزاح والجد ، ولكن على أساس الحق .

ومن مزاح رسول الله (ص) : أن امرأة أتت تسأله عن زوجها ، قال لها : زوجك الذي في عينيه بياض فانفجرت بالبكاء بعد أن ظنت أن زوجها قد أصيب بالعمى ، مع العلم أن كل إنسان سوي في عينيه بياض وتأتيه امرأة تقول : « احملني يا رسول الله على بعير ، فقال : بل نحملك على ابن البعير » ، ولا شك أن كل بعير هو ابن بعير . . . ولا بأس بعد هذا ، من استقراء بعض خصائص الحياة الواردة في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لأنه لا حياة بلا دين وإيمان ، كما ورد في الخبر عن الإمام علي (ع) إذ قال :

« لا حياة إلا بالدين ، ولا موت إلا بجحود اليقين ، فاشربوا من العذب الفرات ، ينهكم من السبات ، وإياكم والسقام المهلكات » (٣٣) .

وعن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال : « اعلّموا أنه ليس من شيء إلا يكاد صاحبه يشبع منه وعمله إلا الحياة ، فإنه لا يجد في الموت راحة ، وإنما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة القلب الميت ، وبصر للعين العمياء ، وسمع للأذن الصماء ، وري للظمان ، وفيها الغنى كله والسلامة » (٣٤) .

وعن الإمام الصادق (ع) أنه قال : « إن الله عز وجل خلق الحياة قبل الموت » (٣٥) .

وعن الإمام العسكري (ع) أنه قال : « خير من الحياة ما إذا فقدته بغضت الحياة وشر من الموت ما إذا نزل بك أحببت الموت » (٣٦) .

وعن علي (ع) أنه قال : « التوحيد حياة النفس » (٣٧) ، « الذكر الجميل أحد الحياتين » (٣٨) ، « الذكر الجميل أحد العمرين » (٣٩) ، « العلم أحد الحياتين » (٤٠) ، « اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة » (٤١) ، « بالعلم تكون الحياة » (٤٢) .

إن الحياة سر من أسرار الله ، أوجدها لغاية سامية ، وهي إعمار هذا الكون وأعطائها لمخلوقات لا يشبعون منها أبداً وكل المخلوقات بها يتشبثون ، وعلى كل شيء لها يفضلون ، وبالموت لا يرغبون ، إذ لولا الحياة في القلب والعين والأذن ، لما أحس القلب ووعى ، ولما رأت العين ونظرت ، ولما سمعت الأذن التسامح الربانية ، والأغاريذ الطبيعية . وكيف تنظر العين وترى ولا حياة فيها ؟ فالعين بلا حياة عمياء ، وكيف تسمع الأذن ولا حياة فيها ، فهي بلا حياة صماء ؟ والحياة مقدمة على الموت ، لأن الحياة وجود ، وانوت عدم ، والوجود بلا شك أفضل من العدم . والماء في هذا الكون حياة وبدونه لا حياة في شيء ، وطعمه طعم الحياة . ولا لذة بلا ماء ، والحياة بلا ماء يابس وجفاف . واليبس موت المخلوقات بعد حياتها . . . والجد أساس في الحياة ، وعماد لها وهل يبقى كون وسموات وأفلاك بالهزل والمزاح ؟ .

إن غاية وجود الإنسان خير من الحياة ، فلولا الغاية التي وجد لها الإنسان ، لما كانت الحياة ، ولما وجدت . ولقد وجد الإنسان فيها لإعمارها ، ولكن ليس هو الهدف الأساس ، وإنما هو طريق موصل لتلك الحياة الباقية التي وعد الله بها عباده .

وإن إعمار هذه الحياة الدنيا ، شبيه بممر موصل لإعمار جميلة جداً صرف صاحبها على بنائها أموالاً طائلة ، فلا بد من تحسين هذا الممر وتعبيده ، وزرع جوانبه ، بكل زهر عبير وورد نضير ، وإلا كان غير لائق بهذه العمار ، فالحياة

الأخرى هي الحيوان لو كانوا يعلمون ولا وصول إليها ولا حصول عليها ، إلا بالعمل الصالح والتقرب إلى خالق هذا الكون بكل ما يرضى ويقبل .

ولا يقبل عمل عبد إلا بالتقوى والإيمان ، فالتقوى والإيمان خير من الحياة ، لأنه لا حياة حقاً ، بلا إيمان وإلا كان المنقلب عسيراً والرحلة طويلة وشاقة .

فالمؤمن العاقل ، العامل في دنياه لآخرته ، يعشق المال ، لأن الطريق سالك ، ومعبد ، وموصل إلى روح وريحان وجنة عرضها السموات والأرض . . . وهكذا فإن الإيمان خير من الحياة .

إن عدم تحديد الغاية ، والهدف الذي وجد الإنسان من أجله ، مدعاة لكي يعاف الإنسان الحياة ، ويحبب الموت فكثير من الهيبين ، والملاحدة والعبيين ، أعطتهم الحياة كل ما طلبوا ، وعبوا منها حتى تمّلوا ، ولما انقطع الربط بينهم وبينها عافوها ، وتخلّوا عنها ، وطلبوا الموت انتحاراً . . . فسبحان مكوّن الأكوان ، وخالق العقول ، وهادي الطيور إلى وكناتها ، والنفوس المطمئنة إلى خالقها ، وهاديها إلى خير وصالح عملها . . . وإذا كانت العقود تحلّى بالآلئ والياقوت والمرجان فإن الكلام يحلّى بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ هذا الدين هو المقصود بالحياة وجاء في الحديث : « لا حياة بلا دين ، وما الموت إلا بجحود اليقين » وجحود اليقين يعني إنكار الدين ، وعدم الأخذ بالرسالات الربانية ، والإستهتار بكل ما جاء به رسل رب العالمين .

ونصل بهذا القول إلى أن التخلي عن المبادئ الكريمة ، والفضائل الأخلاقية السامية ، وترك كل ما له صلة بالتكامل والتسامي ، وحبّ الخير ، والصلاح ، هو الموت الحقيقي معنوياً وليس جسدياً .

ونحن نرى أن المتفلتين من قيود الأخلاق ، والضارين عرض الجدار ، بكل المثل العليا ، نراهم يحيثون في هذه الحياة ويرحلون عنها ، ولكن لو جلست إليهم ، وخبرت دخالهم لعرفت أنهم أموات هياكل متحركة . . . متعلقون بالتفاهات ويعيشون الحياة الهازلة والمزاح السخيف الذي يشدهم إلى الحضيض ،

وقد غلبت عليهم شهواتهم ، فهم كالأنعام بل أضل سبيلاً ، كما يقول الله في كتابه العزيز . . . وحول الكلام الوارد في الحديث عندما يقول : ﴿ فاشربوا من العذب الفرات ينبهكم من السبات ، وإياكم والسقام والمهلكات ﴾ . . . نقول إننا أمام مجموعة من المفردات المتباينة شكلاً ومضموناً . . . نحن مع العذب الفرات والتنبيه والسبات ، والسقام والمهلكات . . . نحن أمام العذب الفرات في أعلى درجات السلم ، وفي السقام والمهلكات في أسفله . إن العذب الفرات هو السائغ شرابه ، والطيب ريحه ، واللذيذ طعمه ، والأمر بالشرب من العذب الفرات يعني التمسك بالإيمان ، واليقين الصادق ، والتقرب إلى الله بكل إخلاص فإن فيه التنبيه من السبات . . . أما السبات ، فهو النوم ، والغفلة ، وإبطال عمل الحواس المدركات ، والمقصود به الكفر والإلحاد والشرك بالله وإنكار النبوات والرسالات .

والسقام المهلكات فمعناها اللغوي : كل طعام أو شراب خالطه سم فقتل أو أهلك . أما المراد فهو الإنزلاق في طريق الرذيلة ، والإنحدار إلى الدرك الأسفل ، من الإنحطاط الخلقي والقيمي ، والتنصل من كل طاهر طيب عفيف . أو تسأل بعد ذلك هل من الصحيح أن « لا حياة بلا دين وما الموت إلا بجحود اليقين » .

بالإضافة إلى ذلك فإن وحدة الكون ، ووحدة الخلق ، دليل كاف على وحدانية الخالق وإنّ قوانينه فصل ليس بالهزل وانعكاس ذلك توحيده تعالى ، وتنزيهه سبحانه ، عن كل شريك وند وكفو . وقد جاء في الحديث الشريف : « التوحيد حياة النفس » .

فالنفس البشرية بتركيباتها المعقدة وتناقضاتها المتباينة ، ونوازعها ودوافعها ، التي تنزع في كل اتجاه ، وتدفع إلى كل ناحية ، تخضع لنظام الوحدة والتوحيد ، ولا بقاء لها بدون هذا النظام الكوني والتكويني الدقيق وإذا تعطل هذا النظام ، وانفطر عقد هذا التوحيد في الخلق والإرادة والمشية ، تحول الأمل إلى فوضى واختل توازن كل شيء والحديث الشريف يقول : « الذكر الجميل أحد الحياتين » .

وفي موضع آخر : « العلم أحد الحياتين » وفي هذه المعادلة نرى أن الحياة تعادل الذكر الجميل من جانب ، وتساوي العلم من جانب آخر . وبهذا يمكن القول ان العلم حياة وأن الدين حياة ، وان العلم دين يدان به . ومن هنا جاء قول أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام : « الناس موتى وأهل العلم أحياء » .

المزاح الهادف :

بعد هذا كله ، عرفنا أن الحياة جدّ وحق ، وليست هي بالهزل ، لذا فإنّ كل لحظة ينبغي أن تستغل ويستفاد منها ، لذلك سمح الإسلام بالمزاح ، ولكن بشروط ، حتى يكون مزاحاً هادفاً ، يخلق أجواء الراحة والإطمئنان ، والحيوية والنشاط في القلوب والأجساد . والمزاح الهادف هو الذي يطرد الخمول والكسل وهو المبني على أساس الحق لأنّه ليس فيه كذب ، ولا عدوان ولا تجاوز على حقوق الآخرين ، على مستوى الأفراد وعلى المستوى الإجتماعي العام ، لذلك ينبغي في المزاح والجدّ الخوف من الله ، لأنّ من خاف الله تنبّه لكل قول حتى لا ينحرف عن الجادة والصراط .

المزاح الإعلامي :

إنّ الطابع العام للإعلام ، ووسائله هو الكذب على الناس ، والتلاعب بعواطفهم ، أمّا الإعلام الإسلامي ، المعتمد على التعاليم القرآنية ، فيقوم على أساس الصدق والحق وعدم الإفتراء ، وتبني الحقائق ونشرها ، فنحن نحارب أعداءنا بسلح الحق ، ومن أجل الحق والحقيقة ، بينما نرى أنّ الدول المستكبرة لا تتورع عن النفاق والدجل الإعلامي وتشويه الحقائق . . . إلى درجة أنّ كلمة الإعلام أصبحت موازية للكذب فكم من حق صار في عرف أولئك باطلاً ، وكم من باطل صار في موازينهم حقاً .

المزاح السياسي :

وفي المزاح السياسي كما في رسم الكاريكاتير مثلاً ، ينبغي الصدق والأدب ، لكي يكون الرسم الكاريكاتيري بحدّ ذاته مؤدّباً ، لأنّ التشويه والإفتراء على مؤمن ، أمر محرّم ولا محيص من مراعاة الضوابط الشرعية ، هذا فيما يخصّ المؤمن أما فيما يخصّ الكافر فلا حرمة في ذلك ضمن أطر وقواعد معينة .

ويدخل ضمن دائرة خوف الله في الجحد ، حرمة الغيبة والنميمة وهاكم بعض الروايات ، حول هذين الموضوعين ، اللذين يحتاجان إلى بحث منفصل .

أ- النميمة :

فقد ورد في رواية :

« إنّ الأرض أجدهت في عهد موسى (ع) ولم ينزل المطر ، فخرج موسى (ع) مع قومه ، يدعون الله لينزل المطر ففعلوا ، ولكن المطر لم ينزل - فخطب موسى ربه : يا ربّ لماذا لم تمطر السماء ؟ وكان الجواب : إنّ فيكم نمماً - فقال موسى (ع) يا ربّ دلّنا عليه فنخرجه من بيننا فقال الله جلّ جلاله لموسى (ع) : « أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً » عندها تاب النمام وآمن ، وهطل المطر ورويت الأرض » .

وعن ابن فضال عن الصادق (ع) عن أبيه عن آبائه عن النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال : « شرّ الناس المثلث ، قيل يا رسول الله ، وما المثلث ؟ قال : الذي يسعى بأخيه إلى السلطان فيهلك نفسه ، ويهلك أخاه ، ويهلك السلطان » (٣٤) .

وقال رسول الله (ص) : « إياكم وقائل الثلاثة ، فإنّه من شرّ خلق الله قيل : يا رسول الله وما قاتل الثلاثة ؟ رجل سلم أخاه إلى سلطانه ، فقتل نفسه ، وقتل أخاه ، وقتل السلطان » (٤٤) .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « من سعى بأخيه إلى سلطان أحبط الله تعالى عمله كله ، وإن وصل إليه مكروه أو أذى ، جعله الله تعالى مع هامان في درجة في النار » (٤٥) .

وعن علي (ع) أنه قال : « شرّ الناس من سعى بالإخوان ونسي الإحسان »^(٤٦) . « بشّ السعي التفرقة بين الأليفين »^(٤٧) .

وقال تعالى : ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين * هَماز مشاء بنميم ﴾^[١] .

﴿ ومن يشفع شفاعته سيئة يكن له كفل منها ﴾^[٢] .

قال رسول الله (ص) : « إياكم والعضة ، النميمة القالة بين الناس »^(٤٨) ، « ومن كتاب الصادق (ع) إلى النجاشي والي الأهواز : « إياك والسعاة وأهل النائم فلا يلتزم بك أحد منهم ، ولا يراك الله يوماً ، ولا ليلة وأنت تقبل منهم صرفاً ولا عدلاً ، فيسخط الله عليك ، ويهتك سترك »^(٤٩) .

وقال رسول الله (ص) لبعض جلسائه : « ألا أخبركم بشراركم قالوا : بلى يا رسول الله قال : المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبراء العيب »^(٥٠) .

وعن الصادق (ع) قال : « إنّ من أكبر السحر النميمة يفرق بها بين المتحايين ، ويجلب العداوة على المتصافين ، ويسفك بها الدماء ، وتهدم بها الدور ، وتكشف بها الستور ، والنّمام أشرّ من وطيء الأرض بقدم »^(٥١) .

ب - الغيبة :

قال تعالى : ﴿ لا يغتب بعضكم بعضاً أيحّب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتّقوا الله إنّ الله توّاب رحيم ﴾^[٣] .

قال (ص) : « أيّها الناس إنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا . . . إنّ الله حرّم الغيبة كما حرّم المال والدم »^(٥٢) .

عن الصادق (ع) أنه قال : « لا تغتب فتغتب ولا تحفر لأخيك حفرة فتقع فيها فإنّك كما تدين تدان »^(٥٣) .

[١] سورة القلم : الآية ١٠ - ١١ .

[٢] سورة النساء : الآية ٨٥ .

[٣] سورة الحجرات : الآية ١٢ .

عن رسول الله (ص) أنه قال : « مرت ليلة أسرى بي على قوم يخمسون وجوههم بأظفارهم فقلت يا جبرائيل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويوقعون في أعراضهم » (٥٤) .

عن الصادق (ع) أنه قال : « قال رجل لعلي بن الحسين عليهما السلام : إن فلاناً ينسبك إلى أنك ضال مبتدع ، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام ؛ ما رعيت حقّ مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه ، ولا أديت حقّي حيث أبلغتني عن أخي ما لست أعلمه . . . إياك والغيبة فإنها أدام كلاب النار واعلم أن من أكثر من ذكر عيوب الناس شهد عليه الإكثار أنه إنما يطلبها بقدر ما فيه » (٥٥) .

وعن الكاظم (ع) أنه قال : « كذب سمعك وبصرك عن أخيك وإن شهد عندك خمسون قسامة ، وقال لك قولاً فصدّقه ، وكذبهم ولا تضيعن عليه شيئاً تشينه به ، وتهدم به مروّته فتكون من الذين قال الله عزّ وجل فيهم : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم ﴾ [١] .



[١] سورة النور : الآية ١٩ .

مصادر ومراجع البحث

- (١) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٢٧٩ .
- (٢) بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ٢٢٨ .
- (٣) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٢٩٦ .
- (٤) نهج البلاغة / خطبة ١٩٣ .
- (٥) نهج البلاغة / حكم ٣٣٣ .
- (٦) بحار الأنوار / ج ٧١ / ص ٢٩٤ .
- (٧) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ٣١٢ .
- (٨) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ١٣٦ .
- (٩) نهج البلاغة / حكم ١٢٣ .
- (١٠) المحجة البيضاء / ج ٥ / ص ٢٠١ .
- (١١) المصدر السابق .
- (١٢) المصدر السابق .
- (١٣) المصدر السابق / ص ٢٠٢ .
- (١٤) نهج البلاغة / خطبة ٢٣٩ .
- (١٥) غرر الحكم .
- (١٦) بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ٣٧٠ .
- (١٧) بحار الأنوار / ج ٧٨ / ص ٤٥٣ .
- (١٨) غرر الحكم .
- (١٩) بحار الأنوار / ج ٧٠ / ص ٧ .
- (٢٠) بحار الأنوار / ج ٧٠ / ص ٣٩٢ .

- (٢١) بحار الأنوار / ج ٢ / ص ٦٨ .
- (٢٢) غرر الحكم .
- (٢٣) بحار الأنوار / ج ٢٦ / ص ٢٩٨ .
- (٢٤) بحار الأنوار / ج ٧٧ / ص ٥٣ .
- (٢٥) بحار الأنوار / ج ٧٦ / ص ٦٠ .
- (٢٦) أصول الكافي ج ٢ / ص ٦٦٣ .
- (٢٧) بحار الأنوار / ج ٧٧ / ص ٤٨ .
- (٢٨) شرح نهج البلاغة / ج ٢٠ / ص ١٠٠ .
- (٢٩) نهج البلاغة حكم ٤٥٠ .
- (٣٠) غرر الحكم .
- (٣١) أصول الكافي / ج ٢ / ص ٦٦٥ .
- (٣٢) أصول الكافي / ج ٢ / ص ٦٦٤ .
- (٣٣) الإرشاد للمفيد / ص ١٥٧ .
- (٣٤) شرح نهج البلاغة / ج ٨ / ص ٢٨٧ .
- (٣٥) التوحيد / ج ٥ / ص ٣٧٩ .
- (٣٦) تحف العقول / ص ٣٦٣ .
- (٣٧) إلى (٤٢) غرر الحكم .
- (٤٣) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢٦٩ .
- (٤٤) كنز العمال / خطبة ٨٨٤٦ .
- (٤٥) كنز العمال خطبة ٧٥٤٥ .
- (٤٦) (٤٧) غرر الحكم .
- (٤٨) كنز العمال / خطبة ٢٣٤٨ .
- (٤٩) بحار الأنوار / ج ٧٧ / ص ١٩٠ .
- (٥٠) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢٦٤ .
- (٥١) بحار الأنوار / ج ٦٣ / ص ٢١ .
- (٥٢) شرح نهج البلاغة / ج ٩ / ص ٦٢ .
- (٥٣) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢٤٩ .
- (٥٤) تنبيه الخواطر / ص ٩٣ .
- (٥٥) بحار الأنوار / ج ٧٥ / ص ٢٤٦ .



النصيحة لأهل الاسلام

من كمال الايمان النصيحة لأهل الاسلام وأن يود العبد
للناس ما يود لنفسه .

محتويات البحث

- ١ - آيات كريمات .
 - ٢ - حديث شريف .
 - ٣ - ماهية النصيحة .
 - ٤ - من لم ينصح للمسلمين فليس منهم .
 - ٥ - النصيحة للمؤمنين على المؤمنين واجبة .
 - ٦ - صفات الناصحين .
 - ٧ - أنصح الناس لنفسه .
 - ٨ - اقبلوا نصيحة الله .
 - ٩ - لا تخالف نصيحة الناصح من الناس .
 - ١٠ - النصيحة من عدة زوايا .
- أ - الزاوية الأولى : الترابط بين أفراد المجتمع الإسلامي .
- ب - الزاوية الثانية : الإخلاص في النصيحة .
- ج - الزاوية الثالثة : النصيحة والرقابة الإجتماعية من مقومات استمرار الإسلام في الحياة .
- د - الزاوية الرابعة : النصيحة السياسية - النصيحة لغير المسلمين .
- هـ - الزاوية الخامسة : النصحية تدخل الجنة بغير عمل .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾^[١] .

ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون ﴾^[٢] .

* * *

وقال رسول الله (ص) : « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يحسن خلقه ، ولا يشفي غيظه ، وأن يؤدّ للناس ما يؤدّ لنفسه ، ولقد دخل رجال الجنة بغير أعمال ، ولكن بالنصيحة لأهل الإسلام »^[٣] .

« إنّ أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة ، أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقهم »^[٤] .

* * *

[١] سورة الأعراف : الآية ٦٢ .

[٢] سورة هود : الآية ٣٤ .

[٣] كنز العمال خطبة ٥٢٤٤ .

[٤] بحار الأنوار/ج ٧٤ / ص ٣٥٨ .

ماهية النصيحة :

النصيحة هي أن تبذل جهدك في التعرف على الأساليب ، والإمكانات ، والأهداف التي تصلح شأن الأمة والأفراد على المستويين الديني والأخروي ، وترشدكم بإخلاص ، ومودة وتواضع إلى ما فيه صلاحهم وإصلاحهم .

النصيحة سنة الأنبياء والأولياء :

إن الرسل والأنبياء ، والأئمة الأطهار (ع) ، هم سادة الناصحين .
فقد قال تعالى على لسان نبيّه هود (ع) : ﴿ أبلغكم رسالات ربّي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ [١] .
وعن الإمام الصادق (ع) أنه قال : « إنّ علياً (ع) كان عبداً ناصحاً لله عزّ وجلّ ، فنصحه ، وأحبّ الله فأحبه » (١) .
إنّ من أحبّ العبادات إلى الله النصيحة ، وإنّ أحبّ ما يعبد المرء به ربه ، هو الإخلاص في النصيحة .

من لم ينصح المسلمين فليس منهم :

جاء في الحديث القدسي ، يقول الرسول (ص) : « قال الله عز وجلّ : « أحبّ ما تعبّد به عبدي النصيح لي » (٢) .

وعنه (ص) : « من لا يهتم بأمر المسلمين ، فليس منهم ، ومن لم يصبح ويمسي ناصحاً لله ، ولرسوله ، ولكتابه ، ولإمامه ، ولعامة المسلمين فليس منهم » (٣) .

إنّ الإهتمام بأمر المسلمين واجب شرعي ، والتخلّي عنه يبعد الإنسان عن الإسلام والمسلمين ، ويخرجه في بعض الحالات من دائرة الإيمان . . .
وقول الرسول (ص) (. . . فليس منهم) ، شاهد أكيد ، ودليل واضح

[١] سورة الأعراف : الآية ٦٨ .

على ذلك ، وإن النصيحة هي الدين ، وهي الموعظة الحسنة ، والود الأخوي ، والرحمة ، والمحبة بين المؤمنين : (رحماء بينهم) كما في القرآن الكريم ولولا المحبة ، لما كان نصيح ، فالنصح ثمرة المحبة ، ويقول رسول الله (ص) « لينصح الرجل أخاه كنصيحته لنفسه »^(٤) فالرسول (ص) يأمر بالنصح والإخلاص فيه ويشدد على هذا الأمر ، حتى يجعل الآخرين كالنفس . وهذا القول ليس بعيداً في معناه عن مضمون القول التالي : « أحبب لأخيك ما تحب لنفسك واکره له ما تكره لها »^(٥) .

فالنصيحة إذاً هي الهداية الحقيقية ، لسلوك طريق الله السوي ، وهي تدخل بمعنى من المعاني في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . لأنّ الأمر والنهي ، أشمل في معناه ، وأوسع في إطاره . . . مما يفهمه الكثير من الناس من معناه . . . وبالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، استمرت رسالة الإسلام ، حتى يومنا هذا ، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

النصيحة للمؤمنين على المؤمنين واجبة :

إنّ الإيمان فطرة - والفطرة أم الغرائز ، والغرائز خيرة وشريرة ، والنصح ، والإرشاد ، وهداية الآخرين ، غريزة المؤمن ، كما جاء على لسان أنقى الأتقياء ، وأفصح الفصحاء علي (ع) : « المؤمن غريزته النصح »^(٥) .

وكما ورد في الخبر فإنّ النصيحة واجبة ، لأنّ الحياة الاجتماعية ، من منظور الإسلام ، تقوم على أساس التعاون والتكافل ، وخصوصاً أن كفاءات الناس متفاوتة ، وأن الروابط الاجتماعية في الإسلام ، تحتم على الناس أن يعيشوا مع بعضهم وأن يخدموا بعضهم البعض ، أمّا على وجه الوجوب ، وأمّا على وجه الاستحباب ، وبما أن الإسلام يخطط لتطوير الحياة ، ويأمر بذلك ، ويعمل لتوفير إمكانية تقدمها ، لذلك كانت النصيحة واجبة ، في كل مجال ، وعلى جميع المستويات : العقائدية ، والفكرية والاجتماعية ، والسياسية ، والنظمية ، والعسكرية ، والصناعية ، والتربوية . . . الخ . . .

يقول الإمام الصادق (ع) : « المؤمن أخو المؤمن يحق عليه النصيحة »^(٦) .

ويقول الإمام الباقر (ع) : « يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة »^(٧) .

وقال الرسول (ص) : « المؤمن أخو المؤمن لا يدع نصيحته على كل حال »^(٨) .

ومن كلام لأمر المؤمنين (ع) في الصالحين من أصحابه : « أنتم الأنصار على الحق ، والأخوان في الدين . . . فأعينوني بمناصحة خلية من الغش »^(٩) .

فالصالحون هم الأنصار على إحقاق الحق ، ونصرة الدين ، والتي لا تتحقق إلا إذا كان الساعون في هذا السبيل مترابطين ، متآخين في الله ، ينصحون لإمام المسلمين ، ولمجتمعهم النصح النقي ، الخالي من أية شائبة ، مصلحية ، أو مادية ، أو إثبات ذات ، أو سمعة ، أو رياء ، وبلوغ الهدف هو بمناصحة خلية من الغش بالنصيحة الخالصة لوجه الله تبارك وتعالى التي لا يرجو المؤمن منها إلا رضاه ، ومثوبته ورحمته .

صفات الناصحين :

يقول رسول الله (ص) : « أما علامة الناصح فأربعة : يقضي بالحق ، ويعطي الحق من نفسه ، ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه ولا يعتدي على أحد »^(١٠) .

١ - إن من صفات الناصح : أنه يقضي بالحق ، فلا محسوبيات ، ولا مصالح ، بل القضاء بالحق ولو على أقرب المقربين .

٢ - ويعطي الحق من النفس ، حتى لا يخشى أحد منه ظمأ ، بل يثقون بعدله لأنه يعامل نفسه كما يعامل غيره .

٣ - والرضا للناس بما يرضاه لنفسه ، بحيث يحبّ لهم ما يحبّ لها ، فهم كنفسه ، لا يؤثرها بشيء .

والناصح لا يعتدي على أحد ، لأنه يشعر بمسؤوليته عن الآخرين ، وبانسجامه معهم ومحبته ورحمته لهم فكيف يعتدي عليهم ؟ فمرحى للناصحين في الله ، وطوبى لهم من منقلب يحسدهم عليه المقصرون ، وغير المخلصين ، فالممارسة العملية والتطبيق على أرض الواقع هي التجسيد الحقيقي لكل ما ذكرنا ،

ولاً بقي الأمر قولاً فارغاً من المضمون العملي . وإن التعدي على الناس أمر مرفوض في كل المجتمعات ، تعافه النفس ، وتشمئز منه الروح ، وخصوصاً في المجتمعات الإسلامية التي ينبغي أن تطبق الإسلام شريعة ومقاييس وأهدافاً .

وإن استعمال القوة والجبروت والتعدي سبيل أهل الباطل ، من الذين لا يخافون الله ، ولا يؤمنون به ، بل يعملون لديّاهم ، ولسيطرتهم . أما أهل الإيمان فهم أهل النصيح ، والحاملون لهمّ الأمة ، وهم المستضعفون . . . هاجسهم الإصلاح ، ورأئدهم خدمة عيال الله ، قربة إلى الله ، وسعياً لتحقيق رضاه .

ومن الواضح أنه لا يسلك سبيل النصيح والهداية والإرشاد إلا المؤمنون المحبّون ، المخلصون . أما من المنافقين ، الحاسدين المبغضين ، فمحال أن تصدر نصيحة :

يقول الصادق (ص) : « النصيحة من الحاسد محال » (١١) .

وذلك لأن القلب البشري لا يتسع إلا لنوع واحد من العواطف : أما حبّ أو بغض .

ويقول علي (ع) : « لا ينصح اللئيم أحداً ، إلا عن رغبة ، أو رهبة ، فإذا زالت الرغبة ، والرهبة عاد إلى جوهره » (١٢) .

وقال الرسول (ص) : « المؤمنون بعضهم لبعض نصيحة وادّون وإن افتقرت منازلهم وأبدانهم ، والفجرة بعضهم لبعض غششة متخاذلون وإن اجتمعت منازلهم » (١٣) .

إن اللئيم هو من حشي بالحق والبغض والحسد ، حشواً وامتلاً جوفه مكرراً وكيداً وضغينة على الناس ، وخصوصاً على المؤمنين المخلصين ، لا يحبّ أن يرى خيراً من أحد ، ولا أن يصل الخير إلى أحد .

فهذا النموذج من البشر لا يتوقع منه النصيح والخير ، أللهم إلا المصلحة يرجوها ، أو لحظة ينالها ، أو عمل يربح من جرائه ، أو أنه يقدم النصيحة اتقاء لخطر ، أو تحاشياً لسوء محتمل وقوعه .

أنصح الناس لنفسه :

يقول علي (ع) : « إن أنصح الناس لنفسه ، أطوعهم لربّه وإن أغشهم لنفسه أعصاهم لربّه » (١٤) .

النصح نوعان : نصح للنفس ، ونصح للغير ، ونصح النفس مقدّم على نصح الغير ومتى قام المرء بنصح نفسه لا بُدّ أن يَنْصَحَ غيره ، أما كيف يكون نصح النفس . . . فإطاعة الرب . . . ولا يكون صادقاً من يدّعي أنه ينصح نفسه ، وهو لا يطيع ربه ، ولا يعمل لمرضاته . . . وإطاعة الرب لا تكون إلا بتنفيذ أوامره ، ونواهيّه ، وهذا هو النصح المطلوب .

فإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم شهر رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، وبرّ الوالدين ، والجهاد في سبيل الله ورعاية اليتيم . . . إلى ما هنالك من برامج ربانية ، على المستويات الفردية ، والاجتماعية ، أمر الله بها ودعا إليها . . . كل ذلك نصح للنفس ، إذا كان الهدف من القيام بها ، رضا الله سبحانه ، وروي أن رجلاً ولي ولاية ، وهو معروف بعدم الإهتمام بأوضاع أسرته ، وأهله ، وبعد بضعة أيام عزل . ولما سأل عن السبب قيل له : من لا يرحم أهله ، لا يرحم غيره ، وهو غير مؤهل لأن يسوس الناس . والغش هو عدم الإخلاص في القول والعمل ، وإظهار المرء خلاف ما يخفي ويضمّر ، والعاصي لربّه غاش لنفسه كل الغش يقول الشاعر :

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وعن علي (ع) أنه قال : « من نصح نفسه كان جديراً بنصح غيره ، ومن غش نفسه كان أغش لغيره » (١٥) .

وعن علي (ع) أنه قال : « من أمرك بإصلاح نفسك فهو أحقّ من تطيعه » (١٦) .

الإصلاح هو عملية استبدال الفاسد من أمر أو مسألة ، أو عمل بالأصلح ، والأفضل ، الذي يفني بالغرض ، ويوصل إلى الهدف وإصلاح النفس مقدّم على كل الإصلاحات ، لأن الإصلاح الخارجي ، ينبغي أن يكون نابعاً من

نفس صالحة ، فكيف يصلح من هو غير صالح ، من هنا كان حق الذي يأمرني بإصلاح نفسي ، إطاعته فيما يأمر ، وكيف لا أطيعه ، وهو يدلني على صلاحي ، ويمحضني نصحه الخالص من كل غش وخداع .

من ينتفع بالنصيحة ؟

يقول علي (ع) : « كيف ينتفع بالنصيحة من يلتذ بالفضيحة » (١٧) .

وهنا لا بد لنا من طرح سؤال : متى تنفع النصيحة ؟ ومن ينتفع بها .

والجواب : لا تنفع النصيحة إلا إذا قبلت وعملت بها ، أما من يلتذ بالفضيحة ، ويرى أن العيب الذي يقوم به ، شارة يزين بها هامته ، ووساماً يضعه على صدره ، لا ينتفع أبداً من أية نصيحة ، مهما بلغت قيمتها ، والذي لا تهمه الفضيحة أمام الناس ، أو يشعر بغبطة ولذة ، هو من وصفه الإمام علي (ع) بقوله :

« لا تنتصح بمن فاته العقل ، ولا تثق بمن خاناه الأصل ، فإن من فاته العقل يغش من حيث ينصح ، ومن خاناه الأصل يفسد من حيث يصلح » (١٨) .

فالإنسان عقل وأصل : العقل هو نعمة الله الكبرى على الإنسان ، وبه كان إنساناً ، فطوبى لمن كمال عقله ، أو كان عاقلاً ، والأصل ، هو القاعدة الوراثية والتربوية والتكوينية الطاهرة ، الطيبة التي تركز عليها شخصية الإنسان ، وتؤثر في حياته وسلوكه وممارساته الفردية والاجتماعية ، فالهناء ، والإستقامة لمن تولد من الأصلاب الطاهرة ، والأرحام الطيبة . والعقل كما عرّف في الحديث هو ما يعبد به الرحمن وتكتسب به الجنان أما الذين لا عقل لهم من الناس ، لا خير فيهم ، ولا يرجى منهم نصيحة (لا تنتصح بمن فاته العقل) وفوات العقل يعني عدم التفكير الصحيح ، أو التفكير بطريقة غير موجهة نحو الأهداف الإنسانية المشروعة . وكم يوجد في المجتمع من أناس لا هم لهم إلا بطونهم ، ولا يهتمون كثيراً عن العجاوات من المخلوقات ، وكيف لا والذي يميز الإنسان عن الحيوان ، هو العقل الرحامي النافع ، ومتى فات الإنسان هذا العقل اقترب من عالم الإنعام ، وانحدر نحو اللانسانية .

أما الذين لا نصيب لهم من العقل وخانهم الأصل ، وفاتهم التولد من الأصلاب ، والأرحام السليمة ، والطاهرة . . . فقد حرموا الإستواء في الخلقة ، والإعتدال في العمل ، وأكثرهم سيئي السيرة والسيرة . . . دأبهم النفاق ، والدجل ، والخداع ، فلا أمان لهم ولا ثقة بهم ، وكلام أمير المؤمنين (ع) فيهم واضح : « لا تثق بمن خاناه الأصل » .

اقبلوا نصيحة الله

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام : « اتعظوا بما عاظ الله واقبلوا نصيحة الله . . . واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش . . . واستنصحوه على أنفسكم واتهموا عليه آراءكم ، واستغشوا فيه أهواءكم » (١٩) .

إن أفضل المواعظ ما كانت من عند الله ، وأجدى النصائح ما كانت من قبله ، وإن كل موعظة إلهية ونصيحة ربانية مصدرها القرآن ، والقرآن ناصح لا يغش وهو السبيل الواقي من العثرات ، والموصل إلى بر الأمان فعلى من يريد نصيحة نفسه ، فليبادر إلى الفرقان ، يسأله النصيحة وليقبل بها ، وليأخذها ، وإذا اختلف رأي البشر ، مع القرآن ، فليضرب بآراء الناس عرض الحائط ، لأن الهوى ، يضل الرأي ويموه على الإنسان الحقيقة .

لا تخالف نصيحة الناصح من الناس

يقول علي (ع) : « أشفق الناس عليك أعونهم على صلاح نفسك ، وأنصحهم لك في دينك » (٢٠) ، « من خالف النصيح هلك » (٢١) ، « من قبل النصيحة آمن الفضيحة » (٢٢) ، « من أقبل على النصيح أعرض عن القبيح ، من استغش النصيح غشيه القبيح » (٢٣) ، « مرارة النصيح أنفع من حلوة الغش » (٢٤) .

إن الشفقة والعطف والرحمة والمحبة كلها مشاعر إنسانية يطورها ، وينمّيها ، ويقويها الإيمان بالله ، وحب خلق الله وإن أشفق الناس على الناس ،

من أحب الله وآمن به ، وبأنه رحيم رحمن ، حلیم كريم . كما أن أفضل الشفقة وأرقاها ، ما كانت عوناً لنا على ما يعترضنا من مصاعب ، ومشاكل وما يصلح أنفسنا ، ويقربها من الله سبحانه ثم أن مخالفة النصح تقود إلى الهلاك ، فالنصح هو نتيجة تفكير ناضج ، وتجربة في الحياة ، والأفكار المدروسة والمجربة ، هي مشاركة للناس في عقولها ، واستفادة من تجارب الآخرين ، وهي أمان من كل عيب ، وبعد عن كل فضيحة . . . والفضائح لا تكون إلا بالتعب والمكابرة ، ورفض كل نصح ومشورة .

وقد يعتبر بعض البسطاء بسبب ، تمويه الموهين ، وخداع المخادعين ، أن النصح ثقيل عليهم ، لمرارة ما يرتب عليهم من تبعات ، ومسؤوليات ، فيستسهلون ، ويحبون أهل الغش ، لتزويقهم لهم ما يغشونهم به لذلك نصحنه الباقر (ع) فقال :

« أتبع من يبيكك وهو لك ناصح ولا تتبع من يضحك وهو لك غاش » (٢٥) .

ثم إن معنى النصح يتجاوز الإطار الخاص ، إلى الإطار العام ، وهو الإطار التكاملي الاجتماعي العام ، فالنصح هو باب الحياة الواسع ، الذي يدخل منه الإنسان ، إلى رحاب الحياة السعيدة ، والتي لا تكتمل آفاقها إلا بتكامله مع الآخرين ، وتقديم النصح لهم ، من هذا المنطلق نستطيع أن نحدد الخطوات الرئيسية ، التي ينبغي على الإنسان أن يتبعها ، من أجل أن يكون مخلصاً ، مدركاً لواجباته ، ناصحاً لنفسه وللآخرين ، من أجل إرضاء الله سبحانه وتعالى. إن الدعوة إلى النصح تركز على قاعدة التفاعل مع الناس الذين نعيش معهم ، وهي دعوة للإنسان لئلا يكون منعزلاً عن المجتمع ، بل مشاركاً في عملية التطور والتقدم والدفع لمجتمعه إلى الأمام بواسطة تقديم النصح للآخرين ، بهدف تكامل الحياة الاجتماعية وترقيتها .

إن النصيحة ، غايتها ، كما سبق ، تصحيح الأخطاء الصغيرة والكبيرة ، على الصعيد الفردي وعلى صعيد الجماعة ، وإذا لم يؤخذ بالنصيحة ، فإن العلم يبقى خاطئاً ، أو ناقصاً ، وبهذا تصبح النصيحة نوعاً من الواجب ، حتى لا ندع مجالاً للتدهور وسقوط الآخرين .

وهكذا فإن النصيحة هي عامل تقويم لمسار الفرد والمجتمع ، ليسير في دورة حياته الصحيحة ، كلما خرج عن الصراط المستقيم أو أراد أن يخرج ، كانت النصيحة هي العامل المقوم ، والمهذب لحركة الحياة التي يريدها لنا الإسلام ، بوجهها الأخلاقي ، والنظمي ، والعقدي والذي هو وجه الإيمان فيها .

والحق يقال ان المسلم ما دام قد أسلم لله وجهه ، وأخلص نيته ، فإن حركاته وسكناته تحتسب خطوات إلى مرضاة الله وقد يعجز عن عمل الخير ، الذي يصبو إليه ، لقلة ماله ، أو اعتلال صحته ، ولكن الله مطلع على خفايا النفوس ، يرفع الحريص على الإصلاح والنصح إلى مراتب المصلحين الناصحين ، والراغب في الجهاد إلى مراتب المجاهدين . إن خلوص النية ، وإخلاص العمل لرب العالمين ، وإسداء النصيحة لأهل الإسلام ، يرتفع بمنزلة العمل ، ليكون عبادة خالصة لله تعالى .

وإن خبت النية ، يهبط بالطاعات فيقلبها إلى معاص ، ولا ينال المرء منها إلا الفشل والخسارة وأما الإخلاص بالنصيحة لأهل الإسلام ، فأشد ما تدعو الحاجة إليه ، في الشدائد والملمات حيث ينسلخ الإنسان عندها عن أهوائه ، ويثبرا من أخطائه ، ويقف في ساحة الله أواباً ، يرجو رحمته ، ويخاف عذابه ، لهذا وأمثاله نرى أنه دخل الجنة رجال بغير أعمال ، ولكن بالنصيحة لأهل الإسلام .

وإذا كانت الأمة غير مهيأة من الناحية النفسية فإنها لا تنتصح وتجمع بها الرغبة إلى سلوك الخط المنحرف ، أو البعيد عن الإسلام ، وإذا عشعت فيها روح الترف واللهو ، وخاضت غماره ، تصبح أبعد ما تكون عن النصحاء والمتصحين . وإذا كانت نفسية الفرد قد تشبعت بالتكبر ، والإستغناء عن النصيحة ، مع حاجتها إلى ذلك ، كان هذا الإنسان جاهلاً جهلاً مركباً ، لاعتقاده أنه يعلم ، وهو لا يعلم أنه لا يعلم .

وهذا الصنف من الأفراد لا ينتفعون بالنصيحة ، لأنهم يعتبرون أنفسهم فوقها . . . والمحبة أساس في عملية النصح . فالناصح إذا لم يكن يحمل في قرارة نفسه ، محبة لمن ينصحه ، فإنه لن يستطيع أن يكون ناصحاً ، غلصاً . ولا بد أن

تكون النصيحة حباً بالغير ، وابتغاء لمصلحته ، لتحصيل رضا الرحمن ، أما إذا كان للنصيحة غاية أخرى ، فإن تأثيرها يخف ، ويبطل أجزؤها . . . أما اتباع الغايات والمصالح المادية ، للحصول على منفعة ما ، فإن فاتهم ذلك ينفون الإحترام ، والتقدير عن النصيح والناصحين ، وتفتقد هذه العملية تأثيرها على أرض العمل والعاملين ويمكن أن نرى الأمر من عدة زوايا :

الزاوية الأولى : الترابط بين أفراد المجتمع الإسلامي .

وهي مسألة الترابط بين أفراد المجتمع الإسلامي ، بحيث يصل هذا الترابط إلى درجة الانسجام ، الذي يتسامى على الإنانيات فيصبح (الغير) هو (أنا) وأنا هو الغير، فالأنا تذوب مع الآخرين ، إلى درجة أن المؤمن لا يستكمل إيمانه ، حتى يودّ للناس ما يود لنفسه ، بدليل أن الهدف واحد ، وطريق السير واحد ، وبالتالي فإن الوحدة الخارجية ، تشكل انعكاساً للوحدة النفسية عند الأفراد ، الذين يشكلون المجتمع المسلم ، ومجموع المجتمعات الإسلامية هي التي تشكل الأمة المسلمة .

وتحت هذا العنوان وبفضل هذه المشاعر الغيرية ، تنتفي العصبية سواء أكانت عصبية حزبية أو طائفية ، أو عنصرية ، أو قومية الخ . . . ليحل محلها الانسجام ، والتواصل ، الذي يقترب من التوحد ، فالأمة الواحدة تؤمن بالرب الواحد ، والإيمان بوحدانية الرب ، باعتبارها الصفة الأساسية لله سبحانه وتعالى ، تنعكس على مستوى الأمة وحدة في الأهداف والتطلعات . وبالتالي تنعكس في الشعور العميق بالود والمحبة لبعضهم البعض ، ويتجلى هذا الأمر أكثر ما يتجلى بالإنطلاقات الجهادية على مستوى مجاهدة أعداء الله في الداخل والخارج .

ومن هنا كان قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَنِيَانٍ مَرْصُوعِينَ ﴾ [١] .

[١] سورة الصف : الآية ٤ .

الزاوية الثانية : الإخلاص في النصيحة .

إن حالة الإنسجام والتطابق في الأهداف والسلوك والسير نحو هذه الأهداف ، يجعل المؤمن في وضع يمنعه من التفكير بالمصلحة الشخصية ، فينطلق ليفكر في الآخرة ، هدفه رضا الله والجنة ، لذلك فهو يعمل على بناء نفسه وشخصيته ، على أسس إسلامية ، ليتحوّل إلى إنسان يقوم بعملية الإرشاد ، والنصح المستمر ، لا يريد منفعة ولا أجراً من أحد ، ولا يقوم بذلك لمصلحة سياسية ، كما نرى في ممارسات السياسيين الدنيويين ، فكم من (مصلح) يقوم بما يقوم به ، من أجل الشهرة أو من أجل تحصيل مكسب مادي ، أو من أجل تحصيل مكسب سياسي ، فإذا ما انتفت هذه المصلحة تراه ينكفيء على عقبه ، ويعتبر أن دوره قد انتهى ، لأنه كان يريد شيئاً معيناً ولأنه لم يتحقق ، فإنه يتخلى عن دوره في النصيحة .

الزاوية الثالثة : النصيحة والرقابة من مقومات استمرار الإسلام في الحياة .

يعتبر الإسلام المبدأ الأوحد الذي وضع مناهج وأساليب لحماية نفسه واستمراره وبقائه ، ولحماية حامله ومعتنقيه من الانحراف .

فالإسلام وحده ينص على مبدأ الرقابة الاجتماعية ، ولا يوجد نظام في العالم ينص على ذلك غيره فكل فرد في المجتمع الإسلامي ، رقيب على نفسه وغيره ، وناصح لنفسه ولغيره ، على قاعدة أن : المؤمن مرآة أخيه ، والدين النصيحة .

وهنا نرى أن جوهر الدين هو النصح ، فمن كان في نفسه غش أو خداع فهو بعيد عن الإيمان ، كما ورد في الحديث : « من غشنا ليس منا » والغش يكون في الجانب المادي المصلحي ، والتجاري ، ويكون أيضاً في الجانب النفسي والجانب التربوي والأخلاقي ، وفي الجانب السياسي وجميع جوانب الحياة .

لذلك نرى أن الإسلام بحسب مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قد جعل النصيحة في مرتبة أولى ، قبل الوصول إلى مرتبة الإلزام ، ومرتبة العلاقات الاجتماعية التي هي قاعدة العلاقات الإنسانية .

... لعلّ المخطيء يتراجع ، فإذا لم ينفع أسلوب النصيحة فإنه يستخدم

أسلوب الإلزام الذي يقول : « من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وتعالج النصيحة الأمور بالإرشاد قبل الوقوع في الخطأ ، وكذلك بعد الوقوع فيه حتى لا يقع الخطأ مرة ثانية . . .

الزاوية الرابعة : النصيحة السياسية - النصيحة لغير المسلمين .

وأعلى مراتب النصيحة كما يحددها الإسلام : النصيحة لأئمة المسلمين ، والمقصود بالنصيحة للأئمة ، كما ذكرنا سابقاً ، يعني النصيحة السياسية ، باعتبار أن النظام السياسي والقيادات السياسية ، هي ذات تأثير كبير على مجمل الوضع الاجتماعي ، فيما يخص حرية الناس ، وضمان الحياة الكريمة ، والكرامة الإنسانية للمجتمع الإسلامي ، فإذا ما غش الحاكم ساء الوضع السياسي والاجتماعي وأدى ذلك إلى أخطاء كثيرة ، ربما يستطيع العدو الخارجي أن ينفذ من خلال هذه الثغرات ، ليحقق أهدافاً في الإساءة إلى الأمة والمبدأ ، وهذا المبدأ يتناقض كلياً مع النظرة العلمانية للسياسة والتي تقول : بأن السياسة هي عملية خداع وغش بينما يرى الإسلام أن السياسة هي واجب خدمة الناس ، وحل مشاكلهم ، وتأمين حوائجهم بإخلاص وأمانة .

عن أبي عبد الله (ع) قال : « قال رسول الله (ص) من سعى في حاجة لأخيه فلم ينصحه فقد خان الله ورسوله » .
وقال الصادق (ع) : « من مشى في حاجة أخيه ثم لم ينصحه فيها ، كمن خان الله ورسوله ، وكان الله خصمه » .

ولا يكون العبد نصوحاً ، ولا تقبل نصيحته إلا إذا كان خالياً من كل غش وحسد . فقد روي أن رسول الله (ص) شهد لرجل من الأنصار بأنه من أهل الجنة وكان باعته ، بعد التفحص ، خلوه من الغش والحسد .

وروي أيضاً أن موسى (ع) لما تعجل إلى ربه رأى في ظل العرش رجلاً غبطة في مكانه وقال : « إن هذا لكریم عند ربه ، فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه ، وقال أحدثك عن عمله : كان لا يحسد الناس على ما أتاهم الله من

فضله ، وكان لا يعق والديه ، ولا يمشي بالنميمة» (٢٦) .

ومن المعلوم أن المبدأ السياسي الميكافيلي يرى بأن : الغاية تبرر الوسيلة .

أما في الإسلام فالغاية لا تبرر الوسيلة وشرف الغاية ، يتطلب الوسيلة الشريفة لأن الغاية في الإسلام هي من جنس الوسيلة ، وإذا كانت الغاية شريفة فلا بد أن تكون الوسيلة شريفة .

النصيحة لغير المسلمين .

وإذا كانت النصيحة واجبة لأهل الإسلام ، فهل يعني أننا لا ننصح غير المسلمين ؟ .

إن الإسلام يرى أن النصيحة تتعدى إلى غير المسلمين ، بشرط عدم كون هؤلاء محاربيين لله ولرسوله .

يقول تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ [١] .

والنصيحة أيضاً توجه إلى جميع مواطني الدولة الإسلامية ، باعتبارهم يعيشون في ديار الإسلام ، ودار الإسلام تشمل المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب .

الزاوية الخامسة : النصيحة تدخل الجنة بغير عمل .

إن النصيحة تدخل الجنة بغير عمل ، أي أن الإنسان الناصح يكون قد دخل الجنة بعمله غير المباشر ، بل بفكره ، وعقله ، وقدرته ، على الإرشاد ، والتخطيط ، فتأثيره معنوي وذلك بإرشاده للآخرين ، ليوجههم إلى العمل العام في المجتمع فيكون بأسره عاملاً من خلال نصيحة هذا الرجل ، وقيمة عمله بقيمة المجتمع بأسره ، لذلك فإنه يدخل الجنة من دون أن يعمل عملاً جسدياً بل عملاً معنوياً ، من خلال القول والإرشاد والنصيحة لأهل الإسلام ، وغيرهم من رعايا دولة التوحيد والعدل .

[١] سورة الممتحنة : الآية ٨ .

مصادر ومراجع البحث

- (١) فروع الكافي ج ٨ ص ١٤٦ .
- (٢) الترغيب والترهيب ج ٢ ص ٥٧٧ .
- (٣) المصدر السابق .
- (٤) تنبيه الخواطر ص ٤٣٢ .
- (٥) مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٤١٢ .
- (٦)(٧) ميزان الحكمة .
- (٨) كنز العمال خطبة ٦٨٧ .
- (٩) نهج البلاغة خطبة ١١٨ .
- (١٠) تحف العقول ص ٢٢ .
- (١١) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٥٨ .
- (١٤) غرر الحكم .
- (١٥)(١٦)(١٧)(١٨) غرر الحكم .
- (١٩) نهج البلاغة خطبة ١٧٦ .
- (٢٠)(٢١)(٢٢)(٢٣)(٢٤) غرر الحكم .
- (٢٥) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١٠٣ .
- (٢٦) جامع السعادات ج ٢ ص ٢١٨ - ٢٢٠ .



ترك الكذب في الهزل والجد

لا طعم للايمان إلا بترك الكذب في الهزل والجد.

محتويات البحث

- ١ - آيات كريمات .
- ٢ - حديث شريف .
- ٣ - الكذب أعظم الرذائل .
- ٤ - راقب نفسك تنج .
- ٥ - المنازل الرفيعة عند الله تعالى رهن بالصدق في القول والعمال .
 - أ - لا تُلقن غيرك أحاديث الكذب .
 - ب - من الكذب أن تعد أطفالك ثم لا تفي .
- ٦ - الكذب شين ، وفحش ، ودناءة ، وشرّ الشيم .
- ٧ - الكذب عمل النار ، والصدق عمل الجنة .
- ٨ - الكذب شر من الخمر .
- ٩ - الكذب والهزل .
- ١٠ - الكذب والإيمان لا يجتمعان .
- ١١ - أنواع الكذب :
 - أ - الكذب العقائدي .
 - ب - الكذب الاجتماعي .
 - ج - الكذب السياسي .
- ١٢ - منى يجوز الكذب ؟ .

- ١٣ - إياكم وأقل الكذب حتى الكذبية !
- ١٤ - ما هي علة الكذب ؟
- ١٥ - آثار الكذب وثمرته .
- ١٦ - الكذب على الله ورسوله .
- ١٧ - الكذب والتورية .
- ١٨ - استماع الكذب .
- ١٩ - مصادر ومراجع البحث .



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [١] .

﴿ سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ إَعْرِضْ عَنْهُمْ إِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوكَ شَيْئاً . . . ﴾ [٢] .

﴿ . . . فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [٣] .

* * *

وقال أمير المؤمنين (ع) : « لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجدّه » [٤] .

* * *

[١] سورة الأحزاب : الآية ٧٠ .

[٢] سورة المائدة : الآية ٤٢ .

[٣] سورة الأنعام : الآية ١٤٤ .

[٤] بحار الأنوار ج ٧٨ ، ص ٢٥٢ .

الكذب أعظم الرذائل :

لا شك ولا ريب أنّ الكذب رذيلة محضة تنبيء عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها ، فيندفع إلى الأثم من غير ضرورة مزعجة ، والمرء قد يستسهل الكذب حين يمزج ، حاسباً أن اللهولا حظرفيه على تلفيق أخبار أو اختلاق ، ولكن الإسلام الذي أباح الترويح عن القلوب لم يرض وسيلة لذلك إلا في حدود الصدق المحض .

والذي يؤكد أن الكذب رذيلة من الرذائل ذات العواقب السوخيمة ، كونه أقبح الذنوب وأفحشها وأخبث العيوب وأشنعها ، وإنّ الذي يكذب عامداً يلعنه سبعون ألف ملك وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش فيلعنه حملة العرش كما في بعض الروايات .

وقد قال الرسول (ص) : « ويل للذي يحدث الحديث ليضحك منه القوم فيكذب ويل له . . . ويل له . وقال : أنا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً » .

« كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له كاذب »^(١) .

« تحرّوا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه فإنّ فيه النجاة »^(٢) .

وقال علي (ع) : « الكذب زوال المنطق عن الوضع الإلهي »^(٣) .

إنّ اللهو بالكذب كثيراً ما ينتهي إلى أحزان وعدوات .

وإن الصدق في الأقوال يؤدي بصاحبه إلى الصدق في الأعمال والصلاح في الأحوال ، ويجعل ضياء الحق يسطع على قلبه وعلى فكره .

يقول الله عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾^[١] .

[١] سورة الأحزاب : الآية ٧٠ .

وهكذا فإن نجاح الأمم في إداء رسالتها يعود إلى ما يقدمه بنوها من أعمال صادقة .

وقال (ص) : « إياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور وهما في النار »^(٤) .
 « لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً »^(٥) .
 وعلى هذا الأساس لا بد للمرء أن يكون بعيداً عن الكذب في هزله وجده وأن يغرس فضيلة الصدق في نفوس أطفاله ومن حوله .
 راقب نفسك تنج .

قال الله سبحانه : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾^[١] .
 ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾^[٢] .

إن الرقابة الإلهية خير واق من الإنزلاق في العيوب والخطايا قولاً وفعلاً ، والرقيب والعتيد ملكان كريمان مكلفان بإحصاء الحسنات والسيئات على كل مخلوق مكلف ، وسيجدها في كتاب لا يغادر كبيرة ولا صغير إلا أحصاها ، ولا خير في أي كلام (سرّاً أو علانية) ، إلا إذا كان أمراً بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس . . . وليتنبه الإنسان إلى كل كلمة تصدر عنه ، لأن الملائكة تسجل حتى الصغير وقد ورد أن الملكين يقول أحدهما للآخر : (اكتب الصغير وعلى الله التفسير) .

وقال الرسول (ص) : « لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وإن كان صادقاً » .

« أعظم الخطايا اللسان الكذوب »^(٦) .

« الكذب ينقص الرزق » .

إن كمال الإيمان لا يكون إلا بترك المزاح ، وترك المراء ، لأن من أعظم

[١] سورة ق : الآية ١٨ .

[٢] سورة النساء : الآية ١١٣ .

الخطايا ، وأشدّ الذنوب لسانا كذوباً ولو مزاحاً ، وكيف يكذب إنسان عاقل وهو يعلم أن الكذب ينقص له رزقه . . .

وعن علي عليه أفضل الصلاة والسلام : « أقل شيء الصدق والأمانة ، أكثر شيء الكذب والخيانة »^(٧) ، « شر القول الكذب »^(٨) .

وقال الصادق (ع) : إنّ العاقل لا يكذب ، وإن كان فيه هواه »^(٩) .

« فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك . . . وترك الكذب تشريفاً للصدق »^(١٠) .

أن نكون صادقين أمناء شيء جميل ، وهو أقل شيء يجب علينا القيام به .
أما أن نكون عكس ذلك فلا شيء أكبر ولا أخطر .

فالصدق والأمانة توأمان ، وعلى كل مؤمن عاقل أن يتحلّى بهما - فتحسن علاقاته مع الآخرين ، وتحمل هذه العلاقات مع الله وتطمئن النفس .

أما الخائن والكذاب فعلاقاته سيئة مع الآخرين ، ولا وفاق له مع الله ونفسه ، فهو دائماً في ارتباك وتشويش واضطراب ، والكذاب كالخائن لا يكون مؤمناً أبداً ، إذ أن الإيمان صدق وأمانة ، فلا يجوز أن يلوث بالكذب والخيانة .

وعن علي (ع) : « الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك ، على الكذب حيث ينفّعك »^(١١) .

« إياكم والكذب فإنّ كل راج طالب ، وكل خائن هارب »^(١٢) .

ليس الضرر أن يخسر الإنسان مبلغاً من المال في تجارة ونحوها ، أو أن يضيّع شيئاً ذا قيمة وقدر، بل الضرر الحقيقي أن نضيع ثقة الناس بنا وأن نخسر الإطمئنان والراحة النفسية ، وأن نقع ضمن دائرة الغضب الإلهي ، وذلك بسبب عدم اهتمامنا بالصدق ، وأن نتعامل مع الأمور بطريقة اللامبالاة ، ناسين أن الكذب يقود إلى الفجور والفجور يقود إلى النار ، وغضب الجبار (أعاذنا الله من ذلك) - والسؤال المطلوب طرحه الآن :

ما هو طعم الإيمان : وبأي شيء يرتبط ؟ الجواب : أن الإيمان له طعم لا

أطيب ولا ألد ، هذا الطعم يرتبط بالقيم الأخلاقية ، وإذا كان خارج الأخلاق والفضيلة ، فإنه يفقد الأساس الذي بني عليه - والكفر كذلك له طعم ، ولكنه خبيث لا يلد ولا يريح .

إن طعم الإيمان يتلخص بالانسجام الكامل بين الإنسان والكون ، بحيث يعيش حالة من الشعور بالإطمئنان ، وهو ما يحصله فقط من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، فيخلق هذا الإيمان توازناً عنده ، ويجعله مطمئناً إلى وجوده ، وحياته ، فيشعر بالسعادة التي وعده الله بها في الدنيا والآخرة انسجاماً مع الآية الكريمة : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [١] .

وعلى أساس الارتباط بين المؤمن ، وبين الكون نستطيع القول : إنَّ الكذب يخالف ذلك الارتباط فكل شيء في الكون وجد وفق نظام دقيق متوازن في كل شيء .

ولمزيد من البيان نقول : إنَّ من الروابط التي تشد أجزاء الكون بعضها إلى بعض (الجاذبية) وبفضل الجاذبية فإن الكواكب تدور في أفلاكها ضمن نظام دقيق بحيث لا يغادر أي كوكب منها مداره ، حتى للحظة واحدة - ثم إنَّ ازدياد حرارة الشمس أو ازدياد قوة الجاذبية أو نقصانها يؤثر على جميع الكواكب الأخرى ، فيخرب النظام الشمسي بكامله : فلولا الجاذبية لتطايرت الجبال من الأرض بسبب الدوران . ولو اقتربت الشمس أكثر من الأرض لاحترق كل شيء ، ولو علت وبعدت أكثر لتجمد كل شيء على الأرض ، لذلك كانت المسافة الفاصلة بين الشمس والأرض هي المسافة المطلوبة بلا زيادة أو نقصان ، والإنسان جزء من هذا الكون ، الذي تحكمه قوانين معينة ، لذلك ينبغي أن يكون منسجماً مع هذا الكون ، وقوانين الطبيعة صادقة في عملها مع خالقها . . . فعلى الإنسان أن يكون صادقاً مع خالقه ومع الخلق .

رائحة الكذب :

ثم ألا يكفي أنَّ الكذاب لا تواصل له مع الملائكة ، ولا اقتراب منهم نحوه ، وذلك لرائحته الكريهة .

[١] سورة الروم : الآية ٣٠ .

فقد قال (ص) : « إذا كذب العبد تباعد الملك عنه ميلاً من نتن ما جاء به » (١٣) .

وعلى هذا فأعمال العباد نوعان :

نوع له رائحة الورود الزكية ، وآخر له رائحة الجيف النتنة .

فكل ما يصدر عن المؤمن الصادق من أعمال له رائحة المسك والعنبر ، وكل ما يصدر عن الكذاب له رائحة تشمئز منها النفوس وتعافها ، والصدق يرفع صاحبه إلى درجة الملائكة .

والملك مهما كان عند الله عظيماً ومقدراً ، لا يكره أن يلتقي بالمؤمن الصادق الأمين بل يحب ويرغب .

ألا يكفي الصدق قدراً أن يحمل أصحابه إلى هذه الدرجات العلى ، درجات الملائكة المقربين من الله .

والنتن هي أحبب الروائح كراهة لا بل الأخبث بينها . والقيام بكل عمل قبيح يقودنا إلى رائحة تبعد عنا الملائكة وتغضب علينا الرب .

المنازل الرفيعة عند الله رهن بالصدق في القول والعمل :

يقول علي (ع) : « وقد علمتم موضعي من رسول الله (ص) بالقربة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل » (١٤) .

أجل ، لو كان الكذب جميلاً لارتضاه الرسول (ص) لعلي (ع) ، ولو كان الخطل جيداً لقبه له . يقول عليه الصلاة والسلام : « لقد علمتم موضعي من رسول الله » - والرسول (ص) لا ينطق عن الهوى - وهو الذي جاء برسالة الأخلاق - وكان على خلق كريم فلعلي - (ع) من رسول الله (ص) قرابة ولا أقرب ، وله منه منزلة ولا أنخص . ولقد رباه في حجره ، وكانت التربة فاضلة ، لا كذب في قول ولا خطل في فعل - والخطل من عائلة الكذب وزمرته - فمن لم يقدر أن يكون مثلهم فليتشبه بهم لأن التشبه بالكرام فلاح .

لا تلقن غيرك أحاديث الكذب :

عن رسول الله (ص) أنه قال : « لا تلقنوا الناس فيكذبون ، فإن بني يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل الإنسان فلما لقنهم ﴿ إني أخاف أن يأكله الذئب ﴾ قالوا : أكله الذئب »^(١٥) .

كثيراً ما نمازح أطفالنا فنذكر أمامهم بعض الحكايات أو الأحاديث غير الصحيحة مثلاً ، وكثيراً ما نخوفهم من أمور وهمية ، أو نرغبهم بأمور مستحيلة ، كل هذا له مردود سلبي على نفوسهم لأنه يؤدي إلى زعزعة ثقتهم بنا ، ويتعلمون أشياء لا تعود عليهم إلا بالضرر ونكون نحن السبب في ذلك .

والكذاب شريك الشيطان ، فكلاهما مفسد ، وغفل بكل ارتباط في مسيرة الإنسان الحياتية . وإنّ الشيطان يتوسل إلى الكذاب ، ويتودد له ، لكي يرضيه ويجعله يتماهى في كذبه وفي بعده عن أي عمل إيجابي ، وفي عمل الكذاب والشيطان تشابه وتقاطع . والنفاق قاسم مشترك بين عمل الكذاب والشيطان . وما أكثر المنافقين في هذا العالم . . ولكن إلى أين ؟ .

يقول تعالى : ﴿ إنّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار ﴾^[١] .

من الكذب أن تعد أطفالك ثم لا تفي لهم :

١ - قال الرسول (ص) : « إنّ الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ، ولا أن يعد الرجل ابنه ، ثم لا ينجز له ، إنّ الصدق يهدي إلى البر وإنّ البر يهدي إلى الجنة ، وإنّ الكذب يهدي إلى الفجور ، وإنّ الفجور يهدي إلى النار . . . »^(١٦) .

٢ - وقد قال علي (ع) : « لا يصلح من الكذب جدّ ولا هزل ، ولا أن يعد أحدكم صبيته ثم لا يفي له ، إنّ الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار »^(١٧) .

٣ - « وعن عبد الله بن عامر قال : دعني أُمي يوماً ، ورسول الله صلى الله

[١] سورة النساء : الآية ١٤٥ .

عليه وآله قاعد في بيتنا ، فقالت : ها ها تعالى أعطك ، فقال لها ، رسول الله صلى الله عليه وآله : ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : أردت أن أعطيه تمرأ ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة «(١٨)» .

ويقول الكاظم (ع) : « إذا وعدتم الصغار فأوفوا لهم ، فإنهم يرون أنكم أنتم الذين ترزقونهم ، وإن الله لا يغضب بشيء كغضبه للنساء والصبيان »(١٩) .

من الواضح أن الطفل كالورقة البيضاء ، يؤثر فيه أدنى المؤثرات ، وهو يرى أن والديه هما القدوة في كل شيء والمثال الأعلى ، لذلك ينبغي على الأبوين أن يراعيا هذا الجانب أيما مراعاة حتى لا يتعلم الطفل العادات القبيحة ، والأعمال السيئة ، بدل أن يغرس في نفسه الفضائل والخصال الحميدة .

وانطلاقاً من هذه الحقيقة التربوية ، فإن التوجيهات الإسلامية ركزت بوضوح على هذا الأمر ، وورد النبي الصريح عن أن يعد الأهل ولدهم ثم لا يفون له ، لأن ذلك يجعله كذاباً ، وتحمل الأهل كامل المسؤولية في ذلك في الدنيا والآخرة .

ولأغروا أن نجد رسول الله (ص) يعالج هذه المسألة ، ويقف عندها ، حتى أنه يتدخل في التصرفات الجزئية للناس فيقول للمرأة التي نادت ابنها لتعطيه تمرأ ، « أما أنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة » .

يا سبحان الله ، حتى مثل هذا يحاسب الله عليه ويعاقب ، إنها عبقرية الإسلام في كل الشؤون والمجالات . . .

والله تعالى ، كما جاء في الخبر ، لا يغضب بشيء كغضبه للنساء والصبيان » . يقول الكاظم ذلك ، في سياق الحديث عن الوفاء بالوعد للطفل الصغير ، الذي لا يعرف الكذب والتلون ، بل يعيش الصدق على أساس الفطرة ، وهو يرى أن والديه يرزقانه ، وعدم الوفاء له بالوعد يرسم في نفسه علامات استفهام كثيرة لا تمحى من أعماقه ، يفقد الثقة بالكبار ، وبوالدين ، وينعكس ذلك على تدينه مستقبلاً ، وعلى شخصيته ، وقد يوصله إذا ما تركزت هذه الخصلة في نفسه لأن يكون من الكاذبين في علاقاته وارتباطاته مع

الآخرين . . . وربما يتحول إلى منافق ، أو محتال ، أو مخادع ، . . . كل ذلك بسبب القدوة السيئة ، والتربية الفاسدة ، لذلك فإن الله تعالى يعاقب على ذلك ويغضب .

الكذب شين ، وفحش ، ودناءة ، وشر الشيم :

عن علي (ع) أنه قال : « الكذب شين الأخلاق »^(٢٠) ، « تحفظوا من الكذب فإنه أدنى الأخلاق قدراً ، وهو نوع من الفحش ، وضرب من الدناءة »^(٢١) ، « أقبح شيء الإفك - أقبح الخلائق الكذب - شر الأخلاق الكذب والنفاق - شر الشيم الكذب - لا شيمة أقبح من الكذب »^(٢٢) .

إن الأخلاق الفاضلة سبب استمرارية الأمم واستقرار مجدها وازدهارها ، ولولا الأخلاق لذهبت الأمم ، وتلاشت الحضارة ، ولعمت الفوضى ، وساد الفساد ، ولانقلبت الحياة عبثاً ثقيلاً لا يطاق . يقول الشاعر :

ولئما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن ذهبت أخلاقهم هم ذهبوا
والكذب كما نعلم هو آفة من الآفات الخلقية العظمى وهو مفسد كل صالح ، ومعه لا يقوم شيء ، والأخلاق التي هي الدعامة لمسيرة الإنسانية لا يخاف عليها إلا من الكذب . وأمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام يحذرنا من الكذب - فيقول (ع) : « تحفظوا من الكذب » كما مرّ عليك .

والتحفظ هنا يعني التنبه ويعني الإحتياط . ولم يطلق الأمير هذا القول إلا لمعرفة الكذب ومضاره - وقد وصفه بالفحش والدناءة . وشين الأخلاق ، وأدناها .

فعلى المؤمنين أن يتحفظوا من الكذب وأن يعملوا بقول أمير المؤمنين (ع) ، حتى لا يقعوا في مهاوي الكذب وحفائره ، (أعاذنا الله من الكذب وفحشه ودناءته) .

الكذب مفتاح الخبائث :

إن للشيطان كحلاً ولعوقاً ونشوقاً كما في بعض الروايات .

أما لعوقه فالكذب وأما نشوقه فالغضب وأما كحله فالنوم . وكلها من وساوس الشيطان وأحاييله فبوساوس الشيطان ، وأحاييله يخرب الإيمان وتحصل الندامة .

وفي الحديث : « أن الخبائث كلها جعلت في بيت واحد وجعل مفتاحها الكذب » .

إن الإنسان هذا المخلوق العجيب ، خليفة الله على هذه الأرض ، مكون من مادة وروح ، ولا بد من الإنسجام بين جسد الإنسان وروحه ، حتى ينسجم الإنسان والكون ، فالإنسجام الأول إنسجام داخلي ، والإنسجام الثاني خارجي ، فالإنسجام الداخلي والإنسجام الخارجي ، وبانسجامهما مع بعضهما البعض ، تسير سفينة الحياة بكل طمأنينة ، وتبحر وتصل إلى شاطئ الأمان ، وذلك كما يحب الله ويرضى ، محققة لمصلحة الإنسان في كل مكان وزمان .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [١] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَفْلَحُونَ ﴾ [٢] .

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ بَلْ هُمْ فِي أَمْرٍ مُرِيحٍ ﴾ [٣] .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [٤] .

إن الإسراف في الكذب يؤدي بالإنسان إلى الفشل والآنزواء عن الناس ، وإن الذين يبنون بنيانهم على أساس الباطل تختلط عليهم الأمور ، فيتيهون ولا يعرفون للباطل حداً .

والذين بعدوا عن الله ، وعن رسالته ، هؤلاء هم الذين يفترون الكذب لأنهم لا يؤمنون ، لأن من خصائص أهل الفسق والانحراف الكذب والإفتراء .
والإفتراء يعني التعدي وتجاوز الحدود المرسومة ، وانتهاك الحرمات .

[١] سورة غافر : الآية ٢٨ .

[٢] سورة النحل : الآية ١٦ .

[٣] سورة ق : الآية ٥ .

[٤] سورة الأنعام : الآية ١٤٤ .

النظام الكوني صادق لا يختلف ولا (يكذب) :

١ - إنّ الكذاب لا يكون مؤمناً ، بل جاحداً لأنه يكذب بآيات الله الكونية التي هي مخلوقاته وآثاره في هذا الكون من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، فالذين لا يؤمنون بأن هذه المخلوقات هي من صنع الله وآثاره يعدّون من الكذبة لأنّ عقولهم ، لو لم يأسرها الهوى لشهدت بذلك . فالله تبارك وتعالى ، لم يخلق السماوات والأرض إلّا بالحق . وهو يريد من الإنسان أن يفعل ما يريد الله بالحقّ والصدق أيضاً . والمخلوق ينبغي أن يتخلّق بأخلاق الخالق ، لأنه خليفته في الأرض .

وقوانين الكون مستقرة ومستمرة وهذا يظهر صدقها فلو كانت هذه القوانين غير صادقة لاختلّ النظام الكوني .

٢ - وكذلك من ينكر آيات الله التي أنزل على رسله من خلال كتبه السماوية ، يكون كذاباً ، لأنّه لو استخدم عقله ، كما قلنا آنفاً لأدرك صحتها وأنها على حقّ .

إنّ الإنسان له جانبان : أ - جانب إرادي ب - جانب غير إرادي . والجانب اللاإرادي فيه دقيق العمل ، صادق في تنفيذ ما وجد لأجله . فجريان الدم في العروق مثلاً ، ومسألة الابصار بالعيون ، والسمع في الأذان كلها دقيقة في حركتها . ولو لم تعمل هذه الجوارح بهذا الشكل لاختلت حياة هذا الإنسان ، ولارتبك نظام حياته .

وفي الجانب الإرادي يختار الإنسان طريقه دون إخراج أو إلزام . ومن هنا نستنتج ، كما أسلفنا بأن الصدق والحقّ هما سمة هذا الكون ، فمطلوب من الكائنات والمخلوقات أن لا تخرج على إرادة المكوّن وذلك ضمن المشيئة الربانية العالية الدقة ، الراقية التدبير والتنظيم .

الكذب عمل النار ، والصدق عمل الجنة :

وفي الحديث : « إنّ رجلاً جاء إلى النبي (ص) فقال : يا رسول الله ما عمل الجنة ؟ قال : الصدق إذا صدق العبد برّ ، وإذا برّ آمن ، وإذا آمن دخل

الجنة ، قال : يا رسول الله وما عمل النار ؟ قال : الكذب إذا كذب العبد فجر ، وإذا فجر كفر ، وإذا كفر يعني دخل النار» (٢٣) .

والسؤال الآن : كيف يدخل الصدق الإنسان الجنة ؟ وكيف يدخله الكذب النار ؟ .

الجواب : إنّ الصدق بر وإنّ البر هو عمل الخير الخالي من المنة والرياء والتكلف .

وبعبارة أخرى هو الإيمان بالله والتكامل مع ما أوجد من مخلوقات ، وانسجام مع نظام هذا الكون وقانونه الربّاني . وبعد هذا - فالجنة في الإنتظار ، وما ربك بغافل عما يعملهم الناس ، خيراً كان أو شراً ، وإنّ الكذب فجور والفجور كفر والحاد ، ونكران للحق . . . وبعد كل هذا لا ريب أن النار في الإنتظار ، لأمثال هذه النماذج الهابطة في مستواها الإنساني ، الرفضة لشرعة التسليم لله سبحانه ، العابدة للطواغيت والأهواء . والكذاب بسبب كذبه ، تنقطع علاقته مع ربه ، وعباد الله المخلصين ، ويحذف اسمه من سجل الصادقين الذين يرثون الأرض .

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ، إنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ [١٦] .

والصالحون هنا هم المؤمنون الذين يذوقون طعم الإيمان ، بإطاعتهم لله وصدقهم الكامل ، وعدم ابتعادهم عن طريق الله الحق .

الكذب شر من الخمر :

وعن الإمام الباقر (ع) أنه قال : « أن الله عز وجل جعل للشرّ أفضالاً ، وجعل مفاتيح تلك الأفعال الشراب ، والكذب شرّ من الشراب » (٢٤) .

من الواضح أن الشر هو كل قول ، أو عمل يجلب الأذى ، أو يدفع إلى السلبية تجاه النفس أو الغير . والأفعال مفردة : (قفل) ، وهو الآلة التي توصد

[١] سورة الأنبياء : الآية ١٠٥ .

بها الأبواب ، وتجعلها محكمة الإغلاق ، ولهذه الأقفال مفاتيح ومن هذه المفاتيح ، (الشراب) . ومن هنا نستنتج أنّ الشراب المسكر له تأثير سلبي كبير ، يقود صاحبه إلى مهاوي الرذيلة ، ويبعده عن الأخلاق والفضيلة . ومع ذلك فالكذب شرّ من الشراب أجارنا الله من الكذب وموبقاته .

فكما أنّ النور يقابله الظلام ، فإنّ الحقّ يقابله الباطل ، والكذب هو روح الباطل وأساسه ، وهو القاطع للعلاقات بين الأفراد ، والمجتمعات كما قلنا مراراً . ويكفي الكذب عقاباً أنه يفقد طعم الحياة الطيب ، لذلك كان للمؤمن نور يمشي بين يديه - وللكذاب ظلام يتيه فيه ، فكيف له أن يهتدي إلى الصراط السوي ، وهو يغرق في دياجير الظلمة .

وعن علي (ع) أنه قال : « جانبوا الكذب فإنّه بجانب للإيمان ، الصادق على شفا منجاة وكرامة ، والكاذب على شرف مهواة ومهانة - » (٢٥) .

وعن الباقر (ع) : « إنّ الكذب خراب الإيمان » (٢٦) ، وقيل : « الصادق على سبيل منجاة وكرامة ، والكذاب على شفا هلك وهون » .

وعن الرسول (ص) : « كثرة الكذب تمحو الإيمان » (٢٧) .

وفي حديث شريف : « أنّ رجلاً قال للنبي (ص) أنا يا رسول الله استسر بخلال أربع : الزنا - شرب الخمر - السرقة - والكذب - فأيتها شئت تركتها لك : قال (ص) : دع الكذب ، فلما وليّ همّ بالزنا فقال : يسألني فإن جحدت نقضت ما جعلت له ، وإن أقررت حددت . ثم همّ بالسرقة ، ثم بشرب الخمر ، ففكر في مثل ذلك - فرجع إليه فقال : لقد أخذت عليّ السبيل كلّ فقد تركتهنّ أجمع » (٢٨) .

أجل إنّ هذه العيوب الأربعة : الزنا - شرب الخمر - السرقة ، والكذب ، كلها موبقات ، وعلى العاقل أن يتخلص منها ، وإلاّ ندم حين لا ينفع الندم .

إلاّ أنّ الكذب أكثرها شراً ، وأعظمها ضرراً ، وهو أمّ المفاسد . فإذا تخلصنا منه ، تخلصنا من كل فساد وابتعدنا عن كل عيب . فالصادق لا ينقض الوعد ، إذا عاهد ، ولا ينكر الحق ويفعل ما في استطاعته للإبتعاد عن كل منكر

من شرب وسرقة ونحوه . والإلتزام بكل ما هو إيماني وعقيدي ، وأخلاقي ، أمر واجب ومفروغ منه . فعلى العبد أن يكون إيمانه بالله كاملاً وولاًؤه له مطلقاً ، ولا فائدة تعود على الذين يحاولون من خلال نظريات معينة ، يطرحونها لتحريف الخط الرسالي الصحيح ، بل أنّ الضرر كلّه سيلحق بهم في الدنيا والآخرة ، لأن الله تكفل بحفظ دينه ، وفي ذلك فضيحة لمن كذب وافترى . والضرر الكبير على الأشخاص الذين يتبوؤن مراكز حساسة في العمل الإسلامي ، ويتبنون مواقف مغايرة للخط الإسلامي الصحيح ، اتكالا على أنفسهم أو على القوى الخارجية التي تساندتهم ورفضاً لأوامر الشرع المتمثلة بطاعة أولي الأمر من المعصومين (ع) والعلماء الفقهاء جامعي الشرائط ، ضمن إطار ولاية الفقيه .

وهذا ما يؤدي إلى النكسات ، والسبب هو الكذب وعدم الأخذ بجدية الخط الرسالي الشريف .

الكذب والهزل :

... ولنقل للذين يكذبون ويدّعون أنه هزل للترويح عن النفس ، إنّ الإسلام كلّه جدّ ، ولا يبنى على الهزل أبداً ، وهويقاتل ، ويقتحم حصون الكفر ، ويقارع الباطل منذ انطلاقة الأولى . والأجدر بهم أن يقلعوا عن كذبهم (هزلاً وجداً) ، لأنّ حججهم الواهية لن تنفعهم أبداً .

ويجب على المؤمن على كل طبيعة إلاّ الخيانة والكذب ، ومن رحمة الله بالعباد أنّ العبد إذا هفا هفوة ، أو كذب كذبة ثم عاد فتاب - تاب الله عليه وعفا عنه .

عن رسول الله (ص) : أنّه قال : « أنا زعيم بيت في ربض الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في أعلى الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً ولمن ترك الكذب وإن كان هازلاً ولمن حسن خلقه » (٢٩) .

إنّ المراء والمهارة من الجدل العقيم ، الذي لا نفع يرجى منه ، لذلك جاء في الحديث : « لا تمار وإن كنت محقاً » .

وقال رسول الله (ص) : « لتارك المراء وإن كان محقاً بيت في الجنة بل في أعلى الجنة ولمن ترك الكذب وإن كان هازلاً » (٣٠) .

إنَّ الهزل مضر في أي من الأمور ، كفانا الله مؤنته إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وإنَّ الإنسان الكاذب لا قيمة له في المجتمع ، إذ كيف يكون ذلك ، وقيمته لا تحدد إلَّا بقدر صدقه وجده في الأمور الحياتية ، والكذب كما هو معلوم محرّم ، لذا وجب الابتعاد عنه ، وإلَّا دخلنا أنفاقاً مظلمة ، لا يعلم مداها وسوء نتائجها إلَّا الله العلي القدير .

المواقف الثابتة والأباطيل :

إنَّ نظرة الناس إلى الأمور في هذا الكون مختلفة ، لذلك كانوا مختلفين في المواقف . ولكن لا بدّ من قواسم مشتركة توحّد نظرتهم ، وينطلقون منها ، فهذه القواسم أو النقاط المشتركة هي قواعد ثابتة ينبغي أن يكون مسلمّ بها عند الجميع ، ويبقى الاختلاف بينهم في التفاصيل ، ومن هنا تأتي الإفتراءات والأباطيل من الذين لا يؤمنون ، بل يعمدون للقفز فوق القواعد والقواسم المشتركة .

الكذب الصغير والكبير

كان علي بن الحسين (ع) يقول لولده : « اتّقوا الكذب الصغير منه والكبير ، في كلّ جدّ وهزل ، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير » (٣١) .

اتّقوا الكذب الصغير منه والكبير في الجد والهزل ، (لا إله إلَّا الله . . .) أثمتنا عليهم السلام يوصوننا ، ويوصون بنبيهم باتقاء الكذب في كل فعلة كبيرة أو صغيرة ونحن نردد : (الكذب ملح الرجال ، وعيب على من يصدق) . . . إنهم يقولون لنا عليهم أفضل الصلاة والسلام : ﴿ لا تماروا وإن كنتم محقين ﴾ ونحن نقول : (الشاطر ما يموت) . . قاتل الله السفه في العقول ، والشطط في الفعال ، والكذب في المقال ؟ أيجوز أن نسمع كلام أثمتنا (ع) ، وأولياء الله ولا نعمل بما قالوا ؟ .

أيجوز أن نكون من الذين يستمعون القول فلا يتبعون أحسنه ؟ .

هذا، والله إن كان فإنه من عمل شياطين الإنس والجان . .

وحق يتبين الإنسان المسالك الأكثر سلامة والأكثر إطمئناناً في الحياة ، عليه أن يتحاور مع من هم أكثر وعياً منه وأعلم لأنه في حلبة الصراع في هذا العالم ، كائن صغير ، ضعيفة مداركه ومحدودة ، ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ .

الكذب والإيمان لا يجتمعان :

من مميزات شخصية المؤمن الإستقامة والإنسجام مع إرادة الله التكوينية والتشريعية قال تعالى : ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ﴾ [١] .

وتتميز أيضاً بالإنسجام مع الذات ، ومع النفس ، وبالإنسجام مع الحق ، والإلتزام به فلا يمكن أن يكون مؤمناً من كان كاذباً لأن الكذب يعني انحرافاً عن الحق ، وبعداً عن المنهاج الصحيح ، الذي رسمه الله سبحانه وتعالى للناس .

وقد جاء عن رسول الله (ص) : « في رواية عن صفوان بن سليم قال : قيل يا رسول الله أيمكن أن يكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم ، قيل له أيمكن المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم ، قيل له أيمكن المؤمن كذاباً ؟ قال : لا » [٢] .

وعن رسول الله (ص) أنه قال : « كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع » [٣] ، وعنه (ص) أنه قال : « الكذب باب من أبواب النفاق » [٤] ، عن الصادق (ع) أنه قال : « يُجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب » [٥] .

ويقول تعالى : ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ [٦] .

وإن الإيمان والكذب لا يجتمعان عند رجل قط ، فيجب أن نميز بين الكذب الذي ينحرف بالإنسان عن الإيمان وبين الفلتات التي يقع فيها الإنسان مرغماً أو

[١] سورة هود : الآية ١١٢ .

[٢] سورة السجدة : الآية ١٠٥ .

سأهياً ، أو يسبقه لسانه دون أن يكون ذلك عادة مستمرة أو ملكة عنده .

والكذاب هو الذي يكون مطبوعاً على الكذب ، وعلى الإنسان العاقل ألا يأخذ بكل ما يسمع ، بل عليه التحري عن كل قول يقال ، وكل لفظة تلفظ ، لأن الفرق بين الحق والباطل أن ترى وتسمع ، فإذا رأيت فذلك حق ، وإذا سمعت ولم تتحرّ فباطل .

أنواع الكذب :

الكذب العقائدي : وهو ما يسمى بالنفاق ، إذ أن المنافق يظهر غير الذي يبطن ، وخطر هذا النوع من الكذب كبير على الأفراد والمجتمعات ، لذلك بين القرآن أن عقوبة المنافقين هي أشدّ من عقوبة الكفار ، فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار ، وأنتك لن تجد لهم نصيراً ، كما جاء في محكم التنزيل .

الكذب الإجتماعي : ويكون على مستوى العلاقات بين الناس ، وهذا النوع من الكذب الذي يسمى بالدجل الإجتماعي قد يأخذ منحى الجدّ ، وقد يأخذ منحى الهزل . وهو يصدر عن نفوس مريضة ، وسيء إلى الترابط الإجتماعي ، ويضعف الثقة بين الناس فيؤثر بذلك على البناء الإجتماعي كله ، ويخلخل الروابط الإجتماعية ، ممّا يؤدي إلى التفكك في المجتمع ، والتفكك يؤدي إلى حالات من الضعف ، وبروز الأنانيات والصراعات على توافه الأمور ، فينسى المجتمع أنّ له قضية ، وينسى العدو الخارجي ، ويتلهّى بالتالي بالصراعات الداخلية ، وربما أدّى ذلك إلى تقاتل فعلي ، يسيء إلى القضية المركزية والهدف الأعلى للأمة ، وهذا ما يفسّر الصراعات بين القوى السياسية على المستوى المحلي نتيجة لهذه الأسباب .

الكذب السياسي : قد يصدر هذا الكذب عن شخصية سياسية أو عن تنظيم سياسي أو عن دولة . فالقيادة التي تعد الشعب بوعود ولا تفي ، هي زعامة كاذبة ، تهدف إلى وضع الناس في خدمة الشخصية المعينة ، إلى أن تصل الأمور إلى ما يسمى بعبادة الشخصية . وهناك من يتبنى من التنظيمات العلمانية هذا الأسلوب ، ويدّعي أنه ضروري للسياسة وفي السياسة . وعلى هذا الأساس يبرّرون ما يعتقدون من ضرورة فصل الدين عن الحياة ، ومنع علماء الدين من

التدخل في السياسة ، بحجة أنّ السياسة كذب وتدجيل ولا يليق بهؤلاء الدخول في هكذا مجالات ، لذلك صنّفوا الناس إلى صنفين : رجال السياسة (الناهجون نهج الكذب في علاقاتهم) وعلماء الدين الصادقون ، والذين ينبغي عليهم أن يتّرفعوا عن الكذب بالتأكيد . والحقيقة أنّ السياسة هي تدبير لأُمور المجتمع في مختلف المجالات ، وهذا هو المفهوم الإيماني للسياسة . وعالم الدين هو رجل السياسة الحقّة ، الأَمرة بالمعروف ، الناهية عن المنكر ولا فصل بين الدين والسياسة لأنّ الفصل بينهما خداع للشعب . . . والأمة كلّها .

متى يجوز الكذب ؟

لا يجوز الكذب إلّا في ثلاثة مواضع :

١ - في الحرب لأن الحرب خدعة .

٢ - وعد الأهل (الزوجة) وعدم الاتمام ، أو محدثها ليرضيها .

٣ - في الإصلاح (إنّ الله أحب الكذب في الصلاح وأبغض الصدق في الفساد) وفي حديث آخر : « الكذب مذموم إلّا في أمرين :

« دفع شر الظلمة - وإصلاح ذات البين » .

قال رسول الله (ص) « ما لي أراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار ، كل الكذب مكتوب كذباً لا محالة ، إلّا أن يكذب الرجل في الحرب ، فإنّ الحرب خدعة أو يكون بين رجلين شحنة فيصلح بينهما ، أو يحدث إمراًه ليرضيها » .

وإذا كان الكذب يتوقف عليه تحصيل مصلحة مهمة - ولم يمكن التوصل إليها بالصدق ، زالت حرمة ، وارتفع إثم ، فإن كانت المصلحة ممّا يجب تحصيلها ، كإنقاذ مسلم من القتل أو الأسر ، أو حفظ عرضه أو ماله المحترم كان الكذب فيه واجباً .

إياكم وأقل الكذب حتى الكذبية !

عن أسماء بنت عميس قالت : « كنت صاحبة عائشة التي هيأتها ، وأدخلتها على رسول الله (ص) ومعني نسوة قالت : فوالله ما وجدنا عنده إلا قدحاً من لبن ثم ناوله عائشة قالت : فاستحييت الجارية ، فقلت لا تردين يد رسول الله خذي منه ، قالت فأخذته على حياء فشربت منه ثم قال : ناولي صواحبك ، فقلن لا نشتهي قال : لا تجمعن جوعاً وكذباً ، قال : إن الكذب ليكتب حتى يكتب الكذبية كذبية » . (٣٦) .

من هذا الحديث نرى أن الله يحاسب على أقل المفوات ، وأقل الكذبات (الكذبية) ، والمطلوب الانتباه إلى أقل الخطرات التي تخطر على بالنا ، أو أقل الأفكار (الأكاذيب) التي تتراءى لنا ، لأن كل شيء يسجل في كتاب لا يضيع منه شيء . ويظهر من هذا الحديث أيضاً أن رسول الله (ص) كان لا يملك رياشاً ولا أقواتاً مختلفة يتلذذ بأطايها وكان يعيش في حياته عبس الكفاف ، مع أنه كان بمقدوره أن يتمتع بما يقدر على الحصول عليه وهو القادر على ذلك ، ولكن إدراكه لمجريات الحياة ، ولمعرفته لبواطن الأمور ، يرى أن التخفف من حطام الدنيا أسلم ، والإبتعاد عن ملذاتها أجدى . كيف لا وهو مثال القائد الصادق ، مع أمته ومع ربه والمنسجم مع تعاليم دينه . . . يصف التواضع ويلتزم به ، ويأمر بالصدق وهو الصادق الأمين ، بخلاف قيادات الباطل تنادي بحق الفقير ، وبالحرية والإشتراكية وتلتزم بمبدأ القمع والعيش على الطريقة الرأسمالية ، مأكلاً ومشرباً وملكية . . . مع العلم أن النظامين : الإشتراكية والرأسمالية ، في واقع الأمر ، لا يمكن أن يحققا للإنسانية سعادتها ، كما أثبت التجارب ، وعرف القاصي والداني .

ما هي علة الكذب ؟

إن الإنسان لا يكذب إلا إذا كانت نفسه هينة علياً ، وهو يشعر أنه مهان ذليل بين معارفه ، وغير معارفه ، ولن ينجو أبداً فهو على شفا مهواة ومهانة ، وأصل السخرية ، كما في الرواية ، الطمأنينة إلى أهل الكذب ، وعلة الكذب ، أقبح علة .

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [١] .

إنَّ الكَذَّابَ (من أئمة الضلال) له مواصفات كثيرة ؛ كما تذكر بعض الروايات منها :

- ١ - أنه مطبوع على الكذب .
- ٢ - ليس في قلبه موضع إبرة من الصدق .
- ٣ - كَذَّابٌ ويتحرَّى الكذب .
- ٤ - يخبر عن السماء والأرض ولا يعرف عن الحلال والحرام شيئاً .
- ٥ - يهلك بالبيِّنات ويهلك أتباعه بالشبهات .

آثارُ الكذب وثمرته :

- والآن ما هي ثمرة الكذب وآثاره ؟ .
- إنَّ ثمرة الكذب مرَّةً وطعمها كالعلقم .
- وقد جاء في القرآن الكريم :
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [٢] .
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [٣] .
- ﴿ فَأَعْقِبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [٤] .

أما ثمرة الكذب في بعض الأحاديث الشريفة المروية عن أهل البيت (ع) فهي كالآتي :

- ١ - مهانة في الدنيا وعذاب في الآخرة .

[١] سورة الصف : الآية ٢ - ٣ .

[٢] سورة المؤمن : الآية ٢٨ .

[٣] سورة الزمر : الآية ٣ .

[٤] سورة البراءة : الآية ٧٧ .

- ٢ - الكذب يسود الوجه ، ويذهب بهاءه ، ويسود القلب ، ويذهب صفاءه .
 - ٣ - فساد الدين وتعاطف الوزر ، وخيانة وفجور لا بل هو من أعظم الخطايا .
 - ٤ - الندم الذي لا ينفع .
 - ٥ - عار في الدنيا ، ونار في الآخرة . . . انه مهانة بين الناس .
 - ٦ - نفاق ودجل ودناءة .
 - ٧ - ذهاب المروءة وإفقاد الإنسان كرامته .
 - ٨ - قلة الثقة بالكذاب .
 - ٩ - مساواة الكذاب بالميت .
 - ١٠ - الكذاب متهم بقوله وإن صدق وقويت حجته .
 - ١١ - الكذاب منقصة للرزق ، ومورث للفقر .
 - ١٢ - الكذاب فساد كل شيء ، وموجب للوقعة .
 - ١٣ - الكذاب يقرب البعيد ويبعد القريب ، وينحرف بالمنطق عن الصواب .
 - ١٤ - سخط الله على الكاذب ، واستهانة الناس به ، ومقت الملائكة له .
 - ١٥ - الكذاب أبعد الناس من الصلاح .
 - ١٦ - لا خير في علم الكذابين ، وعلينا إن أردنا أن ننقل فتوى أو خبراً أو علماً أن نحتاط من الكذابين .
 - ١٧ - وعن علي (ع) : « كذب السفير يولد الفساد ، ويفوت المراد ، ويبطل الحزم ، وينقص العزم » .
 - ١٨ - وعن الصادق (ع) : « إن الرجل ليكذب الكذبة ، فيحرم بها صلاة الليل » .
 - ١٩ - وعن علي (ع) : « الكذب في العاجلة عار ، وفي الآخرة عذاب النار » (٣٧) .
- وهكذا فإن الكذب عار في العاجلة ، وعيب فاحش ، وخطأ دائم ، وجريمة ترتكب ، ويكفي الكذاب عاراً أن يسمى كذاباً ، ويكفيه خزيّاً أنه يشار إليه بالأصبع . . . هذا كذاب . . . فلا تصدقوه ! .

هذا في الدنيا ، أما في الآخرة ، فمصيره إلى النار ، وبئس القرار ، فكلمنا
نضجت جلودهم بذلت بجلود غيرها ، حتى يذوقوا العذاب . . . طعامهم من
زقوم ، وضريح ، وشرابهم من حميم . . . ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . . .

الكذب على الله ورسوله :

قال تعالى : ﴿ فمن أظلم ممن افترى على الله كذاباً لِيُضِلَّ الناسَ بغير
علم . . ﴾ [١] .

﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذاباً أو قال أُوحِيَ إِلَيَّ ولم يُوحَ إليه
شيء ﴾ [٢] .

﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا
على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ [٣] .

﴿ ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون ﴾ [٤] .

﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة . . ﴾ [٥] .

لا شك أن الدراسة المستوعبة للكون والإنسانية والحياة ، تظهر ان الإنسان
ليس باستطاعته ، أن يضع النظام الأفضل للمجتمعات ، بسبب قصور ذاتي
عنده ، ومؤثرات خارجية وداخلية تمنعه من ذلك ، لذلك فإن الكثير من هؤلاء
يعمدون إلى وضع أنظمة ونظم بشرية مخالفة للشرع الإلهي ، ويدعون لأنفسهم
الخبرة والعلم والاستيعاب ، بالإضافة إلى القدرة على حل المشكلات الإنسانية في
جميع جوانبها ، وهكذا تتعدد النظم ما بين نظم رأسمالية وأخرى شيوعية أو

[١] سورة الأنعام : الآية ١٤٤ .

[٢] سورة الأنعام : الآية ٩٣ .

[٣] سورة النحل : الآية ١١٦ .

[٤] سورة آل عمران : الآية ٧٨ .

[٥] سورة الزمر : الآية ٦٠ .

إشترائية ، وبعضها علماني يؤمن بفصل الدين عن الحياة ، وبعضها إلحادي يقول بأزلية وأبدية المادة وانها لم تخلق ولا تفتى .

وهناك من يحاول أن يضل الناس ، ويدعوهم إلى نفسه ، فيستغل الدين ، ويفتري على الله الكذب ، أو يدعي النبوة ، وهو كاذب ، ويجعل الدين مطية لآربه الخاصة ، وهو من الظالمين ، المفتريين على الحق والحقيقة ، الذين يريدون أن يشوهوا مسيرة الإنسانية والمجتمع بطروحاتهم المناقفة ، وانحرافاتهم الفكرية والسياسية والعملية .

وآخرون عمدوا إلى التحليل والتحريم دون الرجوع إلى كتاب أو سنة أو فقيه أو مجتهد ، فما تصفه ألسنتهم يتحول إلى أحكام شرعية ، بالزور والكذب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴿ ان هذا كذب ، فهم عن سابق تصور وتصميم يحاولون التخريب في دين الله فهؤلاء وجوههم مسودة يوم القيامة لأنهم كذبوا على الله ، وأعطوا لأنفسهم الحق في التشريع ، ورفضوا حاكمية الله سبحانه ، ليحكموا بأحكام أرضية بشرية .

وقد جاء عن الإمام علي (ع) : « أنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله . . . » (٣٨) .

وعن الباقر (ع) : « إنَّ علياً (عليه السلام) كان يقول : لئن يخطفني الطير أحب إلي من أن أقول على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما لم يقل . . . » (٣٩) .

أما التباس الحق بالباطل ، بحيث يخفى الحق ، ويظن الكثيرون أن الباطل حق . ويظهر الباطل ، ويظن الكثيرون أن الحق باطل فذلك عندما تلعب الأيدي الخبيثة في مقدرات الأمة ، وتنحرف بها عن دينها ، وتستعير المبادئ الضالة ، وتطبقها في حياتها وتبتدع النظم والأحكام التي لم ينزل بها الله من سلطان ، وبعضهم يكذب على الله ورسوله ، بنسبة مبادئهم ومناهجهم إلى الله وكتابه ورسوله أو يدعون بأنها لا تتعارض مع الشريعة ، كزعمهم أن النظام الرأسمالي ،

والإشترافي موافق للإسلام والحديث عن الإشترافية الإسلامية ، والقومية العربية غير المتنافية مع الإسلام ، إلى ما هنالك من بدع ومناهج منحرفة .

لذلك عدّ هذا النوع من الكذب من الذنوب الكبيرة ، فقال الصادق (ع) : « الكذب على الله وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله) من الكبائر » (٤٠) .

الكذب والتورية :

ما هي التورية وكيف يورّي الإنسان في أقواله دون أن يكذب ؟ .

إنّ التورية هي عدم التصريح بالكذب ، والعدول عنه إلى التعريض وهذا الأمر أولى ، لأنّ في المعارض لمنذوحة عن الكذب ، وإنّ فيها ما يغني الإنسان عن الكذب ، وذلك عند الإضطرار والحاجة .

في كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري (رضوان الله عليه) : ومّا يدل على سلب الكذب عن التورية ما روى في الإحتجاج ، أنه سئل الصادق (عليه السلام) عن قول الله عز وجل في قصة إبراهيم على نبينا وآله وعليه السلام : « بل فعله كبيرهم . . . » قال ما فعله كبيرهم ، وما كذب إبراهيم قيل : وكيف ذلك ؟ فقال : إنّما قال إبراهيم : « إن كانوا ينطقون » ، أي أن نطقوا فكبيرهم فعل ، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً - فما نطقوا وما كذب .

وسئل عليه الصلاة والسلام عن قوله تعالى : ﴿ أيتها العير إنكم لسارقون ﴾ قال أنّهم سرقوا يوسف من أبيه ألا ترى أنهم قالوا : ﴿ نفقد صواع الملك ﴾ ، ولم يقولوا : سرقتم صواع الملك .

وسئل عن قول الله عز وجل : حكاية عن إبراهيم : ﴿ إني سقيم ﴾ قال : ما كان إبراهيم سقيماً وما كذب إنّما عني سقيماً في دينه أي مرتاداً .

وفي مستطرفات السرائر من كتاب ابن أبي بكير قال : قلت لأبي عبد الله (ع) ، الرجل يستأذن عليه أن يقول للجارية قولي : ليس هو هنا ، فقال : « لا بأس ليس بكذب » .

وتوضيح ذلك أنها تضع يدها على شيء ، وتقول ما قالت عند ذلك لا يعدّ كذباً بل تورية .

إستماع الكذب :

- هل يجوز الإستماع للكذب ؟

- الجواب ، من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة .

قال تعالى : ﴿ ومن الذين هادوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾^[١] .

﴿ لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً ﴾^[٢] .

وفي الحديث - سئل الإمام الصادق (ع) عن القصّاص أيجل الإستماع لهم ؟ .

فقال (ع) : « لا » وقال (ع) : « من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس »^(٤١) .

وعن علي (ع) : « لا ترفعوا من رفعتة الدنيا ولا تشيموا بارقها ، وتسمعوا ناطقها ، فإن برقها خالب ونطقها كاذب »^(٤٢) .

وعن علي (ع) : « لا تمكّن الغواة من سمعك »^(٤٣) .

إنّ النهي عن استماع الكذب ، واعتبار من يصغي إلى ناطق كاذب أو مبتدع ، أو صاحب منهج منحرف أو مبادئ هدامة تخالف الإسلام يكون قد عبده بدل أن يعبد الله يعود إلى أن في استماع الكذب ، والسكوت عن الكذب تشجيع له ، وإقرار بما قال ، وإغراء للكاذب بمتابعة كذبه ، والسير وفق خطّه المتحرف عن جادة الصواب .

لذلك ينبغي الوقوف بوجه الخطوط المنحرفة ، ومحاربتها وإظهار فسادها ، كما جاء في الخبر ، أنه ، إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه . . والكلام حول البدعة فصلناه في موضع آخر فراجع . . .

[١] سورة المائدة : الآية ٤١ .

[٢] سورة النساء : الآية ٣٥ .

مصادر ومراجع البحث

- (١) تنبيه الخواطر : ص ٩٢ .
- (٢) غرر الحكم .
- (٣) غرر الحكم .
- (٤) الترغيب والترهيب : ج ٣ ص ٥٩٢ .
- (٦) تنبيه الخواطر ص ٩٢ .
- (٧) كنز العمال خطبة ٣١٢٨ .
- (٨) نهج البلاغة : خطبة ٨٤ .
- (٩) بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٠٥ .
- (١١) نهج البلاغة حكم ٢٤٦ .
- (١٢) بحار الأنوار ج ٧٢ ، ص ٢٤٦ .
- (١٣) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٩٧ .
- (١٤) نهج البلاغة خطبة ١٩٢ .
- (١٥) كنز العمال خطبة ٨٢٣٨ .
- (١٦) كنز العمال خطبة ٨٢١٧ .
- (١٧) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٢٥٩ .
- (١٨) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٩٨ .
- (١٩) بحار الأنوار ج ١٠٤ ص ٧٣ .
- (٢٠) غرر الحكم .
- (٢١) بحار الأنوار ج ٦٨ ، ص ١٤ .
- (٢٢) غرر الحكم .
- (٢٣) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٩٢ .

- (٢٤) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٣٦ .
(٢٥) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٥٤ .
(٢٦) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٥٩ .
(٢٨) شرح نهج البلاغة ج ٦ ص ٣٥٧ .
(٢٩) بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٢٦١ .
(٣٠) المحجة البيضاء ج ٥ ص ٢٠٨ .
(٣١) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٣٥ .
(٣٢) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٩٥ .
(٣٣) كنز العمال خطبة ٨٢٠٧ .
(٣٤) تنبيه الخواطر ص ٩٢ .
(٣٥) بحار الأنوار ج ٧٥ ، ص ١٧٢ .
(٣٦) بحار الأنوار ج ٦٩ ، ص ٢٥٨ .
(٣٧) غرر الحكم .
(٣٨) نهج البلاغة خطبة ١٤٧ .
(٣٩) الوسائل ج ١١ ، ص ١٠٢ .
(٤٠) الكافي ج ٢ ص ٢٣٩ .
(٤١) بحار الأنوار ج ٧٢ ، ص ٢٦٤ .
(٤٢) نهج البلاغة خطبة ١٩١ .
(٤٣) نهج البلاغة كتاب ١٠ .



الفصل الثالث

تحرّر المرأة

من كمال الايمان
إنصاف المرأة والاحسان إليها .



محتويات البحث

- ١ - تحرر المرأة . . رؤية واقعية .
- ٢ - الحضارة الغربية تسير نحو الإنهيار .
- ٣ - أزمة ضحك في فرنسا بسبب القلق .
- ٤ - ثياب مارلين مونرو في المزاد العلني .
- ٥ - المساواة الواقعية بين الرجل والمرأة .
- ٦ - هل النساء نواقص الإيمان ؟ .
- ٧ - هل النساء نواقص العقول ؟ .
- ٨ - هل النساء نواقص الحظوظ ؟ .
- ٩ - الحجاب الشرعي لماذا ؟ .
- ١٠ - وماذا عن مصافحة الشاب للفتاة ؟ .
- ١١ - أحاديث شريفة حول المرأة .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف ﴾ [١] .
﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ﴾ [٢] .
﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [٣] .

* * *

وقال رسول الله (ص) : « كلما ازداد العبد إيماناً ازداد حباً للنساء » [٤] .
« من أخلاق الأنبياء حب النساء » [٥] .
« إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لأهلهم » [٦] .

[١] سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .

[٢] سورة الأعراف : الآية ١٨٩ .

[٣] سورة الروم : الآية ٢١ .

[٤] البحار ج ١٠٣ ص ٢٨٨ .

[٥] فروع الكافي ج ٥ ص ٣٢٠ .

[٦] البحار ج ١٠٠ ص ٢٢٦ .

« اتقوا الله ، في الضعيفين : اليتيم والمرأة فلإن خياركم خياركم لأهله » [١].

* * *

ويقول الإمام الخميني رضوان الله عليه : « المرأة في ظل النظام الإسلامي ، لها ما للرجل من حقوق ، كحق طلب العلم وحق العمل والتملك والترشيح ، والانتخاب ، إن لها الحق في كل المجالات التي يملك الرجل فيها حقوقاً ، لكن هناك أموراً محرمة حتى على الرجل لأنها تؤدي إلى مفسد معينة ، وكذا الحال في المرأة ، إن الإسلام أراد أن يحافظ على منزلة كل من الرجل والمرأة ، أراد أن لا تصبح المرأة ألعوبة بيد الرجل . وما يشاع في الخارج من أن المرأة تعامل في ظل الإسلام بعنف لا أساس له من الصحة مطلقاً ، بل إنها دعايات مغرضة ، المرأة والرجل يتمتعان كلاهما بحقوق معينة وإن وجدت بعض الفروق فذلك إنما يعود لاختلاف طبيعة الجنسين ... » .

* * *

تحرر المرأة : رؤية واقعية

ما المقصود بالرؤية الواقعية لتحرر المرأة ؟ .

إن موضوع تحرير المرأة من الموضوعات الحساسة التي كثر الحديث فيها إلى درجة أننا نجد أن من أكثر الموضوعات الاجتماعية التي بحثت إنما هو هذا الموضوع ، ومع ذلك فإن هناك تبايناً بين آراء الباحثين ، فبعضهم يرى أن المرأة مظلومة مضطهدة ، مسلوقة الحقوق ، إذ أن الرجل قد عمد إلى استعبادها على مرّ التاريخ ، ولم يفسح لها في المجال من أجل أن تعبر عن ذاتها ، وأن تمارس إنسانيتها الحققة بل وضع لها التشريعات والقوانين باعتباره يسيطر على المؤسسات

[١] السحارج ١٠٠ ص ٢٢٤ .

التشريعية ، من أجل أن تبقى المرأة في خدمة الرجل . والبعض الآخر يعزوسرّ تخلف واستعباد المرأة إلى الأديان أو إلى الإسلام بوجه خاص ، فيطرحون مسألة مساواة المرأة للرجل ومسألة القوامة ، والطاعة والإرث ، والعمل الاجتماعي والسياسي ، والحجاب إلى ما هنالك من انتقادات يوجهها هؤلاء إلى الإسلام ، ولكن لا على أساس الدراسة المستوعبة لكل جوانب الموضوع . بل على أساس آراء مسبقة ، وتأثر بوضع المرأة الغربية التي يزعمون لها التحرر والتقدم ، ويصفون المرأة المسلمة أو الشرقية بشكل عام بالجهل والتأخر .

ونسي هؤلاء أن الظروف التي يعيشها الرجل والمرأة في المجتمعات الشرقية الإسلامية ، نتيجة لسيطرة الاستعمار وإشاعة الفقر والكفر والإنحلال ، تتحمل المسؤولية العظمى في تخلف المرأة والرجل على السواء .

ولا يمكن أن نحمل الإسلام مسؤولية تخلف المرأة ، لأن الإسلام والتشريعات والأهداف والقيم والمبادئ الإسلامية لا يمكن أن تؤدي دورها إلا إذا طبقت على مستوى الحياة الخاصة والعامة ، وهذا يعني الثورة على المخططات الاستعمارية والثقافية المنحلة والحكومات الجائرة المرتبطة بعجلة السياسات الشرقية والغربية ولكي لا يكون كلامنا مجرد دعوى ، يحسن بنا أن نتعرف إلى حقوق المرأة التي تؤمن لها حريتها ، ثم نرى إذا كان الإسلام قد وفر لها هذه الحقوق أم لا ؟ .

١ - حق المساواة مع الرجل .

٢ - حق التعلم والتعليم .

٣ - حق الإستقلالية الإقتصادية للمرأة ، والتملك والإنتاج والتبادل وكل

ما يترتب على هذا الأمر .

٤ - حق المعاملة الإنسانية الكريمة .

٥ - حق الانفصال عن زوجها إذا عولمت بطريقة غير إنسانية .

٦ - حرية الزواج ممن تشاء .

٧ - حق العمل .

وكل هذه الحقوق قد وفرها الإسلام وأقرها كما سنبين . . .

أما حرية التهلك والإبتذال ، فهي الحرية الوحيدة التي حرّمها الإسلام

للمرأة ، كما حرم الرجل منها^(١) ، وإن كان أنصار الثقافة الغربية والتقاليد الأوروبية يرون أن الأساس في حرية المرأة هو التهتك والسفور وستثبت ذلك بالشواهد .

إن المخطط الإستعماري يهدف إلى إشاعة الإنحلال والانحطاط الإجتماعي وقد نجح هؤلاء إلى حد بعيد في هذا الجانب .

ففي خطاب ألقاه الماسوني الشهير « بيركرتو » عام ١٩٢١ يقول فيه :

« بغية التفرقة بين الفرد وأسرته عليكم أن تزعموا الأخلاق من أسسها لأن النفوس تميل إلى قطع روابط الأسرة والإقتراب من الأمور المحرمة ، لأنها تفضل الثروة في المقاهي على القيام بتبعات الأسرة ، وأمثال هؤلاء من الممكن إقناعهم بالوظائف والرتب الماسونية ، ويجب أن يلقن هؤلاء بصورة عرضية متاعب الحياة اليومية وعليكم أن تنزعوا أمثال هؤلاء من بين أطفالهم وزوجاتهم وتقذفوا بهم إلى ملاذ الحياة البهيمية » .

وجاء في بروتوكولات حكماء صهيون ، البروتوكول الأول :

« ومن الناس من أضرتهم الخمرة وانقلب شبابهم إلى مجانين والمجون المبكر . . . هذه الوسائل التي أغراهم بها وكلاؤنا ومعلمونا وخدمنا وقهرماناتنا في البيوت الثرية وكتابتنا ونساؤنا في أماكن لهوهم » .

ومن يراجع بروتوكولات حكماء صهيون يرى أنهم يهدفون إلى :

- تقويض دعائم الأسرة بالإباحية .
 - عرض الأفلام الخليعة الماجنة .
 - الأزياء الفاحشة المتجددة .
 - المجلات والكتب السافلة .
 - القصص المثيرة للغرائز الحيوانية .
 - الصور العارية .
 - وسائل الدعاية للتشجيع على الاختلاط بين الجنسين .
- وتقول الحركة الصهيونية :

« يجب أن نعمل لتنهال الأخلاق في كل مكان لتسهل سيطرتنا ، إن فرويد منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس ، لكي يبقى في نظر الشباب الشيء المقدس ويصبح همّ الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذٍ تنهار الأخلاق » .

وإنّ أكبر ناشر للأدب الجنسي الإباحي في العالم رجل يهودي يعمل تحت إسم مستعار « موريس غيرويدياس » واسمه الحقيقي « غوردياس بن جاك كاهان » عمره (٥٨) عاماً ، وأبوه من قبله كان له نفس المهنة ، وتوفي عام ١٩٤٩ . وسلسلة كتبه تحت عنوان « أولبيا » والمكتبة الشهيرة التي تروّج هذه الكتب هي « برنتانو » في باريس^(٢) .

فالمراة تستعبد حقيقة في ظل الحضارة الغربية ، إذ أنها تحولت إلى سلعة إستهلاكية فبدلاً من أن تفكر في تعليمها ومستقبلها وحياة أمتها أصبحت تفكر في شيء واحد وهو كيف تخرج بكامل زينتها من أجل أن تغري الرجال . وكيف تجعل الآخرين مشدودين إليها نتيجة ما تضعه من عطورات ، ومساحيق ، وهم أرادوا بكل ذلك سحقها تحت وطأة سحق عقلها ، وإنعاش عاطفتها فقط . فغدّت المرأة بلا قضية سوى قضية الزينة وبلا مستقبل سوى إشباعها لرغبات الراغبين . . .

وَمَا يثير التقزّز أن يكون أمثال الفيلسوف الوجودي « سارتر » يرى أن تحرير المرأة هو أن يكون لها الحق في أن تتزوج أكثر من زوج وأن تمارس الحبّ مع من تشاء ولو كانت متزوجة^(٣) .

وتقول نازك الملائكة ، في مقال لها ، مبيّنة أن تحرر المرأة ، على الطريقة الأوروبية هو استعباد لها ، بحيث أنها تفقد كرامتها ونبيلها .

تقول الكاتبة : « وأما التائق فما أتفهه ، وما أشدّ إذلاله لروح الإنسان . التائق هو الوسائل المصطفاة التي يظنونها تؤدي إلى طريق الجمال أو لنقل انه الجمال المزيف المصنوع بالوسائل الآلية وسواها .

فبدلاً من أن تعتمد الفتاة على مرونة ذهنها ، وسعة ثقافتها ، وجمال روحها ، نجدها تعتمد على كثرة ملابسها ، والتصنع في شعرها .

وبدلاً من أن توسع آفاق فكرها بالمعرفة والعلم تلجأ إلى التبرج ، والتفنج والملابس القصيرة الضيقة التي تبرز أعضاء الجسم ، كما تبرز أجسام الجوارى في سوق النخاسين . فالتأنق شرّ عظيم يحيق بذهن المرأة ، ويقتل روحها ويذل عقلها ، لأنه يمدّ مظهرها على حساب ذهنها ، ويكرّرها إلى العصور الغابرة حين كانت المرأة تباع وتشتري في قصص ألف ليلة وليلة^(٤) .

ولا بد للمرأة الواعية أن تفهم المؤامرة عليها ، وأن الغزو الثقافي الإستعماري يهدف إلى هدم حضارتنا لإحلال الإنحلال في مجتمعاتنا . يقول المبشر المستشرق (جسب) : « إن مدارس البنات في البلاد العربية هي بؤبؤ عيني ، لقد شعرت دائماً بأن مستقبلنا في سورية إنما هو بتعليم بناتها ونسائها . لقد بدأ نشاطنا في ذلك على ضعف ، ولكن ها هي ذي قد أثارت اليوم اهتماماً شديداً في أوساط الجمعيات التبشيرية »^(٥) .

ولا شك أن الإباحية ، والتبرج ، والإختلاط ، والتأنق ، والفساد سبب أساسي في هدم الحضارات ، ولقد كان هلاك الرومان بسبب الفساد الخلقي ، ولقد صاح الفيلسوف (كانون) فيهم قائلاً : « يا أيها الرومان ، لقد سمعتموني كثيراً ما أشكو من إسراف الرجال والنساء والعامة والمشترعين أيضاً ، ولقد سمعتموني كثيراً ما أقول : « إن الجمهورية مصابة بداءين متناقضين : الشح والبذخ ! . . . وهما الداءان اللذان قلبا الممالك العظيمة رأساً على عقب »^(٦) .

والحضارة الغربية ، هي حضارة السلاحياء ، بل إن المرأة هناك تفتخر بالعري والإنحراف والإنحطاط ، وكأني بأمير المؤمنين علي (ع) يتحدث عن هؤلاء وأمثالهن عندما قال : « يظهر في آخر الزمان ، واقترب الساعة ، وهو شرّ الأزمنة نسوة كاشفات ، عاريات متبرجات ، من الدين خارجات ، في الفتن داخلات ، مائلات إلى الشهوات ، مسرعات إلى اللذات ، مستحلات المحرمات ، في جهنم خالدات »^(٧) .

وقد أصدرت الكاتبة الإنكليزية (ايرين كليفين) كتاباً لها بعنوان : « نحو الحرية الجنسية » جاء فيه :

« إن اختفاء الأفكار القديمة بالعري ، صاحبها اختفاء الخوف من منظر

الأجسام العارية التي كانت من مميزات العصر الفيكتوري .

« لقد انقص من أزياء النساء الكثير خلال فترة الحرب الماضية (١٩١٤ - ١٩١٨) حتى يستطعن مسابقة الحياة الجديدة التي فرضتها ظروف الحرب ، ويلائمن بين ملابسهن وأعمالهن الجديدة التي ألقي على كواهلهن القيام بها » (٨) .

وكما قال ليوبولد فايس : « إنَّ العفاف والإحصان يصبحان مع الأيام خيراً ماضياً في الغرب الحديث وإليك هذه الإحصائية المنشورة في (دي وورلد المانك) في سنة ١٩٦٠ عن الأولاد غير الشرعيين في أميركا :

عمر الأم	البيض	غير البيض
أقل من ١٥ سنة	١,١٠٠	٣,٥٠٠
١٥ - ١٩	٢٦,٩٠٠	٤٩,٦٠٠
١٥ - ١٧	١٢,٥٠٠	٢٦,٩٠٠
١٨ - ١٩	١٤,٤٠٠	٢٢,٧٠٠
٢٠ - ٢٤	٢٢,٧٠٠	٣٧,٨٠٠
٢٥ - ٢٩	٩,٨٠٠	٢٠,١٠٠
٣٠ - ٣٤	٦,٠٠٠	١٢,٢٠٠
٣٥ - ٣٩	٣,١٠٠	٦,٣٠٠
٤٠ - فأكثر	١,٢٠٠	١,٢٠٠
	٧٠,٨٠٠	١٣٠,٩٠٠

وفي ٨ حزيران ١٩٧٣ وافق برلمان ألمانيا الغربية بأغلبية ٢٥٤ صوتاً ضد ٢٠٣ صوتاً على مشروع الحكومة بإجراء تعديلات خطيرة على قوانين متعلقة بالجنس ، ومن هذه القوانين :

- رفع الحظر عن تبادل الزوجات .
- إباحة ممارسة الشذوذ بموافقة الطرفين بين الرجال والنساء ابتداءً من سن ١٨ بدلاً من ٢١ .
- السماح ببيع مطبوعات الجنس الفاضحة لأي مواطن جاوز عمره ١٨ سنة (٩) .

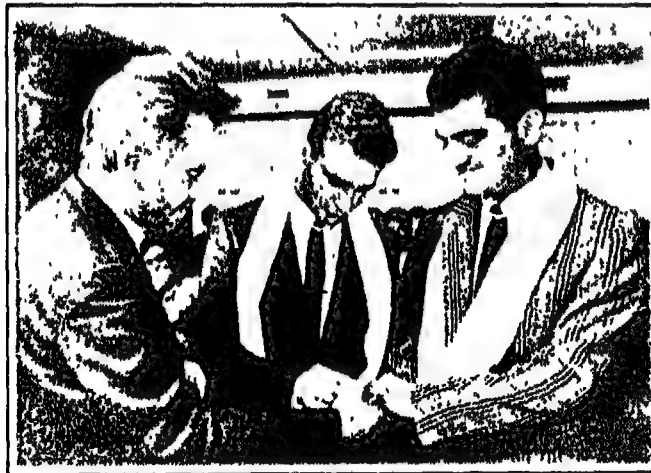
زواج فتاتين

ونشرت مجلة « لي ميلر » الفرنسية :

« تزوجت الفتاتان « لونا أنبلوم » ٢١ سنة و « ايرين لنده » ٢٣ سنة من الدائمات كل منهما الأخرى . وهذا الزواج تم تحت رعاية الكنيسة هناك ، وقام بعقد هذا الزواج وباركه القس « هارولد سورلي » وذلك في كنيسة « هيليوود بالدائمات » .

وقالت هاتان الفتاتان : « نحن نعتقد أن هذا النوع من الزواج سوف يتقبله المجتمع مستقبلاً » .

زواج مبارك لشابين ١١



وَرَعَت « وكالة الصحافة الفرنسية » هذه الصورة للقس المعمدان جاك دوسيه:

- إلى اليسار - وهو يبارك زواج الشابين دومينيك موتي (٢١ عاماً) - إلى اليمين - وباتريك مونفوازان (٢١ عاماً) .

وتم الزواج في مدينة ليون الفرنسية وكان موتي ينتمي إلى إحدى الكنائس البروتستانتية قبل أن يطرد منها في ١٩٨٢ بسبب شذوذه جنسياً ، إلا أنه أكد نيته الإستمرار في التبشير ونقول : بشس الحضارة حضارة الشلوذ .

وها هو أحد الأشخاص في البرازيل يدفع زوجته وفاء لدين عليه ، فقد نشرت وكالات الأنباء الخبر التالي :

« إنتقلت زوجة برازيلية « فاتنة » من زوج إلى زوج آخر على أثر اتفاق ودي تسيطر عليه روح التفاهم ، وذلك مقابل سداد دين قدره (٢,٥) مليون كروزرو برازيلي (٢٥٠ جنيه أسترليني) كان ديناً على زوج الفاتنة . فلما يش من سداده ، عرض على صاحب الدين أن يعطيه زوجته مقابل الدين ، ثم دخلا في مفاوضات أسفرت عن الإتفاق الودي » (١٠) .

ولقد دعت الشيوعية على لسان ماركس وأنجلز إلى هدم العائلة فقالوا : « . . . هدم العائلة ، حتى أشد الراديكاليين تطرفاً تسخطهم نية الشيوعيين هذه ، الفاضحة المزدولة . . » (١١) .

ويرى الشيوعيون أن مسألة إشاعة المرأة مسألة طبيعية ولا تحتاج إلى أية دراسة ونقاش ، بل إنهم يريدون أن يمنحوها المشروعية القانونية فقط ، لأنها موجودة أساساً . جاء في البيان الشيوعي على لسان ماركس وأنجلز : « وان البرجوازية تزعق في جوقة واحدة : ولكنكم تريدون أيها الشيوعيون ، إشاعة المرأة . . . وأشد ما يبعث على السخف ، على أية حال ، هذا الذعر فوق الأخلاقي الذي توحيه إلى البرجوازية إشاعة النساء الرسمية التي يزعمون أن الشيوعيين يدعون إليها ويريدون تحقيقها علناً . إن الشيوعيين لا يحتاجون إلى إشاعة النساء ، فهي كانت موجودة بصورة دائمة تقريباً . . .

إن الزواج البرجوازي هو في الحقيقة نظام إشاعة الزوجات . فقصارى ما يمكن أن يهتم به الشيوعيون إذن هو أنهم يريدون إبدال إشاعة النساء المغطاة بصورة الرياء ، بإشاعة صريحة ومشروعة » (١٢) .

الحضارة الغربية تسير نحو الإنهيار

يقول الدكتور الكسيس كاريل ، الحائز على جائزة نوبل سنة ١٩٢١ ، في كتابه « الإنسان ذلك المجهول » وكان طبيباً ، ثم اعتزل مهنة الطب . . .

قال : « إن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجهاد على علوم الحياة هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية فالبينة التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة بالنسبة لقوامنا ولا بالنسبة لهيئتنا . إننا قوم نعساء لأننا ننحط خلقياً وعقلياً . . . » .

« وإن الجماعات التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم ، على وجه الدقة الجماعات الآخذة في الضعف ، والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عودة غيرها إليها » .

إن المرأة وفق تقليعة (تحرر المرأة) على الطريقة الغربية ، تركت سعادتها وأنسها في بيتها ومع أسرته لتقيم على غلاف المجلات ، وشاشات التلفاز وصار كل إعلان لا يلتفت إليه إلا إذا كانت المرأة وصورتهما هي التي تقدمه أو تعرضه ، فالسيجارة والسيارات والأثاث والحذاء . . . وكل شيء لا بد له من صورة المرأة وإعلانات التوظيف في الشركات والمؤسسات تشترط أن تكون المرأة جميلة لأن ذلك يجلب الزبائن . مسكينة أيتها المرأة ، لا أحد يعرف إلى أين مصيرك . . .

في ظل هذه الحرية الحمقاء .

تقول طبيبة نفسية تدعى « هلن فلاندرز » من نيويورك :

« إن المجتمع الذي رضي للمرأة أن تصبح ملكاً للموضة ، والإستعراض والرقص ، هو الذي دفع بها إلى أحضان الأمراض والقلق البطيء ، بعد أن أفقدها كل مقومات السعادة في حياتها العامة كامرأة ، وكانسانة ، وكأم » (١٣) .

وفي بعض الإحصاءات : « إن واحد من أربعة راشدين في أميركا يتناولون بانتظام (حبوب السعادة) وهو الإسم المستعار المخادع للمهدئات ، وأن نصف الشعب الأميركي أي أكثر من مائة مليون نسمة ، يتناولها من حين لآخر » .

« وإن متوسط استهلاك الشخص الواحد في اليوم - في السويد ، يبلغ ١٠ - إلى ٢٠ حبة »^(١٤) .

أزمة الضحك في فرنسا بسبب القلق

لقد أصبح الحزن بادياً على وجوه الفرنسيين ، ويرجع ذلك إلى وجود ، أزمة ضحك كبرى ، وفي هذا الصدد وجهت إحدى الصحف اليومية الشعبية « لو باريزيان ليبرية » ، تحذيراً على كامل صفحاتها الأولى حيث نشرت نتائج استطلاع رأي أجراه معهد لويس هاريس المعروف بجديته التامة .

وأكدت الصحيفة قائلة انه « منذ خمسين عاماً كان المرء يقهقه بمعدل عشرين دقيقة يومياً ، أما اليوم فلم يعد ييسط أساريه حسبما جاء في استطلاع الرأي سوى ٨ في المئة فقط من السكان لمدة خمس دقائق .

وجاء في الإستطلاع أن ٢٤ في المئة من الفرنسيين يرون أنهم يضحكون لمدة أقل من دقيقة في اليوم وهم الشباب والموظفون والتجار والعمال والشيوعيون إلا أن ٧ في المئة على وجه التخصيص يؤكدون أنهم لا يضحكون مطلقاً ، ومعظم هؤلاء من الرجال والسيدات ممن تتراوح أعمارهن بين ٥٠ و ٦٤ عاماً وكذلك العاطلون والمتقاعدون والمزارعون^(١٥) .

وتقول أستاذة الفلسفة في الولايات المتحدة الأميركية (أثيل عدنان) : « مشكلة المرأة في أميركا قد تكون إقتصادية وسياسية ، وحركة تحرير المرأة الأميركية تختلف عن رغبة المرأة العربية في التحرر ، فالأميركية متضايقة من كثرة (التحرر) ، من كونها لا زالت تعيش في انغلاق . . . هناك تبدو الحركة كردة فعل محافظة ردّة فعل أخلاقية . فالنساء ثائرات على استغلال جسد المرأة تجارياً في الإعلانات والسينما كشيء له أهمية تجارية فحسب »^(١٦) .

والأمر المهم أن النقمة بدأت تبرز على مستوى المفكرات من النساء اللواتي أدركن الانحطاط التي بلغتها المرأة في ظل التحرر المزعوم .

فهذه الكاتبة الفرنسية (ماري هاري) تقول : « يا أخواتي العزيزات . . .

لا تحسدننا نحن الأوروبيات ولا تقتدين بنا . إنكن لا تعرفن بأي ثمن من عبوديتنا الأدبية اشتريتنا حريتنا المزعومة . أقول لكن : إلى البيت . . . إلى البيت . . . كن حلائل . . . أبقين أمهات . . . كنّ نساء قبل كل شيء» (١٧) .

ونشرت مجلة (ماري كلير) بياناً موقعاً من ٢,٥ مليون امرأة فرنسية جاء فيه :

« مللنا المساواة مع الرجال . . . مللنا حالة التوتر الدائم ليل نهار ، مللنا الإستيقاظ عند الفجر للجري وراء المترو . . . مللنا الحياة الزوجية التي لا يرى فيها الزوج زوجته إلا عند النوم . . . مللنا الحياة العائلية التي لا ترى فيها الأم أطفالها إلا حول مائدة الطعام . . . وداعاً يا عصر الحرية والمساواة . . . وأهلاً بعصر الحريم» (١٨) .

ثياب مارلين مونرو بالمزاد العلني

أقام « بيت أزياء أسوثايز » مزاداً علنياً في نيويورك تضمن مجموعة من ثياب نجم هوليوود . وقد بيع ثوب مارلين مونرو بمبلغ ١٨٧٠٠ دولاراً محققاً أكبر رقم في المزاد . . . والثوب من الساتان والموسلين وقد ارتدته مارلين مونرو عام ١٩٥٧ في فيلم الأمير وفتاة الإستعراض .

وقامت بتصميم هذا الثوب مصممة الأزياء بياتريس داوسون . وكان الثوب ضمن مجموعة أزياء يمتلكها وليام توماس وهو أمريكي من كاليفورنيا اقتنى الثياب الخاصة بنجوم هوليوود في ١٣٠ فيلماً وسبع استديوهات في هوليوود (١٩) .

ولعل النساء اللواتي نلن أكبر قسط من الحرية المزيفة ، وهنّ اللواتي يعملن في السينما هنّ أتعس الخلق . . . وإليكم ما قالتها مارلين مونرو قبل انتحارها : « . . . إني أتعس امرأة على هذه الأرض ، لم أستطع أن أكون أمّاً . إني امرأة ، أفضل البيت ، الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل إن هذه الحياة العائلية هي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية . لقد ظلمني الناس ، وإن العمل في السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة» (٢٠) .

وهناك كلام مماثل للممثلة الأمريكية (بربارا ستريناند) ولأخريات مما يدلّ

على أن تحرر المرأة بالمعنى الغربي يعني تحررها من إنسانيتها ، وكرامتها وفي هذا الصدد تقول نازك الملائكة : « تنظر في المجلات التي تسمى نفسها نسائية فماذا ستجد فيها ؟ إنها في أغلب الحالات مجلات أزياء لا تحمل للمرأة هدفاً أبعد من ملابسها وحقائبها وأحذيتها ، وهذه المجلات تعامل المرأة الحديثة معاملة جوارى ألف ليلة وليلة .

فتكتب لهن أمثال هذه العناوين المهمة : « سيدتي ماذا تلبسين في رحلة بحرية ؟ » .

أو « فساتين للصباح » أو « تسريحات للشعر بعد الظهر » أو « بأي ملابس تظهرين في حفلة العشاء » . . . وقد تظن الفتاة أن تبرجها شيء ظاهري لا يمس عقلها فهي تستطيع أن تكون حرة رغم إمعانها في الأناقة وإسرافها في التصنع ، وهي في هذا مخطئة ، فإن لكل عمل يقوم به الإنسان أثراً فكرياً وروحية بعيدة المدى . إن أعمالنا تؤثر في عقولنا وأرواحنا وتعيد صياغتها .

فإذا لم يتحكم العقل في سلوكنا تحكم سلوكنا في عقلنا .

« وأول نتائج هذا التحكم أن التائق يذل المرأة ويقتل كبرياءها ، وأساس هذا الإذلال أن إقامة أسس الأناقة على كثرة الملابس وعلى الخلاقة ، يشعر المرأة بأن الجمال هو الذي ينقصها ، لا الشيء الذي تملكه ، فإذا أرادت أن تكون جميلة وجب عليها أن تكافح في سبيل ذلك ، فتعمل ليل نهار في استكمال ذاتها الناقصة ، والمرأة الأنيقة يجب أن تملك ثياباً كثيرة وملحقات لا حصر لها ، ولا يخفى عليكم أن مؤسسات الأزياء قد عقدت هذه تعقيداً مسرفاً ، فالحرص على أبسط مستوى في هذا يقتضي مالاً كثيراً ، ومن ثم مبدأ التائق حين يصبح هو القانون النافذ في المجتمع يحرم نساء (الطبقة الفقيرة) أن يكن جميلات ، وبذلك يصبح الجمال حكراً تملكه (الطبقة المرفهة) وحدها . وفي ذلك إذلال للفقراء والفتاة الفقيرة ، فالتائق ضرب من الطبقية الاجتماعية .

وجناية أخرى تجنيها الأناقة المسرفة على الإنسانية تلك هي الجناية على الوقت الذي هو ثروة الأمة . إن الأناقة النموذجية التي تدعو إليها مجلات المرأة تقتضي من الوقت ما لا تتسع له الحياة . . . فلقد تربصت بهذه المجلات عدة

أشهر ذات مرة وأحصيت مجموعة الأشياء التي تحتاج إليها المرأة لإنجاز الأناقة المثل فوجدت الحياة كلها لا تكفي .

لقد حقروا المرأة بأن جعلوا شعرها النموذجي تعقيداً علمياً لا يحققه إلا الحلاق الذي يهينها بإجلاسها تحت المجفف ساعتين ليصفف شعرها تصفيفاً مصطنعاً ، وقد فرضوا عليها الصفاة لبشرتها نصف ساعة كل مساء وربع ساعة للأهداب ، وكذا من الوقت للأظافر وقتاً للعناية بالكفين والقدمين ، وتمارين رياضية لتخفيف الخصر وأخرى لمنع تجعدات الوجه ، وتمارين استرخاء وحمامات بخار .

وكل هذا يأكل من وقت المرأة وعقلها ، ولا يبقى منها جانباً للشعور الإنساني ، وإنما يحولها إلى دمية مزيفة أنيقة لا روح لها ، حركاتها آلية وبساتها مصطنعة .

إنّ الوقت الثمين الذي يضيع عند الخياطة كان يمكن أن ينفق في إسباغ الحب على أب شيخ مريض ، أو زوج مرهق أو طفل يحتاج إلى التوجيه ، وبدلاً من أن تذهب الفتاة إلى الحلاق تستطيع أن تطالع كتاباً ينير عقلها ، ويهدي روحها» (٢١) .

ومما يعجب له الإنسان الفراغ الذي يعيشه دعاة التحرر المزيّف إلى درجة أن هؤلاء يفقدون وعيهم وأحاسيسهم الإنسانية ، ويتصرفون بطرق غير عقلانية .

فقد بلغ نفاذ وفاة المطرب الشاب (ألفيس بريسلي) المعجيين به ، فامتنعوا عن الطعام واعتصموا بناديبهم في (فوتنكهام) ، ولكن معظمهم أغمي عليه ، وحضرت الإسعاف لنجدتهم ووضع عشرون منهم في المصح العقلي لإصابتهم بالهستيريا ، وقد بذل البوليس جهوداً جبارة لمنع المعجيين من فتح المقبرة والحصول على أيّ تذكّار منه ، وانتشرت الفتيات يحملن صورته ملصقة على صدورهن ولافتات مكتوب عليها كلمات حب مهداة إلى المرحوم (٢٢) .

ويقول أحد رؤساء الجمهورية في أحد البلدان العربية (وهو متوفى) لفيروز المطربة اللبنانية المعروفة : « إنك الصوت الذي يوحد الأمة العربية » .

وقال أحد المهتمين بشؤون الأمة العربية :

« إنَّ العرب يبلغ عددهم (١٠٠) مليون نسمة ، وهم بحاجة إلى مليون مطرب على الأقل . . . فتأمل . .

وتعترف الكاتبة الفرنسية المعروفة (فرانسواز ساجاه) التي أجرت معها صحيفة (بون سوار) الفرنسية مقابلة . . . فسألتها :

س : في مسرحيتك الأخيرة ، تسخرين من حركة تحرير المرأة . . . ألم تتغير نظرتك بعد تجربة عشرين سنة مع الحياة الزوجية ؟ .

ج : أجابت أنا لا أحب مهاجمة الرجل . . ولكن من خلال نظرتي لتجارب الغالبية العظمى من النساء .

أقول : إن حركة تحرير المرأة هي أكذوبة كبيرة اخترعها الرجل ليضحك على المرأة (٢٣) وهذه الأكذوبة تذكرنا بقصة خيالية يقرأها التلاميذ في كتب القراءة الابتدائية وهي قصة ليلي والذئب ، واليكملوها : « ليلي ذهبت إلى بيت جدتها لتأخذ طعاماً ، وكان الذئب يريد أن يأكل ليلي ، ولما خرجت من البيت عرف الذئب إلى أين تذهب ، ولم يستطع أن يأكلها في الشارع ففكر بخطة خبيثة وما أن وصلت ليلي إلى بيت جدتها حتى رأت جدتها قد تغيرت هيأتها ، أسنانها طويلة ، وأذنيها لم تعد على جانبي رأسها واكتشفت أن الذي تغير ليس هيئة جدتها بل تغيرت كل جدتها . . . إنه الذئب يرتدي ملابس جدتها بعد أن أكلها ، فبكت ليلي وطلبت من الذئب أن يتركها فقال لها : منذ زمن وأنا أفكر كيف آكلك بدون ضجة والآن كيف أتركك ولقد جئت بنفسك (٢٢) .

موضة ٨٤ ولكل سنة موضتها

وقد تحدث أحد أصحاب محلات الأزياء إلى إحدى الصحف قال :

« موضة ٨٤ تعود بالمرأة إلى أنوثتها التي كانت تتبناها في الماضي ، فأزياء السنة عودة إلى موضة الأربعينات والخمسينات حيث استعادت المرأة أنوثتها ولياقتها بعد أن فقدتها لمدة عشر سنوات حيث كانت الأزياء النسائية تسير على

خطى الأزياء الرجالية . وهذه السنة كانت العودة إلى الماضي إلى التراث فوجد المصممون الأنوثة في أزياء الأربعينات والخمسينات التي أدخلوا عليها بعض التعديلات والتطوير لتناسب ومتطلبات المرأة العصرية مما يخدم بالتالي المرأة لتكون أنثى أنيقة .

أما ألوان السنة فهي من أكثر الألوان التي تناسب المرأة اللبنانية والعربية فالتوبر والكارو والمقلم من خطوط أزياء هذه السنة .

وأضاف من أهم تشكيلاتنا (بيار بالمان) الذي خصص ألوانه للأحمر والأخضر والموقف فأبدع في تصاميمه التي أتت قطعاً فنية ساحرة ، أنوثة على أنيقة ، فجمع الألوان المتناقضة وميّز بها تصاميمه كما أدخل الجلد إلى الجوخ ، هذا بالإضافة إلى تشكيلات واسعة من عدّة ماركات ألمانية ، وقد لاقت استحساناً وتجاوباً في السوق واستطاعت أن تنافس الماركات الفرنسية . . .

أما الجلد فكان رائد هذه السنة في جميع دور الأزياء العالمية وقد اهتم به كبار وصغار مصممي الأزياء في الكون ولكن برونق جديد وألوان جديدة .

وكذلك المخمل عاد إلى الحياة من جديد وأصبح من صلب الموضة من أنسابلات السموكنغ الأسود .

ولا بدّ من أن نأتي على ذكر الكنزات التي أتت على هذه السنة قطعاً فنية وقد أبدع المصممون في حيّاكتها وقد لاقت رواجاً منقطع النظير بالرغم من غلاء سعرها ، كان التركيز فيها على (الشك) و (البراق)^(٢٤) . . هذا عن موضة ٨٤ ولكن أي مصيبة ستزل مع موضة ٢٠٠٠ .

المساواة الواقعية بين الرجل والمرأة على أساس الطبيعة البشرية

إنّ دعوات تحرير المرأة في البلاد العربية والإسلامية بشكل عام ، هي دعوات تقليد للغرب وليست دعوات أصيلة ، وهذا لا يعني أن المرأة في مجتمعاتنا تعيش وضعاً جيداً وتنال كامل حقوقها ، ولأنّ منهاج تحريرها المطروح هو منهاج يقوم على قاعدة التقليد الأعمى للحضارة المادية ، ويصطدم بواقع الفطرة البشرية ، ويؤدي تطبيقه إلى مأس كثيرة ، ذكرنا نتفاً منها ، على مستوى تفكك

الأسر ، وشيوع الميوعة والخلاعة والقلق والانتحار وغير ذلك . . .
والدعوة الأصيلة هي الدعوة التي تنطلق على أساس الإسلام لتعيد الإسلام
إلى المرأة أو تعيد المرأة إلى الإسلام .
ووقفة مع النصوص ترينا المساواة الواقعية بين الرجل والمرأة .
يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ [١] .
ونستنتج أن هناك وحدة في المنشأ والأصل والمصير والدور .
فكل الحقوق مشتركة لأن الأصل واحد ، والجزاء للجنسين في الآخرة إن
خيراً فخير وإن شراً فشر .
قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّي لَا أَضِيعُ عَمَلٌ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [٢] .
ولكن نسأل الآن ؟ هل المرأة كالرجل ؟ ألا يوجد اختلاف في التكوين بين
الرجل والمرأة حتى تكون الوظيفة واحدة ، أم أن هناك دوراً واحداً للجنسين
يتكوّن من وظائف متكاملة .
إن واقعية الإسلام تنطلق على أساس التركيب الفيزيولوجي والسيكولوجي
للمرأة والرجل ، ولنعد إلى علم الأحياء (البحوث البيولوجية) لنرى ماذا يقول :
« قد أثبتت بحوث علم الأحياء وتحقيقاته أن هناك اختلافاً كبيراً من الناحية
التكوينية بين الرجل والمرأة ، تبدأ من الصورة والسمت والأعضاء الخارجية إلى
ذرات الجسم والجواهر الهيولينية (البروتينية) لخلاياه النسيجية ، فمن لدن حصول
التكوين الجنسي في الجنين يرتقي التركيب الجسدي في الصنفين في صورة مختلفة ،
فهيكّل المرأة ونظام جسمها يرتكّب كله تركيباً تستند به لولادة الولد وتربيته ، ومن
التكوين البدائي في الرحم إلى سن البلوغ ينمو جسم المرأة وينشأ لتكميل ذلك

[١] سورة النساء : الآية ١ .

[٢] سورة آل عمران : الآية ١٩٥ .

الإستعداد فيها ، وهذا هو الذي يحدد لها طريقها في أيامها المستقبلية .
ومع بلوغ سن الشباب يعروها المحيض ، الذي تتأثر به أفعال كل
أعضائها وجوارحها ، وتدلّ مشاهدات أساطين علمي الأحياء والتشريح على أنّ
المرأة تطرأ عليها في مدة حيضها التغيرات الآتية :

١ - تقل في جسمها وقوة إمساك الحرارة ، فيزداد خروج الحرارة منه ،
وتنخفض درجتها فيه .

٢ - ويبطؤ النبض وينقص ضغط الدم ويقلّ عدد خلاياه .

٣ - وتصاب الغدد الصماء واللويزتان والغدد اللمفاوية أيضاً بالتغيّر .

٤ - وينتقص الإستقلاب الهوليوني (البروتيني) .

٥ - ويقل إخراج أملاح الفوسفات والكلوريد من الجسم وينحط
الإستقلاب الغازي .

٦ - ويختل الهضم ، ويقلّ التحام الشحم والأجزاء الهوليونية (البروتينية)
في المأكولات مع أجزاء الجسم .

٧ - وتضعف قوة التنفس وتصاب آلات النطق بتغيرات خاصة .

٨ - ويبلد الحس وتتكاثر الأعضاء .

٩ - وتتخلف الفطنة والذكاء وقوة تركيز الأفكار .

واستنتج البروفسور (كرشي شكفسكس) من اختبارات النفسية أن المرأة
يلتهب فيها المجموع العصبي في هذه الأيام ، ويبلد الحس ويختل ويضعف
الإستعداد ، وربما تعطل بالمرّة لقبول الإنطباعات المرتبة حتى يضطرب في شعورها
ما قد قرّ فيه قبلاً من تلك الإنطباعات المرتبة .

مما يجعلها تتخلج حتى في أعمالها التي قد اعتادت في حياتها اليومية . فمثل
هذه المرأة إن كانت جابية في الترام ، أخطأت في قطع التذاكر ، وارتبكت في عدّ
الكسور . وإن كانت سائقة ساقط سيارتها بحذر بالغ وتمهل وحاترت عند كل
منعطف . وإن كانت سيدة كاتبة أخطأت في كتابتها الآلية وتوانت فيها وفاتها

الأحرف على الرغم منها ، ولم توفق في تركيب الجمل ، ولم تصب الحرف المقصود بضربة أصبعها . وإن كانت محامية خانتها قوة حجاجها ، وأخطأ فكرها وبيانها في عرض قضيتها ، وإن كانت قاضية تأثرت ملكة فهمها وقوة حكمها بهذه الحالة المرضية التي هي فيها ، وكذلك إن كانت الحائض طيبة أسنان لم تنشط في عملها ولم تجد آلتها عند الطلب إلاً بجهد منها ، وإن كانت مغنية فقدت محاسن لحنها ومفاتيح صوتها في أيامها تلك ، حتى أن الماهر في التلحين ليعرف حالتها تلك بمجرد سماعه لغنائها .

ويكتب الأستاذ ربنسكي في كتابه ، نشأة شخصية المرأة : « إن مدة الحيض تحرم المرأة حريتها العملية ، فهي تكون في أثنائها تابعة لحركاتها الإضطرابية ، وتنقصها جداً قوة استعمال إرادتها للإقدام على عمل أو تركه » .

ويرى آخرون من المدققين : « أن معظم الجرائم المرتكبة من قبل النساء ترتكب في حال الحيض ، لأنهن لم يكن تابعات لإرادتهن .

وزمان الحمل عند المرأة أشد عليها من مدة الحيض . يقول الطبيب فشر : « إنه لا تسلم حتى المرأة الصحيحة من الإضطراب الشديد في زمان الحمل فتصاب في مزاجها بالتلون وفي أفكارها بالتشويش وفي عقلها بالشroud . واتفق بعض الإخصائيين على أن الشهر الأخير من أشهر الحمل لا يصح فيه البتة تكلف المرأة جهداً بدنياً وعقلياً » .

وبعد الوضع تكون المرأة عرضة لأمراض متعددة تعروها وتنمو فيها وتبقى مدة سنة كاملة مريضة أو شبه مريضة بعد قرار الحمل (٢٥) .

ويقول صاحب كتاب الحجاب : « أما والله إنه ليس من الإنصاف ، بل هو عين الظلم والعدوان وليس بمساواة بين الصنفين ، بل هو عبث صريح بالمساواة وإنما الذي يقتضيه الإنصاف ، هو أن الصنف الذي قد كلفته الفطرة أعباء جسم ، لا يكلف من أعمال التمدن إلا ما هو خفيف المحمل ، وإن الذي لم تكلفه الفطرة بشيء عظيم ، يحمل عليه واجبات التمدن ما هو أهم وأثقل وأدعى للجهد والتعب ، ويكون أيضاً قواماً على الأسرة يرعاها ويربها » (٢٦) .

يقول تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهم درجة

والله عزيز حكيم ﴿١١﴾ .

والإختلاف التكويني أمر ثابت حتى اضطر إلى الإعتراف به العلماء الشيوعيون فهو ذا العالم الطبيعي الروسي الممتاز (أنطون نيميلاف) يكتب مئتي صفحة في أحد كتبه The Biological Tragedy of Fwon لإثبات عدم المساواة الفطرية بين الرجل والمرأة بتجارب العلوم الطبيعية ومشاهداتها ويقول :

« إذا قيل في هذه الأيام : إن المرأة يجب أن تمنح في دائرة التمدن حقوقاً محدودة ، لم يؤيده من الرجال إلا الأقل ، ونحن بأنفسنا ممن يخالفون هذا الرأي . ولكن ينبغي ألا نخدع أنفسنا بزعم إن إقامة الرجل والمرأة في الحياة العملية أمر هين ميسور . الحق أنه لم يجتهد أحد في الدنيا لتحقيق هذه المساواة بين الصنفين مثل ما أجتهدنا في روسيا السوفياتية ، ولم يوضع في العالم من القوانين السانحة البريئة من التعصب ، في هذا الباب مثل ما وضع عندنا ، ولكن الحق ، مع ذلك كله ، إن منزلة المرأة قلما تبدلت في الأسرة . . . بل قلما تبدلت في المجتمع أيضاً » (٢٧) .

ويقول في موضع آخر : « لا يزال تصور عدم مساواة الرجل والمرأة ، ذلك التصور العميق راسخاً لا في قلوب الطبقات ذات المستوى الذهني البسيط بل في قلوب الطبقات السوفيتية العليا أيضاً . بل النساء أنفسهن قد بلغ من تأثير هذا التصور في نفوسهن ، إتهن إذا عوملن معاملة المساواة الكاملة مع الرجال ، يعددن ذلك خفضاً في مكانة أولئك ويجدن لهم فيه معاني التخث . ولو أننا نتبع في هذا الأمر أفكار عالم طبيعي أو مصنف أو طالب أو تاجر أو شيوعي خالص العقيدة ، لانكشف لنا عن غير بعد ، إنه لا يرى المرأة كفوؤاً له أو نداً يماثله الخ . . .

السبب في ذلك أن المبادئ الانقلابية تصطدم في هذا النظام بأمر واقع هام ، هو أنه لا مساواة بين الجنسين باعتبار عالم الأحياء (Biology) ولم تكلفهما الفطرة بأعباء سواء » (٢٨) .

[١] سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .

ويرى الشيخ محمد عبده : « ان هذه كلمة جميلة جداً ، جمعت على إيجازها ما لا يؤدي بالتفصيل إلا في سفر كبير ، فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق إلاّ أمراً واحداً عبر عنه بقوله : « وللرجال عليهن درجة » وقد أحال في معرفة ما هنّ وما عليهن على المعروف بين الناس في معاشرتهم ومعاملتهم بين أهليهم . . . وهذه الجملة تعطي الرجل ميزاناً يزن به معاملته لزوجته في جميع الشؤون والأحوال ، فإذا همّ بمطالبتها بأمر من الأمر يتذكر أنه يجب عليه مثله بإزائه . . . وليس المراد بالمثل المثل بأعيان الأشياء وأشخاصها ، وإنما المراد أن الحقوق بينهما متبادلة ، وأنهما أكفاء . . . فهما متماثلان في الحقوق والأعمال كما أنهما متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل . . .

ويفسّر الشيخ عبده معنى : « وللرجال عليهن درجة » فيرى أنها القيادة التي لا بد منها لأي مجتمع ، صغيراً أم كبيراً ، أسرة أم قرية أم مدينة أم أمة والتي هي ضرورة من ضرورات توزيع العمل بين البشر . . . والدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى : ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض ﴾ أي بما اختلفوا عن بعضهم البعض من الناحية التكوينية (وبما أنفقوا من أموالهم) فالحياة الزوجية حياة إجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس ، لأن المجتمعين لا بدّ أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور ولا تقوم مصلحتهم إلاّ إذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف ، لئلا يعمل كل ضد الآخر فتفصم عرى الوحدة الجامعة ويختل النظام^(٢٩) وإذا كانت المرأة من الناحية التكوينية تختلف عن الرجل فإنّ الله تعالى جعل لها ميزة تكريمية من الناحية الشرعية .

يقول الرسول الأعظم (ص) : « من كان له أنثى فلم يهنها ولم يؤثر (يفضل) ولده عليها أدخله الله الجنة »^(٣٠) .

قال أمير المؤمنين علي (ع) : « إنّ المرأة ريحانة وليست بقهرمانة^[*] فدارها على كل حال وأحسن الصحبة ليصفو عيشك » .

[*] القهرمان هو وكيل الدخل والخرج الذي يحكم في الأمور ويتصرّف فيها بأمره

وعلى هذا فليست المرأة بطل في الملائكة وحمل الأثقال بل هي ريحانة لا بدّ من مداراتها .

ويخطب رسول الله (ص) في حجة الوداع فيقول : « فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهنّ خيراً » (٣١) .

وروي أن رسول الله (ص) أتته أخت له من الرضاعة ، فلما نظر إليها سرّ بها وبسط ملحفته لها فأجلسها عليها ، ثم أقبل يحدثها ، ويضحك في وجهها ، ثم قامت وذهبت ، وجاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها ، ف قيل له : يا رسول الله صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل ؟ فقال (ص) : لأنها كانت أهر بوالديه منه » (٣٢) .

وعن أبي خديجة عن الإمام الصادق (ع) قال : « جاء رجل إلى النبي (ص) فقال : إني ولدت بنتاً ، وربيتها حتى إذا بلغت فألبستها ، وحليتها ، ثم جئت بها إلى قليب (بئر) فدفعتها في جوفه وكان آخر ما سمعته منها وهي تقول : يا أبتاه .

فما كفارة ذلك . قال : ألك أم حية ، قال لا . قال : فلك خالة حية ؟ قال نعم قال : فابريها فإنها بمنزلة الأم ، يكفّر عنك ما صنعت .

قال أبو خديجة لأبي عبد الله (ع) : متى كان هذا ؟ فقال كان في الجاهلية (٣٣) .

وعن الإمام الصادق (ع) : « قال رسول الله (ص) : من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة . ف قيل : يا رسول الله . واثنتين ؟ فقال واثنتين . ف قيل : يا رسول الله وواحدة ؟ فقال : وواحدة » (٣٤) .

وعن الرضا (ع) أنه قال : قال رسول الله (ص) إن الله تبارك وتعالى على الأنثاء أرف منه على الذكور ، وما من رجل يدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرّحه الله يوم القيامة (٣٥) .

وعن الصادق (ع) قال : « البنون النعم ، والبنات الحسنات ، والله يسأل عن النعم ويثيب على الحسنات » (٣٦) .

وقال (ص) : « نعم الولد البنات ملطفات مجهزات مؤنسات » .

وقال (ص) : « ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم » .
وعلي (ع) كان يقول : « رفقا بالقوارير » أي ارفقوا بالنساء لأنهن قوارير
العطر والطيب .

ويقول الصادق (ع) : « ليس للمرأة خطر إلا لطاحتها فأما صالحتهن
فليس خطرهما الذهب والفضة ، هي خير من الذهب والفضة وأما طاحتها فليس
خطرهما التراب ، التراب خير منها » .

وهنا لا بد من مناقشة بعض الأحاديث التي نسبت إلى أمير المؤمنين (ع)
والتي تنتقص من المرأة فبعضها ليس بصحيح ، لأنه يخالف للموازين التي يعرف
بها الحديث الصحيح من غيره ، وبعضها فهم خطأ ولم يفهم على حقيقته .

روي عن علي (ع) أنه قال : « المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لا بد منها » .
الواقع أن ظاهر هذا الكلام لا يمكن صدوره عن علي (ع) ، إلا إذا أراد
بكلامه امرأة مخصوصة وكانت « الـ » التعريف هنا « الـ » العهدية . . .

أي أنه يقصد المرأة المعهودة بيني وبينكم أما بشكل عام فإن الحديث هذا
يخالف كتاب الله كما جاء عن أهل البيت في موضع الميزان لتمييز الصحيح من
الفاقد :

« ما أتاكم من حديث من برّ أو فاجر فاعرضوه على كتاب الله فما وافق
كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فذروه » .

وهاك حديث آخر مفترى على الإمام علي (ع) قوله : « المرأة حشرة » وهو
غير صحيح ، إنما أراد واضعوه الإساءة إلى علي (ع) وإلى المرأة معاً .

وقوله أيضاً : « المرأة كالنعل يلبسها الرجل إذا شاء ، لا إذا شئت » .

أيضاً قوله : « المرأة عقرب حلو اللبسة » . . . ينطبق عليه نفس الكلام .

ونقف هنا أمام كلام علمي ومهم لعلي (ع) فهم خطأ من قبل أكثر الباحثين
وبعضهم من المغرضين . يقول علي (ع) : « معاشر الناس إن النساء نواقص
الإيمان ، نواقص الحظوظ ، نواقص العقول ، فأما نقصان إيمانهم فقعودهن عن

الصلاة والصيام في أيام حيضهن . وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد ، وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال» (٣٧) .

ونبدأ الآن بمناقشة هذا الحديث فنسأل ؟

١ - هل النساء نواقص الإيمان ،

وكيف يمكن أن نفهم قول أمير المؤمنين (ع) ؟

أولاً : إن معنى النقص هنا ، هو الاختلاف في التكوين والطبيعة ، فإذا أخذنا الرجل كمقياس كانت المرأة ناقصة بالنسبة له .

وإذا أخذنا المرأة كمقياس كان الرجل ناقصاً بالنسبة لها .

لذلك فإن الإمام علي (ع) قصد بالنقص الاختلاف وهذا الاختلاف تكاملي .

فمن الضروري أن تحيض المرأة ولاً لانقطاع النسل وهلكت البشرية ، وعود المرأة عن العبادات هو بأمر من الله وليس باختيارها والمطبق لأمر الله ليس مذموماً بل مدوحاً . والاختلاف التكويني ليس نقصاً بل كمالاً .

٢ - هل النساء نواقص العقول ؟

الإنسان مركب من عقل وعاطفة .

والمجتمع البشري مؤلف من رجال ونساء .

والرجل يتميز بقلّة العاطفة أما المرأة فتتميز بزيادة في العاطفة وفائض فيها .

والعقل وإمكانية التفكير متوفران عند الرجل والمرأة .

ونقص العاطفة عند الرجل يجعله أكثر موضوعية ، وزيادة العاطفة عند المرأة تقريبها من الذاتية ، وتفقد الصلابة ، لذا فإنّها تتصف بالحنان والرقّة والقدرة على (تربية الأطفال) .

أما الرجل فيتميز بالخشونة وعدم الرقة ، وكون المرأة ذات عاطفة وحنان ،

فإنّ ذلك كمال لها ، وإذا كانت عاطفة الرجل كما المرأة فإنّ ذلك نقص فيه .

وتحقيقاً للعدالة وضماناً لها ، اشترط الشارع أن يتوفر في مجال الشهادة امرأتان مقابل رجل ، وهذا لا يعني أن المرأة تساوي نصف رجل كما يظن الجاهلون لأنه توجد حالات لا تقبل فيها شهادة الرجال مطلقاً ، فهل يعني ذلك أن الرجل يساوي صفرأ كما يقول بعض كتابنا .

والله تعالى يعلل لماذا روعي هذا الأجراء من جعل شهادة رجل واحد بقوله : « إنّ تضرّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » .

فلما كانت المرأة بطبيعتها العاطفية المتدفقة السريعة الإنفعال مظنة أن تتأثر بملاحظات القضية « فتضرّ » عن الحقيقة ، روعي أن تكون معها امرأة أخرى . . . وقد يكون المشهود له أو عليه امرأة جميلة تثير غيرة الشاهدة ، أو قد يكون فتى يثير كوامن الغريزة أو عطف الأمومة . . . إلى آخر هذه العواطف التي تدفع إلى الضلال بوعي أو بغير وعي ، ولكن من النادر جداً حين تحضر امرأتان في مجال واحد ، أن تتفقا على تزييف واحد ، دون أن تكشف إحداهما خبايا الأخرى فتظهر الحقيقة » (٣٨) .

وهناك أمور لا تقبل فيها شهادة ألف رجل وتقبل شهادة امرأة واحدة وذلك في الأمور النسائية الخاصة التي تعتبر المرأة خبيرة ومختصة بها .

ونسأل الآن هل النساء نواقص الحظوظ ؟

يقول تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ [١] .

إنّ هذا التوزيع ليس انتقاصاً من المرأة وحقوقها بل هو عدل كامل ، وبالتدقيق يتبين أن المرأة أكثر ربحاً من أخيها في هذه القسمة ، وذلك يظهر من خلال عملية حسابية بسيطة .

أولاً : إنّ البنت عندما تتزوج ، تنتقل إلى بيت مجهز وتأخذ مهرأ وليس عليها مسؤولية الإنفاق بل لها حق في ذلك على الزوج ولو كانت غنية . إذن ما

[١] سورة النساء : الآية ١١ .

تأخذه من إرث والدها هو مال احتياطي لا تحتاجه إلا في أوقات نادرة .
والشباب عندما يريد أن يتزوج عليه أن يجهز بيتاً ، وأن يدفع المهر وأن ينفق على أسرته ، وقد ينفق ما ورثه ، ويحتاج إلى مال إضافي في كثير من الحالات ويضطر للعمل لكي يقوم بواجباته فمن هو الرابع يا ترى ؟ .
ثانياً : هذه القاعدة ليست قاعدة عامة ففي بعض الحالات نرى أن المرأة تأخذ أكثر من الرجل وفي حالات أخرى يتساوى الرجل والمرأة ، وإليك بيان ذلك .

١ - إرث المرأة مساوٍ لإرث الرجل

قال تعالى : ﴿ وإن كانت واحدة فلها النصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ﴾ [١] .

٢ - المرأة تأخذ أكثر من الرجل

كما لو توفي شخص وترك بنتاً وأحد أبويه ، فعندئذ (يأخذ أحد الأبوين الربع بالتسمية والرد ، وتأخذ البنت ٣/٤ الباقي) .
فالجد هو رجل يستحق في هذه الحالة الربع وحفيدته (البنت) تستحق ٣/٤ الميراث (٣٩) .

ويعبر الإمام علي (ع) عن هذا الاختلاف التكويني بين الرجل والمرأة بكلام يختصر كل الأبحاث العلمية والاجتماعية حول هذا الموضوع يقول (ع) : « خيار خصال النساء شرار خصال الرجال » .

الحجاب الشرعي لماذا ؟

ولماذا أصبحت هذه الكلمة غير محبة إلى بعض النفوس ؟ .
إن كل شيء في الطبيعة يرتدي حجاباً بالمعنى المجازي ، وإلا ففسد ، فالبرتقالة وثمرتها الجوز والتفاح وغيرها لها قشر خارجي يحميها ، وإن نزع وتركت بدونه تفسد وهكذا المرأة . . .

[١] سورة النساء : الآية ١١ .

وتقول الدكتورة نوال السعداوي في كتابها : « الوجه العاري للمرأة العربية » ، وفي معرض انتقادها للحجاب : « يحظر على النساء الخروج من البيت إلى عالم الرجال الخارجي إلا للضرورة القصوى ، وفي حالة خروج النساء من البيت يتحتم عليهن ألا يظهرن أي شيء من فتنتهن وذلك بتغطية أجسادهن وحفظ فروجهن وعدم إظهار مفاتهن أوزيتهن .

ويتضح لنا الآن السبب الحقيقي وراء ذلك الحجاب الذي لم يكن موجوداً في بدء الإسلام ولا في حياة محمد (ص) ، ولكنه شاع في المجتمعات العربية بعد ذلك . . .

فالحجاب لم ينشأ لحماية المرأة وإنما أنشئ الحجاب من أجل حماية الرجل أساساً . . . » (٤٠) .

وننقل رأي أحد دعاة تحرير المرأة على الطريقة الغربية وعلى الأصح تحرير المرأة من كرامتها وإنسانيتها وهو أحد الأدباء الذي لعب دوراً في إشاعة السفور والفساد ، إنه ولي الدين يكن إذ يورد كلاماً على لسان فقيه سئل هل حجاب المرأة واجب شرعاً ؟ .

فأجاب : لا وأي شرع يكون شقاء على العباد . ويقول يكن : « نفسي فداء أرواح صعبت بين الأسوار المرفوعة (البيوت) والسدف المسدولة (البراقع) أو وقعت تلقاء القدرة ضعافاً مثل هذه خليك ، بأن ييكي عليها لأنها تموت قبل أن تولد » .

ونقتطف بعض الأبيات له يقول :

ألا ما لسيدتي من ناحية بروحي مدامعها الساكبه
أزيلي الحجاب عن الحسن يوماً ، وقولي مَلَّتْكَ يا حاجبه
فلا أنا منك ولا أنت مني فرح ذاهباً ، ها أنا ذاهبه

ويقول : شهدت مصارع ثلاث نسوة : إحداهن قتلها الإستبداد ، والثانية أرداها الجهل ، والثالثة أودى بها الحجاب ، ونكتفي بالكلام عن التي أودى بها الحجاب ، كما يعبر الكاتب :

« وأما التي قتلها الحجاب فقد تزوجها رجل من أهل « أدنة » ، شديد الغيرة دخلت بيته ليلة زفت إليه ، ولم تخرج منه أبداً ، حتى إذا مرضت وثقل عليها المرض واشتد الألم دعا زوجها طبيباً ، وأخذ يصف ما تشكوه ، فقال أنا لا أداوي على السماع ، ولا بد من رؤية المريضة وفحص موضع العلة فأبى الزوج الأبى ذلك ، وما مضت أيام قلائل إلّا وقد أزروها في أكفانها ، وشيعوها إلى منزلها الأبدى » (٤٥) .

والآن علينا أن نناقش دعوى هؤلاء (البؤساء) الذين يظنون أن الإسلام لم يأت بفكرة الحجاب كما زعمت الدكتورة نوال السعداوي ، وأن الحجاب ضريح المرأة كما ادعى يكن .

أولاً : نصوص الحجاب

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [١] .

الآية ترد على دعوى أمثال نوال السعداوي وتقول بأن الحجاب ليس حماية للرجل وحفاظاً على أخلاقه فحسب بل هو حماية لأخلاق الرجل والمرأة معاً (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) .

إنّ الحجاب قد نصّ عليه القرآن الكريم ، فيكف تزعم السعداوي أنه لم يكن موجوداً في بدء الإسلام وفي حياة محمد (ص) ، وفيما يأتي كلام أوضح .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا . وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ . . . إِلَى أَنْ يَقُولَ : وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ .

[١] سورة الأحزاب : الآية ٥٣ .

[٢] سورة الأحزاب : الآية ٥٩ .

وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴿١١﴾ .

ونقول لولي الدين يكن ولأنصاره وأعوانه والقائلين بمقاتته ، إن القصة التي رواها لا تدين الدين ، بل تدين الجاهلين بالدين أمثاله ، لأن الذي قتلها ليس الحجاب الشرعي ، بل الجهل بأوامر الشرع والشارع ، ألا يعلم ولي الدين وأنصاره أن (الضرورات تبيح المحظورات) والإسلام يطلب من المرأة الالتزام بالحجاب ، ولكن إذا تعرضت للخطر فلا مانع من رفعه عند الضرورة كما حصل لهذه المرأة . وفي السنة الشريفة أحاديث كثيرة تدل على الحجاب .

وقال (ص) : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

وقال (ص) : « إذا تطيّبت المرأة لغير زوجها فلأنما هو نار وشنار » .

وعن أم سلمة قالت « لما نزلت هذه الآية ﴿ يسدنين عليهن من جلابيبهن ﴾ ، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسهن » .

ودائماً نجد الإفتراءات على أهل الدين والإيمان فقد صور أعداء أهل البيت سكينة بنت الحسين (ع) إنها كانت تجالس الرجال والشعراء بدون حجاب وإنما كانت تنشئ الأشعار غير المحتشمة ، وأنها اخترعت تصفيفة للشعر عرفت بتصفيفة سكينة بنت الحسين ! . .

كذبوا والله إنه الحقد الأعمى على أهل البيت (ع) ، ومحاولة لتشويههم وتشويه الإسلام وفي مجال الرد نترك الأمر للحسين (ع) ليرد على هؤلاء في أبيات له يوم عاشوراء حيث يصف سكينة بأنها (خيرة النسوان) وكيف تكون كذلك إذا لم تكن في قمة التزامها بالشرعية .

يقول الحسين (ع) لسكينة :

[١] سورة النور : الآية ٣١ .

لا تحرقني قلبي بدمعك حسرة ما دام هذا الروح في جثمانى
فلذا قتلت فأنت أولى بالذي تأتينه يا خيرة النسوان

وإذا كنا واقعيين علينا أن نعترف أن التجاذب بين السلبي والإيجابي وبين
الرجل والمرأة لا بدّ حاصل ولنفترض أن أحد الجنسين سواء أكان الرجل أو المرأة
هو السلبي أو الإيجابي فهل هناك أي مانع من التأثير والتأثير المتبادل .

ونحن في عالم البناء ومدّ أسلاك الكهرباء ، نرى أن الشركات التي تصنع
الأسلاك الكهربائية تغلف السلك . . . وإلا فإنّ السلك غير المغلف الذي يجب
تأثير الكهرباء يؤدي إلى ضرر كبير ، وهذه الأسلاك تصبح مؤذية لا بل قاتلة بدون
حجاب أو غلاف .

وبعض النساء من اللواتي خدعن بالحضارة الغربية والدعاية الباطلة ،
يقلن : نريد أن نتعلم . . . والحجاب عائق .

« أبداً . . . الحجاب ليس « شرطي حدود » يمنع مرور العلم إلى الدماغ
وأي مركبة فضائية سوف تنفجر في الفضاء إذا ما تعلمت وأنت بحجة أم أن
« جرائم أوروبا عند قوم فضائل »^(٤٢) .

وماذا عن مصافحة الشاب للفتاة ؟

قد تقول إحداهنّ : ما المانع من السماح بمصافحة الرجل للمرأة أو
العكس ؟ .

نقول : لتقريب الأمر إلى الأذهان نسأل : ماذا يحصل إذا قربنا السلك
الكهربائي الموجب من السالب ؟ أجل هذه هي نتيجة المصافحة بشكل عام . . .
يقول (ص) : « من صافح امرأة تحرم عليه فقد باء بسخط من الله عزّ
وجل ، ومن التزم امرأة حراماً قرن في سلسلة من نار مع شيطان فيقذفان في
النار »^(٤٣) .

ويقول أيضاً : « ومن صافح امرأة حراماً جاء يوم القيامة مغلولاً ثم يؤمر به
إلى النار ومن فاكه امرأة لا يملكها حبسه الله بكل كلمة كلمها في الدنيا ألف
عام »^(٤٤) .

رأيت امرأة معلقة بشعرها ، يغلي دماغ رأسها .
 ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقتها .
 ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها .
 ورأيت امرأة قد شددت رجلاها إلى يديها وقد سلّطت عليها الحياة
 والعقارب .
 ورأيت امرأة صباء عمياء خرساء في تابوت من نار ، يخرج دماغ رأسها من
 منخرها ، وبدنها مقطّع من الجذام والبرص .
 ورأيت امرأة يقرض لحمها بالمقاريض .
 فقالت فاطمة (ع) : « أخبرني ما كان عملهن (في الدنيا) حتى وضع
 عليهن هذا العذاب » ، فقال (ص) : « يا بنية :
 أما المعلقة بشعرها فإنها كانت لا تغطي شعرها عن الرجال .
 وأما المعلقة بلسانها فإنها كانت تؤذي زوجها .
 وأما التي تأكل لحم جسدها فإنها كانت تزين بدنّها للناس .
 وأما التي شددت يداها إلى رجلها ، وسلّطت عليها الحياة والعقارب فإنها
 كانت قدرة الوضوء ، وقذرة الثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ، ولا
 تتنظف ، وكانت تستهين بالصلاة .
 وأما العمياء الصماء الخرساء فإنها كانت تلد من الزنا وتعلقه في عنق
 زوجها .
 وأما التي يقرض لحمها بالمقاريض فإنها كانت تعرض نفسها على
 الرجال » (٤٥) .
 وتأتي إحداهن لتقول : وماذا لو بقيت سافرة ، ولم التزم بالحجاب
 الشرعي ؟ .
 الجواب على مستوين :

الأول : على مستوى الحياة الإجتماعية : فإذا كنت تدّعين العلم ، فهذا جهل ، وإذا كنت تدّعين التقدم فهذا تخلف وإساءة إلى المجتمع وإساءة إلى نفسك ، وكل هذا واضح ومعلوم .

الثاني : على المستوى الأخروي : استحقاق العقوبة الإلهية التالية :

يقول علي (ع) : « دخلت أنا وفاطمة (ع) على رسول الله (ص) فوجدناه يبكي بكاء شديداً ، فقلت : فداك أبي وأمي ما الذي أبكاك ؟ .

فقال : يا علي ليلة أسري بي إلى السماء رأيت نساء أمّتي في عذاب شديد ، فأنكرت شأنهن ، وبكيت لما رأيت من شدة عذابهنّ . . .



أحاديث شريفة حول المرأة

- ١ - قال رسول الله (ص) : « أيما امرأة نزع ثيابها في غير بيتها خرق الله عز وجل ستره »^[١] .
- ٢ - قال رسول الله (ص) : « العفاف زينة النساء »^[٢] .
- ٣ - قال الإمام علي (ع) : « يا أهل العراق : نبئت أن نساءكم يدافعن الرجال في الطريق أما تستحيون ؟ » لعن الله من لا يغار^[٣] .
- ٤ - قال رسول الله (ص) : « الحياء شعبة من الإيمان »^[٤] .
- ٥ - قال رسول الله (ص) : « ويل للنساء من الأحمرين : الذهب والمعصفر »^[٥] .
- ٦ - قال رسول الله (ص) : « نعم الولد البنات المخدرات ، من كانت عنده واحدة جعلها الله سترًا له من النار »^[٦] .

[١] نهج الفصاحة .

[٢] نهج الفصاحة .

[٣] الوسائل ج ٧ ص ١٧٤ .

[٤] نهج الفصاحة .

[٥] نهج الفصاحة .

[٦] مكارم الأخلاق .

- ٧ - قال الصادق (ع) عن رسول الله (ص) : « . . . ونهى ، تتزين المرأة لغير زوجها فإن فعلت كان حقاً على الله أن يجرها بالنار » [١٦] .
- ٨ - قال رسول الله (ص) : « إذا تطيبت المرأة لغير زوجها فلئما هونار وشنار » [٢٢] .
- ٩ - قال رسول الله (ص) : « عليكن بذكر الله آناء الليل وأطراف النهار ، وغضّ الصوت » [٣٣] .
- ١٠ - قال رسول الله (ص) : « الجنة تحت أقدام الأمهات » [٢٤] .
- ١١ - قال رسول الله (ص) : « لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات » [٥٥] .
- ١٢ - قال رسول الله (ص) : « إياكم وخضراء الدمن قيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : المرأة الحسناء في منبت السوء » [٦٦] .
- ١٣ - قال رسول الله (ص) : « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثركم الأنبياء » [٧٧] .
- ١٤ - قال رسول الله (ص) : « تنكح المرأة لأربعة : لمالها ولحسبها ولجهاها ولدنها ، فاظفر بذات الدين » [٨٨] .
- ١٥ - قال رسول الله (ص) : « إذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب بالسواد فليعلمها انه يخضب » [٩٩] .

[١] الوسائل ج ٧ ص ١٥٤ .

[٢] نهج الفصاحة .

[٣] المرأة في ظل القرآن ص ٢٤٦ .

[٤] نهج الفصاحة .

[٥] نهج الفصاحة .

[٦] نهج الفصاحة .

[٧] نهج الفصاحة .

[٨] نهج الفصاحة .

[٩] نهج الفصاحة .

١٦ - قال رسول الله (ص): «أما رجل تزوّج امرأة فنسوى أن لا يعطها من صداقها شيئاً مات يوم يموت وهو زان» [١].

١٧ - قال رسول الله (ص): «حقّ على الله عون من نكح التماس العفاف عمّا حرم الله» [٢].

١٨ - قال رسول الله (ص): «خير النكاح أيسره» [٣].

١٩ - قال رسول الله (ص): «جهاد المرأة حسن التبعل» [٤].

٢٠ - قال رسول الله (ص): «أما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» [٥].

٢١ - قال رسول الله (ص): «أعظم النساء بركة أقلهنّ مؤنة» [٦].

٢٢ - قال رسول الله (ص): «خير النساء من تسرك إذا أبصرت إليها وتطيعك إذا أمرت وتحفظ غيبتك في نفسها ومالك» [٧].

٢٣ - قال رسول الله (ص): «أما امرأة لم ترفق بزوجه وحملته على ما لا يقدر عليه وما لا يطيق لم تقبل منها حسنة وتلقى الله وهو عليها غضبان» [٨].

٢٤ - قال رسول الله (ص): «خيركم ، خيركم لنسائه وبناته» [٩].

٢٥ - قال رسول الله (ص): «من أخلاق الأنبياء حب النساء» [١٠].

[١] نهج الفصاحة .

[٢] نهج الفصاحة .

[٣] نهج الفصاحة .

[٤] نهج الفصاحة .

[٥] نهج الفصاحة .

[٦] نهج الفصاحة .

[٧] نهج الفصاحة .

[٨] مكارم الأخلاق ص ٢١٤ .

[٩] نهج الفصاحة .

[١٠] نهج الفصاحة .

٢٦ - قال رسول الله (ص) : « ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم » [١].

٢٧ - قال رسول الله (ص) : « حَبِّبْ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءَ وَالطَّيِّبَ وَجَعَلْتَ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » [٢].

٢٨ - قال الصادق (ع) : « رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته فإن الله عز وجل قد ملكه ناصيتها ، وجعله القيم عليها » [٣].

٢٩ - قال رسول الله (ص) : « من دخل السوق فاشتري تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاييج ، وليبدأ بالإناث قبل الذكور ، فإنه من فرّج ابنته فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل ، ومن أقرّ عين ابن فكأنما بكى من خشية الله » [٤].

٣٠ - قال رسول الله (ص) : « ما من عبد يكسب ثم ينفق على عياله إلا أعطاه الله بكل درهم ينفقه على عياله سبع مئة ضعف » [٥].

٣١ - قال رسول الله (ص) : « هلك الرجال حين أطاعت النساء » [٦].

٣٢ - قال رسول الله (ص) : « أوصاني جبرائيل بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلاّ عن فاحشة بينة » [٧].

٣٣ - قال رسول الله (ص) : « تزوجوا ولا تطلقوا ، فإن الله لا يحبّ الذواقين والذواقات » [٨].

[١] نهج الفصاحة .

[٢] نهج الفصاحة .

[٣] مكارم الأخلاق ص ٢١٧ .

[٤] مكارم الأخلاق ص ٢٢١ .

[٥] مكارم الأخلاق ص ٢١٦ .

[٦] نهج الفصاحة .

[٧] مكارم الأخلاق ص ٢١٦ .

[٨] نهج الفصاحة .

٣٤ - قال رسول الله (ص) : « أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة » [١] .

٣٥ - قال رسول الله (ص) : « تزوجوا ولا تطلقوا ، فإن الطلاق يهترمه العرش » [٢] .

٣٦ - قال رسول الله (ص) : « عَفَّوا عن نساء الناس تعفَّ نساؤكم » [٣] .

٣٧ - قال رسول الله (ص) : « من صافح امرأة حراماً جاء يوم القيامة مغلولاً ثم يؤمر به إلى النار » [٤] .

٣٨ - قال رسول الله (ص) : « ثلاثة لا يدخلون الجنة ، العاق لوالديه ، والديوث ، ورجلة النساء » [٥] .

٣٩ - قال رسول الله (ص) : « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء » [٦] .

٤٠ - قال أمير المؤمنين (ع) : « يظهر في آخر الزمان واقتراب القيامة ، وهو شرُّ الأزمنة نسوة متبرجات كاشفات عاريات من الدين ، داخلات في الفتن ، مائلات إلى الشهوات ، مسرعات إلى اللذات ، مستحلات للمحرمات في جهنم خالدات » [٧] .

٤١ - قال رسول الله (ص) : « من تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتيق الله في الباقي » [٨] .

[١] نهج الفصاحة .

[٢] نهج الفصاحة .

[٣] نهج الفصاحة .

[٤] الوسائل ج ٧ ص ١٤٣ .

[٥] نهج الفصاحة .

[٦] نهج الفصاحة .

[٧] مكارم الأخلاق ص ٢٠١ .

[٨] مكارم الأخلاق ص ١٩٦ .

- ٤٢ - عن الصادق (ع) : « من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظنَّ برَّبِّه لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [١] .
- ٤٣ - وقال النبي (ص) : « من سرَّه أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة صالحة » [٢] .
- ٤٤ - قال رسول الله (ص) : « أفضل النساء من أمتي أصبحن وجهاً وأقلهن مهراً » [٣] .
- ٤٥ - قال أمير المؤمنين (ع) : « عقول النساء في جهالن وجمال الرجال في عقولهم » [٤] .
- ٤٦ - عن الإمام زين العابدين (ع) : « إذا أراد أحدكم أن يتزوج فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها فإن الشعر أحد الجمالين » [٥] .
- ٤٧ - عن الإمام زين العابدين (ع) : « خير نسائكم الطيبة الريح ، الطيبة الطعام التي إن أنفقت أنفقت بمعروف وإن أمسكت أمسكت بمعروف ، فتلك من عمال الله وعامل الله لا يخيب ولا يندم » [٦] .
- ٤٨ - قال رسول الله (ص) : « ألا أخبركم بخير نسائكم ؟ قالوا : بلى ، قال (ص) : إن خير نسائكم الولود الودود الستيرة - العفيفة المستورة - العفيفة ، العزيزة في أهلها ، الذليلة مع بعلمها ، المتبرجة مع زوجها ، الحصان عن غيره ، التي تسمع قوله وتطيع أمره وإذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ولم تتبدل - ترك الزينة - له تبدل الرجل » [٧] .
- ٤٩ - جاء رجل إلى رسول الله (ص) وقال : « إن لي زوجة إذا دخلت

[١] مكارم الأخلاق ص ١٩٦ .

[٢] مكارم الأخلاق ص ١٩٧ .

[٣] مكارم الأخلاق ص ١٩٨ .

[٤] مكارم الأخلاق ص ١٩٩ .

[٥] مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ .

[٦] مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ .

[٧] مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ .

تلقتني وإذا خرجت شيعتي وإذا رأني مهموماً قالت : ما يهكم ، فإن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل به غيرك وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله همًا . . . فقال رسول الله (ص) : « بشرها بالجنة وقل لها أنك عاملة من عمال الله ولك في كل يوم أجر سبعين شهيداً وفي رواية ، أن الله عز وجل عمالاً من عماله ، لها نصف أجر الشهيد » [١] .

٥٠ - قال الإمام الصادق (ع) : « الخيرات الحسان من نساء أهل الدنيا هنّ أجمل من حور العين » [٢] .

٥١ - قال الإمام الصادق (ع) : « الشجاعة لأهل خرسان ، والباءة في أهل البربر ، والسخاء والحسد في العرب فتخيروا لنطفكم » [٣] .

٥٢ - قال أمير المؤمنين (ع) : « من أراد الباء فليتزوج بامرأة قريبة من الأرض ، بعيدة ما بين المنكبين سمراء اللون ، فإن لم يحظ بها فعليّ مهرها » [٤] .

٥٣ - قال رسول الله (ص) : « إذا صلّت المرأة خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت » [٥] .

٥٤ - الإمام الصادق (ع) : « أغلب الأعداء للمؤمن زوجة السوء » [٦] .

٥٥ - قال رسول الله (ص) : « لو أن ما في الأرض من ذهب وفضة حملته المرأة إلى بيت زوجها ثم ضربت على رأس زوجها يوماً من الأيام ، تقول : من أنت ؟ إنما المال مالي حبط عملها ولو كانت من أعبد الناس إلا أن تتوب وترجع وتعتذر إلى زوجها » [٧] .

[١] مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ .

[٢] مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ .

[٣] مكارم الأخلاق ص ٢٠٠ .

[٤] مكارم الأخلاق ص ٢٠١ .

[٥] مكارم الأخلاق ص ٢٠١ .

[٦] مكارم الأخلاق ص ٢٠١ .

[٧] مكارم الأخلاق ص ٢٠١ .

- ٥٦ - عن أمير المؤمنين (ع) قال : « سمعت رسول الله (ص) يقول :
« إيا امرأة هجرت زوجها وهي ظالمة حشرها يوم القيامة مع فرعون وهامان
وقارون في الدرك الأسفل من النار إلا أن تتوب وترجع » [١] .
- ٥٧ - قال رسول الله (ص) : « إذا تزوج الرجل المرأة لماها وجمالها لم يرزق
ذلك ، فإن تزوجها لدينها رزقه الله عز وجل ماها وجمالها » [٢] .
- ٥٨ - عن الحسين بن بشار قال : كتبت إلى أبي الحسن (ع) : إن لي ذا قرينة
قد خطب إليّ وفي خلقه سوء ، قال (ع) : « لا تزوجه إن كان سيء الخلق » [٣] .
- ٥٩ - الإمام علي (ع) : « خيار خصال النساء شرار خصال الرجال :
الزهو ، والجبن والبخل ، فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكّن من نفسها وإذا كانت
بخيلة حفظت ماها ومال بعلها ، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شيء يعرض
عليها » [٤] .
- ٦٠ - الإمام علي (ع) : « صيانة المرأة أنعم لحالها وأدوم لجمالها » [٥] .
- ٦١ - الرسول الأكرم (ص) : « لا يَخْلُونُ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما
الشيطان » [٦] .

[١] مكارم الأخلاق ص ٢٠٢ .

[٢] مكارم الأخلاق ص ٢٠٣ .

[٣] مكارم الأخلاق ص ٢٠٣ .

[٤] نهج البلاغة حكم ٢٣٤ .

[٥] غرر الحكم .

[٦] الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٣٨ .

مصادر ومراجع البحث

- (١) راجع شبهات حول الإسلام ص ١٤٩ .
- (٢) راجع خطر التبرج والإختلاط / عبد الباقي رمضان ص ١٩٦ .
- (٣) راجع في استراتيجية الأسرى وقضايا الزواج / صاحب حسين الصادق ص ٣٤ .
- (٤) نفسه نقلاً عن مجلة الآداب التي نشرت مقالة نازك الملائكة تحت عنوان (مآخذ إجتماعية على حياة المرأة العربية / نيسان ١٩٧٠ .
- (٥) التبشير والإستعمار / لمصطفى خالدي وعمر فروخ / ص ٨٧ .
- (٦) دائرة المعارف لفريد وجدي . .
- (٧) الوسائل .
- (٨) المرأة والأسرة في الحضارة الغربية الحديثة ص ١٦ .
- (٩) المصدر السابق / نقلاً عن الأهرام ١٩٧٣/٦/٩ .
- (١٠) نفس المصدر نقلاً عن الأهرام ١٩٦٧/٢/٢٦ .
- (١١) ماركس أنجلز بيان الحزب الشيوعي ص ٧٤ مختارات ٤ أجزاء .
- (١٢) البيان الشيوعي - ماركس وأنجلز - ص ٧٢ .
- (١٣) كيف تسعد الحياة الزوجية - هادي المدرسي ص ١٩ .
- (١٤) نفس المصدر ص ١٨٩ .
- (١٥) جريدة السفير ٢٠ كانون الأول / ١٩٨٤ .
- (١٦) كيف تسعد الحياة الزوجية نقلاً عن مجلة الأسبوع العربي / عدد ٦٢٧ .
- (١٧) المرأة والأسرة في الحضارة الغربية الحديثة ص ٤٣ .
- (١٨) جريدة الأخبار المصرية في ١٩٧٦/٢/٢٥ .
- (١٩) راجع جريدة السفير / السبت ١٥ كانون الأول ١٩٨٤ .

- (٢٠) خطر التبرج والإختلاط / ص ١٦٥ .
- (٢١) مأخذ إجتماعية على حياة المرأة الغربية / نازك الملائكة .
- (٢٢) المرأة والأسرة في الحضارة الغربية / ص ٢٩ .
- (٢٣) خطوات إلى رسالية المرأة ص ٨ .
- (٢٤) السفير ملحق خاص بالأعياد / الخميس ١٩٨٤/٢/٢٠ .
- (٢٥) الحجاب للمودودي ص ١٨٥ وما بعدها .
- (٢٦) المصدر السابق ص ١٩٣ .
- (٢٧) كتاب نيميلاف / ص ٧٦ .
- (٢٨) المصدر السابق .
- (٢٩) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده / دراسة د. محمد عمار / ج ٤ ص ٦٣٠ - ٦٣٥ .
- (٣٠) مستدرك الوسائل / باب النكاح .
- (٣١) تحف العقول / ص ٣٠ .
- (٣٢) الأصول في الكافي / ج ٢ ص ١٥٩ .
- (٣٣) المصدر السابق ص ٢٤٢ .
- (٣٤) نفس المصدر .
- (٣٥) نفس المصدر .
- (٣٦) نفس المصدر .
- (٣٧) نهج البلاغة / ص ١٠٦ / تنظيم صبحي الصالح .
- (٣٨) شبهات حول الإسلام / ص ١٢٦ .
- (٣٩) الأسرة المسلمة / دار التوحيد .
- (٤٠) الوجه العاري للمرأة العربية / ص ٦٧ .
- (٤١) الصحائف السود / ولي الدين يكن .
- (٤٢) خطوات إلى رسالية المرأة / ص ٣٠ .
- (٤٣) الوسائل ج ١٤ ، ص ١٤٢ .
- (٤٤) نفس المصدر / ص ١٤٣ .
- (٤٥) بحار الأنوار ج ١٠٣ ، ص ٢٤٥ .

الفصل الرابع

١. الأمة الإسلامية والمقاومة الحضارية
٢. الجهاد والمقاومة والشهادة



المقاومة الحضارية

المقاومة الحضارية حصن إيمان الأمة وسر استمرار عزتها.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ ﴾ [١] .
﴿ وَإِنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾ [٢] .
﴿ وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يَغْيُرُوا مَا
بَأَنفُسِهِمْ ﴾ [٣] .
﴿ ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضُ
الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [٤] .
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا
الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [٥] .
﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ
الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ

[١] سورة الرعد : الآية ١١ .

[٢] سورة الجن : الآية ١٦ .

[٣] سورة الأنفال : الآية ٥٣ .

[٤] سورة الروم : الآية ٤١ .

[٥] سورة الإسراء : الآية ١٦ .

أو يصيبهم عذاب أليم ﴿١١﴾ .
﴿ فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾ .
﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا ما ساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين ﴾ [٢] .
﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [٣] .
﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ [٤] .
﴿ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين ﴾ [٥] .



ويقول الإمام الخميني قدس سره : « شعبنا كان يعاني من التشّت والضعف لكنه تحلى خلال فترة الثورة بصفات هي ذات الصفات التي تحلى بها المسلمون في صدر الإسلام ، وهي الإلتواء التام للإسلام وقوة الإيمان ووحدة الكلمة ولا زال شبابنا يطالبوننا بالدعاء لهم بالإستشهاد .

هذا التغيير الكبير الذي طرأ على هذا الشعب بإرادة الله سبحانه وتعالى هو

[١] سورة النور : الآية ٦٤ .

[٢] سورة الأحقاف : الآية ٢٤ - ٢٥ .

[٣] سورة النور : الآية ٥٥ .

[٤] سورة الأعراف : الآية ٩٦ .

[٥] سورة الأنعام : الآية ٦ .

الذي أدّى إلى انتصاره على قوة شيطانية كبيرة كانت كل القوى العظمى تسندها .
 وكان هذا الانتصار من نعم الباري تعالى وعطاياه على شعبنا واني أمل أن
 يظل شعبنا متحلياً بهذه الصفات وأن تتحلّى بها جميع الشعوب المسلمة كي تستعيد
 عزة الإسلام وعظمته الأولى » .

إنّ الأمة الإسلامية قد تعرضت لهجمات شتى استهدفتها كحضارة وكوجود
 سياسي واجتماعي ، وذلك كله يعود إلى أسباب كثيرة ومختلفة ، مما جعل الأمة
 تنكفيء وتراجع ، وأدى ذلك إلى خلق أوضاع جديدة على مستوى تشوّش
 المفاهيم وغموضها ، أو تحوّلها وكان لكل ذلك آثاره ، على الوضع الحضاري
 والسياسي والاجتماعي ، ولقد شملت الانتكاسة أوضاعنا جميعها ، فعلى مستوى
 الأفراد نرى تدهوراً وتراجعاً وكذلك على مستوى الجماعات ، وسنحاول - بإذن
 الله - أن نبين خصائص الوضع الحضاري للأمة كأفراد وكمجتمعات لتعرّف
 أخيراً إلى طريق الخلاص . ولنبدأ بالتمييز بين المصطلحات التالية : الحضارة
 والمدنية والثقافة ، وذلك كمدخل ضروري لبحثنا . . .

فهناك من يدمج بين هذه المفاهيم الثلاثة ، وسنعمد بحول الله وقوته ، إلى
 تبيان الوجه الأصوب بالنسبة لهذا الأمر .

جاء في المعجم الأدبي^(١) أن الحضارة هي :

١ - حالة الشعوب التي تحرّرت من البربرية ، ونعمت بمنجزات التقنية
 الرفيعة ، وخضعت لأنظمة إجتماعية سياسية متقدمة ، فهي إذاً تشمل عدداً من
 المجتمعات البشرية .

٢ - مجموع الخصائص الإجتماعية والدينية والخلقية والتقنية والعلمية والفنية
 الشائعة في شعب معين .

٣ - إنّ لفظة (حضارة) تشير إلى مستوى معين من التقنية ولذلك يتكلم
 المؤرخون وعلماء الآثار على حضارات العصر الحجري ، والعصر الحديدي ،
 والعصر النفطي ، والعصر الذري الخ . . . كما تشير اللفظة إلى نوع من الثقافة
 مثل الحضارات الهندية ، واليونانية ، والعربية الخ . . .

والتقنية في مفهوم الدارسين تكوّن بنية الحضارة ، كما أن الثقافة هي روحها

وما يزال مفهوم الحضارة شاملاً لمعنيين اثنين :

الأول : نسبي معياري .

الثاني : عام وشامل ، وهو ينطوي في الوقت نفسه على رقي تقني ، يصطنعه الإنسان للسيطرة في الطبيعة وعلى رقي إجتماعي وخلقي ، أي على تحرر الأفراد والشعوب ووجود مجتمع بلا حروب ولا طبقات ، وخاصة على شيوع العدالة الشاملة ، فلا تكون هناك فئات متخمة ، وفئات جائعة ودول مهيمنة وأخرى مستضعفة ، وتقدم الحضارة لا يعني طغيان ثقافة غريبة على شرقية أو شمالية على جنوبية ، بل يعني ، أساساً ، تبادلاً أدبياً ، وفكرياً ، وعلمياً ، وفنياً بين جميع الأطراف بحيث تزدهر الفردية الثقافية ، وتنضج ثمارها .

الفصل بين هذه المصطلحات الثلاثة

ويظهر أن هذه التعريفات التي أوردناها لا تفصل بين المفاهيم الثلاثة : الحضارة والمدنية والثقافية ، إلا أن الفصل بينها ضروري لتعلّقه بمستقبل النهضة الحضارية للأمم ، وخدمة للصراع الفكري القائم بين الإسلام والمبادئ المناوئة .

وتعريف الحضارة الأصوب هو : « مجموعة قيم وأفكار وأخلاقيات ومبادئ ومعتقدات تنبثق عنها جملة من النظم والتقاليد والأعراف والسلوكيات المختلفة التي تتجسد في مجتمع أو مجموعة من المجتمعات في مرحلة زمنية معينة » .

والحضارة بهذا المعنى تعكس موقفاً معيناً إزاء الكون والإنسان والحياة ، فمن فكرة « الديمقراطية » في تشكيل حضاري معين إلى فكرة « الديمقراطية » في تشكيل آخر ، ومن نظرية السترنزي المرأة في الحضارة الإسلامية إلى « حرية » الأزياء النسائية في الحضارة الغربية ، ومن فكرة « الإقتصاد الحر » في النظام الرأسمالي ، إلى فكرة « الإقتصاد الموجه » في النظام الاشتراكي . هذا وإن لكل حضارة سمات معينة تميزها عن الأخرى ، إلا أن هذا لا يمنع الإلتقاء والتشابه المفاهيمي والتصوري في أسس الحضارات «^(٢)» .

وإذا أردنا أن نحدد معنى المدنية فعلينا أن ندلل على انفصالها من ناحية المفهوم عن الحضارة وهي أنها : « ليست جزءاً من الحضارة أو صورة من صورها أو مرادفة لها - كما يظن الكثير - لأنها غير مرتبطة جوهرياً بأي فكر ، إنما ارتباطها

يتم مع العقل المجرد ، ويأتي انبثاقها عن إبداعاته التي تتسم بطبيعتها بالإستقلال عن الإيديولوجيات الحضارية . فالمدينة هي كل ما يرتبط بوسائل الحياة والمتطلبات المادية التي يحتاجها الإنسان في توفير سبل راحته ورفاهه ، فهي بعبارة أخرى : أسلوب العيش ومواده المستعملة . . . » .

ولا أدل على صحة ما نقوله ما هو معروف عن (المدينة الإسلامية) التي طالما مهدت وأمدت (المدينة الحديثة) بالشئ الكثير^(٣) . وذلك في مختلف العلوم من رياضيات إلى طب إلى كيمياء إلى جيولوجيا إلى غير ذلك . .

وعلى هذا فإن الحضارة شيء والمدينة شيء آخر ، والعلاقة بينهما هي علاقة توجيه واستغلال واستخدام إما لصالح البشرية أو لفنائها ودمارها كما هو الحال بالنسبة للطاقة الذرية .

وهذا لا يعني إذا قلنا - أن الحضارة هي مفهوم معنوي ، إنه لا يوجد أطر وقوالب حضارية - تتسم على الرغم من أنها من مبتدعات الحضارة الحديثة - بالعمومية والمحايدة ، ويمكننا أن نطلق عليها « الشكليات الحضارية المحايدة » كشكليات الأعمال البنكية والطرق المبتدعة في الإدارة والتنظيم كـ « طرائق التحليل الإداري ، ومكننة الإدارة » ، وكذلك بعض المصطلحات السياسية والقانونية وغيرها^(٤) .

أما الثقافة فيمكن تعريفها بأنها : القيم المعنوية والأخلاقية المتصلة بمفهوم الحضارة من ناحية تشكيل الدافع لتطبيق النظريات والمبادئ ، وتشمل أيضاً الإنتاج الفكري والنظري والإبداع الأدبي والفني . . .^(٥) .

ويجب الإنتباه إلى أن مفهومي الحضارة والمدينة لا يدل عليهما المعنى اللغوي دلالة مباشرة ، فالحضارة لغة هو الإقامة بالحضر وهي القرى والأرياف ويراد بها الإستقرار الذي يقابل الترحال الذي هو من شأن البدو الرحل . أما لفظ المدينة فهو من (مَدَن - مُدُوناً بالمكان أي أقام فيه) .

إذن فاللفظتان تشتركان في معنى الإقامة والحضور إما من الناحية الإصطلاحية ، فإن المعنى متباين لأن مجال الحضارة هو (البناء الإنساني) أما المدينة فمجالها هو :

البناء المادي وبذا يتحدد الفصل والتمييز بينهما^(٦) .

يقول الدكتور مهدي فضل الله : « هناك من يخلط بين الثقافة والمدنية والحضارة ، ولا يرى فرقاً بينهما معتقداً بأنه عندما تقوم الثقافة أو توجد في مكان ما . . . تقوم المدنية والحضارة في الحال ، وهناك من يرى أن الحضارة تقوم حين يكون العقل هو المعوّل عليه في كل شيء . وهناك من يفرق بين الثقافة والحضارة ، فيرى أن الحضارة تقوم على جملة من الأسس المادية والروحية . في حين أن الثقافة لا تأبه بغير الروح . وهناك من يميز تمييزاً حاسماً بين الثقافة والمدنية والحضارة . فيرى أن الثقافة هي التراث الروحي للأمة في حين أن المدنية عبارة عن بداية التحضر الإنساني في الجانب المادي من الحياة ، وهي في تبدّل مستمر لمسيرة الأوضاع المستجدة في المكان والزمان ، أما الحضارة فهي الحياة المرفهة المستقرة التي تظلل أمة من الأمم . ونحن نرى أن الثقافة القائمة في مكان ما وزمان ما والمتمثلة في اللغة والفن والأدب والدين ومبادئ السلوك والعادات والتقاليد المعاشة الخ . . . تعبر في الحقيقة عن أخلاق ومشاعر ونمط حياة هذا الشعب ، وبالتالي تعبر عن مظاهر التمدن لهذا الشعب الذي يدين بها أو يمارسها ، وهي تلعب الدور الأكبر في رفع الأمة نحو التنمية الحضارية وتشكيل الحضارات .

أما الحضارة فهي عبارة عن المظاهر المادية المنبثقة أصلاً من المدنية السائدة لدى شعب ما ، والمتمثلة في الإختراعات والإكتشافات والصناعات والتجارة والبنیان الخ . . . والقائمة على أساس من العقل واستخدام مآثره في حقل العلم والتكنولوجيا .

وإن الحضارة هي القابلة للتغيير أو التطور باستمرار ، بعكس مظاهر الثقافة التي تبقى قائمة ماثلة في ضمير الأمة بالرغم من تبدل الظروف والأوضاع والأزمان .

ولا حاجة بنا إلى القول ان بلادنا تعيش مدنية معينة ، وإن كانت تفتقد الحضارة المادية الحقيقية . وكلنا يتذكر ماذا جرى في ليل نيويورك منذ سنوات إثر انقطاع التيار الكهربائي عنها لمدة تسع ساعات . عشرة آلاف حالة اغتصاب وثلاثون ألف حالة سرقة ، في حين أن بلادنا التي عاشت وما زالت تعيش حالة

غريبة من الفوضى والانسحاب التام منذ سنوات لم تعرف ما عرفته نيويورك بالرغم من انقطاع التيار الكهربائي عن المدن اللبنانية ومن بينها العاصمة بيروت مثلاً ، لفترة طويلة من الأيام .

والحقيقة أن التمييز بين الثقافة والمدنية والحضارة مشكلة ذهنية أكثر منها مشكلة واقعية ، تماماً كما هو الحال بالنسبة إلى التمييز بين النفس والجسد . فنحن يمكن أن نميز بين النفس والجسد على صعيد الذهن فقط ، ولا يمكن أن نميز بينهما على صعيد الواقع ، فما يطرأ على الجسم تتأثر به النفس وفقاً لقوانينها ، وما يعرض للنفس يتأثر به الجسم وفقاً لقوانينه . إن الثقافة أو المدنية السائدة لدى شعب ما ، هي الروح التي تحرك ذلك الشعب ، نحو الرقي والتقدم المادي والحضاري ، وهذا فإن الثقافة هي الروح بالنسبة إلى الحضارة المادية في حين أن الحضارة المادية عبارة عن الجسم الذي يتحرك بتأثير تلك الروح ، ومن هنا كان اختلاف الحضارات فيما بينها . فالحضارة المعاصرة مثلاً هي حضارة مادية بحثة لأن القيم التي تسيرها هي قيم مادية بحثة لا تؤمن إلا بالعلم الطبيعي والمادة والكسب ، في حين أن الحضارات التي بلغت شأواً عظيماً في مضمار التقدم العلمي والحضاري المصرية أو البابلية أو الإسلامية كانت حضارات روحية لأن القيم التي هيمنت عليها كانت قيماً روحية وأخلاقية وإنسانية بحثة . ولعل الحضارة الصحيحة هي الحضارة التي تقوم على أسس ثلاثة : أولاً : الدين أو الأخلاق أو المشاعر الإنسانية . ثانياً : العقل أو العلم . ثالثاً : رأس المال الذي يساعد على تنمية الحياة المادية عن طريق استغلال الثروات الدفينة في الأرض لكي تصبح حياة الإنسان أكثر بهجة » .

بعد هذا التبيان لما يفصل بين المصطلحات الثلاثة ، صار من المطلوب أن نحدد الظواهر الحضارية التي مرت بها حضارتنا وأمتنا . . .

فلقد كان للهجمة الإستعمارية الحاكمة على الأمة أبلغ الأثر في بلبله الأوضاع الفكرية والاجتماعية والسياسية في الأمة ، وبالتالي دفع الأمة إلى نفق مظلم سُمي بعصر الانحطاط ، وجعلها تبتعد عن الإسلام ، فحصل الانحدار الكبير من الناحية الحضارية ، وكان الإستعمار يكيل الضربات ، الضربة تلو الضربة ، فيصيب بها مرتكزات استمرار وبقاء المسيرة الحضارية للأمة

الإسلامية ، ولكن الإسلام بعظمته وحيويته الذاتية استطاع أن يتغلب على كل العقبات ولا يزال في كفاحه المستمر ، بعد أن أخرج إلى الوجود أول جمهورية إسلامية يقودها فقيه عادل جامع للشرائط في عالم كان قد ظن أن الإسلام قد انتهى ، وإلى الأبد ، ولكن إرادة الله شاءت أن تظهر الإسلام على المستكبرين ولو كره المشركون .

إن الحضارة الغربية ، ذات الأهداف الإستعمارية مسؤولة عن شقاء هذه الأمة وانقساماتها وتدهور أوضاعها وتفتتها .

« إذ أن المشكلة أساساً مشكلة الحضارة . . . أما التكنولوجيا والتكتيك فلا يؤديان إلى المشكلة بالقدر الذي تتحكم بهما يد الحضارة التي هي اتجاهات وقيم ونظم سياسية واقتصادية واجتماعية وصيغ أخلاقية للفرد والمجتمع معاً . أنظر مثلاً هذه الوسائل اللاسلكية التي اقتحمت كل الجدران وهتكت كل الأسرار ، كذلك الأقمار الصناعية وطائرات الاستكشاف الدائمة الدوران التي لم تجعل حرمة لأي شيء ، أليست صورة مخيفة لهذه العين الحضارية التي لا تعرف حرمة للإنسان ولا احتراماً لكرامة الآخرين . يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي في هذا الصدد : « صحيح أنه قضي على السرية والنفرد بالمتضعفين ولكنه في الوقت نفسه أعطى لمن يملكه ويتقنه أداة لا يمكن لأي فرد ولا جماعة الدفاع عن نفسه بإزائها ، وإلا فماذا يفعل فرد أو جماعة محدودة أمام أجهزة اعلام هائلة التنظيم ترهقه كل يوم بتوجيهات في خط معلوم ؟ » .

ناهيك عن المأساة الإنسانية التي يعانيها الزوج في أميركا . . . أما الجشع الإمبريالي الناهب لخيرات الشعوب ، فإنه اتخذ في أطواره الجديدة أبشع الاتجاهات الاقتصادية النفعية . . . » (٧) .

والأمة تواجه أخطاراً عدة :

١ - أخطار سياسية تأمرية : من إقامة كيانات عميلة ومشبوهة واستخدام أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية والأميركية والإنكليزية والفرنسية وغيرها للخدمة الأهداف الإستعمارية . .

٢ - أخطار ثقافية وإعلامية : عن طريق المدارس والمناهج والإرساليات

والكتب والمجلات والإعلام والمسارح والسينمات . . .

٣ - أخطار إجتماعية : نتيجة النظم والمفاهيم والتقاليد والتقليعات ومحاربة الروح الإسلامية الإجتماعية وما إلى ذلك من موديلات وغيره .

٤ - أخطار عسكرية : فالأساطيل الإستعمارية والجيش الكافرة وأعوانها في الداخل كلها تعمل من أجل ضرب الإسلام والصحوة الإسلامية .

٥ - أخطار إقتصادية : هذه الأخطار تتفاقم في كل مكان من حصار إقتصادي ومن عقوبات دولية بسبب مواقف المستضعفين ضد الإستكبار ومنع تصريف منتجات وإتلاف محاصيل لتجويع الشعوب المستضعفة ، «فأي تفكير هذا الذي يقود خبراء السوق الأوروبية المشتركة - مثلاً - للدعوة إلى إتلاف مليون و ٣٠٠ ألف طن من الحليب والزبدة إلى جانب كميات من المواد الزراعية . . . بل أن أميركا سبق لها أكثر من مرة أن ألقت بكميات فائقة تقدر بملايين الأطنان من الحبوب في البحر في الوقت الذي تجوع فيه الملايين من أبناء البلاد الأفريقية والآسيوية التي تنهب خيراتها من قبل هذه الدولة الصناعية المتمدنة»^(٨) .

٦ - أخطار قيادية : إذ أن الإستعمار عمل على إيصال قيادات عميلة أو مرتبطة به إلى سدة السلطة في كثير من الأقطار الإسلامية بعد تنشئة هذا القائد أو ذاك التنشئة الإستعمارية التي تخوله أن يكون خادماً أميناً لسياده في واشنطن أو لندن أو موسكو أو باريس . . .

كل هذا لم يستطع أن يقضي على منابع النور في الحوزات العلمية حيث كانت التعاليم والمبادئ الإسلامية تعمل عملها لتنتقل من القمم الذي وُضعت فيه وكان ما نعلم من قيام الثورة الإسلامية المباركة . .

ويحدّد أحد كتابنا الإسلاميين بعض الظواهر الحضارية التي برزت أثناء فترة الإنحطاط الحضاري وسنحاول تفصيل هذه الظواهر والخصائص بطريقتنا الخاصة ، من أجل جلاء في الصورة ، وتحديد المسار الحضاري الإسلامية بشكل أوضح على المستوى الفردي والعام .

أ - ظاهرة الإستسلام الحضاري وقد تظاهرات بما يلي :

- ١ - مظهر الإستلاب الحضاري .
- ٢ - مظهر الإنبهار الحضاري .
- ٣ - مظهر الإنسلاخ الحضاري .
- ٤ - مظهر الإنجذاب الحضاري .
- ٥ - مظهر التقليد الحضاري .
- ٦ - مظهر التبعية الحضارية .

ب - ظاهرة الخوف الحضاري (في الأوساط المتدينة) من أبرز مظاهرها :

- ١ - الركود الحضاري .
- ٢ - الجمود الحضاري .
- ٣ - التثوق الحضاري .
- ٤ - الإنعزال الحضاري .
- ٥ - الإنكماش الحضاري .
- ٦ - الضعف الحضاري .

وفي حالات الضعف الحضاري والإستسلام فإن الأفراد يتصفون بما يلي :

- ١ - الابتعاد عن الدين .
- ٢ - المفاهيم التبعية .
- ٣ - الكسل والتواكل .
- ٤ - السطحية في التفكير .
- ٥ - التفكك الإجتماعي .
- ٦ - اليأس .

ونبدأ الآن بتفصيل هذه النقاط مع الشواهد :

أولاً : ظاهرة الإستسلام الحضاري

وقد بدت هذه الظواهر جلية عند الذين اتصلوا بالحضارة الغربية :

- ١ - إما عن طريق التعليم في بلاد الغرب أو المطالعة عنها أو السماع .
 - ٢ - وأما عن طريق الزيارة .
- والتأثر بدا في أوساط القيادات النصرانية ، وخصوصاً في لبنان لأن المستعمر عمل على إيجاد وضع مميز لنصارى لبنان وبالخصوص الموارد .
- وكان نتيجة كل ذلك وجود اتجاهين عند هؤلاء :
- الأول : اتجاه انغمالي مستغرق في الغرب وحضارته .
- الثاني : اتجاه محارب للإسلام يبشر بنهضة عربية ولكن على أساس الحضارة الغربية المادية ، فقد عملت رموز هذا الاتجاه على إنشاء تيار فكري سياسي ، جعلوا له عدة أشكال حزبية تنظيمية يدعو للإنسلاخ عن الحضارة الإسلامية .
- أما الشعارات فكانت تارة شعارات قومية وأخرى إقليمية وثالثة علمانية أو مادية إلحادية .
- وتجاوبت مع هذه الأصوات أصدائها في العالم الإسلامي تصيح بمثل ما صاحت .

مظهر الإستيلاّب الحضاري

وهو يعني أن الإستعمار يسلب الأمة والأفراد سيادتهم الحضارية وذلك بإبعادهم عن الإسلام ، ويوضح مالك بن نبي في كتابه الرائع « الصراع الفكري في البلاد المستعمرة » كيفية عمل الإستعمار فيرى أن « الميزات التاريخية والنفسية التي تسم الشخصيات التي تقوم بتمثيل المسرحية الإستعمارية هي عامة وشاملة للعالم الإسلامي كله » .

ففي الفصل الافتتاحي للمسرحية الإستعمارية ، نرى أن النوم المخدّر للشعب هو الشخصية الأولى ، والشخصية الثانية هي الفكرة المتجسدة (في أشخاص وقيادات) أما الشخصية الثالثة فهي الإستعمار . ويستخدم الإستعمار وسائل القوة ، في هذا الفصل ، ليتمكن من إقصاء الفكرة المتجسدة عندما يتعد من يمثلها وعندما يتم له ذلك يرى أن المعركة أخذت صورة جديدة : فكرة مجردة استقرت في ضمير الشعب ، ويعمل الإستعمار لكي يتجنب الخيبة في امتصاص

القوى الواعية لكي لا تتعلق بفكرة مجردة ، فيحاول تعبئتها لحساب فكرة ما متجسدة حيث تصبح أقرب إليه منألاً ، ولأنه يمكن مقاومتها إما بوسائل القوة وإما بوسائل الإغراء ، ويستعين الإستعمار من أجل ذلك بخريطة نفسية للعالم الإسلامي ، وهذا الخريطة تُعدّل كما يلزم بواسطة متخصصين يكلفون برصد الأفكار ، من أجل مواجهة الوعي في تلك البلاد ، لذلك يستخدم الإستعمار لغة الفكرة المتجسدة على مستوى المثقفين ، فيقدم للمثقفين شعارات سياسية تسد منافذ إدراكهم إزاء الفكرة المجردة ، والإستعمار يفضل استخدام لغة الدين لأنها تسد بصورة محكمة منافذ الوعي إزاء الفكرة (وهنا نذكر أنه حتى بعض ممثلي الأفكار الملحدة عندما يريدون مخاطبة الناس يخاطبونهم بلغة الدين والآيات والأحاديث ..) .

كما يستغل الإستعمار جهل الجماهير ليشيء حول الفكرة منطقة فراغ لعزلها عن المجتمع وأخيراً يستخدم سلاح المال فيكون لنفسه صداقات ليشن هجمات في الوقت المناسب على بعض القطاعات من الجهة الفكرية .

« إن كلمة إستعمار » هي أخطر سلاح يستخدمه الإستعمار وأحكم فخ ينصبه للجماهير ، وما من خائن يدسه الإستعمار في الجبهة التي تكافح فيها الشعوب المستعمرة ، إلا وكلمة الإستعمار هي التي تفتح له أبواباً مغلقة في عواطف الجماهير^(٩) .

هذه المخططات الإستعمارية نجحت إلى حد كبير في سلب الشخصية الأصيلة للأفراد والأمة واستبدلت بشخصيات ضعيفة مهزوزة ظالمة .

أما التبعية الكاملة في مجال التكنولوجيا والثقافة والإعلام فتبرز فيما يأتي :

ففي مجال التكنولوجيا هناك اعتماد كلي في كثير من الأحيان أو جزئي على التكنولوجيا الغربية .

وقد حصرت لجنة (ماكبرايد) الآثار الضارة المترتبة على نقل التكنولوجيا الغربية إلى الدول النامية في ما يلي :

١ - إن تصدير التكنولوجيا الغربية التي تعكس الظروف والممارسات الاقتصادية والاجتماعية لجزء واحد من أجزاء العالم فحسب ، يوحى بتجاهل واقع

واحتياجات شعوب العالم الثالث التي تستورد هذه التكنولوجيا وتعتمد عليها وتعتمد على كثافة رأس المال أكثر من اعتمادها على كثافة العمل والإنتاج .

٢ - تختلق تبعية لرأس المال الأجنبي ولمصادر الإنتاج الأجنبية وللأوراق والتوقعات الأجنبية .

٣ - تشرف على تصدير التكنولوجيا وتوزيعها الشركات المتعددة الجنسية التي تواصل سيطرتها على الدول النامية من خلال هذه التكنولوجيا .

٤ - لا يستفيد من التكنولوجيا الغربية سوى جماعات نخبة وخصوصاً في الصحف والتلفزيون والإذاعة أكثر مما يفيد القطاعات الشعبية العريضة .

٥ - لم يسهم نقل التكنولوجيا في الإكتفاء الذاتي أو في تدعيم التعاون بين الدول النامية .

٦ - تساعد التكنولوجيا الغربية على هجرة السكان من الريف إلى المدن في دول العالم الثالث . أما في مقام التبعية الثقافية ، فإن القانون التجاري الذي يحكم عملية التبادل الثقافي غير المتكافئ هو القانون التجاري الذي يعامل الثقافة كسلعة ، وتقوم الشركات المتعددة الجنسية بالدور الرئيسي في نقل المنتجات الثقافية والكتب والأفلام والمواد التعليمية وتحرص من خلال ذلك على فرض الأذواق الإجتماعية الثقافية الأجنبية على شعوب العالم مستهدفة خلق نمط ثقافي عالمي واحد من حيث الذوق والأسلوب والمضمون ، ومع ذلك فإن هذه الشركات لا يمكن أن تتحمل المسؤولية بمفردها في مجال الغزو الثقافي، إذ أنه ليس بوسعها أن تمارس نفوذها ما لم تكن الصفوة السياسية والثقافية في الدول النامية على استعداد لمعاونتها واقتسام الفوائد معها .

ويقول الإمام الخميني قدس سره في هذا الصدد :

« إنّ الثقافة التي رسم خطوطها الأجانب وأملوها على شعبنا المستضعف ، هي ثقافة استعمارية . . . وهي أخطر من سلاح الجبابة . . لأنها تقدم إلى الوطن شباباً يملكون قابلية الإستعمار » .

وفي مجال التبعية الإعلامية ، فقد قيل بأنه لا يحق لدولة أن تدّعي أنها مستقلة إذا كانت وسائلها الإعلامية تحت سيطرة أجنبية ، وتشير الخريطة

الإعلامية الراهنة للعالم أن التفاوت في السلطة والثراء بين شمال العالم وجنوبه كان له انعكاساته السلبية المباشرة على البنى الإعلامية والتدفق الإعلامي مما أدى إلى خلق أشكال متباينة من عدم المساواة والإختلال والتفاوت الإعلامي . . . وإذا كانت أسباب هذا التفاوت ترجع إلى فترة السيطرة الإستعمارية التي مارستها الدول الغربية ضد شعوب العالم الثالث ، فإنّ التدفق الحر للأنباء الذي أرست مبادئه الولايات المتحدة الأميركية ساعد على ترسيخ الصور العديدة للتبعية الإعلامية والثقافية^(١٠) .

حالة الإنبهار الحضاري

مظاهرها : فقدان الثقة بالامة .

- ١ - اليأس من أوضاع البلاد والتطلع إلى الحضارة المادية .
- ٢ - الإنبهار بطراز الحياة الغربية ، وبطريقة التفكير ، وتمني العيش في ظل تلك الحضارة .

وهذا يعود إلى :

- ١ - الجهل بالإسلام .
- ٢ - تدني الوعي الإجتماعي .
- ٣ - الفراغ النفسي وفقدان التماسك الداخلي وقلق الشخصية وعدم توازنها .
- ٤ - ضعف الشعور بالمسؤولية .
- ٥ - فقدان عنصر الصبر الإيجابي والصمود الثوري وروح المقاومة .
- ٦ - اليأس من التغيير والإصلاح وهذا يعود إلى :
أ - حالة نفسية متشائمة قلقة تعكس هذه الأحاسيس على المواقف الإجتماعية والعقائدية .

ب - الجهل بسنن التاريخ وعوامل التأثير فيه القاضية بأن دولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة ، وأن الله تعالى يقول من أجل غرس الثقة بالنصر الإلهي في النفوس : « وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

ج - الإحساس بالرهبة من تفوق الأعداء^(١١) وينسى هؤلاء قول الله تعالى : ﴿ لا يغرّنك تقلّب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ [١] .

الحالة الإنسلاخ الحضارية

وهي المحاولة الهادفة إلى قطع صلة المسلمين بإسلامهم ومحاولة هدم القيم والعادات والثقافة والأعراف والإستعاضة عنها بما عند الغرب . . .

ومن أجل ذلك كان أتاتورك في تركيا ، وشاه ايران السيء الذكر ، وسعيد عقل وأمثاله في لبنان وهكذا ، وخير من عبّر عن هذه الحالة الإنسلاخية مؤتمر الطلبة الشرقيين الذي عقد عام ١٩٣٢ بمصر وكان مما جاء في إحدى كلمات المؤتمر ما يلي : « . . . أضلّ الشرقيون أنفسهم ، فإذا هم أجساد تنبض بقلوب الغرب وتفكر بعقله ، وإذا هم مستسلمون لكل ما تطلع به أوروبا ، منقادون لكل ما تأمر به ، متهافتون على كل ما اتصل بها ، ثم إذا هم أذلاء مقلدون ، يحقرون أنفسهم وآباءهم وميراث حضارتهم وتاريخهم إلا أن تعظم أوروبا أباً من آبائهم أو تعجب بمآثره من مآثرهم فيقتدون بها . . . والخلاصة أن الشرقيين يتلقون عن الغربيين أفكارهم وعقائدهم ، كما يأخذون منهم منسوجات القطن والصوف ومصنوعات الحديد والنحاس وأصناف الأحذية . . . وكأنهم أوانٍ شرقية تملؤها أوروبا بما تشاء من حلول ومر وجيد وردي . . . ذلكم حالنا اليوم وموقفنا من أوروبا وذلكم شر حال وأسوأ موقف ، فما وراء هذه الأدواء إن أردنا لأنفسنا السلامة والعافية ؟ أول عنصر في هذا الدواء أن نجد أنفسنا بعد أن فقدناها وضيعناها عنها .

أعني نعدّ أنفسنا أناساً أحياء مفكرين . لهم حقوق في هذه الحياة وعليهم واجبات ، يربؤن أن يستخروا لغيرهم فإذا أحسنا في أنفسنا كرامة الإنسان وأنفة الحر ، فگرنا فعرنا الذي نأخذ من أوروبا والذي ندع ، والذي نستحسن لأنفسنا والذي نستقبح ، ونقدنا فقلنا هذا حلال ، وهذا حرام ، وهذا طيب

[١] سورة آل عمران : الآية ١٩٦ - ١٩٧ .

وهذا خبيث ، ثم رجعنا إلى تراث آبائنا نحفظ منه كل مفخرة ، ونعتز فيه بكل مآثرة ، وخططنا لأنفسنا في معترك الحياة خطة من عمل عقولنا وأيدينا ووحى تاريخنا وآدابنا ، تصل ماضيها وحاضرنا بالمستقبل الذي هو أشبه بنا وبأخلاقنا ، إذا أحسنّا التفكير عرفنا فرق ما بين الصناعات والأخلاق والعادات ، ولم يلتبس علينا ما نأخذ من أوروبا من العلوم الطبيعية ونتائجها وما نجتنب من أخلاقها وآدابها ، فإنه لا فرق بين الحساب والهندسة والكيمياء في الشرق والغرب ولكن شتان ما بينهما في العقائد والخلق وسنن الاجتماع .

فإن لكل أمة من أخلاقها وآدابها ثوباً حاكته القرون وعملت فيه الأجيال فليس يصلح لغيرها ولا يصلح لها غيره^(١٢) .

حالة الإنجذاب الحضاري

المتلبسون بهذه الحالة معجبون إعجاباً كبيراً بالحضارة الغربية ولكن لا يؤثر ذلك على ارتباطاتهم النفسية والاجتماعية في بلادهم وهؤلاء هم جمهوره المثقفين . . .

ويهتم هؤلاء بتحسين أوضاع البلاد باقتباسات معينة من الحضارة الغربية^(١٣) .

وهاكم مثلاً على ذلك ، يتمثل فيما يرويه أحد كتابنا عن نفسه في رحلته من الشك إلى الإيمان يقول : « كان ذلك في زمن بعيد لست أذكره ، ربما كنت أدرج من الثالثة عشرة إلى الرابعة عشرة وربما قبل ذلك في مطالع المراهقة حينها بدأت أتساءل في تمرد :

تقولون ان الله خلق الدنيا لأنه لا بد لكل مخلوق من خالق ، ولا بد لكل صنعة من صانع ، ولا بد لكل وجود من مُوجد ، صدّقنا وآمنا فلتقولوا لي إذن من خلق الله ؟ أم أنه جاء بذاته ؟ ، فإذا كان قد جاء بذاته وصح في تصورك أن يتم هذا الأمر ، فلماذا لا يصحّ في تصورك أن الدنيا جاءت بذاتها بلا خالق ، وينتهي الإشكال ؟ .

كنت أقول هذا فتصفّر من حولي الوجوه ، وتنطلق الألسن ثمطرني باللعنات

وتتسابق إليّ الكلمات عن يمين وشمال ، ويستغفر لي أصحاب القلوب التقيّة
ويطلبون لي الهدى ، ويتبرأ مني المتزمتون ويجمع حولي المتمردون فنغرق معاً في
جدل لا ينتهي إلّا ليبدأ ولا يبدأ إلّا ليسترسل .

وتغيب عني في تلك الأيام الحقيقة الأولى وراء ذلك الجدل . إنّ زهوي
بعقلي وإعجابي بموهبة الكلام ومقارعة الحجج كان هو الجافز دائماً وليس البحث
عن الحقيقة وقد رفضت عبادة الله لأنّي استغرقت في عبادة نفسي ، وأعجبت
بومضة النور ، التي بدأت تومض في فكري ، مع انفتاح الوعي ، وبداية الصحو
من مهد الطفولة ، كانت هذه هي الحالة النفسية وراء المشهد الجدلي الذي يتكرر
كل يوم ، وغابت عني أيضاً أصول المنطق وأنا أعالج المنطق ، ولم أدرك أنّي
أتناقض مع نفسي إذا اعترف بالخالق ثم أقول ومن خلق الخالق ؟ فاجعل منه
مخلوقاً في الوقت الذي أسميه فيه خالقاً ، وهي السفسطة بعينها ثم ان القول
بسبب أول للوجود يقتضي أن يكون هذا السبب واجب الوجود في ذاته ، وليس
معتمداً ولا محتاجاً لغيره كي يوجد . وأما أن يكون السبب في حاجة إلى سبب فإن
هذا يجعله واحدة من حلقات السببية ولا يجعل منه سبباً أول هذه هي أبعاد
القضية الفلسفية التي انتهت بأرسطو إلى القول بالسبب الأول والمحرك الأول
للوجود . لم تكن هذه الأبعاد واضحة في ذهني في ذلك الحين ولم أكن قد عرفت
بعد ، من هو أرسطو ولا ما هي القوانين الأولى للمنطق والجدل ، واحتاج الأمر
إلى ثلاثين سنة من الغرق في الكتب وآلاف الليالي من الخلوة والتأمل والحوار مع
النفس وإعادة النظر ثم إعادة النظر في إعادة النظر ، ثم تقليب الفكر على كل
وجهة لأقطع الطريق الشائكة من الله من الإنسان (١٩٥٥) إلى لغز الحياة
(١٩٦٧) إلى لغز الموت (١٩٥٩) إلى ما أكتب اليوم كلمات على درب اليقين .

ويتابع الكاتب الحديث عن رحلته من الشك إلى الإيمان فيقول : « لم يكن
أمراً سهلاً لأنّي لم أشأ أن آخذ الأمر مأخذاً سهلاً ولو أنّي أصغيت إلى صوت الفطرة
وتركت البدهة تقودني لأعفيت نفسي من عناء الجدل ولقادتني الفطرة إلى الله ،
ولكنني جئت في زمن تعقّد فيه كل شيء وضعف صوت الفطرة حتى صار همساً
وارتفع صوت العقل حتى صار لجاجة وغروراً واعتداداً ، والعقل معذور في
إسرافه إذ يرى نفسه واقفاً على هرم هائل من المنجزات وإذ يرى نفسه مانحاً

للحضارة وتصور نفسه القادر على كل شيء وزج بنفسه في كل شيء وأقام نفسه حكماً على ما يعلم وما لا يعلم وغرقت في مكتبة البلدية (بطنطا) ، وأنا صبي أقرأ لشبلي شميل وسلامة موسى وأتعرف على فرويد ودارون ، وشغفت بالكيمياء والطبيعة والبيولوجيا وكان لي معمل صغير في غرفتي أحضر فيه غاز ثاني أوكسيد الكربون وثاني أوكسيد الكبريت ، وأقتل الصراصير بالكلور وأشرح فيه الضفادع وكانت الصيحة التي غمرت العالم هي العلم ، العلم ولا شيء غير العلم . النظرة الموضوعية هي الطريق لنرفض الغيبيات ولنكف عن إطلاق البخور وترديد الخرافات .

من يعطينا دبابات وطائرات ويأخذ منا الأديان والعبادات وكان ما يصلنا من أنباء العالم الغربي باهراً يخطف أبصارنا وكنا نأخذ عن الغرب كل شيء ، وحول أبطال الغرب وعبقرياته كنا ننسج أحلامنا ومثلنا العليا حول باستير وماركوني ورنجن وأديسون ، وحول نابليون وإبراهيم لنكولن وكريستوفر كولومبوس ومجلان . وكان طبيعياً أن نتصور أن كل ما يأتي من الغرب هو النور والحق . وهو السبيل إلى القوة والخلاص . ودخلت كلية الطب لأتلقى العلوم بلغة إنكليزية وأدرس التشريح في مراجع إنكليزية وأتكلم مع أساتذتي باللغة الإنكليزية ، ليس لأن إنجلترا كانت تحتل القنال لكن لسبب آخر مشروع وعادل هو أن علم الطب الحديث كان صناعة غربية تماماً ، وما بدأه العرب في هذه العلوم أيام ابن سينا كان مجرد أوليات لا تفي بحاجات العصر ، وتعلمت مع ما تعلمت في كتب الطب النظرة العلمية ، وأنه لا يصح إقامة حكم بدون حيثيات من الواقع وشواهد من الحس وما لا يقع تحت الحس فهو في النظرة العلمية (كما كان يُتوهم) هو غير موجود . وأن الغيب لا حساب له في الحكم العلمي . وبهذا العقل العلمي المادي البحث ، بدأت رحلة في عالم العقيدة ، وبالرغم من هذه الأرضية المادية وهذا الإنطلاق من المحسوسات الذي ينكر كل ما هو غيب فلني لم أستطع أن أنفي وأستبعد القوة الإلهية ، وفي هذه المرحلة تصورت أن الله هو الطاقة الباطنة في الكون التي تنظمه في منظومات جميلة من أحياء وجمادات وأراض وسماوات . . .

(و) جعلت من الوجود حدثاً قديماً أبدياً أزلياً ممتداً في الزمان لا حدود له ولا نهاية ، وأصبح الله في هذه النظرة هو الكل ونحن تجلياته . الله هو الوجود والعدم

قبله معدوم . هو الوجود المادي الممتد أزلاً بلا بدءً وبلا نهاية ، دون حاجة إلى افتراض الغيب والمغيبات ، دون حاجة إلى التماس اللامنطور . . . وبذلك وقعت في أسر فكرة وحدة الوجود الهندية ، وفلسفة سبينوزا وفكرة بركسون عن الطاقة الباطنة الخلّاقة ، ولكنها فلسفات تبدأ من الأرض ، من الحواس الخمس ولا تعترف بالمغيبات ووحدة الوجود الهندية تمضي إلى أكثر من ذلك فتلغي الثنائية بين المخلوق والخالق فكل المخلوقات في نظرها تجليات الخالق . وفي سفر اليوبانيشاد صلاة هندية قديمة تشرح هذا المعنى في أبيات رقيقة من الشعر ، إن الإله براهيم الذي يسكن قلب العالم يتحدث في همس قائلاً : إذا ظن القاتل أنه قاتل والمقتول أنه قتيل فليس يدريان ما خفي من أساليبي . . . » .

إنه إله يشبه النور الأبيض ، واحد ، بسيط ولكنه يحتوي في داخله على ألوان الطين السبعة وعشت سنوات في هذا الضباب الهندي ، وهذا (الماريجوانا) الصوفية ومارست اليوجا وقرأتها في أصولها وتلقيت تعاليمها على أيدي أساتذة هنود ، وسيطرت على فكرة التناسخ مدة طويلة ، وظهرت في روايات لي مثل : « العنكبوت » (١٩٦٥) والخروج من التابوت (١٩٦٥) ثم بدأت أفيق على حالة من عدم الرضى وعدم الإقتناع . واعترفت ببني وبين نفسي أن هذه الفكرة عن الله فيها الكثير من الخلط . ومرة أخرى كان العلم هو دليلي ومنقذي مرشدي .

عكوفي على العلم وعلى الشريحة الحية تحت الميكروسكوب قال لي شيئاً آخر .

وحدة الوجود الهندية كانت عبارة شعرية صوفية ولكنها غير صادقة . والحقيقة المؤكدة التي يقوها العلم أن هناك وحدة في الخامسة لا أكثر ، وحدة في النسيج والسنن الأولية التي يبني منها كل شيء . . . وهذا سر الشعور بالنسب ، وصلة الرحم بين الإنسان والحيوان وبين الوحش ومروضه . وبين العين ومنظر الغروب الجميل إن كل الوجود أفراد أسرة واحدة من أب واحد وهو أمر لا يستتبع أبداً أن نقول أن الله هو الوجود وأن الخالق هو المخلوق ، فهذا خلط صوفي غير وارد . .

فالوحدة بين الموجودات تعني وحدة خالقها ولكنها لا تعني أبداً أن هذه

الموجودات هي ذاتها الخالق . . إن هذا الخالق هو عقل كلي شامل ومحيط يلهم مخلوقاته ويهديها في رحلة تطورها ويسلحها بوسائل البقاء ، وهو خالق متعال على مخلوقاته يعلم ما لا تعلم ويقدر على ما لا تقدر ، فهو واحد أحد قادر عالم محيط بصير خبير ، وهو متعال يعطي الصفات ولا تحيط به الصفات ، والصلة دائماً معقودة بين هذا الخالق ومخلوقاته ، فهو أقرب إليها من دمها الذي يجري فيها . . . وهو العادل الذي أحكم قوانينها وأقامها على نواميس دقيقة لا تخطيء وهكذا قدّم لي العلم الفكرة الكاملة عن الله .

إنّ العالم الحق لم يكن أبداً مناقضاً للدين بل إنه دال عليه مؤكّد لمعناه والذي لا يرفض الحياة ولا يرفض الفعل» (١٤) .

بما سبق نستطيع أن نقرأ ما تفعله حالة الإنجذاب الحضاري إلى درجة أنها تفعل فعلها في قلب الحقائق بحيث ينجرّ المنجذبون في أكثر الأحيان إلى نسيان البدييات والتبني الكامل للأفكار الشائعة والعادات الدارجة والدفاع عنها دون الإستناد إلى أي دليل علمي أو معرفة أو حجة وهذا معنى الإنجذاب الحضاري .

حالة التقليد الحضاري

وذلك على المستوى الفردي فيما يخص المظاهر الحياتية .

ومثال ذلك أن الناس يركضون وراء الموديلات في الملابس والصرعات . . .

ويتأثرون بما يشاهدون في السينما والتلفزيون والمجلات فيقوم هؤلاء بأدوار تمثيلية كما قيل عنهم .

التفاهة الحضارية

حالة الإلتباع السياسي الحضاري

ويمثلها السياسيون والإعلاميون ومؤسسو الأحزاب المتبعة للفكر الغربي أو الشرقي الأوروبي لذلك فإن قادتهم وأعلام الفكر الغربي هم المثال الأعلى عندهم أمثال تشيه وجان بول سارتر وماركس ولينين . . . وهؤلاء يستنسخون فكر

الغرب إستتساحاً دونما تحوير أو تغيير ، إلا في النادر القليل . . .

ظاهرة الخوف الحضاري في الأوساط المتدينة

أنّ ظاهرة الإستسلام الحضاري لم تشمل جميع قطاعات الأمة ، فقد ظهرت تيارات وتجمعات وفئات رافضة للغزو إلا أن ميزان القوى لم يكن متكافئاً فانتصر الغزاة وقضوا على جيوب المقاومة والرفض . وقد سرى في الأوساط المتدينة ظاهرة الخوف الحضاري وبرزت الحالات التالية :

حالة الركود الحضاري

لقد كانت مهمة الذين يمثلون هذه الحالة ، المحافظة على ما بأيديهم بحالة ركودية دون أية مواجهة للزحف الإستعماري الحضاري الهادف إلى تحطيم كل عوامل التماسك في الأمة .

حالة الجمود الحضاري (على مستوى الأفراد)

إنّ الأفراد في حالة الجمود هذه لا يؤثرون في الأحداث بل يتأثرون ولا يفعلون بل يفعلون ، كما أنهم يتخوفون ويتهيّبون من أي عمل بسبب اليأس المحيط بفكرهم ونفوسهم .

حالة التقوقع الحضاري (على المستوى الإجتماعي)

وقد عبرت هذه الحالة عن نفسها بجملة أطر وأغلفة فكرية تقي هذه التجمعات من الحركات السياسية والإجتماعية الغازية وهؤلاء هدفهم الحفاظ على وضعهم دون التأثير أو التأثر بأحد .

وتمثل كل ذلك في الحركات الصوفية ، وبعض الحركات الساذجة في العالم الإسلامي

حالة الإنعزال الحضاري (على مستوى الأفراد)

فيحاول الفرد أن يعزل نفسه عما يجري حوله بأن ينصرف نفسياً وفكرياً عن الأحداث بقدر ما يستطيع .

حالة الإنكماش الحضاري

وهي حالة إجتماعية يتراجع فيها الأفراد عن مواقعهم أمام الزحف الحضاري الغازي . ويتمسك هؤلاء بما تبقى عندهم من مفاهيم وقيم وهذه الحالة تتمثل بالفتات الدينية المرتبطة بالسلطات العميلة والحكام العملاء . . . وهؤلاء يبررون سلوكهم بما يتلائم مع الظروف ، فهم كما قال علي (ع) : « يميلون مع كل ريح ويتبعون كل ناعق » وذلك حفاظاً على المكاسب التي توفرها السلطات العميلة (مادية ومناصبية . . .) .

حالة الضعف الحضاري

هي حالة ضياعية ، المسلمون فيها يكونون غير قادرين على تصور أوضاع حضارية غير الأوضاع المعاشة . فمثلاً في لبنان البعض يظن أنه ليس بالإمكان أفضل مما كان ، فالنظام اللبناني لا يجوز تغييره والطائفية السياسية لا بأس بها برأيهم ، وهيمنة المارونية السياسية قدر إلهي يجب الرصوح له . . . « فلبنان بحدوده الدولية ، كما يرى هؤلاء هو الوطن الأبدي ، الذي لا يصلحه ولا يصلح له إلا النظام الديمقراطي البرلماني ، والنظام الإقتصادي الحر » . إلى ما هنالك من مقولات إنهزامية . . .

وينطبق هذا على الأوضاع الإجتماعية ، كما ينطبق على الأوضاع السياسية ، فبعض المنهزمين الضعفاء لا يرون أنه يجب التفكير بأي تغيير على مستوى الحياة الإجتماعية ، فما أتاننا من باريس أو موسكو أو نيويورك يجب أن يستمر ويبقى (كالعادات والتقاليد والعلاقات . . .) .

أما الصفات الأساسية التي يتصف بها الأفراد في حالات الإستسلام والضعف الحضاري فهي كل الصفات المعيقة للنهوض والتحرك .

- ١ - الإبتعاد عن الدين .
- ٢ - المفاهيم التبعية .
- ٣ - الكسل والتواكل .
- ٤ - السطحية في التفكير .
- ٥ - التفكك الإجتماعي .
- ٦ - اليأس ، وقد ألمحنا إلى ذلك فيما قد سبق .

ظاهرة المقاومة الحضارية

في ظل حالة الإنحطاط الحضاري الذي أصاب المجتمع الإسلامي عامة على جميع المستويات :

- ١ - على مستوى القيادات الفكرية والإجتماعية والسياسية .
- ٢ - على مستوى الفكر والعمل .
- ٣ - على مستوى التربية والتعليم .
- ٤ - على مستوى الإقتصاد والإنتاج .
- ٥ - على مستوى السياسة الداخلية والخارجية .

... في ظل هذه الحالة الإنحطاطية برزت بعض القيادات ذات الأهداف الإصلاحية ، كالسيد جمال الدين الأفغاني ، وآخرين على شكل فردي أو تجمعات معينة .

وهؤلاء برزوا في بيئة الخوف الحضاري وكان عند هؤلاء ما يدفعهم إلى رفض الإستسلام للأوضاع ، لأن الأمة لا تفقد حيويتها كلية . وكان لهذه الأعمال الإصلاحية دور كبير في عملية الإنتقال من ظاهرة الخوف الحضاري إلى ظاهرة المقاومة الحضارية ، ومن أبرز الصفات التي يتصف بها أفراد المقاومة الحضارية ما يلي :

- ١ - الإسلامية ٢ - الإصلاحية ٣ - النشاطات الفردية ٤ - الجزئية ٥ - ردود الفعل .

وبعض أوساط هذه المقاومة يتصف :

- ١ - بالغموض ٢ - والذيلية ٣ - والنقاش النظري ٤ - والإشكالات
- ٥ - والأعمال الشكلية .

١ - الصفة الإسلامية للمقاومين في المقاومة الحضارية

أي اتخاذ المنهج الإسلامي بأسسه وتفصيلاته ، منهجاً للمقاومة على المستوى الحضاري ، ويبرز ذلك من خلال الأبحاث والمؤلفات والأعلام ، وقد بلور هؤلاء الكثير من الأفكار الإسلامية . أما السبب في إطلاق الصفة الإسلامية على هؤلاء فهو أن غير الإسلاميين هم جزء من حالة الإستسلام الحضاري ، ومن دعاة هذا الإستسلام ورواده عن حسن نية أو عن سوء نية وبشكل واع أو غير واع .

صفة الإصلاح

إصلاح الأوضاع هدف عند المقاومين الحضاريين ، والثغرة الأساسية هي غلبة الإصلاح الجزئي على تفكيرهم ، فيشغلهم جانب واحد عن التفكير بالجوانب الأخرى لأسباب عديدة :

١ - أما لأنهم يعتقدون أن إصلاح هذا الوضع مفتاح لإصلاح الأوضاع الأخرى .

٢ - أولأن البيئة التي يعيشون فيها لا تشجع إلا هذا النوع من الإصلاح .

٣ - أولأن إمكاناتهم الفعلية متواضعة فيعملون ضمنها .

٤ - أولأن الإصلاح الشامل يغلب على تفكيرهم .

صفة الفردية

عادة يتمحور العمل حول الفرد والمصلح ، وتكون العلاقة بين المصلح والجماعة علاقة التابع والمتبوع ، وهذه من جملة الثغرات أيضاً .

أما العلاقة مع الناس ، والجماعة الملتفة حول المصلح فتكون علاقة تعصب

وتشجع تسودها الآفاق الضيقة وتحملها الصدور التي لا تتسع لأي أخذ وعطاء أو حوار أو نقاش أو تبادل آراء .

وهذا يمكن أن نراه في أكثر التنظيمات والتجمعات ، خصوصاً السياسية منها والاجتماعية (العائلية والقبلية العشيرية) .

فيتحول المصلح أو الرئيس أو الزعيم إلى صنم من لحم ودم ، ويتحول الأتباع إلى قطيع يقوده هذا الشخص دون وعي أو دراية .

الصفة الجزئية

وهذا من مصائب العمل السياسي والاجتماعي في بلادنا .

إنّ النظرة الجزئية ترى فقط جوانب أو جانباً محدداً من مشاكل وإمكانات المجتمع الإسلامي . وهذا النظرة تكون مقيدة بعصبيات : مذهبية أو عرقية أو اقليمية أو عصبيات فردية أو قبلية أو حزبية .

- أو تكون متأثرة بفعل أو عدة أفعال من ممارسات الإستعمار أو عملاء الإستعمار السياسيين أو الفكرين .

- أو تكون منشغلة بقضية واحدة أو أكثر من قضايا المجتمع المغلقة : كالعقيدة أو القيم ، أو العادات الخ . . . والإنشغال الجزئي يؤدي إلى أعمال جزئية وترك الإهتمامات الأخرى .

الصفة الديلية

قسم كبير من المدافعين عن الحضارة الإسلامية ، ومن السائرين في ركابهم لا يملكون ذهنية واسعة قادرة على استيعاب المشاكل المعقدة في العالم الإسلامي .

فيتأثرون ببعض الأعمال والأفكار التي :

- تكتسب شهرة أو تكون مقبولة في مجتمعاتهم .

- وتتصف أعماله بالديلية فيقلدون غيرهم من العاملين بالسيء والحسن وليس لهم شخصية مستقلة .

- أو تكون الذيلية تقليدياً لعمل أو فكر تنظيمي في نفس المجتمع الذي يعيشون فيه .

- أو تكون تقليدياً لعمل أو فكر صادر عن الحضارة الغازية (شرقية أو غربية) فيقعون في شرك الإستعمار .

صفة الغموض

يحتاج العاملون للإسلام إلى الوضوح واستيضاح لكثير من المسائل والتعقيدات الاجتماعية والسياسية ، وفي كثير من الحالات فإن القيادات المحلية قد لا تستوعب الواقع المعاش فيحصل الغموض عند العاملين ، وعندما تكثر الأمور الغامضة تتحول الجماعة العاملة إلى عقدة في المجتمع فيحصل أحد أمرين :

١ - في حال انتشار الوعي السياسي والاجتماعي إما أن يلجأ إلى الوضوح من كان يلجأ إلى الغموض فيحصل بذلك حالة ارتباك وتساؤلات . . .

٢ - وإما أن ينسحب هذا العامل من مجالات العمل ويتوارى إلى حيث يشعر بالراحة والإطمئنان .

ردود الفعل

الغزو الحضاري عادة هو الذي يفعل ، وردُّ الفعل يكون من قبل المقاومين . ثم يتحول رد الفعل إلى عادة عند المقاومين تسري في أوساط العاملين في الحقل العام . وخير عادة أن لا تتعود عادة . . . وذلك بأن يخطط العاملون للهجوم الحضاري بدل رد الفعل الحضاري . وعادة يكون الحس السياسي والاجتماعي عند هؤلاء بليداً فلا أبداع ، ولا تحسس للأمور إلا عند ظهورها بجلاء ، وهنا :

- إما أن يقوم بتقليدها بطريقة ذيلية .

- أو يعملون ما يخالفها بنفس النسق فيكون عملهم رد فعل معاكس . . .

صفة التردد عند العاملين

وهذه صفة تلازم الذين دخلوا محيط العمل الإسلامي بقصد الحصول على : الشهرة أو المنصب أو المكاسب المعنوية أو المادية .

أو الذين دخلوه بتأثير الصداقات ، أو الذين ورثوا مجالات العمل عن آبائهم وما إلى ذلك فهؤلاء يعيشون حالات التردد فيقدمون رجلاً ويأخرون الثانية . .

النقاش النظري

إن أحد ركائز العمل المقاوم للحضارة الغازية في المجالات السياسية والاجتماعية هو الفكر العملي . فنحن مبتلون بالفكر النظري دائماً ، والفكر العملي هو الفكر المناسب للتطبيق على الواقع ، وهو لا بد أن ينبثق من إدراك الواقع ، ومن الأمور المساعدة على الإدراك للواقع : كالتشاور في الأمور قال تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ .

وفي الحديث : « من استبد برأيه هلك » .

ويستتبع النقاش النظري :

الإشكالات النظرية

على الأمور العملية ومعلوم أن الإشكالات الموضوعية تغني العمل وتنميته ، أما الإشكالات النظرية غير الموضوعية فإنها تعيقه ، وتزيد من الصعوبات في وجهه .

الأعمال الشكلية

وهي التي تهتم بالشكل وتهمل المضمون وهي عادة تتركز حول الأعمال الإستعراضية المفرغة من المضمون الحقيقي للعمل والتي تجعل العامل يؤخذ بالمظهر الخارجي ، وينسى حقيقة الأمور ويقوم عادة بهذه الأعمال الشكلية الأصناف التالية :

١ - أصحاب الاتجاه الفردي في العمل ٢ - الأنانيون ٣ - والذين يعملون لمصلحتهم الشخصية على حساب الإسلام ٤ - أصحاب النفس القصير في العمل الذين يريدون الوصول إلى النتائج الظاهرية بسرعة ٥ - كما يستخدم هذه الأساليب الإصلاحيون من القادة ذوو الآفاق السياسية والاجتماعية الواسعة من أجل الدعاية والشهرة لبعض مشاريعهم وأعمالهم في البيئة التي تهتم بالشكل أكثر من المضمون (كبيتنا نحن) .

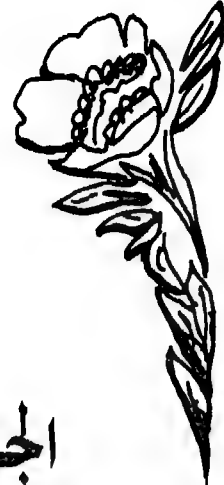
هذه أهم معالم الوضع السلبي الذي تعيشه الأمة أمام الغزو الحضاري ومعرفة السلبيات ضرورة للتوجه نحو الإيجابيات . .

والآن ما هي الركائز الحضارية للثورة الإسلامية ، التي تشكل النموذج الحضاري الذي يشيع روحاً حضارية كبرى ، تجعل الآخرين يشعرون تجاهه بعقدة النقص ، دون أن نشعر نحن بعقدة التفوق ، وتجعلهم يقتبسون من أنوار حضارتنا وثورتنا ، كما حصل في أزمان مشرقة مرت على الأمة الإسلامية . . هذا الذي نطرحه يحتاج إلى بحث منفصل ومعمق ، بحيث تشكل ثورة الإسلام في إيران الصورة الواقعية المتحركة للفعل الثوري والحضاري الإسلامي .



المراجع

- (١) المعجم الأدبي / جهور عبد النور/ ص ٩٤ .
- (٢) بين الحضارة والمدنية وأزمة العالم اليوم / علي القريشي/ ص ٦ .
- (٣) نفسه ص ٨ وما بعدها .
- (٤) نفسه حاشية ١ ص ١٨ .
- (٥) راجع التربية الإسلامية/ فتحي الدريني/ ص ٢٠ پ .
- (٦) راجع لماذا السقوط الحضاري / مؤسسة البلاغ/ ص ١٣ - ١٤ .
- (٧) بين الحضارة والمدنية ص ٣٨ . .
- (٨) نفسه ص ٣٩ .
- (٩) الصراع الفكري في البلاد المستعمرة/ مالك بن نبي ص ١٩ وما بعدها .
- (١٠) راجع قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث ص ٦١ وما بعدها/ عالم المعرفة .
- (١١) للإستزادة والتوسع راجع : لماذا السقوط الحضاري / مؤسسة البلاغ .
- (١٢) تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي نقلاً عن ملحق السياسة الأدبي جمادي ١/ ١٣٥٠ هـ .
- عدد خاص بمؤتمر الطلبة الشرقيين .
- (١٣) راجع ص ٢٣٦ من كتاب تحولات الفكر والسياسة/ مصطفى محمود .
- (١٤) مصطفى محمود/ رحلتي من الشك إلى الإيمان ص ٤ - ١٨ / ١١٤ - ١١٧
- (١٥) وكذلك اعتمدنا على كراس حول مرحلتنا الحاضرة ومقدمة معالم المسيرة الحضارية للإسلام ص ٤٠ .



الجهاد والمقاومة والشهادة

الجهاد من دنة الإيمان .

محتويات البحث

- ١ - آيات كريمات .
- ٢ - حديث شريف .
- ٣ - تمهيد .
- ٤ - إعداد القوة الفكرية والعقائدية .
- ٥ - إعداد القوة النفسية والروحية وجهاد النفس .
- ٦ - إعداد القوة المادية والعسكرية :
 - ١ - القوة العسكرية .
 - ٢ - الجانب المالي .
 - ٣ - التسديد والإرشاد والهداية .
 - ٤ - التثبيت والثقة بالنصر .
 - ٧ - لا للإستسلام . . . لا للإهزيمة .
 - ٨ - الشهادة أفضل أساليب المواجهة مع العدو .
 - ٩ - النصر على العدو وعد من الله تعالى للمؤمنين .
 - ١٠ - عشق الشهادة درب السعادة .
- ١ - أكرم الموت القتل .
- ٢ - المرأة المسلمة في إيران والشهادة .
- ٣ - الشهيد .
- ٤ - شيخ الشهداء .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عز وعلا : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ [١] .
 ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من
 الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم
 مؤمنين ﴾ [٢] .
 ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم
 والفتنة أشد من القتل ﴾ [٣] .
 ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ﴾ [٤] .
 ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً ﴾ [٥] .
 ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم
 غلظة ﴾ [٦] .

[١] سورة الأنفال : الآية ٨ .

[٢] سورة المائدة : الآية ٥٧ .

[٣] سورة البقرة : الآية ١٩١ .

[٤] سورة البقرة : الآية ١٩٣ .

[٥] سورة الأنفال : الآية ٤٥ .

[٦] سورة التوبة : الآية ١٢٣ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ [١] .
 ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم
 الإِدْبَارَ ﴾ [٢] .

* * *

وقال الإمام علي (ع) : « إنَّ الإيمان على أربع دعائم : على اليقين ،
 والصبر ، والعدل ، والجهاد » .

ويقول الإمام الخميني قدس سره : « نحن نواصل تأدية واجباتنا
 الإسلامية بعون الله تعالى ، وسننال إحدى الحسينين : إمّا قطع أيادي
 الخونة من ساحة الإسلام والقرآن الكريم ، أو الخلود في رحمة الحق جل
 جلاله . . . إني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برماً » .

* * *

تمهيد

لقد أثبتت الأحداث التي مرت بأمّتنا عامّة ، وبالمستضعفين في لبنان بشكل
 خاص ، فشل جميع الطروحات ذات المنشأ الغربي ، فسقطت شعارات ، وهزمت
 نظريات ، لأنها لم تكن متلائمة مع طبيعة الناس ومع نفسياتهم وتوجهاتهم
 وتربيتهم .

ولقد جاء الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ م ، ليكشف عن هذه الحقائق
 بصورة أوضح ، وليعرّي قيادات مزيفة ، حملت راية الوطنية والتقدمية والثورية
 وما إلى ذلك ، مدة طويلة . . ولكنها تراجعت ، لأول وهلة وعند أول صدمة ،
 وبانت حقيقتها وسقطت الأقنعة عن الكثيرين من الناس ، وعن الكثير من
 التنظيمات النيثية .

[١] سورة الممتنة : الآية ١ .

[٢] سورة الأنفال : الآية ١٥ .

ولم يبقَ في الساحة ، سوى المبدأ الأصيل ، وخط الجهاد الإسلامي ،
لتحرير الأرض والشعب من الاحتلال الصهيوني .

لقد أدرك الجميع حجم الخطأ الذي كان يرتكبه أولئك ، وحجم الإنحراف
الذي وقعوا فيه ، عندما اختاروا لعبة التوازنات ، وشدّ الحبال ، وعضّ
الأصابع ، والأعيب المخادعين ، والتودّد لشرائطين السياسة من الفاسقين
والملاحدين والمجرمين ، وذلك بالتقرب من أميركا الشيطان الأكبر - فراحوا يلتهون
وراء مواقفها وحلولها ، لعلمهم يجدون عندها ما ينقذهم من ورطتهم . . . وقلما
يعلنون ذلك ، بل يمدّون أيديهم لتصافح الأيدي الأميركية الملتخية بدماء
أطفالنا ، ونسائنا ، وشيوخنا ، في كل مكان من أرض الإسلام . . . يمدون تلك
الأيدي في الظلام وهم يحسبون أن أحداً لن يعرف عنهم شيئاً ، وإن حقيقتهم
ستبقى مخفية ، ونسوا أن المجرم تفوح رائحة إجرامه ولو بعد حين ، ويظهر بجلاء
أن هؤلاء علاقة وثيقة مع إسرائيل نفسها . وآخرون كانوا يسرفون في مديح
الإتحاد السوفيياتي^[*] ، ويسبّحون بحمده في المجامع والخلوات ، وعلى صفحات
الجرائد والمجلات ، وفي مختلف وسائل الإعلام المسموعة والمرئية ويعتبرونه السند
الحقيقي لحركات التحرر وأنه لن يتخلى عنهم في محنتهم لأنه الصديق الوفي ،
والأخ الأكبر للعرب ، وللتقدميين عامة ، وإن النصر آتٍ من عنده ، فهو الذي
يزوّد هذه الحركات والأحزاب والدول بالسلاح ويقدم المساعدات ، وهو الذي
آلى على نفسه أن يدافع عنهم . . . ويأتي الغزو الإسرائيلي للبنان وإذا بروسيا تأخذ
دور المتفرج ، وربما الشامت ، وتنطلق التصريحات مستغربة الموقف ، متعجبة من
هذا التصرف ، تلوم ولا من يسمع اللوم ، وتستنجد ولا من يابه .

. . . وتحاصر بيروت وتكاد المقاومة الفلسطينية آنذاك تختنق ، وكذلك
القوى العاملة على الساحة ويغمض الحلفاء من الروس أعينهم لأن الأمر لا
يعنيهم فعلاً .

كل هذا وأميركا تأمر إسرائيل بمزيدٍ من التضييق على بيروت وعلى الأمنين

[*] هذا قبل انفرط عقد المعسكر الإشتراكي وسقوط النظرية الماركسية - اللينينية ، وتفكك الدولة
السوفياتية ، والدوران في فلك الولايات المتحدة الأميركية . . .

وبميزيد من قتل الأبرياء ، وتشريد المواطنين ، وإلقاء القنابل الإنشطارية والفوسفورية . . . وعرب التخاذل يشربون نَحْبَ انتصار إسرائيل وهم ينظرون إلى مشاهد الدمار والحرائق وجثث القتلى في الجنوب اللبناني والعاصمة بيروت ، على شاشة التلفاز ، ويتلذذون بكل ذلك ، ويطالبون بتصريحات خجلى بالإنسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي اللبنانية . . . !

أما روسيا ، فكل ذلك لا يعينها . . . ولا عجب . .

إن ما هو آت ربما يكون أكثر مرارة ، وأكثر تعقيداً ، وذلك لأن إسرائيل ومن ورائها أميركا ، ومن الجانب الآخر روسيا ، التي لا ننسى أنها أول دولة اعترفت بالكيان الإسرائيلي ، يهدفون إلى تركيع الجميع وفرض الحلول الصهيونية ، وإقامة معاهدة صلح إجبارية مع لبنان ، وبذلك ينشأ المثلث المشبوه الخادم للصهيونية والاستكبار : مصر - إسرائيل - لبنان ، المثلث الذي أطلق عليه الإسرائيليون إسم مثلث السلام .

وكان اتفاق السابع عشر من أيار ١٩٨٣ بين لبنان وإسرائيل يكاد يكون الوسيلة لتحقيق هدف إسرائيل في إقامة السلام مع لبنان ، لولا سقوط هذا الاتفاق نتيجة الرفض الذي لاقاه من المؤمنين خاصة والقوى المعادية لإسرائيل .

وتسحب إسرائيل من بيروت والجبل لتستقر في الجنوب اللبناني والبقاع الغربي ورأشيا إلا أن ضربات المقاومة البطلة أرققتها ، ودعت الكثيرين من المسؤولين الإسرائيليين يعلنون أنهم جاهزون للإنسحاب شرط تأمين أمن الجليل ، لأن « لبنان ليس مكاناً لإقامة العقلاء » كما صرّح قادة العدو (إيبان) ، ولكن شبح المقاومة لن يتركهم وسيلاحقهم حتى تحرير القدس ، لأن المؤمنين لا يرضون إلا بزوال إسرائيل ، وتحرير القدس الشريف .

وأكثر ما أزعج الإسرائيليين العمليات الباسلة لأبطال المقاومة ، وخوفهم من عشاق الشهادة ، الذين دمروا على رؤوس الإسرائيليين مقر الحاكم العسكري في صور ، بعد أن دمر مقر مشاة البحرية الأميركية (المارينز) ، والقوات الفرنسية ، وهروب القوات المتعددة الجنسيات تحت وطأة الضربات الشجاعة ، كل ذلك لن يغير من أهداف إسرائيل شيئاً بل قد يؤثر على أساليبها المتبعة فقط .

وبكلمة أخرى يمكن القول :

إن إسرائيل الدولة العنصرية ، الكافرة قد كانت ولا تزال تعمل لهدم أسس الحق والعدالة والتحرر ، وتسعى للسيطرة على المستضعفين ، من خلال وسائلها المتنوعة . فمرة تستخدم أساليب الخديعة والكذب والتلون في المواقف ، ومرات أخرى تستعمل أساليب العنف والقتل والسحل والتشريد للآمنين ، ولا تتورع عن الإعتداء على الحرمات ، وهي مستعدة لسحق الكرامات لأنها لا تؤمن بقيم ، ولا تنطلق من مبدأ سوى اعتقادها بتفوقها وأفضليتها على الأمم الأخرى ، متمسكة بالمقولة الزائفة التي تزعم أن اليهود هم شعب الله المختار ، وما اجتياحها للبنان ، وقتلها وتشريدتها وترويعها للأطفال والنساء والشيخوخ ، وهدمها للبيوت فوق رؤوس ساكنيها في الجنوب وبيروت ، وسعيها للقضاء على الشعب الفلسطيني المشرّد ومحاولتها طمس الخط الجهادي الإسلامي الرافض لكل أنواع الدّل والإستسلام ، عن طريق طرح الصيغ ذات الرائحة الإسرائيلية وذات المضمون التسلطي على إرادة المحرومين والمستضعفين من الشعب اللبناني، لفرض هيمنة فئة عميلة للعدو الإسرائيلي ، بحيث تكون هذه السلطة المفروضة من قبل الصهاينة هي العوبة بيد العدو ، من أجل تنفيذ مآربها الدنيئة ، في السيطرة وبسط النفوذ الإستكباري على شعبنا ، وتحقيق الأهداف الأميركية الإستعمارية في المنطقة ، وربط مصير البلد بحبل تشده إسرائيل ، ساعة تشاء ، وفي الإتجاه الذي ترغب ، وبالتالي إخضاع العالم العربي والإسلامي بكامله لإرادتها المتعلقة بالتوجهات والأهداف الأميركية ، وجعل الجميع يسرون في ركب مؤامرة كمت دايفيد . . . ومؤتمرات سلام لا بل مؤامرات استسلام .

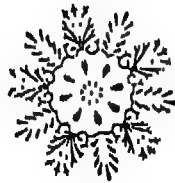
ونسأل ماذا نفعل ؟

ما هو الواجب علينا فعله ؟ لا بد لنا من المواجهه والمقاومة مع أن دول الإنهزام والتبعية الدليّة ، وأصحاب المشاريع الخبيثة يتفرون على المحرومين والمؤمنين وهم يعانون محنة الإحتلال الإسرائيلي ، وعلى أهلنا في فلسطين المحتلة وهم يتجرعون الغصة تلو الغصة . . وتأتي الإنتفاضة الباسلة في الضفة والقطاع لتثبت للعالم أن الإسلام قد خرج من القمقم ، ولا تستطيع أية قوة ظالمة في العالم أن تفرض حتى على أطفال المسلمين سيطرتها ، وأن تحاذل القيادات العميلة

لن تقدر على فعل شيء أمام ثورة الشعب .

وقد بان لنا ، ووضح أن كثيرين ممن كانوا يسمون أنفسهم وطنيين ، وشرفاء قد فاحت رائحة عملتهم للعدو الإسرائيلي ، وثبت بالدليل القطعي أنهم قد مهدوا ويمهدون الطريق للعدو حتى يحتل الأرض ، ويتخذ منها مرتكزاً لضرب أهلنا ، وشعبنا ، وأطفالنا ، وقد رفعوا - بلا حياء - أيدي الإستسلام ، وانخرطوا في صيغ إسرائيلية للتسوية السياسية ، تحت غطاء كثيف من البيانات الراضية والمهاجمة لإسرائيل وحلفائها .

ونحن إذ نطرح موضوع جهاد العدو والمواجهة مع إسرائيل ، نريد أن نعالجه من الزاوية الشرعية ، على ضوء الكتاب والسنة ، حتى لا يبقى أي مجال لأولئك المساومين على حساب القضية المقدسة ، والذين يجدون في مسالة إسرائيل أو التعامل معها ، أو مهادنتها مجالاً واسعاً لغش الشعب والتلاعب بعواطفه ، واستدراجه نحو تأييد مواقفهم المتخاذلة ، ظناً منهم أنهم يستطيعون استغلال الناس ، وتنفيذ مخططاتهم الدنيئة ، في عدم المواجهة مع أعداء الله والإنسانية .



الموقف . الوسائل . الإمكانات .

إن موقفنا السياسي من الأحداث ومن الأشخاص ومن الأحوال إنما ينبع ، وبشكل دائم ، من القواعد الشرعية ، والنصوص القرآنية والنبوية ، وما خالف القرآن المجيد ، وسنة الرسول الكريم (ص) ، نضرب به عرض الحائط ، ولو كان صادراً من أية جهة ، مهما كانت مرتبة أو وزن أو علم أو مكانة هذه الجهة ، لأنه « لا طاعة لمخلوق في معصية الله » .

إن موقفنا من العدو الإسرائيلي ، ومن الدولة الصهيونية بصورة مطلقة يستند إلى قوله سبحانه :

﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ﴾ [١] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم . أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلّ سواء السبيل ﴾ [٢] .

﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم

[١] سورة هود : الآية ١١٣ .

[٢] سورة الممتحنة : الآية ١ .

وظاهروا على إخراجكم إن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴿١﴾ .

على هذا فإنّ الموقف يبني على أساس :

أ - عدم الركون إلى الظالمين والمعتدين والغازين . وعدم الدخول في أية صيغة سياسية تخدم العدو أو يكون له أدنى علاقة بها .

ب - عدم إلقاء المودة لأعداء الله وذلك بتوليهم ، وهم الذين كفروا بالحق وعمدوا إلى إخراج الناس من مدنهم ومنازلهم بتشريدهم وتهجيرهم . ولا يجوز إقامة أية علاقة سرية معهم أو الإصرار إليهم بالمودة ، وأية جهة أو قيادة أو قوة تفعل ذلك فإنها تكون قد ضلت سواء السبيل .

ج - إن العلاقة بيننا وبين المحتلين هي علاقة صراع ، ولا يمكن أن تتحول إلى علاقة إنسجامية لأنهم :

- قاتلونا في الدين والمبدأ .

- وأخرجونا من ديارنا وساعدوا على إخراجنا .

والنتيجة أن من يتولى هؤلاء ، وينسجم مع مخططاتهم وطروحاتهم ومشاريعهم إنما هو ظالم تحب مقاتلته .

وقد قال عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ، قد يئسوا من الآخرة ، كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾ [٢] .

أما طريقنا لترجمة هذا الموقف ، وتجسيده هو في جهاد العدو لإخراجه من بلادنا ، ولاسترداد حقوقنا ، وتحرير أمتنا من رجسه .

قال عز من قائل :

١ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾ [٣] .

[١] سورة الممتحنة : الآية ٩ .

[٢] سورة الممتحنة : الآية ١٣ .

[٣] سورة المائدة : الآية ٣٥ .

٢ - ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ [١] .

٣ - ﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ [٢] .

٤ - ﴿ والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ﴾ [٣] .

٥ - ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ [٤] .

٦ - ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ [٥] .

نستنتج من ذلك أنه لا مناص من :

١ - ابتغاء الوسيلة إلى الله بالإخلاص ، والتقوى ، والجهاد في سبيله ، ومحاربة الذين لعنهم الله وطردهم من رحمته من الكفار من بني إسرائيل الذين كان دأبهم التعدي .

٢ - وليس أمامنا إلا قتالهم وقتلهم حيث وجدناهم والعمل على إخراجهم من حيث أخرجونا ، من أرضنا في الجنوب وبيروت ، ومن القدس ، ومن فلسطين كلها . . . وعدم قتالهم يعني أنهم سيستمرون في عملية الإفساد ونشر الإلحاد والعدوان على الخلق وإهلاك الحرث والنسل .

٣ - إن هذه المهمة - مهمة الجهاد - تبدو شاقة وذات متطلبات ، ولكن كل ذلك يصبح سهلاً إذا ما علمنا أن ثمرة جهاد العدو :

[١] سورة المائدة : الآية ٧٨ .

[٢] سورة البقرة : الآية ١٩١ .

[٣] سورة البقرة : الآية ٢١٨ .

[٤] سورة آل عمران : الآية ١٤٢ .

[٥] سورة الأنفال : الآية ٧٤ .

- الدخول في رحمة الله .

- والفوز بالجنة .

٤ - ولا يتميز المؤمن الحقيقي عن المؤمن المزيف إلا في حالات الأزمة ، عندما يحتاج الأمر إلى بذل المال والمهج والهجرة والجهاد وإيواء المقاتلين والمشردين ونصرتهم ، عندها تبين حقيقة الناس ويعرف من هم المؤمنون حقاً .

والجهاد يحتاج إلى إمكانيات وقوة تقف بوجه قوة العدو :

قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [١] .

إنّ القوة التي يجب علينا إعدادها لا تختص فقط بالجانب العسكري ، بل تتعداه إلى الجوانب الأخرى التي يعتبر بعضها أكثر أهمية من القوى المادية العسكرية .

وأشكال القوة المطلوب إعدادها :

القوة العقائدية والفكرية - القوة النفسية والروحية - .

القوة الاجتماعية - والقوة المادية والعسكرية .

إعداد القوة الفكرية والعقائدية

إنّ الذي يحرك الإنسان في حياته ، ويرسم خط سيره العملي هو قناعاته ، وفكره واعتقاده ، وعندما تكون العقيدة مبنية على أسس صحيحة ، ومنطلقة من الواقع الكوني والحياتي والاجتماعي والسياسي ، يستطيع الإنسان أن يتوجه الإتجاه الواقعي من أجل تحقيق الأهداف التي يضعها لنفسه أو لمسيرته الحياتية وقوة العقيدة تتركز على الفهم الصحيح للواقع ، بحيث يكون المحور الأساسي هو الإيمان بقدرة وعلم وقيمومة الخالق ، وأنه لم يخلق الخلق عبثاً ، وأنه جعل الخلق الإنسان غاية هي معرفته سبحانه ، وإنّ الحاكمية لله والتشريع حق له لا يشاركه فيه أحد من خلقه ، وأن نخشى الله وحده ، وأن لا نخاف فيه لومة لائم .

[١] سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

« أما الرأي والعقيدة ، فهما ثمرة تفكير الإنسان ، ونتيجة الجانب الأشرف من وجوده . . . فقد أكرمها الإسلام وحاول أن يحافظ على حريتها ، فترك أمر التفكير والاجتهاد لمعرفة العقيدة الصحيحة . . . تركه للإنسان وأعلن أن العقيدة التي لا تركز على مبادئ التفكير لا اعتبار لها ، ولا يعذر الإنسان إلا إذا لم يتمكن من الوصول إلى العقيدة الصحيحة بالرغم من التفكير والسعي (لا إكراه في الدين) » (١٠) . والتعاليم الإسلامية تؤكد أن الله قريب جداً للإنسان ، وهو أقرب إليه من أي شيء ، فعلى الإنسان أن يشعر بهذا القرب ويقبل على الله لكي يجد قوته واعتزازه (قلب المؤمن عرش الرحمن) حديث شريف .

والتأكيد على قرب الله من الإنسان يرفع كثيراً من معنوياته ، ويسمو به عن الخوف والقلق والحزن ، ويبعد عنه الكثير من الرذائل الخلقية التي تنتج عن الضعف والخوف والطمع كالكذب والنفاق والحرص ثم أن القرب لله يسهل الإكتساب منه والتخلق بأخلاقه .
ويقول تعالى : ﴿ ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ [١١] .

« وأن أذكر الله وأديم ذكره ، وأن يكون صمتي فكراً ونطقي ذكراً ، فذكر الله تعالى هو العلاج النفسي الأقوى وهو السلاح الأمضى أمام عاديات الزمن وكروب الحياة ونائباتها » . . . وصدق الله تعالى حيث قال :

﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [١٢] .

﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ، وأنهم ليصدونهم عن السبيل ، ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ [١٣] .

ولقد اعترف الدكتور « بريل » بذلك حيث قال : « إن المرء المتدين لا يعاني قط مرضاً نفسياً » (١) .

[١] سورة النور : الآية ٥٢ .

[٢] سورة الرعد : الآية ٢٨ .

[٣] سورة الزخرف : الآية ٣٦ .

إن قوة العقيدة تتمثل في حب الله ، قال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ [١] .
والتوكل على الله يمنح المؤمن قوةً وروحاً ومعنوية عالية ، تحطم كل الصعوبات .

قال الصادق (ع) : « أوحى الله عز وجل إلى داوود (ع) ما اعتصم بي عبد من عبادي ، دون أحد من خلقي ، عرفت ذلك من نيته ، ثم تكيده السماوات والأرض ، ومن فيهن ، إلا جعلت له المخرج من بينهن ، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي ، عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من يديه ، وأسخت (خسفت) من تحته ولم أبالِ بأي وإد هلك » [٢] .

إن من يعلم أن الله الذي يجاهد في سبيله هو القوي والغني وأن بيده الموت والحياة والنشور ، هل يمكن أن يشعر بضعف ؟ .

قال عز وجل : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ﴾ [٣] .

أليس الله هو القوي ، الذي لا يمكن لأية قوة أن تتمرد عليه ، ألم يعذب العاصين والكافرين والظالمين .

قال تعالى : ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض ، إنه كان عليماً قديراً ﴾ [٤] .

أليس الله هو ناصر عباده الذين ينصرونه ورازقهم . . . أليس هو القوي العزيز ؟؟ .

[١] سورة التوبة : الآية ٢٤ .

[٢] سورة فاطر : الآية ١٥ - ١٧ .

[٣] سورة فاطر : الآية ٤٤ .

قال تعالى : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ [١] .
 ﴿ وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال
 وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ [٢] .
 ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [٣] .

إعداد القوة النفسية والروحية وجهاد النفس

لا شك أن العدو الإسرائيلي لا يحاربنا فقط بسلاحه الحربي ، بل يعمل لتدمير النفوس قبل الأجساد ، ويستخدم وسائل الحرب النفسية ، ويوحى إلى الناس أنه سوف يقتحم كل شيء ، وأنه لن يبقو ولن يذرو ، لذا كان أثناء الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢ م يرمي بالمنشورات التي تحذر الشعب من التعاون مع المقاتلين أو نصرتهم أو إيوائهم ، ويطلب إليهم استغلال الفرص لينزحوا من مدنها وقراهم كما حصل بالنسبة لسكان المنطقة الغربية من بيروت .
 ومع الأسف فإن هذه الإشاعات والحرب النفسية كانت تؤثر أيما تأثير على الناس ، بحيث يدب الذعر والهلع ، وترى الناس ينزحون من المدينة بشكل لا مثيل له ، ولا يمكن أن يفسر هذا إلا بهبوط الروح المعنوية وضعف القوة النفسية التي يرفعها الإسلام بطرقه الخاصة إلى درجات عليا ، وقد يكون لكل ذلك نتائجه على مستوى المعركة . . .

والمؤمن المجاهد قد تحرر نفسياً من الخوف من كل قوة طاغية لأنه يرجع كل أمور حياته إلى الله ، خالق الكون والإنسان والحياة ، وهو يثق بربه وبنفسه ، ويعلم أن الذي أبطأ عنه قد يكون خيراً له لعلم الله بعاقبة الأمور .

يقول الإمام الصادق (ع) : « كان علي يقول : لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وإن الضرر النافع هو الله عز وجل » .

[١] سورة الحج : الآية ٤٠ .

[٢] سورة الأحزاب : الآية ٢٥ .

[٣] سورة الذاريات : الآية ٥٨ .

والمؤمن يخاف الله ولا يخاف الناس ﴿ ولا تخشوا الناس واخشون ﴾ .

ومهما كانت القوة البشرية التي تواجه الحق وأهله ، ومهما كانت أسلحتهم وعدتهم ، وحتى لو كانت المعركة غير متوازنة ، فإن المجاهدين لا ترعبهم قوة العدو العسكرية ولا حرب الأعصاب ، ولا التهويل والتخويف ، وما دامت المعركة مفروضة ، فلم التراجع ؟ ولم الإنهزام ؟ .

قال تعالى : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ [١] .

ومن المؤسف أننا نرى في حالات كثيرة من يبرز نفسه وكأنه البطل الذي سيطيح بالأعداء ، فيعرض عضلاته بمناسبة وغير مناسبة ، وإذا ما حان وقت النزال وأخرجت البنادق والمدافع ودوى صوت الرصاص والطائرات في السماء . . قال قائلهم : ما لنا وللقاتل : نحن أقل عدة وعدداً ، وهل يجوز لنا أن نرمي بأيدينا إلى التهلكة ؟!

ثم يعمد إلى اختلاق العذر تلو العذر ، ويرى المصلحة في الاستسلام وعدم خوض المعركة . . . إن هذا الموقف المتخاذل أمام العدو هو نتيجة حتمية للروح الخاوية والإيمان الضعيف .

قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال ، إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال ، لولا أخرتنا إلى أجل قريب ، قل متاع الدنيا قليل . والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً ﴾ [٢] .

إنّ جهاد الأنفس والانتصار في معركة النفس هو بداية النصر على الأعداء ، يقول الإمام الحميني قدس سره :

[١] سورة آل عمران : الآية ١٧٣ - ١٧٥ .

[*] لا تظلمون على مشاق الجهاد والقتال قدر الحيط الرقيق في شق النواة .

[٢] سورة النساء : الآية ٧٧ .

« رمز انتصاركم يتمثل في الإيمان أولاً ، ثم في وحدة الكلمة ، فحافظوا عليهما . رسخوا إيمانكم ، لستم بموجودات مادية . أولئك الذين ينظرون إلى الإنسان نظرة مادية يعتبرونه مثل سائر الحيوانات . إن وجودكم ينطوي على جوانب مادية ، وعلى جوانب أسمى منها هي الجوانب المعنوية . أنتم تملكون نفساً قدسية . . نفساً مجردة . إن كنتم في خدمة الإسلام وفي خدمة الله تعالى ، فإن نفسكم هذه طاهرة زكية سعيدة ، أنها زكية سعيدة حيث ما كنتم ، وسعيدة حتى في الضراء ، وسعيدة حتى لدى الموت أيضاً » .

إنّ الإيمان ، والروح الإسلامية العالية ، والنفوس القدسية الزكية السعيدة ، تقف في الأزمات مواقف البطولة ، ففي معركة أحد كان سعد بن الربيع يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وفيه سبعون ضربة ما بين طعنة رمح ، وضربة سيف ورمية سهم ، إلّا أنّ هذا لم يمنعه من أن يقول لزيد بن ثابت : (قل لرسول الله إني أجد ريح الجنة وقل لقومي الأنصار لا عدل لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله وفيكم عين تطرف ، ثم فاضت نفسه من وقته) .

هذا في عالم الاستشهاد ، أما في عالم الحياة الدنيوية والمواقف الرسالية ، فإننا نرى أن المهاجرين من المسلمين ، الذين هاجروا إلى ملك الحبشة والتجأوا إليه فراراً من المشركين الذين تبعوهم لاستردادهم ، وبمحضر القسس والرهبان يطلب إلى المسلمين أن يسجدوا للملك فيقول لهم جعفر بن أبي طالب : « نحن قوم لا نسجد إلّا لله » .

ويؤكد الإمام الخميني رضوان الله عليه ان النصر من عند الله وان القوة المادية ليست كل شيء .

يقول (قدس سره) : « لا تجعلوا همكم أنكم تريدون تحقيق النصر بقدرتكم ، بل اجعلوا همكم أنكم تريدون تحقيق أهدافكم بقوة إلهية أي حولوا أيديكم وأعينكم وجميع ما تملكونه من قوى شيطانية إلى قوة إلهية ، والإنسان - إن غفل فقواه شيطانية ، وجوارحه شيطانية ، ويده وعينه شيطانيتان أيضاً ، لكنه أن تربى فكل قواه تضحي إلهية ، وقوة الله غالبية لا محالة » .

ينبغي التأكيد على أن انتصار ثورتنا ما تحقق إلّا ببركة الإسلام ، وبالإتجاه نحو الإسلام وبنداء الله أكبر .

لا يظن أحد أن هذا النصر تحقق على يد أفراد أو مجموعات ، كلا . . . إنها عناية الله التي شملتنا يوم رأى الله تعالى أن الأمة نهضت على طريقه .

لا تغفلوا عن سر تراجع أعدائنا عن اتخاذ خطوة جادة . . . كانوا يستهدفون قصف طهران بطائراتهم ومدافعهم ودباباتهم . . . لم تكونوا تملكون أية وسيلة للدفاع ، لم تكونوا مجهزين بأية عدة . . . لكن الله تعالى ألقى الرعب في قلوبهم وتحقق هذا النصر » .

أننا نتكل على الله ونؤمن أن لهذا الكون مدبراً . ان الذين لم ينتبهوا إلى هذه الحقيقة سينتبهون الآن ، إذ كيف استطاع شعب أعزل بصرخات - الله أكبر - لا غير ، التغلب على أعنى قوة شيطانية تسندها القوى الكبرى والصغرى ، وكيف استطاع هذا الشعب الضعيف الأعزل من السلاح أن ينتصر على جميع هذه القوى ؟ .

ألم يكن سر انتصار هذا الشعب هو الرعب الذي ألقاه الله في قلوب هؤلاء الطغاة ؟ . .

أليس ذلك هو ذات ما حدث في صدر الإسلام حيث انتصر فئة قليلة على فئة كثيرة ؟ . .

ألم يحين الوقت للذين لم يهتموا بالمعنويات ولم يؤمنوا بالغيب أن يستيقظوا من غفوتهم ؟ . .

من أسقط الطائرات العمودية لكارتير التي استهدفت الاعتداء على إيران ؟ . . .

هل نحن أسقطناها ؟ .

إن الرمال جنود الله وكذلك الرياح هي جنود الله ، وقد أبادت الرياح قوم عاد ، إن الرياح والرمال جنود الله وليجربوا .

هذه الأصوات المرتفعة التي تسمعونها هي صوت الله ، إنها قدر الله ، هذه الإنتفاضة تحققت بقوة الله .

الانتصار الذي تحقق في إيران كان نتيجة عناية إلهية ، العناية الكبرى التي

غيرت روحية شعبنا إلى روحية الإسلام وروحية صدر الإسلام ، وهذا الإيمان بالإسلام هو الذي حقق انتصاراً لم يكن يتوقعه أحد بيد خالية ، وبدون أسلحة ، أمام أحدث الأسلحة وأقوى عدة عسكرية .

هذا النصر الإلهي الذي حققه شعبنا ليس له في التاريخ مثيل سوى صدر الإسلام ، لقد ألقى الله الرعب في قلوب أعدائنا ، وهذا الرعب هو الذي حقق لنا النصر ، والله سبحانه ينصر جند الإسلام أحياناً بالرعب الذي يليقه في نفوس أعدائهم ، ولم يكن غير الله وراء انتصار قضية شعبنا ، وهل من الممكن القيام بمثل هذا العمل عن طريق تبليغ الناس ؟ لا يمكن السيطرة على سوق طهران حتى ولو بذلنا عشرين سنة من الجهود ، لكن جميع نقاط بلادنا أضحت خلال مدة قصيرة مندفعة نحو هدف واحد . . . وهذا يبين بأن يداً غيبية كانت وراء ما حدث » . وما جاء في مجلة رسالة الثورة الإسلامية هذه الحادثة المثيرة (٣) :

« بعد أن رد الله كيد الأمريكان إلى نحورهم ، إذ فشل الهجوم العسكري الأمريكي في مدينة طبرس ، اتضح أن هناك خطة مدبرة تقضي بالقيام بانقلاب عسكري أمريكي بقيادة شهابور بختيار ، وألقى القبض على امرأة باسم (مارغريت ماستيران) ، كانت تقوم بطبع منشورات بختيار ، وعلى أثرها تم إلقاء القبض على أربع نساء ورجل واحد مع العديد من الوثائق ، ومن ثم على عشرة أشخاص من كبار الضباط المتقاعدين ، وبعدها بخمسة عشرة يوماً أي في الأيام القريبة جداً من تنفيذ الإنقلاب العسكري ، أعلنت حالة الإنذار في جميع اللجان الثورية وتمت السيطرة على معابر مدينة طهران وطرقاتها . .

وكان من المقرر أن ينفذ الإنقلاب في الساعة الخامسة من صباح يوم ١٩٨٠ / ٧ / ٩ تقريباً ، وقد عثر على مائة من المتآمرين مع وثائق وأسلحة خلال يوم واحد ، ابتداء من الساعة السابعة من صباح يوم الإنقلاب الفاشل وحتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالي ، وسُلم هؤلاء إلى لجنة إحباط الإنقلاب .

ولهذه الحادثة قصة لطيفة تدل على مدى عظمة المشيئة الإلهية ونسرها هنا باختصار عن لسان أحد الأفراد العاملين في اللجان :

راجعنا يوماً رجل مسن شاكياً يقول (أنا رجل فلاح وأعمل في أحد البيوت

وقد أبلغني صاحب الدار بأن أذهب في إجازة أسبوعية فرددت قائلاً بأن الزهور أسوف تذبل إذا تركتها لمدة أسبوع ، ولكنه رفض بقائي وأبى إلا أن يعطيني إجازة) ، وخلاصة الأمر أن الرجل لم يترك تردده علينا آملاً أن نفعل شيئاً من أجل مساعدته ، وفي أحد الأيام جاء قائلاً بأن صاحب الدار وأصدقائه يشربون الخمر ، ولكنني غلب على ظني أن الرجل أدعى ذلك بسبب عدم حصوله على نتيجة من شكايته ، فأجبت قائلاً : حسناً سوف ننظر في القضية ولكنه أضاف بأن هؤلاء لديهم ملابس عسكرية أيضاً ، ومع ذلك لم أحس بخطورة الموضوع ، لعلمي بأن البيت يعود إلى ضابط برتبة عقيد وأنه من الطبيعي أن يملك الضابط ملابس عسكرية ، ولكنني لم أكن أعلم حينها من هو ذلك الضابط ، على كل حال أخذ هذا الرجل يصير كثيراً إلى أن اضطررنا إلى إرسال عدة أشخاص ، ولكن لغرض البحث عن المشروبات الروحية التي أدعى بأنها توجد في تلك الدار ، وبعد الوصول إلى الدار فتح لنا الباب شخص اتضح فيما بعد أن اسمه شهريار نور (ابن العقيد الهارب نور) ، وأبلغه الحرس بأنهم جاؤوا ليبحثوا عن مشروبات روحية في داره ، ثم دخلوا حديقة الدار ، وعندما حاولوا الدخول في الغرف قال لهم شهريار نور « انتظروا قليلاً لكي أجلب لكم المفتاح من الغرفة التي تحت الأرض لفتح الباب ، وسوف أفتحها من ذلك الجانب ، فذهب معه أحد الأخوان وبدأ بالبحث ، ورأى هناك ضابط شرطة ثم عثر على مقدار من المشروبات الروحية وبدأ بجمعها ، وفي ذلك الحين ذهب فرد آخر من أفراد الحرس إلى حوش الدار وإذا به يتفاجأ بكلب ينبح ، فبدأ بالرجوع إلى الخلف خوفاً من هجوم الكلب عليه وفي تلك اللحظة بالذات فوجيء بمشاهدة مقادير كبيرة من الأسلحة تحت الأرض فاتجه على الفور إلى أخوانه الآخرين ليطلعهم على ذلك ، ثم القوا القبض على صاحب الدار وصديقه ضابط الشرطة ، وكان مقدار الأسلحة التي عثر عليها كالآتي : ٥٥ بندقية ١٧ مسدساً ، وعدد من الرشاشات المختلفة ، ومائتي مصباح يدوي وأربعمائة بدلة عسكرية .

وعلق الإمام الخميني رضوان الله عليه على هذا فيقول : « إن هذا الكلب مأمور ، وكل العالم مأمور ، كانت العاصفة الرملية يومذاك مأمورة - يشير الإمام إلى حادثة طبس - ، واليوم فإن هذا الكلب مأمور في هذه الحادثة » .

ويقول الإمام الصدر متحدثاً عن دور الإيمان في النصر :

أمام هذه الظاهرة أجد مسؤوليتي أن أتحدث عن العنصر الأساس ، لهذا النوع من الانتصارات والمنعطفات التاريخية ، وإن أشير إلى تلك القوة الكامنة في الشعوب ، التي لو كانت متجلية بالشكر الصحيح وبأبعادها الكاملة لما انقرض شعب ولما انهزم ، كان دائماً متجدد القوى عزيزاً كريماً فاعلاً في صناعة التاريخ والحضارة ، شاهداً على الشعوب والأمم كما أراد الله تعالى .

إنّ هذه القوة هي الإيمان بالله ، ذلك الإيمان الذي نشاهده في العادة راكداً غائباً ، عن التفاعلات ، أو متحولاً إلى عصبية ، ذميمة ، حتى إذا عادت صافية فاعلة منفتحة بأبعادها السماوية والإنسانية ، ونتائجها العملية والعلمية ، وبشموليتها لاستنفار كل طاقات الفرد والمجتمع ، وبعدالتها التي ترفض الانحراف في الهدف وفي الوسيلة معاً ، وعند ذلك تجعل الإنسان يزيل الغبار ، ويقوم الانحراف ويجدد القوى ، ويوحد الشعب ، فيصنع تاريخاً جديداً ، ويدخل في التاريخ من جديد .

إنّ نظرة سريعة إلى معالم المعركة ، (معركة رمضان ١٩٧٣ م) تكشف عن اعتمادها التام على سلاح الإيمان بمعناه الصحيح ، لا بمفهومه التجريدي أو الطقسي أو الإتكالي ، أو المنغلق التعصبي العنصري . كلمة السر كانت لفظة - بدر - تعبيراً عن عدالة المعركة ودقة تخطيطها ، وعن التعبئة التامة المستمدة من التجربة الناجحة . وتذكيراً بالآية القرآنية الكريمة :

﴿ ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم لا يعجزون واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ .

شعار المعركة كان كلمة « الله أكبر » .

اعتمدت السريّة المطلقة في المعركة ، حتى أن الحرب كانت مفاجأة للإستخبارات الأميركية ورغم وسائلها وأقمارها الصناعية ، وقد أكد ذلك التقرير كورت فالدهايم للأمم المتحدة . . . لقد كانت طاقات الفرد والأمة مجنّدة ، موجّهة نحو المعركة ، والإيمان الصحيح ، كان العنصر الأساسي في هذا التجنيد وبعدها انتقمت إسرائيل من لبنان ومن العرب في لبنان ، ومن جنوب لبنان

خاصة ، وبعدما مرّت تجربة فاعلية الإيمان بصوره المتنوعة ، وبعد هذه الملاحظات ، لا نجد صعوبة في اختيار طريقنا في معاركنا العامة مع العدو ، وفي معركتنا اللبنانية القادمة . . . » .

ويقول الإمام الصدر أيضاً ، إنّ ذرة من الروحانية لا تزال تتغلب على الكثير من الأسباب المادية وتجاربنا في أقطار العالم ، حتى في البلاد المتقدمة جداً تثبت ذلك » .

ويقول قبل هذا إن « العالم اليوم رغم تقدمه المادي ، بل بسبب هذا لتقدم متشوّق إلى الصفاء الروحي ، والتنزه عن الماديات . . . لا أقول أن العالم الديني والداعية يجب أن يترك متعة الحياة الدنيا فإن الإسلام يرفض الرهبانية ، وعلي (ع) يقول « ليس الزهد ألا تملك شيئاً بل الزهد ألا يملكك شيء » ، بل أقول : إنّ نمو الوضع المادي المحيط بالإنسان يجب أن يرافقه النمو في الجانب الروحي لكي لا ينحرف .

إعداد القوة الاجتماعية والصف المخصوص

لا يمكن لنا تحقيق النصر على العدو الصهيوني والإمبريكي وكل أعداء الإسلام إلاّ بتهيئة القوة الاجتماعية المتماسكة ، والفئة المقاتلة تحت راية لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله ، والتعامل على أساس المحبة والإخاء والتعاون والإيثار والرحمة .

والقرآن الكريم يقدم لنا نموذجاً للمجتمع الرسالي المجاهد الذي كان في عهد رسول الله (ص) ، فيذكر بعض صفاته :

﴿ محمدٌ رسولُ الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء فيما بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل (وصفهم في التوراة والإنجيل) كزرع أخرج شطأه (أي أخرج فراخه المتفرعة عن أصوله وجوانبه) فأزره (فقوى الشطء الزرع) فاستغلظ (صار غليظاً وتكامل نموه) فاستوى على سوقه (فاستقام على قضبانته ، واستقل بنفسه ، وبدا قوياً) يعجبُ الزّراع (في

منظره وقوته) ليغيب بهم الكفار (سبب غيظ الكفار هو مشاهدتهم للقوة والشموخ) وَعَدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴿١١﴾ .

وتظهر روح التعاون والإيثار في استقبالنا لأخواننا الذين شَرَدَهم العدوان ، وهَجَّرَهم وأخرجهم من ديارهم ، وليصل الأمر إلى تحمل الأعباء والعناء من أجل المشردين والمهجرين حتى لو جعنا وأطعمناهم وعرينا وكسوناهم وظمنا ورويناهم وتعبنا وأرحناهم .

وقال تعالى : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ﴾ (توطنوا المدينة مع الإيمان) يُحِبُّونَ من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة (حزااة وحقدًا) مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (فقر وحاجة) ومن يُوقِ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون ﴿٢٢﴾ .

إنَّ التماسك الإجتماعي ، والوحدة لا يتأسسان في الفراغ ، بل يرتكزان على المبادئ والأسس الإيمانية والوفاء بعهد الله :

قال سبحانه وتعالى : ﴿ واطفوا بعهد الله ، إذا عاهدتم ﴾ (المؤمن بالله هو الذي عاهد الله على الطاعة) ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها (ولا تحنثوا بإيمانكم بعد عقدتها) وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً (رقيباً ومتكفلاً بالوفاء) ولا تكونوا كالتى نقضت عَزَمَها من بعد قوة إنكاثاً (تشبيه ناقض العهد بالحرقاء التى تنقض الغزل بعد إبرامه / قوة = إبرام وإحكام ، أنكاثاً = أنقاضاً محلول الفتل) تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ (أي أتنخذون أيمانكم دخلاً أي غدراً ومكرًا) أن تكون أمة هي أربى من أمة (أربى هي أكبر وأقوى من أخرى وقد كانت القبيلة في الجاهلية تحالف أخرى فإذا جاءتها قبيلة أقوى منها غدرت بها ، وحالفت الثانية فنهى سبحانه عن هذا وأنكره) إِنَّمَا يَبْتَلُواكُمُ اللَّهُ بِهِ (أي إِنَّمَا يمتحنكم الله بأمره بالوفاء ليتميز المطيع من العصي والطيب من الخبيث) ﴿٢٣﴾ .

[١] سورة الفتح : الآية ٢٩ .

[٢] سورة الحشر : الآية ٩ .

[٣] سورة النحل : الآية ٩١ - ٩٢ .

إنّ الوفاء بعهد الله هو تحمل المسؤولية الاجتماعية . وبذل الجهد في سبيل تطوير الحياة ، وتأمين ما يحتاجه الناس ، بحيث لا تبدد الطاقات ولا تجبس عن المساهمة في معركة الدفاع عن الوجود والعقيدة والأوطان^(٤) .

يقول الإمام جعفر الصادق (ع) : « إنّ الله لم ينعم على عبد بنعمة إلاّ وقد ألزمه فيها الحجة من الله ، فمن منّ الله عليه فجعله قوياً ، فحجته عليه القيام بما كلفه ، واحتمال من هو دونه من هو أضعف منه ، ومن منّ الله ، عليه فجعله موسعاً عليه فحجته عليه ما له ثم تعاذه الفقراء بنوافله وفرائضه ، ومن منّ الله عليه فجعله شريفاً في بيته ، جميلاً في صورته فحجته عليه أن يحمّد الله على ذلك ، وأن لا يتطاوّل على غيره فيمنع حقوق الضعفاء لحال شرفه وجماله^(٥) .

إنّ الإسلام ، لم يكتف في تعاليمه بالعقائد وبالتوجيه الخلقي ، بل قدّم نظاماً عاماً للحياة ، يشمل صلات الفرد بالآخرين وبالدولة ، وتنظيمات إدارية ودولية ، فضلاً عن قوانين الأحوال الشخصية وهذه التدخلات التفصيلية في الشؤون الحياتية ، تفتح مجالاً للتساؤل عن سببها ، ثم هل بالإمكان وضع نظام ديني ، يتمتع بالقداسة والثبات للمجتمع وشؤونه المتطورة في كل عصر ، حتى أصبحت كل يوم في شأن . . . لأجل إيضاح هذه النقطة ، نطرح أولاً هذا السؤال : هل الذين يكتفون أو يريدون من الأديان أن تكتفي بالإيمان والأخلاق ، يعتقدون أن صيانة الإيمان والمحافظة على الأخلاق الحسنة ، أمران ممكنان ، لمن لا يرتبط في عمله الخارجي بخطة تتناسب مع الإيمان والأخلاق المذكورين .

. التفاعل بين جوانب وجود الإنسان أمر بديهي ، ولهذا ولأجل صيانة الإيمان والأخلاق لا بد أن يتقيد الإنسان بعمله ، وأن يرتبط برباط يتناسب مع الصيانة الروحية المذكورة ، والقرآن الكريم مثل بقية الكتب المقدسة ، يؤكد هذا التفاعل ، ويعلن أن ممارسة الأعمال السيئة تنزع الإيمان من القلب : ﴿ ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون ﴾^[١] .

. وأكد الإسلام ، على لزوم إيجاد مجتمع يتناسب مع الإيمان

[١] سورة الروم : الآية ٣٠ .

والأخلاق والأعمال الصالحة وأعلن بصراحة : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع^(٦) » أكرر كلمة (ما آمن) لكي ننتبه إلى التناقض الذي يراه الإسلام بين الإيمان وبين سوء الوضع الاجتماعي الذي يوجب هذه الظاهرة ، والقرآن يؤكد هذا المبدأ :

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالَّذِينَ فَذَلِكُ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴾ .

وعلى هذا الأساس نجد أن الإسلام ، الذي يقول نبيه (ص) : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » يحاول لأجل هذه الغاية أن يتدخل في الحياة العملية للإنسان ، ثم في الحياة الاجتماعية ، فيضع للأول مبدأ الحلال والحرام ، وللثاني الأنظمة القانونية الواسعة ، التي تشكل ما يقرب النصف من التعاليم الإسلامية^(٧) .

ويقول الإمام الصدر شارحاً معنى الولاية : « إنَّ مسألة الولاية هي إقامة المجتمع الصالح عن طريق تكوين حكم صالح وكان علي (ع) أفضل هذه المصاديق ، وأعتقد أن تكوين المجتمع الصالح يؤدي إلى نمو الإنسان وكماله أكثر من أي عمل آخر فالولاية التي نعتبرها مسألة أساسية ليست تاريخية بل مسألة كل مجتمع وكل زمان .

إعداد القوة المادية والعسكرية

يقول الإمام الخميني قدس سره : « إنَّ الشعوب هي القادرة على حل مشاكلها ، وأنتم تعلمون أن مشكلتنا كانت أعقد من مشاكل الآخرين وكانت قدرة الشاه الشيطانية أكثر من سائر القدرات . كما أن القوى الكبرى وجميع الحكومات في العالم الإسلامي وغير الإسلامي كانت تساند الشاه المخلوع .

وتعلمون أيضاً ، أن تغلبنا على مشكلتنا لم يكن عن طريق اللجوء إلى حكومة أو الإستعانة بقدرة أو قوى كبرى ، بل إنَّ شعبنا هو الذي حلَّ المشكلة بنفسه ، حين تحول من الخوف إلى الشجاعة ، ومن التفرقة إلى التجمع ، وهذا التغيير الإعجازي أدى إلى حل هذه المشكلة الكبرى التي أجمع العالم تقريباً على استحالة حلها . . .

لا تظنوا أن الشعب الإيراني كان يمتلك السلاح . . . نعم كان يمتلك سلاحاً روحياً يتمثل بإيمانه بالله تعالى وإيمانه برسالته ، وتوكله على مصدر القدرة وبوحدة كلمته . . . وإن حمل بعض أبناء الشعب السلاح ، فإنما كان هذا السلاح ما اغتنموه من جلاوزة الشاه . ولم يكن للبندقية مكانة ، بل كان الإيمان مشهوداً على مسرح الأحداث من مركز البلاد حتى أقاصيها .

كان الشعب هو الوحيد في الساحة ، وهذا المجموعات الفاسدة المفسدة دست يومئذٍ رأسها في التراب واختبأت في جحورها ، وكانت الكلمة الوحيدة المرتفعة ، حتى من الأطفال الصغار ومن مرضى المستشفيات هي كلمة الإسلام والمطالبة بإقامة الجمهورية الإسلامية ، كان هذا شعار الجامعات والمدارس والشباب والشيوخ والنساء والرجال . . .

لقد شاءت القوى الكبرى أن تخذلنا وتشللنا . . . وشاءت إرادة الله أن تبعث في جسد هذه الأمة ومضة أيقظتها من سبات عميق وانحلت تلك المشكلة المستعصية مشكلة الشاه وبطانته وجلاوزته ، وكان الحل بيد أبناء الأمة أنفسهم ، دون أن ترد من خارج الحدود بندقية ودون أن تساعد الشعب حكومة أجنبية . . بل بالعكس ، فقد اتخذت الحكومات موقف المعارض ، كان العراق يعارض بشدة ، وهكذا موقف . . . سائر الحكومات ، وضعها معلوم ومكشوف . . . ومع كل هذا فالشعب اقتحم الميدان بيد خالية ، وكسر تلك السدود التي ظن أنها منيعة مستعصية » .

إن القرآن الكريم يوجهنا إلى إعداد القوة العسكرية والمادية ، ولكن قدر الإستطاعة ، إذ ليس شرط التكافؤ في العدد والعدة شرطاً أساسياً للنصر في المعركة . ونذكر الآن عناصر النصر كما تظهر من النصوص القرآنية المقدسة وهي كما يعددها أحد علمائنا الأفاضل : القوة - المال - التسديد والتعليم - التثبيت والثقة بالنصر .

١ - القوة العسكرية: إن القوة التي لا تستند إلى قوة الله تعالى هي ضعف ، والله تعالى يدافع عن الذين آمنوا ، كما جاء في القرآن الكريم .

يقول عز من قائل : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِ مَعَكُمْ ، فَثَبَّتُوا الَّذِينَ

امنوا ، سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق ، واضربوا منهم كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٦﴾ .

إن قضية النصر والهزيمة في الحياة تخضع لأسباب موضوعية تتعلق بطبيعة المعركة ، من حيث الأسلحة التي تستخدم فيها والأشخاص الذين يجاربون فيها ، أو يتولون قيادتها ، والظروف السياسية التي تحيط بها ، والخطط الحربية التي توضع لها ، والأوضاع الإقليمية والطبيعية التي تتحكم في مسيرتها ، وتخضع لها حركتها العامة . . انطلاقة من سنة الله في الكون ، الجارية على أساس ارتباط الأمور بأسبابها ، فيجعل لكل ظاهرة سبباً ولكل معلول علة ، ولكل نتيجة مقدماتها ، ولهذا فلا بد ، من توفر ذلك كله ، في حصول النصر أو الهزيمة ، أو التقدم والتأخر . . . إنَّ علاقة الإيمان بالقوة ، تتمثل في دور الإيمان في إعطاء المعركة قوة جديدة أساسية ، تضاف إلى بقية القوة التي تفرض النصر . . . مما يجعل عناصر القوة متكاملة في حركة المعركة ونموها . . . بينما يُحوّل ابتعاد المعركة عن الإيمان ، إلى معركة لا روح فيها ولا حياة^(٨) .

٢ - الجانب المالي : وهذا يتأمن عن طريق الإنفاق في سبيل الله والبذل من المؤمنين لتوفير متطلبات المعركة ، ومساعدة المؤمنين لبعضهم البعض من أجل صد العدوان وتحرير الأوطان .

ولكن مهما كان المال قليلاً ، فإنَّ الله ناصر المؤمنين هو الغني ، يقول سبحانه : ﴿ ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ﴾^[٢] .

٣ - التسديد والإرشاد والهداية : وذلك لتعلم (الطليعة المؤمنة) ماذا تعمل ، وكيف تتحرك ، وكيف تدعو الناس إلى الله تعالى ، ومتى تخنفي ومتى تظهر ، ومتى تتكلم بهمس ، ومتى تصرخ بالحق ، ومتى تتجنب الموجه ، ومتى تجتذب الفارين من الله تعالى إلى الله ، وكيف تداري الناس ، وكيف تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكيف تتصرف تجاه الأحداث ، وفي ظلال الطغيان تصمد وتصبر أو تهاجر وتفر بدينها ، ومتى تنزوي داخل البيوت ، ومتى

[١] سورة الأنفال : الآية ١٢ .

[٢] سورة المنافقون : الآية ٧ .

تخرج إلى الشارع ، ومتى تعلن الحرب وتفجر الشارع ، وكيف تنظم الناس ، وكيف تستقطبهم إلى جانبها ، وكيف تكسب الرأي العام لصالحها ، ومتى تظهر للناس مظلومة مضطهدة ، ومتى تظهر قوية عزيزة ، وكيف تقاتل ، وكيف تعد للقتال ، وكيف تخطط قوية للمواجهة والحرب ، وكيف تلقي الرعب في قلوب الأعداء ، وكيف تمكر بهم ، وكيف تستأصلهم . . . لا بد للقلة المؤمنة أن تتفرغ لهذا الجانب وتعطيه اهتمامها كما لا بد لها أن تولي جانب القوة والمال أيضاً اهتمامها ولا تتركهما للصدفة . . ولكن ما لا شك فيه ، مع ذلك كله أن الله تعالى لن يترك القلة المؤمنة لجهدا وعملها في هذا الحقل فقط ، ولن تتخل عنهم المعية الإلهية في التسديد والتعليم ، كما لم تتخل عنهم في ساحات القتال» (٩) .

والقرآن الكريم صرح بذلك : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا ، وإنَّ الله لَمَعَ المحسنين ﴾ [١] .

٤ - التثبيت والثقة بالنصر

قال تعالى : ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً ﴾ [٢] .

﴿ فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ [٣] .

﴿ ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ [٤] .

﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [٥] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [٦] .

[١] سورة المنكوت : الآية ٦٩ .

[٢] سورة الفتح : الآية ٤ .

[٣] سورة الفتح : الآية ١٨ .

[٤] سورة التوبة : الآية ٢٦ .

[٥] سورة إبراهيم : الآية ٢٧ .

[٦] سورة محمد : الآية ٧ .

... وتتدخل القدرة الإلهية مباشرة - في حالات كثيرة - لتحسم المعركة لصالح المؤمنين ، وذلك عندما يصبح الإسلام في خطر ، ويواجه قوة عاتية ربما يؤثر انتصارها على مستقبل الرسالة ، كما حصل في معركة بدر ، لذلك نصر الله المسلمين على المشركين وضعف عدتهم .

يقول تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ بِكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ، وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ، سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [١١] .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ ، وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَقْبِضَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴾ [١٢] .

ويقول سبحانه : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَوْهُمْ كَثِيرًا لَفُشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ، أَنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّكْوِينِ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [١٣] .

ولقد أدرك الإمام السيد موسى الصدر عمق المؤامرة فعبر عن ذلك بقوله :

[١] سورة الأنفال : الآية ٩ - ١٢ .

[٢] سورة آل عمران : الآية ١٢٣ - ١٢٧ .

[٣] سورة الأنفال : الآية ٤٣ - ٤٤ .

« أصبحنا ضحية تأمر الحقد العنصري الصهيوني يشاركه في ذلك موقف الحضارة الغربية المادية وازدراؤه ، تلك الحضارة التي انقلبت معطياتها ومكاسبها لهم ولغيرهم شراً مستطيراً .

ثم نقف أمام هذه الظاهرة المذهلة ، حيث كنا نفهم الحضارة بالمعنى الذي قدمناه نحن في الشرق للعالم حضارة إنسانية حقبة وديناً قويماً لا تصنيفاً للبشر ولا تسخيراً لشعوب الأرض وخيراتها ولا تحقيراً للإنسان وتمييزاً بين عناصره ولا تزييفاً للحقائق وتسمية كل هذا حضارة وحماية لحقوق الإنسان .

نقف أمام هذه الظاهرة المذهلة لكي نتأكد أن طريقنا الوحيد هو الإستمرار في المعركة وأن النصر النهائي الحقيقي هو لنا دون تردد ، لأن إرادة الحياة عند كل شعب هي طريق النصر ولابدأ من نقطة الصفر ، فكيف بنا ونحن نملك أضخم الطاقات الجغرافية والإقتصادية والبشرية ونحمل أنبل القيم الأخلاقية والإنسانية والروحية .

والآن وأمام تجاوزات العدو وعمله العدواني التوسعي وقوله : هل من مزيد ؟ أمام موقف العالم الغربي الذي يتشفى ويرقص على أنات الثكالى والجرحى والمشوهين وأمام ازدراء الصحف والإذاعات والمعلقين ووسائل الإعلام وحتى الشعوب الأوروبية والأميركية وأمام صمت الضمير العالمي المميت المتجلي في موقف العالم قبل المعركة وأبأنها وبعدها في هيئة الأمم وغيرها .

وأمام النفسية التي تسيطر على العالم الآن والتي يعبر عنها أحد المعلقين السياسيين قائلاً : (إسرائيل ابن العالم الوحيد في خطر) .

أمام هذه المقاييس المذهلة يتحتم علينا أن نقف الوقفة التاريخية بكل جهودنا حفاظاً على عقيدتنا ووجودنا ومستقبل بلادنا وأجيالنا وأداءً لدورنا التاريخي والأمانة الملقاة على عاتقنا و :

١ - أن نشعر بجسامة الخطر في الحال وفي المستقبل ومعرفة القوى ونقاط الضعف وتقدير قوة العدو وتقديراً منا بأن دولة إسرائيل هي في الحقيقة ثكنة اليهود وحلفائهم في العالم ، لنواجه الحقيقة بكل جرأة وعزم .

٢ - أن نعيد الثقة إلى أنفسنا فنشعر بأصالتنا وذاتيتنا ونتححرر من الإستعمار الفكري لا بل من جميع أشكال الإستعمار .

٣ - أن نوحّد صفوفنا حتى نكون صفّاً واحداً مرصوصاً وأن نعلق خلافاتنا ولو كانت أساسية إلى ما بعد الإنتصار الكامل على العدو .

٤ - العمل المخلص الصامت لكل ما يسر له بعيداً عن المزايدات والمتاجرات باستعمال جميع إمكانياتنا الإقتصادية والجغرافية والبشرية دون توفير أو تقتير .

٥ - الوثوق بالله وحده والرجوع إليه وحده فإن الله يدافع عن الذين آمنوا ولكنه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فيجب أن نعتمد عليه في السعي الدائم والجهد المتواصل ونستفيد من أي فرصة أو أي عون شريفين دون قيود وشروط .

٦ - التهيؤ الكامل والإستعداد التام النفسي والجسمي لمواجهة العدوان للصمود أمام المفاجآت رجالاً ونساءً ، شبيهاً وشباناً ، فالعدو لا عهد له ولا زمام ولا يرتبط بأي التزام ولا يحترم القيم الإنسانية فواجب الشعب التهيؤ والإستعداد بواسطة الدفاع المدني والدورات التدريبية العسكرية حتى لا يعطي بيديه إعطاء الدليل ولا يقرّ إقرار العبيد .

. . . . هذا الخط لهذا الهدف ليس هو بسياسة كما يفهمون السياسة وإنما هو دين وإنسانية وكرامة ، أنه قضية حق ضد فجور ، قضية قيم إنسانية ضد حياة مادية واستعمار ، فإن الحرب ليست غايتها اغتصاب أرض فحسب بل في الأساس حرب على حضارتنا وتقاليدنا وقيمنا الروحية والخلقية وكرامة الإنسان فينا بل في العالم كله .

فلننهض ولنجدد كل طاقاتنا ولننصر الله في حماية الحق والعدل وفي الحرب على الظلم والظالمين وفي الدفاع عن اقداس مقدساتنا عن الأرض التي باركها الله . ولننسّ مصالحنا الخاصة وجميع خلافاتنا وآرائنا المتفاوتة لأجل هذه الأهداف المصيرية السامية ولنكتب طريق النصر بهمة بطولية نقبسها من إرادة الله معتمدين على وعده الذي لا يُخلف ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم . وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون * لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير ﴿١١﴾ .

لا للإستسلام . . . لا للإهزيمة . . . لا للمهادنة المعتدين

يسرر المهزمون انهزامهم بضعف القوة العسكرية ، وقلة الإمكانيات ، ويقولون ان الإمام الحسن (ع) صالح معاوية . . .

ما هذا ! ولم يتخذ الحسن (ع) ومواقفه غطاء لإهزيمة المهزمين ومبرراً لعدم التصدي للعدوان ، وينسى هؤلاء أن الحسين (ع) قد قاتل يزيد بن معاوية ، مع علمه أن المعركة غير متكافئة ، وأنه خاسر عسكرياً ولكنه وجد أن استشهاده سوف يحيي الشريعة التي عمد معاوية إلى طمسها وتحريفها ، وسوف يصحح مسار القيادة التي زيفها الأمويون .

ونود أن نذكر بعض النقاط لنبين الفرق بين صلح الحسن (ع) والإستسلام للإحتلال الإسرائيلي :

١ - إن معاوية وجهته كانت جهة إسلامية بالمعنى الظاهري ، وقد استطاع معاوية بخدعه وأساليبه أن يغش الناس بممارساته ، إلى درجة أن كثيرين من أفراد الأمة كانت تعتمد بصدق وورع وتقوى معاوية ، وبعضهم إلى الآن يضيف إلى إسم معاوية إذا ذكر ، عبارة رضي الله عنه .

٢ - إن الحسين (ع) كان موقفه من معاوية هو موقف الحسن (ع) حتى أنه كان يقول لأصحابه : « الصبقوا بالأرض رحمكم الله حتى يموت هذا الرجل » ، يقصد معاوية ، وبقي على هذا الحال مدة عشر سنوات ، وذلك لأنه كان من العسير فضح معاوية أمام الرأي العام ، أما يزيد فإن أمره ظاهر ، فهو راكب الفجور ولاعب بالقروء وشارب الخمر وقاتل النفس المحترمة .

٣ - إذا كان الصلح مع معاوية هو صلح مع جهة تعتبر ظاهراً إسلامية ،

ولذلك سمي ذلك العام (عام الجماعة) ، ولكن هل الصلح مع إسرائيل ومهادنتها والإستسلام لها صلح ومهادنة لجهة إسلامية ؟ ! أم هو تخاذل وبيع للشرف والمقدسات والحرمات ؟ . . .

٤ - إن إحدى غايات صلح الحسن (ع) فضح وتعرية الحكم الأموي ، لتمهيد طريق الثورة أمام الحسين (ع) ، ولكن ماذا يريدون من الإستسلام لإسرائيل ؟ .

هل يريدون كشف حقيقتها ؟ .

هل يريدون أن يثبتوا للعالم أن إسرائيل دولة معتدية ؟ .

ماذا يريدون ، وكل ما ذكرنا معروف لدى القاصي والداني ؟ .

وهل باستسلامنا كما يريدون نكون قد خططنا لمقاومة العدو أو تهيناً لذلك ؟ .

الجواب : إن العكس هو الصحيح .

٥ - وإذا كانت إسرائيل تريد أن تحقق أهدافها التي من أجلها احتلت واجتاحت بلادنا وقدسنا ومقدساتنا ، وأنا لن تلتفت إلى أحد ، وأن ما تريد أن تفعله ستفعله سواء غضب من غضب أو رضي من رضي إن استطاعت ، فإن الإستسلام لها لن يمنع عنا أذى ولن يجلب إلينا خيراً ، بل أنها ستقتل من تريد قتله وستسجن من تريد أن تسجنه . . . إذن ليس أمامنا إلا المقاومة بما نستطيع حتى لا نكون منهزمين ، فمرحلتنا مرحلة الحسين (ع) ، مرحلة الرفض ، رفض الإستسلام والخنوع والدلة والهوان ، وها هو الحسين (ع) يقول لوالي المدينة :

« أيها الأمير : إننا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومهبط الرحمة ، بنا فتح الله وبنا ختم ، ويزيد رجل شارب الخمر ، وقاتل النفس المحترمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله » .

ونقول : ومثلنا نحن المؤمنين ، والمجاهدين لا يستسلم وإن علم أنه سيستشهد فهوذا الحسين (ع). يجب أم سلمة التي أقبلت إليه ترجوه أن يترك السفر قائلة : « لا تحزني بخروجك إلى العراق » . فأجاب سلام الله عليه :

« يا أماء وأنا أعلم أني مقتول مذبح ، ظلماً وعدواناً ، وقد شاء عز وجل أن يرى حرمي ورهطي مشردين ، وأطفالي مذبحين مأسورين مقيدين ، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصرًا ! .

... وبعد محاورة طويلة مع أخيه محمد بن الحنفية قال له : « يا أخي لولم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية ... يا أخي جزاك الله خيراً ، لقد نصحت وأشرت بالصواب ، وأنا عازم على الخروج إلى مكة ، وقد تهيأت لذلك أنا وأخوتي وبنو أخي وشيعتي ، أمرهم أمري ورأيهم رأي ... » .

وعندما طلب إليه مبايعة الفاسق يزيد ، قال الإمام عليه السلام :

« لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الدليل ، ولا أفر فرار العبيد » .

وماذا إذا تقاعسنا وضعفنا وجبنا ؟ .

القرآن الكريم يجيب بوضوح :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ، إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ۝ [١] .

فلا مبرر إطلاقاً للإستسلام والخضوع للمعتدين والظالمين ، وتنفيذ ما يريدون والسير وفق مخططات الأعداء ، ولا يستثنى إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يقدرون على الهجرة والخروج لمقاومة الإعتداء والظلم .

وليس أمامنا إلا مقاومة العدو وقتاله بما نستطيع ، وعدم الإغترار بأساليبه وخدعه ، فقد روى الكثيرون أن الإسرائيليين كانوا يقدمون الحلوى والفواكه للمهاجرين والمشردين من بيوتهم ويلاطفونهم على حواجزهم (أثناء الغزو

[١] سورة النساء : الآية ٩٧ - ٩٩ .

الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ م) ، وهذا ما ترك أثراً حسناً عند البسطاء الذين راحوا يقومون بحملة إعلامية تمدح العدو الصهيوني ، وتتحدث عن حسن أخلاق الصهاينة ! وتقدح بالمسلمين والفلسطينيين والمقاتلين المجاهدين ، وتفضل الإسرائيليين عليهم ! .

عفوك يا رب . . . أليس من الواجب علينا أن لا ننسى إن إسرائيل ، إذا قدمت الحلوى لأحدنا على حاجز إسرائيلي ، فإنها هي سبب تشريده وتهجيده ، وهي التي قتلت طفله أو أخاه أو أمه أو أباه أو جاره . . . وهي التي قدمت له القنابل العنقودية ، والصواريخ ، والمتفجرات لتهلك الحرث والنسل . كيف نغتر بهذا وننسى ذاك . . . عفوك يا رب .

ليس أمامنا سوى القتال والاستجابة لأمر الله :

قال تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [١] .

﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يَشْرُونَ الحياةَ الدُّنياَ بالآخرةِ وَمَنْ يُقاتل في سبيلِ الله فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ * وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ [٢] .

﴿ ولا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضَّلَ الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجةً وكلاً وعدَّ الله الحسنى وفضلَّ الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ﴾ * درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمةً وكانَ الله غفوراً رحيماً ﴾ [٣] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فلا تُؤْلَوْهُمُ الأدبارَ ﴾ *

[١] سورة البقرة : الآية ١٩٠ .

[٢] سورة النساء : الآية ٧٤ - ٧٥ .

[٣] سورة النساء : الآية ٩٤ - ٩٥ .

وَمَنْ يُوَلِّمْ يَوْمئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَشَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ .

الشهادة أفضل أساليب المواجهة مع العدو

شعار المجاهد : النصر أو الشهادة

إذا كان خيارنا الوحيد هو قتال العدو فإن النتيجة الحتمية : إما النصر وإما الشهادة .

يقول تعالى : ﴿ وما النصر إلا من عند الله ﴾ [٢] .

﴿ قل هل تَرَبُّصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يُصيبكم الله بعباد من عنده أو بأيدينا ﴾ [٣] .

وقال علي (ع) : « المؤمن يقظان ينتظر إحدى الحسنيين » [١٢] .

النصر على العدو وعد من الله تعالى للمؤمنين

إنَّ الله عز وعلا قد وعد عباده المؤمنين بالنصر على أعدائهم وأعدائه ، ان التزموا بشروط نذكر بعضها على سبيل التذكير إذ سبق الحديث عنها بالتفصيل :

١ - عدم تسولي أعداء الله لأنهم أولياء بعض ، ولا شك ان الذين يساعدونهم ، ويخدمونهم ويسهلون لهم طريقهم ، هم أولياء لهم ، وأعداء لله ، وعلينا قتالهم ، وواضح ، كيف أن قوى المارونية السياسية في لبنان - العميلة لإسرائيل تفسح في المجال ، وتعمل ما تستطيع من أجل مساعدة الإسرائيليين في تحقيق أهدافهم ﴿ لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ .

[١] سورة الأنفال : الآية ١٥ - ١٦ .

[٢] سورة الأنفال : الآية ١٠ .

[٣] سورة التوبة : الآية ٥٢ .

٢ - الإلتزام بتقوى الله ومحبتة والخوف منه والشوق إلى لقاءه والإعتصام بحبله وعدم التفرق والاختلاف .

قال عز وعلا : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته ولا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون . ولتكنَّ منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذابٌ عظيم لن يضرُّوكم إلَّا أذى ، وإن يقاتلوكم يولُّوكم الأدبار ثم لا يُنصِّرون ﴾ [١] .

٣ - إعداد القوة - ما استطعنا - والتدرب على استخدام السلاح لمواجهة العدو ، والتوكل على الله .

قال عز وعلا : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ [٢] .

٤ - الإيمان ، والتذكر الدائم لما وعد الله عباده من نصر : قال تعالى : ﴿ ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [٣] .

٥ - عدم التهيب أمام قوة العدو مهما عظمت وكبرت ، لأن قوة الله أكبر وأعظم .

قال عز وجل ﴿ يا أيها النبي حرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ ، يَغْلِبُوا مِثَّتَيْنِ ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [٤] .

ويتضح من هذه الآية أن الصمود والصبر الإيماني كفيلا بتحقيق النصر على العدو المنهزم من داخله ، المستند إلى قوته الذاتية المحدودة ، وفي معادلة القرآن : ١٠٠ مؤمن مجاهد صابر يغلبون ١٠٠٠ كافر .

[١] سورة آل عمران : الآية ١٠١ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١١١ .

[٢] سورة الأنفال : الآية ٦ .

[٣] سورة آل عمران : الآية ١٢٩ .

[٤] سورة الأنفال : الآية ٦٥ .

ومهما حصل ، ومهما كان الوضع القتالي والعسكري والنفسي فإن المؤمنين سيقون مع الصبر متفوقين على الكفار ، والله ناصرهم .

قال عز وجل : ﴿الآن خفف الله عنكم ، وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة ، يغلِبوا مِئتين وإن يكن منكم ألف يغلِبون ألفين بإذن الله ، والله مع الصابرين﴾ [١] .

فمهما ضعفت قوة المؤمنين فإن : « ١٠٠ من المؤمنين الصابرين يغلِبون ٢٠٠ من الأعداء » .

٦ - الثقة بأن إسرائيل لا بد أن تزول قال سبحانه وتعالى : ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنَّ في الأرض مرَّتين ، ولتعلنَّ علواً كبيراً ، فإذا جاء وعدُ أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً * ثم ردَدنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموالٍ وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً * إن أحسبتم أحسبتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ، فإذا جاء وعدُ الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تَبيراً * عسى ربكم أن يرحمكم ، وإن عُدتُمْ عَدنا ، وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ [٢] .

إن اليهود - على مدى تاريخهم عاشوا أذلاء ، ما خلا الزمن الذي كان فيه داوود وسليمان وموسى (ع) ، والآيات تشير إلى أن اليهود سيفسدون في الأرض مرتين ، أي سيعم إفسادهم مشارق الأرض ومغاربها .

﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً﴾ .

إن احتلال فلسطين والقدس وغزو لبنان ، والأراضي الإسلامية الأخرى ، قد يكون بداية المرة الثانية من العلو والفساد الذي ستدمره قوات الإسلام الثوري المجاهد الصابر ، وبنادق الثوار المسلمين الصالحين الصامدين في معارك الشرف والعزة في سبيل الله .

[١] سورة الأنفال : الآية ٦٦ .

[٢] سورة الإسراء : الآية ٤ - ٨ .

وهنا يقول تعالى : ﴿ ثم رددنا لكم (اليهود) الكرة عليهم (على العباد الصالحين) وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً (تغليباً في الحروب) إن أحستتم أحستتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تنبيراً ﴾ .

وواضح أن الإسرائيليين يتمتعون الآن بالقوة والغلبة ولكن النصر للمؤمنين ولا بد من زوال إسرائيل كدولة وككيان ، كما هو وارد في الروايات .

ولعل هذا لا يقتصر على الروايات من المصادر الإسلامية ، بل تتعداها إلى ما ورد في كتب الوحي السابقة حيث ذكر لبنان بالإسم ، مع اعتقادنا أن هذه الكتب قد غزتها يد التحريف فغيرت الكثير من حقائقها .

« عما قليل يتحول لبنان إلى كرم ، والكرم يصبح غابة . وفي ذلك اليوم ، يسمع الصم أقوال الكتاب ، وتبصر عيون العمي بعد الديجور والظلام ، ويزداد المحرومون سروراً بالرب . . . لأن الطاغى ينقرض ، والساخر يفنى ، ويستأصل فاعلو الإثم الذين يضللون الآخرين بكلامهم » (أشعيا ٢٩ . ١٧ - ٢١) .

يضاف إلى ذلك ما ورد في سفر الرؤيا من كلام يدل على زوال إسرائيل .

الإستشهاد في سبيل الله

كما قاله الإمام الخميني (قدس سره) في تأبين الشهيد المطهري :

« إحدى مميزات الإسلام اعتقاد المسلم بأن الشهادة درجة عظيمة وفوز كبير ، والمسلم الحقيقي يستقبل الشهادة بقلب منفتح لأنه يعتقد أن ما وراء هذا العالم وهذه الدنيا عالم أفضل وأنور من هذا العالم ، عالم الآخرة ، ومن هنا فإن علماءنا الملتزمين ، وشبابنا المؤمنين بالله واليوم الآخر ، يجب ألا يهابوا الموت في سبيل مبدأ التوحيد لأن الموت في هذا الطريق شهادة . إن الشهادة في سبيل الله تركّز وتجدر مبدأ الله ، وإن استمرارية الإسلام وثورتنا الإسلامية مرتبطة بدماء شهدائنا .

إن دم شهيدنا وعزيزنا أحيا أرض ثورتنا من جديد ، وبكل ثقة نقول لهؤلاء القتلة ، اقتلوا أريقوا دماءنا ، ولكن حياتنا ستستمر ، اقتلونا والشعب سوف

يستيقظ ويفيق ، ونحن لا نهاب الموت ، وأنتم لا تغضون النظر عن إبادتنا دليل عجزكم . .

. . . لا تنهبا الموت ، فالموت حياة ، والآخرة هي الحياة الأبدية ، ونحن في هذا العالم لا بد أن نموت ، فلماذا يخاف المسلمون وعلمائهم من الموت . الإسلام دين خالد وهذه الثورة (الثورة الإسلامية) خالدة مستمرة إلى أن نجتث كل جذور الفئات الباغية ، ونحطم كل هذه المؤامرات الحقيرة .

إنّ الشهادة هي انطلاقة الروح العاشقة لعالم الروح ، بحيث تدفع الجسد الترابي نحو الفعل الذي يربط الروح بالمادة ، ويشكل حلقة الوصل بين الدنيا والآخرة ، وبين الحياة الفانية والحياة الخالدة .

لذلك فإن الشهيد يتعلق بعالم آخر ، تختلف مقاييسه عن هذا العالم ويرى ما لا نراه ، ويسمع ما لا نسمعه ، لذا فإنه يمر على الجسر الذي يصل الحياة الدنيا ، بالحياة الآخرة ، غير آبه بالصعوبات والمشاكل ، فمجرد أن يسقط على الأرض فإنه يرتفع إلى السماء .

والشهيد الذي رأى الخلود ، يهزأ بالفناء ، وشعاع واحد يرسله الشهيد من روحه إلى الأرض كاف لإضاءة جوانب كثيرة من جوانب الحياة ، إلى درجة إيقاظ الأجيال وفضح المنحرفين والعملاء . . فالشهادة هي وسيلة التحرر من الظلم والظالمين ، وهي السلاح الأقوى في وجه المعتدين ، لا بل هي السلاح الإسلامي المتطور الذي يتجدد مع الزمن والذي أثبت فعاليته في تحقيق النصر دائماً ، النصر بالمفهوم الإسلامي ، وهو الذي يهدف إلى إعلاء كلمة الله في الأرض ، وجعل كلمة الدين كفروا هي السفلى . وبعشق الشهادة نستطيع أن ندحر كل أعداء الإسلام ، وأن نرفع كابوس الاحتلال لأرضنا المقدسة في فلسطين ولبنان وغيرها . وخصوصاً أن العدو الإسرائيلي ، وكل أعداء المسلمين ، طبيعتهم عدوانية وحشية ، وإن ادعوا التحضر والتمدن ، فمارستهم مع الشعوب المستضعفة خير دليل ولذلك لم يتورعوا عن القتل والإيذاء والتشريد ، وما مجزرة صبرا وشاتيلا وقبلها مجزرة دير ياسين ، وبعدها مجزرة سحمر ومجازر أخرى معلومة وغير معلومة إلاّ الشاهد على أن الطريق الوحيد هو طريق الشهادة ، والصمود في وجه العدو الغاصب ، مهما كانت النتائج . . .

يقول سبحانه : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ﴾ [١] .

ويقول أيضاً : ﴿ وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ﴾ [٢] .

إن الله يتخذ الشهداء ويصطفئهم إذا وصلوا إلى الدرجة التي يستحقون بها أن يكونوا مختارين من قبله تعالى .

إن كل الناس ، من علماء وفلاسفة وأدباء وقادة بحاجة إلى الشهيد الذي يؤمن لهم الحياة الحرة بدمه وجهاده ، والشهيد ليس بحاجة إلى أحد من هؤلاء ، وكما قال الشهيد مطهري : « الشهيد كالشمعة التي تحترق وتنفى لضيء الطريق للآخرين . . . الشهداء شموع البشرية على طريقها . . . لولا هذه الشموع لما استطاعت المسيرة البشرية أن تواصل طريقها ، ولما استطاع أبناء البشر في ظلمات الاستعباد والاستبداد أن يمارسوا نشاطهم ويقدموا خدماتهم الإنسانية .

قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ [٣] .

والسراج المنير مفهوم يدل على الإضاءة ، وينطوي على معنى الإحراق وإزالة دياجير الظلام .

والشهيد لا يغسل ولا يكفن . . . ولعل ذلك يرمز إلى تساميه وتطهره ، والشهيد واع لما يفعل ، ويدرك أنه يضحي في سبيل هدف مقدس ، لذلك فإن الشهيد يجتاز امتحانه تحت وطأة السلاح . روي أنه سئل النبي (ص) :

« ما بال الشهيد لا يفتن في قبره ؟ »

أجاب : « كفى بالبارقة فوق رأسه فتنة » [٤] .

[١] سورة الحديد : الآية ١٩ .

[٢] سورة آل عمران : الآية ١٤٠ .

[٣] سورة الأحزاب : الآية ٤٤ - ٤٥ .

وروي عن علي بن موسى الرضا (ع) عن الحسين بن علي (ع) قال : بينما أمير المؤمنين يخطب ويحضرهم على الجهاد إذ قام إليه شاب . فقال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن فضل الغزاة في سبيل الله فقال (ع) : كنت رديف رسول الله (ص) على ناقته العضاء ونحن منقلبون عن غزوة ذات السلاسل فسألته عما سألتني عنه فقال : « الغزاة إذا همّموا بالغزو كتب الله لهم براءة من النار ، فإذا تجهزوا لغزوهم باهى الله بهم الملائكة ، فإذا ودّعهم أهلهم بكى عليهم الشيطان والبيوت ، ويخرجون من الذنوب ، كما تخرج الحية من سلكها ، ويوكل الله بكل رجل أربعين ملكاً يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، ولا يعمل حسنة إلاّ ضعف له ، ويكتب له كل يوم عبادة ألف رجل يعبدون الله ألف سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً ، اليوم مثل عمر الدنيا ، وإذا صاروا بحضرة عدوهم انقطع علم أهل الدنيا عن ثواب الله إياهم فإذا برزوا لعدوهم وأشرعت الأسنة وفوقت السهام وتقدّم الرجل إلى الرجل حفتهم الملائكة بأجنحتها يدعون الله بالنصرة والتثبيت فينادي مناد الجنة تحت ظلال السيوف ، فتكون الطعنة والضربة على الشهيد أهون من شرب الماء البارد في اليوم الصائف ، وإذا زال الشهيد من فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل إلى الأرض حتى يبعث الله إليه زوجته من الحور العين فتبشره بما أعد الله له من الكرامة فإذا وصل إلى الأرض تقول له الأرض مرحباً بالروح الطيبة الذي أخرج من البدن الطيب . أبشر فإن لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ويقول الله عز وجل أنا خليفته في أهله من أرضاهم فقد أرضائي ومن أسخطهم فقد أسخطني ويجعل الله روحه في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث يشاء ، تأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش ، ويعطي الرجل منهم سبعين غرفة من غرف الفردوس سلوك كل غرفة ما بين صنعاء والشام يملأ نورها ما بين الخافقين . . . (١٤) .

عشق الشهادة درب السعادة

أكرم الموت القتل

قال علي (ع) : « إنه لما أنزل الله سبحانه ، قوله : ﴿ ألم . أحسب الناس ﴾

أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴿ علمت أن الفتنة لا تنزل بنا
ورسول الله (ص) بين أظهرنا .

فقلت : يا رسول الله ، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله تعالى بها ؟ .

فقال : يا علي ، إن أمتي سيفتنون من بعدي .

فقلت : يا رسول الله أو ليس قد قلت لي يوم أُحد حيث استشهد من
استشهد من المسلمين . وحيزت عني الشهادة ، فشق ذلك عليّ . فقلت لي :
أبشر فإن الشهادة من ورائك » .

فقال لي : « إن ذلك لكذلك ، فكيف صبرك إذن ؟ » .

فقلت يا رسول الله : ليس هذا من مواطن الصبر ، ولكن من مواطن
البشرى والشكر ! » .

ويقول علي (ع) أيضاً : « إن أكرم الموت القتل ! والذي نفس ابن أبي
طالب بيده ، لألف ضربة بالسيف أهون علي من ميتة على الفراش في غير طاعة
الله » (١٥) .

السياق للشهادة . . .

وهذا « خيثة » واحد من سائر الناس يتنازع مع ابنه ليسبقه في
الإستشهاد .

الأب يصر على الإبن أن يبقى في البيت ليذهب هو إلى الجهاد والإبن يصر
على الأب كذلك للبقاء في البيت ليذهب هو . . . فيقترعان . وتخرج القرعة على
الإبن ليذهب ، ويستشهد . ثم يرى الأب ولده في عالم الرؤيا يقول له « يا أبت ،
إنه قد وعدني ربي حقاً » .

تصاعد شوق الإستشهاد في نفس الرجل العجوز فهرع إلى النبي يقول له :
« لقد وهن عظمي وخارت قواي ، لكن أشاق إلى الشهادة ، فأسأل الله أن
يرزقني إياها . فدعا له رسول الله (ص) ولم يمر عام حتى نال الرجل ما تمناه . . .
فقد سقط في معركة أُحد مضمخاً بدم الشهادة » .

و« عمر بن الجموح » . . كان قد أصيب في إحدى رجله وسقط عنه حكم الجهاد إذ (ليس على الأعرج حرج) .

وكانت معركة أحد فتجهز أولاد هذا الرجل للمعركة وهم هو أيضاً أن يشارك مع أبنائه ، نصحه أولاده فلم يستجب لهم ، إجتمع أهله وأقاربه ينصحونه بالبقاء فأبى أن يصغي لهم . وذهب إلى الرسول شاكياً يقول . أبنائي يمنعوني أن أفوز بالشهادة . فأجازه رسول الله أن يشارك في المعركة ، وطلب من أبنائه أن يدعوه يحقق أمنيته في الإستشهاد ، فخاض المعركة واستشهد . وعندما بلغ فشل المسلمين في أحد إلى المدينة سارع من كان في المدينة إلى جبل أحد ، وبينهم امرأة عمر بن الجموح . . .

عثر هذه المرأة على جسد زوجها وابنها وأخيها ، فوضعت الأجساد على ظهر بعر ، وقفلت راجعة إلى المدينة لتدفن قتلاها في البقيع . لكنها ألقت البعر بأبى الاتجاه نحو المدينة ، ولا يتحرك إليها إلا بمشقة . فالتقت بنسوة قادمات من المدينة نحو أحد بينهن عائشة زوج الرسول (ص) .

سألته عائشة من أي مكان تأتين ؟ .

أجابت من أحد .

قالت عائشة : فما هذا الذي على ظهر البعر ؟ .

أجابت : أجساد زوجي وابني وأخي ، أذهب بهم إلى المدينة لأدفنهم هناك ثم سألتها عما وراءها .

أجابت المرأة . خيراً . . . النبي سالم والحمد لله ، ورد الله الدين كفروا بغیظهم ثم قالت المرأة لعائشة . إن هذا البعر يأبى العودة إلى المدينة وكأنه يروم الذهاب إلى أحد .

فقال عائشة : لننتقل معاً إلى النبي في أحد ، ثم قصت المرأة على النبي (ص) ما كان من شأن البعر .

فسألها رسول الله (ص) عما قاله زوجها حين غادر المنزل ، فقالت : « رفع يده إلى السماء ، وسأل الله تعالى أن لا يعيده إلى بيته ، فأخبرها النبي باستجابة

دعوة زوجها ، وأمر بدفنه مع سائر الشهداء في أحد (١٦) .

وهوذا (مصعب بن عمير) الذي ولد من أب في الذروة من قومه جاهلاً ومالاً وأمه (خناس بنت مالك) كانت غنية جداً وتهتم بأولادها ، وخصوصاً مصعب فقد كان مصعب أعطر أهل مكة وأجملهم ، يحيا حياة ناعمة ، وفرتها له ثروة أمه وشرف أبيه وتمضي الأيام وتلمح الأم على وجه مصعب آثار تفكير عميق وتلح في السؤال عليه لمعرفة سبب تغيره

وفي يوم من الأيام يأتيها (عثمان بن طلحة النهدي) يخبرها أن مصعباً قد أسلم فلقد أبصره يصلي لقد أعرض عن حياة قريش وسمع وفكر وآمن وأسلم وكانت هجرته الأولى عن متاع الحياة ومفاتها إلى الله ورسوله ، وكان ذلك سر تفكيره العميق

أهله عمدوا إلى التضييق عليه ، فحبسوه ولكن ذلك لم يثنه عن موقفه وهاجر مصعب هجرته الثانية إلى الحبشة ، وأصابه هناك فقر حتى رجع متغير الحال مع من رجع . ويقبل هذه المرة على رسول الله (ص) وهو جالس بين أصحابه وعليه ملابس ممزقة فلما رآه الأصحاب نكسوا رؤوسهم لأن ليس عندهم ما يعطونه ، فسلم ورد الرسول (ص) السلام وأحسن عليه الثناء وقال : « الحمد الله ، ليقلب الدنيا بأهلها ، لقد رأيت (مصعباً) وما بمكة فتى من قريش أنعم عند أبويه نعيماً منه ، ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير في حب الله ورسوله » .

ويعثه رسول الله (ص) مع أهل العقبة الأولى وكان عددهم اثنا عشر من أهل يثرب ، وأسلم في المدينة على يده خلق كثير . وفي العام التالي خرج حاج الأوس والخزرج إلى رسول الله (ص) لكي يبايعوا بيعة العقبة الثانية ، وخرج معهم مصعب بن عمير ووصل إلى مكة وجاء منزل رسول الله (ص) أولاً ولم يقرب منزله ، وبلغ أمه (المشركة) أنه قدم فأرسلت إليه . « يا عاق ، أتقدم بلداً أنا فيه ولا تبدأ بي » .

فأجاب : « ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله (ص) » .

وأرادت أمه أن تحبسه مرة ثانية فقال : لئن أنت حبستني لأحرصن على قتل من يتعرض لي .

فقلت : فاذهب لشأنك وجعلت تبكي . فقال مصعب : « يا أمأه إني لك ناصح وعليك شفيق ، فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . والثواقب (النجوم) لا أدخل في دينك فيزري (فيحتقر) برأيي ، ويضعف عقلي ولكن أدعك وما أنت عليه ، وأقيم على ديني » .

وفي معركة أُحد كان (مصعب) يحمل لواء المسلمين فثبت به ثبوت الرواسي (الجبال) فأقبل ابن قمئة (فارس من قريش) فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » .

وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنا عليه ، فضرب يده اليسرى فقطعها ، فحنا على اللواء وضمه بعضديه على صدره وهو يقول « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » . ثم حمل عليه بالثالثة وبالرمح وسقط اللواء ووقع (مصعب) ، ووقف محمد رسول الله (ص) يقرأ الآية :

﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ .

ثم حمل إليه (مصعب) فنظر إليه (ص) فقال : « لقد رأيتك بمكة ، وما بها أحد أرق جلة ولا أحسن لمة منك ثم أنت مشعث الرأس في بردة ، ثم أمر به أن يقبر ، ويقول خباب بن الأرت « قتل يوم أُحد فلم نجد ما نكفنه فيه إلا بردة إذا غطينا رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطينا رجله خرج رأسه فأمرنا النبي (ص) أن نغطي رأسه ، وأن نجعل عليه الأذخر وهو نبات معروف طيب الرائحة » .

... ونموذج آخر هو نموذج المرأة المسلمة المجاهدة ، نسيبة بنت كعب المازنية فقد أسلم بنو النجار - في يثرب - وكان في مقدمتهم زيد بن عاصم وزوجته نسيبة وولداهما (حبيب وعبد الله) .

وكانت نسيبة بنت كعب من الذين بايعوا رسول الله (ص) على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم . وفي يوم أُحد خرجت (نسيبة) لتسقي الجرحى وخرج معها زوجها (غزية بن عمرو) الذي تزوجها بعد وفاة زوجها الأول زيد بن عاصم .

ولما أحاط المشركون برسول الله (ص) وكلهم عدو موتور منه ، وثبت حول

هواء رسول الله (ص) حفنة قليلة مؤمنة لا تزيد عن عشرة وارتفعت صيحاتهم كلمة التوحيد . ولقد ألفت نسبية سقاءها ، حين هزم المسلمون واستلت سيفاً قاتل دون رسول الله (ص) وأخذت تتلقى النبل دونه ، يقول (ص) : « ما لتفت يميناً وشمالاً إلا وأنا أراها ، تقاتل دوني » وراها رسول الله ولا ترس لها ، لممح رجلاً مؤلياً معه ترس فقال له : « ألق ترسك إلى من يقاتل » ، فألقى ترسه بأخذته أم عمارة تترس به عن رسول الله (ص) .

وأقبل فارس من قريش فضر بها ، فتترست له ، فلم يصنع سيفه شيئاً روى ، فهجمت عليه (أم عمارة) وضربت عرقوب فرسه فوقع على ظهره ، فجعل النبي (ص) يصيح : « يا ابن أم عمارة ، أملك ، أملك ، فعاونها ابنها حتى قتلتته » .

يقول عبد الله بن زيد : « جرحت يومئذ جرحاً في عضدي اليسرى ، فضر بني رجل كأنه الرقل (النخل الطوال) ولم يعرج علي ومضى عني ، وجعل الدم لا يرقأ (لا يجف) فقال (ص) : أعصب جرحك ، فتقبل أمني إلي ومعها عصائب في حقوبها (خصرتها) وقد أعدتها للجراح فربطت جرحي ، والنبي واقف ينظر إلي ، ثم قالت : « انفضض نضارب القوم » . فجعل النبي (ص) يقول : « ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة » .

وأقبل الرجل الذي ضرب عبد الله ، فقال (ص) : « هذا ضارب ابنك » فاعترضت له وضربت ساقه فبرك ، فتبسم الرسول (ص) حتى رأت نواجذه (آخر الأضراس) . وقال (ص) : « اسْتَقْدَتِ يا أم عمارة » . ثم أقبلت تعلوه بالسلاح حتى أتت على نفسه فقال (ص) : « الحمد لله الذي أظفرك ، وأقر عينك من عدوك ، وأراك ثارك بعينك » . وأقبل عبد الله مرة أخرى إلى جانب الرسول (ص) فقال : « يا ابن أم عمارة ؟ فقال : نعم ! قال إرم قال : فرميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر ، وهو على فرس فأصبت عين الفرس حتى هوى هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه بالحجارة حتى نضدت (أضع بعضه على بعض) عليه منها وقرا (ثقلاً) . ولما هجم المشركون على رسول الله (ص) ليقتلوه وأقبل (ابن قمئة) يقول : « دلوني على محمد ، لانجوت إن نجا ، فاعترضت له (نسبية) مع مصعب بن عمير ، فقتل المشرك مصعباً ، فوقفت في وجهه

(نسيية) فضربها ضربة هائلة وأصابها في عنقها إصابة شديدة ولكنها ما وهنت ، وضربته ضربات ، إلا أن عدو الله كان عليه درعان .

ونادى رسول الله (ص) عبد الله : « أمك أمك أعصب جرحها . بارك الله عليكم من أهل بيت مقام أمك خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل البيت » .

وسمعت نسيية كلام الرسول (ص) فصاحت « ادع الله أن نرافقك في الجنة » .

فأجابها (ص) : « ألهم اجعلهم رفقائي في الجنة » .

فهتف حينئذ : « ما أبالي ما أصابني من الدنيا » .

ولقد صاحب أبناها رسول الله (ص) في كل غزواته حتى قضى .

... بُعث (حبيب) ابنها إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة برسالة فلم يرع مسيلمة حرمة الرسل بل قبض عليه وأوثقه وجعل يقول له : « أفتشهد أنني رسول الله » فيقول « لا أسمع » وجعل يقطعه عضواً حتى مات في يده . وكان إذا ذكر له رسول الله (ص) آمن به وصلى وإذا ذكر له مسيلمة قال : لا أسمع .

علمت نسيية باستشهاد ولدها فصبرت ونذرت أن تشهد مقتل مسيلمة وتشارك فيه وسار الجيش الإسلامي إلى بني حنيفة وخرج فيه عبد الله بن زيد ومعه أمه أم عمارة وكان عمرها أكثر من ستين عاماً .

وصاح القائد المسلم : « واحمداه » وهنا استلت أم عمارة سيفاً وهجمت مع فرقة من الأنصار فيها ابنها على أعداء الله ، وأصاب أم عمارة اثنا عشر جرحاً فلم تبال .

وقطع ذراعها فلم تأبه بشيء ، ووصلوا إلى مسيلمة وفي مقدمتهم عبد الله ابنها يقتلهم بسيفه ووفت بنذرها .

ثم عادت بلا ذراع وانتقلت إلى رحمة الله ودفنت في جنة البقيع^(١٧) .

المرأة المسلمة في إيران . . . والشهادة

وهاك صورة رائعة تظهر ما بلغت المرأة المسلمة في إيران من وعي وتعلق بالشهادة ، فقد كانت جماعة من النساء المؤمنات يزرن قبوراً مجهولة الأسماء في جنة الزهراء (بهشت زهرا) ، إنها قبور الشهداء المجهولين :

س : هذه القبور هي لشهداء مجهولين ، فما هو الدافع الذي جعلكن تقمن بزيارة هذه القبور ؟ .

وهنا انتفضت النساء ، ووقفن ، وانهمرت الدموع من أعينهن ، وانبرت إحداهن لتقول :

ج : عجباً عجباً ، كيف تتوجه لنا بهذا السؤال ، وأنت تعلم أن هؤلاء هم شهداء الإسلام ، الذين قتلوا في سبيل الله دفاعاً عنا جميعاً ، وإذا لم يكن لي من ولد شهيد بين هؤلاء الشهداء السعداء فلإني أعتبر أن هؤلاء الشهداء هم أولادي .

الله أكبر ، ما هذا ، إنها روح الإسلام التي تجعل المرأة والرجل والكبير والصغير ، يفتش عن الشهادة ، ويسعى إليها . وصورة أخرى من الصور التي تظهر عظمة الإسلام ، في صناعة الشخصية المؤمنة ، المتعلقة بالشهادة والاستشهاد صورة نقلها من نفس المقبرة (جنة الزهراء) ، تُسأل صبية جالسة قرب قبر شهيد :

س : من يكون هذا الشهيد بالنسبة لك ؟ .

ج : إنه زوجي .

س : في أي مكان استشهد ؟ .

ج : استشهد في الجبهة ، وهو يجاهد ضد العدو (الصدامي) الكافر .

س : كم كان عمره ؟ .

ج : عمره (٢١ عاماً) .

س : ما هو شعورك تجاه شهادة زوجك .

ج : لإني فرحة جداً بذلك .

س : ما هي وصيته الأخيرة ؟ .

ج : لقد قال لنا ، بعد أن ودعنا أنه ذاهب ليستشهد ، وأنه لن يعود إلينا ،
ونسأل الله تعالى أن نلتقي عند الحسين وفاطمة (ع) .

س : ماذا تتمنين ؟ .

ج : أتمنى أن ألحق به في أقرب فرصة ، وأن أستشهد في سبيل الله .

الشهيد نسيج وحده

متميز بكل شيء في كلامه وسلوكه وتفكيره :

يروى آية الله أردبيلي في إحدى خطبه حكاية ذلك الطالب المؤمن الذي
جرح في إحدى المظاهرات التي كانت تقام ضد الشاه وكان هذا الطالب صائماً
فجيء بماء فلم يشرب ، وقال : « أنا أعلم أي شهيد وأريد أن ألقى الله
صائماً » .

وأحد الشباب من العاملين على الجبهة في الحرب بين إيران الإسلام وعراق
صدام الكافر ، يوصي قائلاً : « إلهي إلهي إذا رزقتني الشهادة على الجبهة أطلب
أن تمنع عني جميع مصادر المياه لأنني أريد أن أموت عطشاً متأسياً بسيد الشهداء
الإمام الحسين (ع) » .

شبح الشهداء

وهذا شهيد الإسلام في الجنوب جنوب أبي ذرّ الشيخ راغب حرب يقف
بوجه العدو الإسرائيلي الغاشم ، مرفوع الرأس ، يتحداهم باسم الإسلام
والقرآن ويعلن رأيه الصريح بجرأة المجاهد الذي نهل من نبع الإمام الحسين (ع)
حتى ارتوى .

فها هم يحققون معه ويسألونه عن ارتباط المسلمين بقيادة الإمام الخميني
(رضوان الله عليه) فيقول :

« إنّ الإمام الخميني بالنسبة لنا هو مرجعنا ويمثل قيادتنا الشرعية الملزم أمرها
ونهيها ، باعتباره نائب الإمام المهدي (عجل الله فرجه) » .

ومحبهم بثقة وحزم ، على سؤالهم له : « لو أمركم الإمام الخميني بالقتال ضدنا هل تستجيبون ؟ » .

فيقول الشهيد حرب : « بكل تأكيد ودون تردد » .

وهو الذي كان يتوجه للجنوبيين فيقول لهم :

إنّ القرار الذي كان يجب أن يستمر هو قرار المقاومة والمقاومة ، ويجب أن نقاوم العدو بشتى الأساليب والوسائل وإذا كان العدو يريد أن يرتاح من القتل ، ويستقر باله فليخرج من أرضنا » .

هذا هو طريق الشهادة ، الذي يبدأ بالرفض ، وعدم المساومة ، وعدم الإستسلام للعدو وينتهي بالإستشهاد في سبيل الله لتثبيت خط الجهاد ، وإعلاء كلمة الحق . . . فمن يرفض أن يصافح ذلك الضابط الإسرائيلي الذي مدّ يده لمصافحة الشيخ حرب ، هو الذي يرفض كل أشكال التعاون مع العدو الكافر .

إن عشاق الشهادة ، أمثال راغب حرب ، هم النبراس الذي يضيء الطريق ، ويرسم استراتيجية التحرك لمواجهة العدو ، يقول الشهيد حرب :

« يجب أن نقرر موقفنا ، ونستمر في المقاومة لهذا العدو ، مهما كلف الثمن . فإن استشهد منا مائة ألف وبقينا أعزاء ، وأن نموت جوعاً ، خير لنا من أن نصاع لأوامر العدو » .

إن المطلوب منا ، في ظروفنا المصيرية ، العصبية :

١ - أن نواجه العدو الصهيوني ، الذي احتل أرضنا ، وشرّد شعبنا ، ويعمل على إزلالنا ، وتحقيق أهدافه الدنيئة ، لتثبيت أقدام أميركا ، وتحقيق أحلام إسرائيل في بلادنا ، فليس أمامنا إلا قتاله ، ومقاومته ، ليس لأجل طرده من لبنان فقط ، بل لأجل طرده من كل فلسطين ، وكل أراضي المسلمين الأخرى التي احتلها ، وأن نقف بوجه التسويات ، والمعاهدات ، والترتيبات ، والمصالحات لأنها في النهاية تخدم مصلحة العدو .

وقد قال الإمام الخميني قدس سره :

« إن إسرائيل عدو البشرية ، وعدو الإنسان ، وفي كل يوم تخلق فاجعة ، وتحرق أخواننا في جنوب لبنان » .

إن على إسرائيل أن تعلم أن أسياها قد خسروا موقعهم الاجتماعي في العالم ولا بد لهم من الإنزواء ، ولا بد لهم من قطع أطعامهم في إيران ، ويجب أن يمنعوا من التدخل في جميع البلاد الإسلامية . . .

إن المسلمين يبلغون مليار نسمة وينعمون بالتأكيد الإلهي . والإسلام يحميهم والإيمان يدافع عنهم فمن أي شيء يخافون ؟ .

إننا قد نهضنا مع قلة عددنا ، أمام أعدائنا الكثيرين ، والقوى العظمى وهزمناهم . ولا تظنوا أن بعض هذه الطوائف الفاسدة ، بعض هؤلاء اليساريين الأمريكيين وغير الأمريكيين ، يتمكنون من إبراز وجودهم في البلد فنحن إذا أردنا وأراد شعبنا ، فإنهم سيحذفون جميعاً في مزابل الفناء خلال ساعات .

وإن شعبنا العظيم لن يخاف من هذه التحركات اليائسة ، وإن تحركات إسرائيل في جنوب لبنان ، وبالنسبة إلى الفلسطينيين تحركات يائسة . لأنها تحركات الفاسدين في نهاية أمرهم ، كما صنعه الشاه . . . (المقبور) في إيران وانتهى بهلاكه وفنائه .

ولتعلم الحكومات في العالم أن الإسلام لن ينهزم ، وإن الإسلام وتعاليم القرآن لا بد أن تتغلب على جميع الدول . ولا بد أن يكون الدين هو الدين الإلهي . إن الإسلام هو دين الله ، ولا بد أن ينتشر في الأقطار الإسلامية » .

٢ - ويجب أن نعلم أن طرد العدو من أرضنا ، وتحرير القدس الشريف ، وجميع بلاد الإسلام ، لا يتحقق إلا بالصبر والصمود ، على خط الله ، ومؤازرة المقاتلين المؤمنين ودعمهم . . وليكن عشق الشهادة أساس تحركاتنا ، وجهادنا ، ولتكن مواقفنا كمواقف أصحاب الحسين (ع) في كربلاء ، وذلك عندما أذن الإمام الحسين (ع) لهم : بالانصراف فقال مسلم بن عوسجة .

« أنحن نخلي عنك ولما نعذر إلى الله في أداء حقلك . أما والله لا أفارقك حتى أطعن في صدورهم برمي ، وأضربهم بسيفي ، ما ثبت قائم في يدي ، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به ، لقدفتم بالحجارة دونك حتى أموت معك » .

وقال سعد بن عبد الله الحنفي : « والله لا نخليك حتى يعلم الله أننا قد حفظنا غيبة رسول الله (ص) فيك ، والله لو علمت أنني أقتل ، ثم أحيا ، ثم أحرق حياً ، ثم أذر ، يفعل بي ذلك سبعين مرة ، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك ، فكيف لا أفعل ذلك ، وإنما هي قتلة واحدة » .

٣ - التوجه نحو العدو الأكبر ، والخطر الأكبر ، ومحاربة الشيطان الأكبر (أميركا) ورببيتها إسرائيل ، ونسيان ، أو تناسي الخلافات الصغيرة ، أو تأجيلها حتى يتسنى لنا أن نهيه الظروف المناسبة لمقاومة العدو .

٤ - العمل على توحيد الشعب المسلم والطوائف الإسلامية ، ضمن إطار سياسي وإعلامي موجّه وتوعيتها لمقاومة العدو وتبيان المخاطر التي تحيق بالأمة ، والإسلام .

٥ - التوكل على الله ، وعدم الاعتماد على الآخرين ، لأنهم إنما يفكرون بمصالحهم فقط ، ويعملون لتجيير جهودنا وجهادنا لمنفعتهم السياسية والاجتماعية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



مصادر ومراجع البحث

- (★) راجع محاضرة « الإسلام وكرامة الإنسان » للإمام الصدر .
- (١) ماذا يعني انتباهي للإسلام . يكن .
- ^١ (٢) الأصول من الكافي ج ٢ .
- (٣) عدد ٧ .
- (٤) راجع الإسلام ومنطق القوة - العلامة محمد حسين فضل الله - ص ٩١ .
- (٥) الأصول من الكافي ج ١ ص ١٦٣ .
- (٦) حديث شريف .
- (٧) من محاضرة للإمام الصدر « الروحية في الإسلام وشؤون المجتمع » .
- (٨) الإسلام ومنطق القوة ص ٢٦٠ - ٢٦٣ .
- (٩) راجع دروس من الثورة الإسلامية في إيران / الأصفي .
- (١٠) راجع كلمات القرآن / مخلوف .
- (١١) من محاضرة لساحة الإمام السيد موسى الصدر .
- (١٢) غرر الحكم .
- (١٣) راجع كتاب الشهيد / الشهيد مطهري .
- (١٤) مجمع البيان ج ١ ص ٥٣٨ .
- (١٥) (١٦) راجع كتاب الشهيد / الشهيد مطهري .
- (١٧) راجع كتاب شهداء الإسلام / الدكتور علي النشار .

المحتويات

الإهداء	٥
المقدمة	٧
القسم الأول	
الباب الأول في معالم الكفر	
الفصل الأول :	
البدعة	٣٩
محتويات البحث	٤٩
ماهية البدعة	٤٤
البدعة تعني تغيير الحكم الإلهي ..	٤٥
الكفر أقدم من الشرك	٤٧
آثار البدع	٤٧
الأنانية والبدعة	٤٩
البدعة مقصودة وغير مقصودة	٤٩
البدع وأعداء الإسلام الداخلين ..	٥٠
البدع وأعداء الإسلام الخارجين ..	٥٠
أنواع البدع	٥٣
١ - البدع الفكرية	٥٣
٢ - البدع العقائدية	٥٣
٣ - البدع التشريعية	٥٤
٤ - البدع الإجتماعية	٥٥
٥ - البدع السياسية	٥٥
دور وعماظ السلاطين في نشر البدع .	٥٦
ما هو الموقف من المبتدعين ؟	٥٨
لا حرمة لمبتدع	٥٨
شخصية المبتدع	٦٠
مصادر ومراجع البحث	٦٣
الكفر والجحود	٦٥
محتويات البحث	٦٧
أدنى منازل الكفر	٧٠
١ - الكفر العملي	٧٠
٢ - الكفر النظري	٧١
ماهية الكفر	٧١
١ - إنكار الألوهية أو الوحدانية أو	
الكمال الإلهي	٧١
٢ - إنكار الربوبية	٧١

١ - إن صفات الخلق الحسنة كلها	٣ - إنكار نبوة الأنبياء ، أو الاعتقاد
من الله ١٠٧	بنبوة البعض ، وإنكار نبوة البعض
تزكية النفس من غفلة الشرك ١٠٧	الأخر كفر ٧٢
الموحدون يخافون أن يمدحوا ١٠٨	الكافر والكافر المبتدع ٧٣
قارون يتحول إلى مشرك ١٠٨	أسباب الكفر وعلاجه ٧٣
التوحيد والشرك في الأفعال ١٠٨	أقيسة الكفار ٧٤
١ - الخوف من الله ١٠٩	صفات الكافر ٧٧
٢ - الرجاء ١٠٩	دعائم الكفر ٧٧
٣ - شكر النعم ١٠٩	أصول الكفر ٧٨
٤ - شكر الخلق ١١٠	أركان الكفر ٧٨
٥ - التوحيد والتوكل ١١٠	وجوه الكفر ٧٩
٦ - التوحيد والتسليم ١١٠	وقفة مع حديث وجوه الكفر ٨١
٧ - التوحيد والمحبة ١١٠	أ - الجحود بالربوبية ٨١
التوحيد والشرك في الطاعة ١١١	ب - والجحود على معرفة ٨١
١ - ولاية الأمر الإلهيون ١١١	ج - كفر النعم ٨٢
٢ - إطاعة المجتهد العادل ١١٢	د - الكفر بترك ما أمر به ٨٤
٣ - إطاعة الوالدين إطاعة الله ... ١١٣	هـ - كفر البراءة ٨٦
٤ - أمر الوالدين بالحرام ونهيهم عن	العلاقة مع الكفار ٨٨
الواجب لا أثر له ١١٣	مخالطة الكفار ٩٠
٥ - إطاعة المرأة لزوجها إطاعة الله . ١١٣	مصادر ومراجع البحث ٩١
٦ - لا يجوز مراجعة الحاكم الجائر . ١١٤	الشرك ٩٣
٧ - إطاعة العالم المحب للدنيا ... ١١٤	محتويات البحث ٩٥
٨ - العالم يجب أن يكون فقيهاً لله ١١٤	أدنى الشرك ٩٨
مسؤولية عامة الناس ١١٥	ماهية الشرك ٩٨
حوار الإمام الصادق (ع) مع الزنديق ١١٧	التوحيد في سورة التوحيد ١٠٠
ما هي حكمة خلق الشيطان ؟ ١١٧	مراتب التوحيد ١٠٤
حكمة اختلاف الناس في الرزق . ١١٩	التوحيد والشرك في مقام الذات .. ١٠٧
حوار الإمام الرضا (ع) مع عمران	التوحيد في مقام الصفات ١٠٧
الصابئي ١٢٣	من حيث الاعتقاد ١٠٧

- هل أن الله تعالى تغير بخلقه الخلق ؟ ١٢٥
- الشرك ظلم ، وإثم وضلال ،
- وسقوط ١٢٩
- أ - الشرك ظلم عظيم ١٢٩
- ب - الشرك إثم عظيم ١٢٩
- ج - الشرك ضلال بعيد ١٢٩
- د - الشرك سقوط وانحدار ١٣٠
- هل يجوز للمؤمنين الاستعانة
- بالمشركين ؟ ١٣١
- الإقامة مع المشركين ١٣٢
- ما هو الشرك الخفي ؟ ١٣٣
- التعوذ بالله عما نعلم من الشرك الخفي
- والإستغفار مما لا نعلم ١٣٤
- الرياء شرك ١٣٤
- الشبهة ١٣٥
- الموقف من الشبهات ١٣٦
- الوقوف عند الشبهات ١٣٦
- مرتكزات الشبهة ١٣٧
- ١ - الحرية شعبة من شعب الشبهة ١٣٧
- ٢ - الهول من شعب الشبهة ١٣٧
- ٣ - التردد كيف يكون شعبة
- الشبهة ؟ ١٣٧
- ٤ - الإستسلام شعبة شبهة ١٣٨
- ٥ - الإعجاب بالزينة ١٣٨
- ٦ - تسويل النفس ١٣٨
- ٧ - تأويل العوج ١٣٨
- ٨ - ليس الحق بالباطل ١٣٨
- فماذا نعني بالإحتياط ١٣٩
- مصادر ومراجع البحث ١٤١
- النفاق ١٤٣
- محتويات البحث ١٤٥
- ماهية النفاق ١٥٠
- مظاهر النفاق ومقاييسه ١٥١
- كثرة الوفاق نفاق ١٥١
- من النفاق أن يزيد خشوع الجسد
- على خشوع القلب ١٥١
- النفاق لمظة سوداء ١٥٢
- أسباب النفاق ١٥٣
- ١ - الدل والضعف والجبن ١٥٣
- ٢ - الكذب لتحصيل جاه
- (منصب) أو مال أولدة ١٥٣
- ٣ - الخوف وانعدام الحرية ١٥٤
- ٤ - الرغبة في الوصول إلى موقع
- سياسي أو إجتماعي ١٥٤
- دعائم النفاق ١٥٨
- الهوى ١٥٨
- الهوينا ١٦٠
- الحفيظة ١٦١
- الطمع ١٦٢
- زبدلة الكلام ١٦٣
- الإنعكاسات السلبية لدعائم النفاق
- وشعبها ١٦٣
- أ - على المستوى الفردي ١٦٤
- ب - على المستوى السياسي
- والإجتماعي ١٦٤
- شعب دعائم النفاق ١٦٥
- آثار النفاق ١٦٨
- من آثار النفاق على المستوى الفردي ١٦٨

- أما على الصعيد الشخصي ١٨٣
- ١٤ - المنافق في نظره لهو ، وفي
- سكوته سهو ١٨٣
- ١٥ - المنافق يبكي متى شاء من شدة
- نفاقه ١٨٥
- ١٦ - المؤمن يبكي من قلبه ، والمنافق
- يبكي من هامته ١٨٦ .
- ١٧ - المنافق ضال مُضِلُّ وزال مُزَلٌ ١٨٧
- ١٨ - المنافق يتلَوْن ألواناً ١٨٧
- ١٩ - المنافق يعمد بكل عباد ١٨٧
- ٢٠ - المنافق يرصد بكل مرصاد .. ١٨٨
- ٢١ - المنافقون قلوبهم
- دوية (مريضة) ١٨٨
- ٢٢ - المنافق صفاحه نقيه ١٨٨
- ٢٣ - المنافق يمشي الخفاء ويدبّ
- الضراء ١٨٩
- ٢٤ - المنافق وصفه دواء ، وقوله
- شفاء ، وفعله الداء العياء ١٨٩
- ٢٥ - المنافقون حسدة الرخاء ... ١٨٩
- ٢٦ - المنافق له بكل طريق صريع . ١٨٩
- ٢٧ - المنافقون يتقارضون الثناء .. ١٩٠
- ٢٨ - المنافق إذا سأل الحف ١٩٠
- ٢٩ - المنافق يعدّ لكل حق باطلاً .. ١٩١
- ٣٠ - المنافقون يتوصلون إلى الطمع
- باليأس ١٩٢
- ٣١ - يقول المنافقون فيشبهون ... ١٩٢
- ٣٢ - المنافق يهَوِّن الطريق ويضللّ
- المضيق ١٩٣
- ٣٣ - المنافقون لمة الشيطان ، وحة
- النيران ١٩٣
- ١ - النفاق يفسد الإيمان ١٦٨
- ٢ - النفاق أخو الشرك ١٦٩
- ٣ - النفاق توأم الكفر ١٦٩
- ٤ - النفاق شين للأخلاق ١٦٩
- ٥ - رأس النفاق الحيانة ١٧٠
- آثار النفاق على المستوى العام ١٧٠
- ١ - التخويف ١٧١
- ٢ - إثارة المشاعر العصبية من قبلية
- وقومية وحتى وطنية ١٧٢
- ٣ - إثارة المسائل الأخلاقية ١٧٣
- ٤ - تجزئة وحدة المسلمين ١٧٤
- علامات المنافق ١٧٦
- ١ - المنافق يداهن نفسه ١٧٦
- ٢ - المنافق يطعن الناس في غيابهم
- ٣ - ظاهر قول المنافق جميل ١٧٦
- ٤ - فعل المنافق داء دخيل ١٧٧
- ٥ - لسان المنافق حلو ، وقلبه قبيح
- ٦ - المنافق وقع ، غبي ١٧٧
- ٧ - المنافق كشير الشك ،
- والإرتياب ، والمكر ١٧٧
- ٨ - المنافق قاسي القلب ، جامد
- العين ١٧٨
- ٩ - المنافق يتمنى الضرر للآخرين
- ١٠ - المنافق لا يتعظ بموعظة الإيمان
- ١١ - المنافق يتألم إذا سعد الآخرون
- ١٢ - المنافق يخلف بالوعد ويفشي
- السر ١٨٠
- ١٣ - المنافق يقول قول الصالحين ،
- وفعل الطالحين ١٨٢
- دمع العين وفعل اليد ١٨٢

- ٢٠٦ النفاق في صدر الإسلام
- ٢١٣ مصادر ومراجع البحث
- ٢١٧ الرّدة
- ٢١٩ محتويات البحث
- ٢٢٢ ماهية الرّدة والإرتداد
- ٢٢٣ بين الإيمان والرّدة
- ٢٢٤ المرتدّون مفلسون
- من أسباب الرّدة إضاعة مقاييس
- ٢٢٥ التمييز بين الحق والباطل
- ٢٢٥ الرّدة السياسية - الثورية
- ٢٢٦ ٢ هل في العالم الإسلامي المعاصرة رّدة
- ٢٣٠ الإيمان في مواجهة الصعوبات
- ٢٣٠ لا بدّ من إنتصار الإسلام على الكفر
- ٢٣١ الإسلام ومؤامرات الأعداء
- النبى إبراهيم (ع) والثبات على الدين
- ٢٣٢ والإيمان
- ٢٣٣ الأئمة (ع) والمحافظة على الرسالة
- ٢٣٤ الرّدة وضعاف النفوس
- ٢٣٥ مواقف إيمانية
- ٢٣٥ ثبات حتى الموت
- ٢٣٦ أصحاب الأخدود
- ٢٣٦ الرواية الأولى
- ٢٣٧ الرواية الثانية
- ٢٣٧ الرواية الثالثة
- ٢٣٧ مواقف إرتدادية
- ٢٤٠ مراحل الإرتداد
- ٢٤١ الرّدة من الناحية الفقهية
- ٢٤١ أ - المرتد الفطري
- ٢٤١ ب - المرتد الملى
- ١٩٣ ٣٤ - تحية المنافقين لعنة
- ١٩٤ ٣٥ - طعام المنافقين نعمة
- ١٩٤ ٣٦ - غنيمة المنافقين غلول
- ٣٧ - المنافق لا يقرب المساجد إلا
- ١٩٥ هجراً
- ١٩٥ ٣٨ - لا يأتي المنافق الصلاة إلا دبراً
- ١٩٦ ٣٩ - المنافقون مستكبرون
- ١٩٦ ٤٠ - خشب بالليل
- ١٩٧ ٤١ - سخب بالنهار
- ١٩٧ ٤٢ - علم المنافق في لسانه
- ١٩٧ ٤٣ - ورج المنافق يظهر على لسانه
- ٤٤ - المنافقون يؤثرون العاجلة على
- الأجلة
- ١٩٨ ٤٥ - من علامات المنافقين بغض
- أهل البيت (ع)
- ١٩٨ ٤٦ - مثل المنافق
- قلب المؤمن ، وقلب المنافق ، وقلب
- المشرك
- ٢٠٠ المعنى اللغوي لأوصاف القلوب
- ٢٠٠ خصائص القلوب بأنواعها المختلفة
- ٢٠١ أشد الناس نفاقاً
- ٢٠٢ المنافق عليم اللسان
- ٢٠٢ المنافق ذو لسانين
- ٢٠٣ مصادقة المتعادين
- الخصال التي لا تكون ولا تجتمع في
- منافق
- ٢٠٤ حال المنافقين يوم القيامة في الكتاب
- والسنة
- ٢٠٥ الصلاة على محمد وآل محمد تذهب
- ٢٠٥ بالنفاق

- ٥ - الخيانة في منظور الإسلام ٢٦٦
- المؤمن لا يخون ، ولا دين للخائن . ٢٦٦
- أداء الأمانة علامة الإيمان ٢٦٨
- الخيانة مكر وخديعة وغدر وإفك . . ٢٦٨
- الخيانة رأس النفاق ٢٦٩
- الخيانة رأس الكفر ٢٧٠
- لا تخن . . . حتى الكافر ٢٧١
- الإستهانة بالأمانة خيانة ٢٧١
- من خان في مال حسب عليه من رزقه ٢٧١
- لا تخن من خانك ٢٧٢
- التنكر للفرائض الإلهية خيانة . . ٢٧٤
- أكبر الخيانة أن تكون أميناً للخونة . ٢٧٥
- إدخار الدرهم عن المؤمن وعدم إعانته خيانة ٢٧٥
- الخائن يشغل نفسه بغير نفسه . . ٢٧٦
- من الخيانة : عصيان الرحمن ، وأذى الجيران ، وبغض الأقربان ، والقرب إلى الطغيان ٢٧٧
- خيانة الخلل الودود ، ونقض العهود ٢٧٧
- خيانة العلم أشد من خيانة المال . . ٢٧٨
- خيانة الوديعه ألحش خيانة ٢٧٩
- أعظم خيانة خيانة الأمة والأئمة . . ٢٧٩
- الأمان يوم القيامة لتارك الخيانة . . ٢٧٩
- من خان جاره في شبر من الأرض ، طوّق به عنقه حتى يوم القيامة . . ٢٨٠
- سر المؤمن أمانة وإفشاؤه خيانة . . ٢٨١
- كاتم السر من الدين يستظلون بظلّ عرش الله ٢٨٢
- المجالس بالأمانات ٢٨٢
- لا تطلع صديقك من سرّك إلّا ما لا
- ١ - المرتد الفطري ٢٤١
- المرأة المرتدة ٢٤٢
- ولد المرتد الفطري ٢٤٢
- ٢ - وأما المرتد المني ٢٤٣
- البلوغ والعقل والإختيار
- والقصد ، شرط في تحقق الإرتداد ٢٤٣
- ولد المرتد المني ٢٤٤
- الإسلام يحمي نفسه ٢٤٤
- الكافر والمشرک المرتد ٢٤٥
- خدمة السلطان الجائر تنزل غضب الرب ٢٤٦
- أصحاب الحسين(ع) والثبات على الموقف ٢٥٦
- طريق الإيمان هو طريق ذات الشوكة ٢٤٧
- الأنبياء قدوتنا في الثبات على الحق . ٢٤٧
- لماذا الرّدة وعدم الثبات ؟ ٢٤٩
- مصادر ومراجع البحث ٢٥١
- الفصل الثاني من معالم الكفر :**
- الخيانة ٢٥٥
- محتويات البحث ٢٥٧
- ١ - ماهية الخيانة ٢٦٢
- الخيانة في اللغة ٢٦٢
- الخيانة في المصطلح ٢٦٣
- من أسباب الخيانة ٢٦٣
- ٢ - هل مفهوم الخيانة مفهوم نسبي ؟ ٢٦٤
- ٣ - الخيانة آفة المبادئ ٢٦٤
- الخيانة المطلقة خيانة الإسلام . . ٢٦٥
- ٤ - الجاسوسية والإسلام ٢٦٦
- التعامل مع العملاء ٢٦٦

- ٢٨٣ يضرك إذا انكشف
الغُلُول (الخيانة في المغنم) عار
٢٨٣ وشناريوم القيامة
٢٨٤ لا تخن ... حتى عدوك
لا تشتري خيانة حتى لا تكون كمن
خانها ٢٨٥
الخيانة تخرب البيوت ٢٨٦
الخيانة تجلب الفقر ٢٨٦
بادر بالأمانة ولا تسمع لوسوسات
الشياطين ٢٨٧
محمد (ص) الصادق الأمين ٢٨٨
قدوة الأمانة ٢٨٨
٦ - أقسام الخيانة ٢٨٩
معنى خيانة الله ورسوله ٢٨٩
أمانة الله ٢٨٩
٧ - الأمانة بالنسبة للعقل والتكليف ٢٩٠
أمير المؤمنين (ص) القدوة في تأدية
الأمانة ٢٩٠
بلغوا أحكام الدين ٢٩٠
خيانة الرسول (ص) ٢٩١
خيانة القرآن الكريم ٢٩١
ذرية الرسول (ص) أمانة ٢٩١
الأمانة مالكية وشرعية ٢٩٢
١ - الأمانة المالكية ٢٩٢
٢ - الأمانة الشرعية ٢٩٢
خيانة أمانة الناس ٢٩٢
٨ - أشكال الخيانة ٢٩٣
عدو ... ولكنه غير خائن ٢٩٣
تكليف غير الاكفاء بالمسؤولية خيانة
للمبدأ والأمة ٢٩٤
- ٢٩٥ خيانة الأمة والمجتمع
٢٩٥ الخيانة علنية وسرية
٢٩٦ خيانة النفس وخيانة الغير
بناء العلاقات الاجتماعية الفاسدة
خيانة ٢٩٧
الخيانة الاقتصادية والمالية ٢٩٧
الخيانة السياسية ٢٩٩
الخيانة العسكرية ٢٩٩
خيانة الأعداء ٢٩٩
الأمانة من مواصفات القيادي المسلم ٢٩٩
مصادر ومراجع البحث ٣٠٣
الحسد ٣٠٧
محتويات البحث ٣٠٩
الحسد ٣١٢
ماهية الحسد ، ومن هو الحسد ؟ ٣١٣
ماهية الغبطة ، ومن هو المغبوط ؟ ٣١٣
ماذا نعني بالنصيحة ؟ ٣١٤
علامات الحاسد ؟ ٣١٤
أسباب الحسد ٣١٥
١ - خيانة النفس وبخلها ٣١٥
٢ - العداوة والبغضاء ٣١٥
٣ - حب الرئاسة وطلب الجاه والمال ٣١٥
٤ - الخوف من فوات المطالب ٣١٦
٥ - التعزز ٣١٦
٦ - التكبر ٣١٦
٧ - التعجب (العجب) ٣١٦
أسباب الحسد الاقتصادية والمالية .. ٣١٨
آثار الحسد على مستوى شخصية
الحاسد وعلاقته بالآخرين ٣١٩

ستر الذنوب ٣٤٣	الحسد والإيمان لا يلتقيان ٣٢٠
التعبير بالخطيئة ٣٤٤	آثار الحسد السلبية على المجتمع . . ٣٢٠
الله تعالى ستر ، فتحلق بأخلاق الله ٣٤٥	على مستوى الحياة الاجتماعية . . . ٣٢٠
إشاعة الفاحشة ٣٤٥	على مستوى الحياة السياسية . . . ٣٢١
الخطيئة الفردية والإضرار بالمجتمع ٣٥٠	على المستوى الفكري ٣٢١
توجيهات أساسية للتعامل بين	للحسد عقوبتان ٣٢٢
المؤمنين ٣٥٢	العقوبة الأولى دنيوية والأخرى
مصادر ومراجع البحث ٣٥٧	أخرى ٣٢٢
	الله در الحسد ما أعدله ٣٢٣
	الحسد والصحة الجسدية ٣٢٤
	الحسد والقدرة على فعل الخير . . . ٣٢٤
	الحسد سبب للهبوط من المنازل
	الرفيعة ٣٢٤
	أثر الحسد على مستوى شخصية الفرد
	والجماعة ٣٢٥
	أين يتفشى مرض الحسد ٣٢٥
	التربية والحسد ٣٢٦
	الطفولة والحسد ٣٢٧
	وماذا عن المجتمعات الرأسمالية
	والمجتمعات الاشتراكية ؟ . . . ٣٢٧
	ونضرب لهم الأمثال ٣٢٨
	١ - إلى أن يأتي الترياق من العراق . ٣٢٨
	٢ - عشرة فقراء وملك كان ٣٢٨
	٣ - إصبر على حسد الحسد فإن
	صبرك قاتله ٣٢٨
	مصادر ومراجع البحث ٣٣١
	تتبع عثرات المؤمنين ٣٣٣
	محتويات البحث ٣٣٥
	أدنى الكفر ٣٣٩

القسم الثاني

الباب الثاني في معالم الإيمان

الفصل الأول :

١ - عبادة الله وحده
٢ - تركية النفس وزكاة المال . . . ٣٦٣
محتويات البحث ٣٦٥
لا طعم للإيمان إلا بعبادة الله وحده
وأن لا إله إلا الله ٣٦٨
ثمرات الإخلاص في العبادة . . . ٣٧٢
١ - الراحة النفسية ٣٧٢
٢ - سعادة أسرية ٣٧٢
٣ - صحة جسدية ٣٧٤
٤ - سعادة اجتماعية ٣٧٤
٥ - سعادة أخوية ٣٧٥
لا يجحد طعم الإيمان إلا من أعطى زكاة
ماله طيبة بها نفسه ٣٧٨
الزكاة والتزكي في اللغة والمصطلح . ٣٨٠
زكاة المال وطيب النفس ٣٨٢
الزكاة والضرائب ٣٨٤
الحرب الاقتصادية والإستعمار . . . ٣٨٦
الزكاة عن طيب نفس ٣٨٧

المطلوب (..... ٤٠٥	من علل تشريع الزكاة وآثارها ٣٨٨
أحكام إضافية ٤٠٦	١ - أداء الزكاة ، شرط لقبول
الذهب ٤٠٧	الصلاة ٣٨٨
الفضة ٤٠٧	٢ - شرعت الزكاة من أجل قوت
أحكام أخرى ٤٠٧	الفقراء ٣٨٨
الغلات الأربع ٤٠٨	٣ - الزكاة تزيد المال ولا تنقصه .. ٣٨٩
المستحقون للزكاة ثمانية أصناف .. ٤٠٩	٤ - أداء الزكاة لتحصيل للأموال
مصادر ومراجع البحث ٤١١	ومحافظ عليها ٣٨٩
الرخاء والبلاء ... فتنة ونعمة ٤١٣	٥ - جزاء مانع الزكاة في الدنيا سؤال
محتويات البحث ٤١٥	الرجعة عند الموت والقتل ، واعتباره
ماهية الرخاء والبلاء ٤١٩	سارقاً ٣٩٠
مفردات البحث في اللغة والمصطلح ٤٢٠	٦ - عقاب مانع الزكاة في الآخرة :
١ - الرخاء ٤٢٠	التطويق بما بخل ، وأن يجر أمعائه في
٢ - الفتنة ٤٢١	النار ، وشدد الأليدي إلى الأعناق .. ٣٩٠
٣ - البلاء ٤٢٢	٧ - مانع الزكاة كافر ٣٩١
٤ - النعمة ٤٢٣	٨ - طيب النفس بالزكاة ، كفارة
٥ - المحنة ٤٢٦	وحاجز من النار ٣٩١
٦ - النقمة ٤٢٦	٩ - في المال حق معلوم للفقراء ، غير
الموقف من الرخاء والبلاء ٤٢٧	الزكاة ٣٩٢
أشد الناس بلاء ٤٢٧	١٠ - الزكاة ظاهرة وباطنة ٣٩٣
الخير والشر فتنة واختبار ٤٢٨	١١ - بكل شيء زكاة فزك نفسك . ٣٩٣
فتنة المال ٤٢٨	١٢ - زكاة الفطرة من تمام الصوم . ٣٩٤
المال له وجهان ٤٢٩	١٣ - سر وجوب الزكاة وفضيلة
الأول : الوجه المدموم ٤٢٩	الإنفاق ٣٩٥
الثاني : الوجه الممدوح ٤٣١	الزكاة والمؤلفة قلوبهم ٣٩٨
الحرب لمنع الفتنة ٤٣١	طريقة جباية الزكاة ٣٩٨
في معاني الفتنة العرفية ٤٣٢	من مواصفات العاملين على الزكاة
الفتنة في الأمور الدينية ٤٣٣	(الجباية) ٤٠٠
الفتنة في الأمور الحياتية ٤٣٤	بعض أحكام وآداب الزكاة ٤٠١
	النصاب (أي المقدار أو العدد

- ٤٤٩ القدر الإلهي والعمل البشري
- الحمل والعمر والحياة والموت وكل
- شيء بقدر ، وقضاء ، وعلم من الله ٤٥١
- من آمن بالقدر استخف بالمصائب
- والغير ٤٥١
- العقل ومكانته في عمل الإنسان . . . ٤٥٢
- الرخاء والكسب الحلال ٤٥٣
- القيادة الإسلامية لا تعرف الرخاء ،
- مواساة للشعب المستضعف ٤٥٤
- بيت الإمام « قدس سره » ٤٥٦
- مصرفات الإمام ٤٥٨
- البلاء واستقرار حالة المؤمن النفسية ٤٦١
- التمييز بين عدة حالات ٤٦١
- البلاء والدعاء ٤٦٢
- قصة النبي موسى (ع) والخضر (ع) ،
- فتن . . . ونعم ٤٦٣
- القصة من الروايات ٤٦٤
- أبعاد قصة الخضر مع موسى (ع) في
- حوار يعتمد نظرية المفروغ والمستأنف
- للمهرستاني ٤٦٨
- توضيح حول نظرية المفروغ
- والمستأنف ٤٧٧
- مصادر ومراجع البحث ٤٨١
- من كمال الإيمان عدم شفاء الغيظ . . ٤٨٥
- محتويات البحث ٤٨٧
- الغضب والغيظ في اللغة ٤٩٠
- قالوا في الغضب ٤٩١
- أسباب الغضب ٤٩٢
- الأنبياء والغضب ٤٩٣
- ٤٣٥ الفتنة على المستوى الفردي
- على صعيد الأمم والحضارات ٤٣٥
- الفتنة . . وفقدان المقاييس الشرعية ٤٣٦
- من مظاهر الفتنة ٤٣٧
- ١ - المن بالدين على الله فتنة ٤٣٧
- ٢ - تمنى رحمة الله بلا عمل فتنة . . . ٤٣٨
- ٣ - الأمان من سطوة الله وغضبه فتنة ٤٣٨
- ٤ - استحلال حرام الله بالشبهات
- الكاذبة والأهواء الساهية فتنة . . . ٤٣٨
- استحلال الربا ، بالبيع فتنة ٤٣٩
- ١ - البيع ٤٣٩
- ٢ - الربا ٤٣٩
- استحلال الخمر بالنبيذ فتنة ٤٤١
- ١ - الخمر ٤٤١
- ٢ - النبيذ ٤٤١
- الابتلاءات طريق التكامل وتحصيل
- الثواب ٤٤١
- البلاء في الدنيا نعمة في الآخرة
- والرخاء فيها محنة في الآخرة ٤٤٣
- ما من بلية إلا وتحيط بها نعمة من الله ٤٤٣
- إحذر ربك عند تتابع النعم عليك . . ٤٤٤
- الصبر على البلاء يصحح نسبة الإيمان ٤٤٤
- البلايا تورث رضا الله وقربه وكرامته ٤٤٤
- البلاء غذاء المؤمن ٤٤٥
- البلاء المتتابع إيقاظ من الغفلة والنعم
- المتتابعة مع المعاصي استدراج . . . ٤٤٥
- لا يجمع الله على مؤمن عقوبتين . . . ٤٤٧
- درجات لا تبلغ إلا بالبلاء في الجسد ٤٤٨
- البلاء في طاعة الله ، أحب إلى المؤمن
- من الصحة في معصيته ٤٤٨

ب - الغيبة ٥٢٨	كظم الغيظ : عظمة ، واتزان ،
مصادر ومراجع البحث ٥٣١	وأمن ، وإيمان ٤٩٣
النصيحة لأهل الإسلام ٥٣٣	الغضب جمرة شيطانية توقد في
محتويات البحث ٥٣٥	القلوب ٤٩٤
ماهية النصيحة ٥٣٨	الغضب يبعد عن الصواب فاحذره ٤٩٥
النصيحة سنة الأنبياء والأولياء ... ٥٣٨	الغضب جنون ، وندم ٤٩٦
من لم ينصح المسلمين فليس منهم .. ٥٣٨	الآثار السلبية للغضب ٤٩٦
النصيحة للمؤمنين على المؤمنين واجبة ٥٣٩	جاهد غضبك بكظمه ٤٩٧
صفات الناصحين ٥٤٠	متى ينبغي أن تغضب ٤٩٨
أنصح الناس لنفسه ٥٤٢	شفاء الغيظ والفتن الداخلية ٥٠١
من ينتفع بالنصيحة ؟ ٥٤٣	وصفات علاجية للغضب ٥٠١
اقبلوا نصيحة الله ٥٤٤	مصادر ومراجع البحث ٥٠٥
لا تخالف نصيحة الناصح من الناس ٥٤٤	
الزاوية الأولى ٥٤٧	الفصل الثاني :
الزاوية الثانية ٥٤٨	الكلمة المسؤولة ٥٠٩
الزاوية الثالثة ٥٤٨	محتويات البحث ٥١١
الزاوية الرابعة ٥٤٩	الصمت إلّا من خير ٥١٣
النصيحة لغير المسلمين ٥٥٠	الكلمة المسؤولة ٥١٥
الزاوية الخامسة ٥٥٠	فوائد الصمت ٥١٦
مصادر ومراجع البحث ٥٥١	الصمت هو بترك فضول الكلام .. ٥١٦
ترك الكذب في الهزل والجدّ ٥٥٣	الصمت الممدوح ٥١٧
محتويات البحث ٥٥٥	المزاح ٥١٨
الكذب أعظم الرذائل ٥٥٨	مخافة الله في الجد والمزاح ٥١٩
راقب نفسك تنج ٥٥٩	المؤمن يمزح ولكن لا يقول إلّا حقاً . ٥٢٠
رائحة الكذب ٥٦١	إيّاك والمزاح الذي يورث الضغينة . ٥٢١
المنازل الرفيعة عند الله رهن بالصدق	الحياة تبنى على أساس الجد ٥٢٢
في القول والعمل ٥٦٢	المزاح الهادف ٥٢٦
لا تلقن غيرك أحاديث الكذب ... ٥٦٣	المزاح الإعلامي ٥٢٦
من الكذب أن تعد أطفالك ثم لا	المزاح السياسي ٥٢٧
	أ - النسيمة ٥٢٧

٦٦٥ الجهاد والمقاومة والشهادة	٦٥٤ حالة التقليد الحضاري
٦٦٧ محتويات البحث	٦٥٤ التفاهة الحضارية
٦٧٠ تمهيد	٦٥٤ حالة الإلتباس السياسي الحضاري
٦٧٥ الموقف ، الوسائل ، الإمكانيات ظاهرة الخوف الحضاري في الإوساط
٦٧٨ إعداد القوة الفكرية والعقائدية ...	٦٥٥ المتدينة
 إعداد القوة النفسية والروحية وجهاد	٦٥٥ حالة الركود الحضاري
٦٨١ النفس	 حالة الجمود الحضاري (على
 إعداد القوة الإجتماعية والصف	٦٥٥ مستوى الأفراد)
٦٨٨ المرصوص	 حالة التقوقع الحضاري (على
٦٩١ إعداد القوة المادية والعسكرية	٦٥٥ المستوى الإجتماعي)
 لا للإستسلام .. لا للإهزيمة حالة الإنعزال الحضاري (على
٦٩٨ لا للمهادنة المعتدين	٦٥٦ مستوى الأفراد)
 الشهادة أفضل أساليب المواجهة مع	٦٥٦ حالة الإنكماش الحضاري
٧٠٢ العدو	٦٥٦ حالة الضعف الحضاري
٧٠٢ شعار المجاهد : النصر أو الشهادة	٦٥٧ ظاهرة المقاومة الحضارية
 النصر على العدو وعد من الله تعالى	 الصفة الإسلامية للمقاومين في
٧٠٢ للمؤمنين	٦٥٨ المقاومة الحضارية
٧٠٥ الإستشهاد في سبيل الله	٦٥٨ صفة الإصلاح
٧٠٨ عشق الشهادة درب السعادة	٦٥٨ صفة الفردية
٧٠٨ أكرم الموت القتل	٦٥٩ الصفة الجزئية
٧٠٩ السباق للشهادة	٦٥٩ الصفة الديلية
٧١٥ المرأة المسلمة في إيران .. والشهادة	٦٦٠ صفة الغموض
٧١٦ الشهيد نسيج وحده	٦٦٠ ردود الفعل
 الشهيد متميز بكل شيء في كلامه	٦٦١ صفة التردد عند العاملين
٧١٦ وتفكيره	٦٦١ النقاش النظري
٧١٦ شيخ الشهداء	٦٦١ الإشكالات النظرية
٧٢١ مصادر ومراجع البحث	٦٦١ الأعمال الشككية
٧٢٣ المحتويات	٦٦٣ المراجع



